سلسلة اعرفوا الحق تعرفوا أهله

المهدي المنتظر (ع)

دراسة وتحليل

الأستاذ
الشيخ محمد كاظم الخاقاني

دار صاحب الأمر
بيروت - لبنان

سلسلة إعرفوا الحق تعرفوا أهله

المهدي المنتظر (عج)

دراسة وتحليل

تأليف
الشيخ محمد كاظم الخاقاني

دار صاحب الأمر
بيروت - لبنان

هوية الكتاب

إسم الكتاب: إعرفوا الحق تعرفوا أهله

الجزء الاول: المهدي المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف

تأليف: الشيخ محمد كاظم الخاقاني

الناشر:

الطبعة:الأولى

العدد:

القطع و عدد الصفحات:

الإخراج و صف الحروف :هدى محمد كاظم الخاقاني

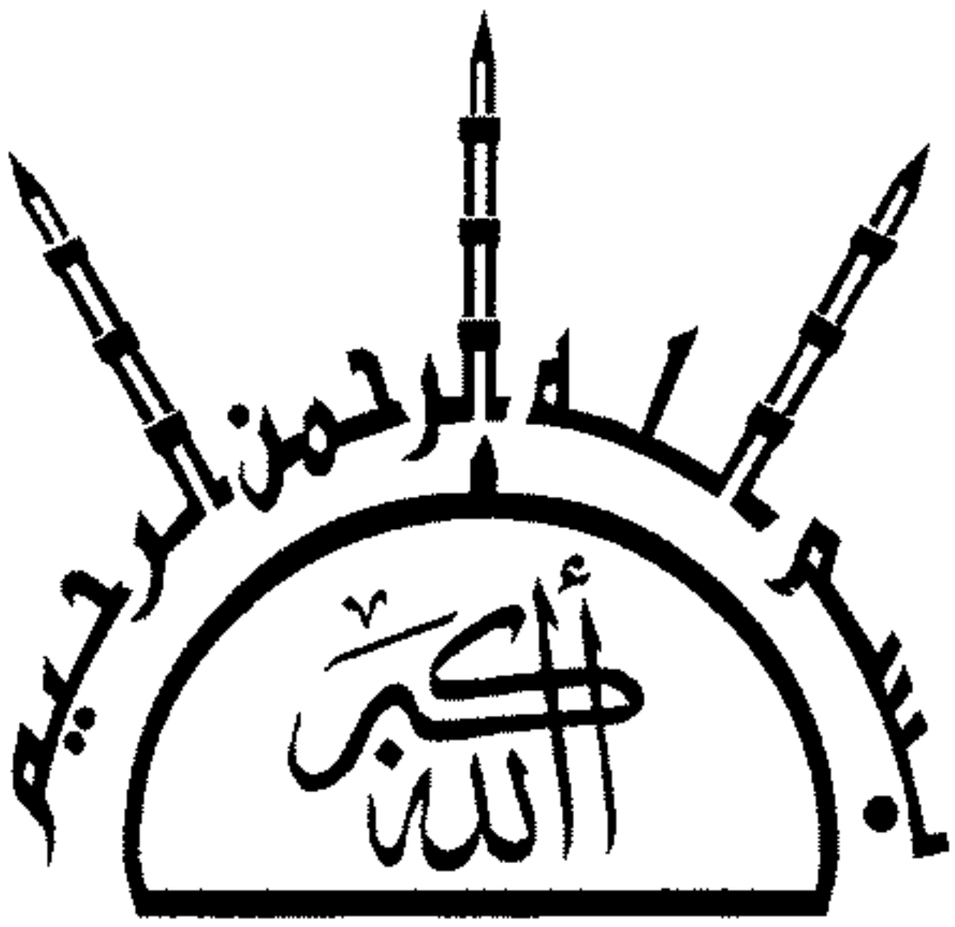
بسم الله الرحمن الرحيم
الله أكبر

بزوغ الشمس

ما حديث الوجد وهم أو جزع ... أو خرافات أمان للطمع

بل ولا كان خيالا سالكا ... بذوي الأوهام في تيه البدع

لا ولا كان سبيلا للدجى ... يفضح المرء إذا التقع إرتفع

كيف لا وهو ينابيع الندى ... من سما العرفان من قبل الفزع

وهو نور الله في أرض التقى ... إن تجافى الليل والغيم إنقشع

إنه حب لآل المصطفى ... ولحكم العدل إن صبح طلع

صبح آيات وفخر وعلى ... يملأ الأرض رشادا إن وقع

بيد القائم ذاك المرتجى ... لبزوغ الشمس من بعد الجزع

محمد كاظم الخاقاني

مُقَدِّمَة

يعتصر القلب ما بين أكداس من الهموم لو سمح لها قلم التكوين لتبرز إلى العيان لكانت جبالا رواسي تخشع دون قممها أجنحة الأبصار ولو أذن لها الحق لكانت عواصف فوق البحور يناغمها هدير الأمواج في سكن الليل لتخرق صمتا كاد أن يكون شبحا في ديار العدم في جوار عجوز من الغابرين.

لكنها الأقدار بمجاريها من فوق مسالك الدهور على صحائف الأيام تبث بأنغامها لتستقر في محالّ أنسها بعد رحيل خريف العمر حيث التطلع إلى أفق أكثر اتساعا في رحاب العاشقين .

فوجـــدت نفســـي في طيات سجل الأقدار نقطة في نهاية خط لأحرف حيثما سال بها القلم متصدعا ما بين سطور الأوراق، لم يصغ لوقع رنينها أو أنينها مسامع بعض السالكين فضلا عن جموع قوافل الراقدين في نفق الأوهام.

فبـــت علـــى الـــرغم من عظيم الأثقال، أجدّ السير ليلا طويلا يخفف عليّ الوحشـــة صـــدى الأنفاس ويوقفني عن مواصلة السير حيناً بعد حين زحف عساكر

المنحدريـــن إلـــى الوديـــان حيث يستقر بهم المقام مستأنسين بشهود مواطن نسيج العناكب على نوافذ الجدران.

فقلـــت في نفسي وقد أحاطت بي الأفكار مدهوشا متحيرا بمَ يستأنس هؤلاء القوم ولمْ لا يبكون ويصرخون وقد هدمت الأسوار واقتلعت الأبواب ونهبت الكنوز وافـــترس الأغـــنام ذئبان الصحارى وتجلبب جلباب النسك مكرأ ذوو... ، يعملون الموازنـــة وهم في مجالس العامة يبكون وفي ليالي الوصال هم تجار ذل إلى فتات اللحم ينظرون بعد تخمة الذئبان لعلهم منها شيئا قليلا ينهشون .

أجـــل وجـــدت اللاحقين أتباع السابقين ، فعلمت أنها الدنيا يجول في مراتع أوهامها خيول الماكرين وتحلب فيها ولو عند بزوغ الشمس دواب الركب الغافلين .

فرحت أنظر إلى القوم متجلدا أكفكف بريق الدمع بمعاول الأشفار خشية نقد الجاهليـــن لأطلق له العنان في ظل عتمة تخفي سيل مجاري الأدمع على أمة نهب الشـــقاق عـــزها وتقاسم الولاة تراثها وأضاع العلماء عظيم فخرها يكفرون ببعض الكتاب ويؤمنون ببعضه الآخر .

فشـــاهدت كـــيف بيعت الأمة مقيدة بسلاسل الذل بأبخس الأثمان في نوادي النخاسين وكيف أضيعت معالم الحق في ظل ندى الماكرين وتجار الدين المتنسكين ثـــم عـــادوتُ نفســـي فـــتذكرت قول الله تعالى : {وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمـــون} وراحت لتترى عليّ الذكريات لتأخذ بي إلى جواهر الأنغام لألمس منها لـــباب قولٍ هو العرفان حيث يقول ﷺ: **﴿كـيفما تكونـوا يولَى عليكم﴾** وليملأ سمعي حديث صدقٍ تجلّى لي منه ما كان أسأ لمنحدر هذه الأمة في وديان الظلمات حيـــنما راحت لتعرف الحق في وجوه الرجال بدلا من معرفة الرجال بالحق حيث يقـــول علـــي عليه السلام: **﴿ إن الحـق لا يعـرف بالرجال إعرفوا الحق تعرفوا أهله﴾**

محـــذراً الأمـــة من جعل الرجال صحابة أو علماء مقاييس للحق لكن الأمة راحت لتعرف الحق في وجوه الصحابة والعلماء ناسيةً أو متناسية مقاييس الحق .

فبقيـــت متحيرا أصارع النفس عقودا من الزمن في كهوف العزلة أ أركب الموجة لبرّ الأمان وأنا أعلم علم اليقين أن أمان الله خير من أمان ...

أم أبتّ بشفةٍ لأجد نفسي مرة ثانية متهماً متآمراً جاهلاً ...

فقلـــت مسترشـــدا بقول قدوة السالكين سبل الرشاد الإمام الحسين بن علي عليه السلام: **﴿اللهم كم من هم يضعف فيه الفؤاد وتقل فيه الحيلة ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو أنزلته بك وشكوته إليك رغبة مني إليك عمن سواك ففرجته عني و كشفته فأنت ولي كل نعمة و منتهى كل رغبة... ﴾**

فبالله المستعان وعليه فاليتوكل المتوكلون وإنا لله وإنا إليه راجعون والسلام.

محمد كاظم محمد طاهر الخاقاني

المقدمات

الحرية

آه آه كـــم ســـرت قوافـــل الأحرار تروي الأرض بطهر دماءها تاركة الأوطان و مودّعة الديار مهاجرة في ظلمات ليالي الدهور لتستنشق نسيم الحرية و لـــو فـــي كهوف الغابات ساعة من العمر هي ربيع الأيام على الرغم من مخاوف هجمـــة السباع الضواري و النسور الكواسر عندما جزمت أن افتراسها لا يتعدى عند الجوع بُعد مراتب الأجسام.

فوقفـــت أكفكف الدمع حذرا من شماتة الشامتين و نصح الجاهلين أراقب مشـــهد الأحـــرار عن كثب أسمع ضجيجهم في أعماق السجون و أنظر إلى نزف دمـــائهم و هم من جودهم بتضحية الأنفس يفخرون ،حتى إذا ما توالت الأحقاب و تصرمت الدهور و راعني طول المقام و أجهدني هبوب سموم عواصف الرمال و أنا أبحث عن مسالكهم و أتّبع آثارهم ما بين الكهوف و السجون ناظرا إليهم تارة فـــوق أخشـــاب الصلبان و تارة أخرى تحت وابل سيل المدافع و الرصاص و هم يسلّمون كنوز الشرف و الحرية خوفا على ضياعها إلى نظرائهم من الأحرار ، إذ بـــي أسمع عن بُعد ضجة أقوام ظننتها من سلالم الحق إلى منازل المقربين و من مظاهـــر الرحمة التي بدت عالية على ألسن المخلَصين و من وحي الرحمن على اتباع خلفاء النبيين.

فأســـرعت إليها مبادرا و صرت إلى جنب راياتها مستبشرا تعلوني نظرة المتفائليـــن و تطربنـــي أنغـــام الحشد الهاتفين و تضمني إلى أعماق ركبها أكف المتطوعين إلى غايات الضاجين الصارخين.

فبـــت أهتف كما يهتفون مرددا معهم أناشيد الحق إلى مسالك السلام لليال دامســـات أشاهد فوق رؤوسهم بقوة الخيال في ظلمات الأزقة و منعطف المسالك حمام الحرية مرفرفا و أغصان الزيتون متدلية و أسمع من حناجرهم على الرغم مـــن شـــدة حماسهم رقيق نبرات الآيات حتى كأني وجدتهم بعد الحشر إلى جنان الخلـــد يساقون و إلى جنب مقاعد الكرام ينزلون و من فوق عظيم منازلهم كؤوس الخلـــد من أيدي الحور يشربون حتى إذا ما تقشعت تلكم الظلمات ببزوغ الشمس هزتنـــي رعـــدة من أعماق الضمير عندما شاهدت في الأفق المبين أن من وراء أقنعة بعض الهاتفين بريق أنياب لقوم ماكرين ،فأحاطت بي الأفكار كأمواج البحور تقـــذف بـــي إلى أعماق هوة مهابطها و تعالت الأنفاس بالحسرات تحرق أعماق مصادرها .

ثـــم استعدت بعد مزالق الأقدام رشدا أخذ بي إلى مدارج شواطئ الأمان ، فأثقلـــت بعد الجد أقداما و قاربت بعد الركض ما بين الخطوات ،حتى إذا ما جزم القوم بأني أصبحت لا أخيف عدوا و لا أجلب ناصرا لكثرة الهموم و شدة الآلام و دواعـــي الأمـــراض و قلة الحزم تركني ركب السائرين إلى غاياتهم فتسللت بعد ابـــتعادهم إلى أزقة البلاد ضائعا لا أعرف أي المسالك يهديني إلى مهب الرمال و كهوف الآمال عندما تكون العزلة خيرا من جمع الماكرين و حشد الجبارين.

فمشيت متعبا مشية من ترقبه العيون ألتقط الأنفاس خوفا من إشارة مشير أن هذا ممن تخلّف عن الإبحار مع ربّان السفن إلى برّ الأمان و جنة الرضوان في يوم يرسم صوابه حماس المتفلسفين و هدير البسطاء المستضعفين.

و لمّـــا وجـــدت نفسي متعبا من أعباء السفر لا تحملني قدماي بعد واسع الجهـــد فـــي مضايق أزقة أبلتها مطارق الحدثان وقفت أستريح ساعة من الزمن أخالهـــا دهرا ربما ظننت نغم صفير الرياح من خلال تحرك غصون الأشجار و

أوراقهـــا أقـــدام رجال المخابرات أو الاستخبارات أو الشرطة خالطا بين العيون الساهرة في خدمة الشعب الموظّفة برعاية أمنه داخلا و خارجا حينما وجدتهم إلى خدمـــة الوطن يتسابقون و من أجل تحقيق الغاية يتزاحمون ، ينسيهم الشوق حدود الاختـــيار و تدفـــع بهـــم الغاية نحو قبض كل متهم في الديار و لو على الظنة و التهمة.

حتى إذا ما هدأ هدير الرياح و خفّت المارة في أزقة الأكواخ سمعت بلبلة كأنهـــا دوي الـــنحل حول مساكنها فتابعت السير نحو مصادر الأصوات كسارق يتلفـــت يمـــنة و يسرة من ساكني الدار و هو صاحبها و من واضعي أثاثها و هو مالكهـــا حـــتى إذا مـــا انتهـــت بـــي تلكم الأزقة إلى قاعة مسجد بعيد عن هتاف المتحمســـين و صـــرخات المثقفين المتنحورين شاهدت في كل ركن و زاوية منه حلقا حلقا من الطلاب فيما بينهم يتحاورون قد اشتد بينهم النقاش و علت فيما بينهم الأصوات ،فظننتهم من شدة تحرك الأيدي و تمايل الرؤوس تكريما لقدسية المسجد فـــي خارجه يتواعدون و لحرب ضروس العدة يعدّون حتى إذا ما أمعنت النظر و أعـــرتهم أعمـــاق مسامع الآذان وجدتهم للجزم بالمعتقد أو ليقين في فهم المطالب يتشاجرون كل يرى صحة ما هو عليه و يدافع عنه دفاع المتبرع في سوح الوغى حيث لا رجعة ،إما الشهادة أو النصر المبين.

فجالســـتهم متجلببا جلباب الحذر و متدرعا بدروع الغرباء و أبناء السبيل خوفا من أن يطلب مني الانتماء إلى بعض هؤلاء السادة الكرام المتصارعين و أنا لا أملـــك فـــي مواطن الاجتهاد و الرأي صوارم القطع و اليقين التي بات هؤلاء يزعمون أنهم منها ينهلون فيض علومهم و منابع وحيهم.

و لمّا وجدت القوم يلغي بعضهم بعضا و هم من أبناء الطائفة الواحدة إلاّ مـــا ندر منهم من الكمّل المضطهدين جزمت أن صدورا لا تسع لسماع رأي أبناء

الطائفـــة و لـــم تعتـــبر الاختلاف في الرأي سبيلا للرقي هي أضيق من أن تتسع لســـماع آراء بقية المذاهب فضلا عن آراء بقية الموحدين أو غيرهم و فهمت أن حضارة الاستبداد لم تنشر بذر الجاهلية بعد السقيفة في ربوع أصحاب بيعة الفلتات فقـــط بـــل راحـــت لتعم الأمة و أن الحظ لو حالف البعض منّا لأصدر من فوق عـــروش الأعواد فتواه بخروج من يخالفه في الرأي عن المذهب لأنه إخباري أو أصـــولي أو شـــيخي أو لأنه لا يعتقد بمعتقده في مسألة و إن لم تكن من مسلمات المذهب أو الدين.

فوجدت العودة إلى رمال الصحراء أو كهوف الغابات أسلم للدين من رسم الشريعة بـــأيدي مـــن يشوهون معالمها بحضارة الاستبداد حتى يظهر الله ﷻ أمره و يعز دينه على أيدي منقذ البشرية (عج).

السياسة

لعـــن الله السياســـة يا أخي العزيز فكم حذرني منها أبي و قال: ابتعد عنها ابتعادك عن الأسد الجائع، فإنها من شباك الشياطين و سلالم أبناء الدنيا الماكرين.

و خوفتنـــي منها أمي قبل ذلك و أنا بعد لم أبلغ الحلم قائلة: إن وجدت أهل السياسة في شارع فاسلك شارعا آخر و إن وجدتهم في الأزقة فاجلس في البيت و إن دخلوا عليك البيت فتعامى أو تظاهر بالخبل و البله حتى ييأسوا منك و يبتعدوا عن طريقك يا بني.

هكـــذا نصـــح عـــبد الســـلام صديقه أحمد و هما يتحدثان تحت ظل شجرة يتســـامران لـــيلهما تســـامر الأحـــبة بعد فراق بينهما تجاوز أكثر من عقدين من الزمـــن،فـــرّ خلالهما أحمد إلى خارج البلاد خوفا على نفسه من سطوة جبار أثيم أهلك النسل و الحرث تحت غطاء شعارات العصر الخلابة الذهبية المغرية الفارغة المنشئة بحسب الطلب المتغيرة تغيّر الرياح تبعا لمصدر إنطلاقها غربا و شرقا و لـــو اســـتدعى ذلـــك اســـتخدام ذبذبات تبث ما يحتاجه الحدث من مكامن صرف الشيوعية أو جفاف قسوة كهوف بعض المتزمتين في مدارسهم الدينية.

أجـــل عـــاش أحمـــد مأساة المهجر يبحث عن مأمن و لو من وراء البحور يستنشق فيه نسيم الحرية و لو بعيدا عن الأهل و الأوطان عند ما يكون الخيار بين الموت و الغربة و كأن لسان حاله يردد ما أنشده فارس بني حمدان :

وقال أصيحابي الفرار أو الردى فقلت هما أمران أحلاهما مرّ

ثم التفت أحمد إلى صديقه فقال: جزاك الله خير جزاء الناصحين و لكن قل لي ما هو مصدر ما توصل إليه أبواك، هل هو ميزان شرع أو الهام عقل أم كان ذلك نتاج خبرة حياة غذياك عصارة لبابها.

فنظر عبد السلام إلى صاحبه مبتسما ثم قال: بلحن الساخر المستغرب كأنما الغربة منحتك يا عزيزي الجديد من التعبير و المفهوم، فدفعت بك للترنم بما ليس معهـــودا منك و أنت تعرف أمي وأبي، فأين هما من مثل هذه التعابير بل إنما هي إرشادات الزاهد الورع إمام مسجد قريتنا الشيخ حمدان حفظه الله تعالى وأدام ظله علـــى رؤوس أهـــل قريتـــنا التي طالما إستنارت ببركات علومه و حفظت بواسع ارشاداته من خطر الجبارين و الماكرين .

فقـــال أحمـــد: جزاك الله يا أخي جزاء المحسنين، قد ذكرتني بمولانا الشيخ الذي طالما صلينا خلفه و تعلمنا على يده الكثير من معالم ديننا، فإن أحيانا الله ﷻ فأحب أن أزوره لأجدد معه ذكريات الماضي التي عشت الكثير منها ليالي المهجر بمـــا تحمل من مرارة أو أنس عالم جديد تعلمنا منه الكثير على الرغم من جوانبه السلبية، فها هي الدنيا بما تحمل في طياتها لساكنيها من خير أو شر.

فقاما و تودعا ليكون المسجد غدا محل تلاقيهما مجتمعين في محضر الشيخ حمدان الأب الروحي لأيام الصبا، فبات أحمد ليلته يتقلب يمينا و شمالا يسامر أنجم الســـماء شوقا للقاء شيخه في مسجد هو جزء من حياته و كيان وجوده إكتسب فيه الكثير من معالم دينه و حضارته حينما كانت تملى عليه المفاهيم بعيدا عن مواطن الجـــدل و الخـــلاف و مسالك الآفاق المتعددة المتصارعة في عالمه الجديد حيث أصبح المسلّم منها متسائلا عنه فضلا عن مواطن النقاش و محاور الإجتهاد.

و مـــا أن بزغت الشمس حتى أعد نفسه للقاء شيخه و معلمه القديم متذكرا كـــيف كان يأخذه أبوه إلى الصلاة في بدايات الأمر إلى المسجد و نفسه بعد تتوق للعلب مع الصبيان و ربما صلى بعض السنين مكرها مع الجمع يلتقط الإنفاس عادّا لثوانـــي اللحظـــات أحقابـــا من الزمن، فسبق شيخه وزميله عبد السلام إلى قاعة المسجد يطالع فيه كل شيء مجددا بذلك سجلا من الذكريات في أرضه و سمائه و محـــرابه و جدرانـــه على الرغم من واسع التغيير و الترميم الذي طرأ على ذلك المسجد.

و لما طال به المقام آملا قدومهما قبل الموعد المعهود عمد إلى العبادة حتى وجـــد المكـــان يضج بكثرة الوافدين للصلاة ويغص بقوام الرجال، فاعتزل عندها الـــناس جانبا كالغرباء يمعن في وجوه القوم و هم يمعنون في وجهه كأن الجميع يســـترق الـــنظرات شـــأنه شأن كل غريب قادم إلى قرية قد نسته الأيام فأنكرته الجـــدران و الأبواب و استوحشت منه البواري و الحصران فوجد نفسه في بلاده يتســـاءل عنه كل شيء حتى أبناء قريته التي قضى فيها شطرا من حياته يألفهم و يألفونه و يستوحش لفراقهم و يستوحشون لفراقه.

و عندها لمس ما كان عارفا و أذعن بما كان سامعا فعاش عزلة في أعماق الضـــمير على الرغم من تدافع حشد القادمين حوله، فوجد كيف تبلي الأيام ما كان جديدا و تستنكر ما كان مألوفا و لا تستذوق ما كان شهيا و لا تطرب لما كان نغما تـــتمايل لحســـن ألحانه في ليالي الأنس مقاديم الرجال و تهتز له الريم في مراتع الآمـــال فأنســـته دهشة البلى معلّم الصبا و صديق العمر، فراح يبحر في الدنيا و معـــالم وهمها وجديد عهد منها أبلى ما كان بالأمس قائما، تعانقه همسات النسيم و تشـــتم شـــذاه أنفاس القادم و المقيم و تضمه إلى صدرها بعد نظرات الشوق أكف النواعم الناعسات في منازل الوجد و النعيم.

فبينما هو غارق في بحور أفكاره تلقي به الأمواج تارة إلى شواطئ الأمان و أخـــرى إلى وسط أعماق هي مهابط الظلمات، إذ به يخرج من دوامة هواجس دهشـــته لصوت صديقه عبد السلام و هو يناديه: أحمد يا أحمد، كأنك غائب و إن حضـــر فـــي المســـجد منك تمثالك، يلاطفه برقيق الكلمات، فانتبه أحمد بعد غفلة كمستيقظ من نوم عميق حجبه حتى عن غاية نفسه التي جاء من أجلها فضلا عن تزاحم أقدام الرجال إلى جانبيه.

فانتفض قائما وهو يقول: أنا هاهنا ، أنا هاهنا،فقد كنت منذ فترة من النهار بانـــتظارك يـــا عزيزي لكنك تأخرت، فأحسست بوحدة ساقتني إلى الوحشة على الرغم من كثرة الأخوة المؤمنين حولي.

فقـــال له عـــبد السلام بعد السلام و قد بدت عليه العجلة: قم يا أخي فها هو الشيخ حمدان يدخل المسجد للصلاة لنسلّم عليه قبل ذلك.

فتقدما يشقان صفوف المزدحمين للصلاة لتقديم التحية و السلام على شيخهما الأب الروحـــي و قد وجد أحمد شيخه بعد توالي الحدثان و مرارة الأحزان شيخا كبـــيرا إعتصـــر الشـــيب معالم جماله ليفضي عليه ملامح الهيبة و الوقار في كل حركاته و سكناته.

فحيّاه عبد السلام تحية الإسلام محفوفة بأدب الأبناء مقبّلا يده ثم بشّره بعودة أحمد من المهجر إلى البلاد فاستبشر بذلك الشيخ بشارة لمس منها أحمد في أعماق قلبه بهجة وسرورا.

ثـــم تقـــدم أحمد و كله وله و اشتياق ، فصافح شيخه الغالي محييا إياه تحية امتزج فيها الكثير من معالم بقايا حضارة الماضي و أدب و حضارة الحاضر التي عاشها في ديار الغربة و هو واثق من نفسه أنه مازال يعيش حضارة أبناء قومه لم يختلف عنهم إلا بما تحلّى به من واسع تجارب الحياة.

ثم التحق بصفوف المصلين تعلوه الثقة بالنفس ، فهو يجدد عهدا يستعيد من خلالـــه ذكريات الماضي و أيام الطفولة و الصبا و قد أحس بعد ما عرفه و حيّاه إمام المسجد إنه أصبح ليس غريبا على حشد المصلين فهو منهم وهم منه.

و بعـــد ما أتم الصلاة جماعة عرّفه زميله لجمع المصلين ، فحيوه و سروا بعودته إلى مسقط رأسه و هو يظن أنه يفهمهم و يفهمونه.

فأخذ بعد ذلك يكثر الدخول و الخروج إلى المسجد ، يجالس شيخه و يطرح علـــيه العديـــد من قضاياه مستفهما بذلك معالم دينه ثم اندفع ليصبح بعد فترة في بعضها ناقدا و مشكلا تتضايق منه غالبية أبناء قريته فضلا عن إمام المسجد الذي بـــات يلمـــس في أحمد حضارة غير مألوفة تستفهم عن كل شاردة و واردة وربما دفعـــت به إلى نقاش ما يعتبر مسلّما لدى أبناء قريته فضلا عن نقاشه في مواطن البحث و الإجتهاد.

فقـــال يوما لشيخه: يا مولاي ماذا تقصدون من السياسة التي طالما حذّرتم منها من يعز لديكم من الأخوة الكرام؟ فقد وجدت صديقي عبد السلام يتخوف منها تخوفـــا لا يوصف ببيان و لو أذن الحق تعالى للقلم أن يخط تخوفه لما كان قادرا علـــى الإفصاح ورسم ما يعيشه لعجز قوالب الألفاظ عن بعد المعاني و هو يرى بلوغه هذا القدر من الحذر من بعض فضل إرشاداتكم عليه لحفظ دينه.

فقال الشيخ: نعم يا بني، أنا أحذّر منذ زمن طويل كافة المؤمنين و المؤمنات من هذه التيارات التي غزت البلاد و ما جنى منها أحد طيلة هذه العقود شيئا سوى قطـــارات مـــن الشـــعارات الفارغـــة و كلما دخلت أمة لعنت أختها على إختلاف مظاهرها الوطنية أو القومية أو الديمقراطية أو الدينية و إن كانت نوايا بعض أذيال هـــذه التيارات قد تكون نزيهة أو بعضها في أصل تأسيسها ربما كان نزيهة لكنه ربما اخترق أو استغل من حيث هو لا يشعر فاصبح كالدمى مسيّرا وهو يظن نفسه

مـــن الأبطـــال، فأعاذنـــا الله ﷻ يا بني منهم ومن ألاعيبهم و بالأخص إذا كانت مطـــلاة بحـــنكة من قبل أشياخهم بطلاوة الدين فإنها تسحر العامة و تلقي بهم إلى لهـــوات المـــوت تحت عناوين الشهادة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و أصحاب الدعوة هم و أبنائهم في الأمن و الأمان.

فإن هذه التيارات كلما كان الغطاء أكثر قبولا لدى العامة تصبح أشد خطرا على الأمة و أقسى طعنا و أجرأ على الله ﷻ إقداما.

و لذا أحذرك يا بني كما حذرت غيرك من ذي قبل لكي لا تقع في شباكهم و مكامن مصايدهم و اعلم إنك إن لم تقصدهم قصدوك وقد أمرنا من قبل أئمتنا عليهم السلام لعلمهـــم بمـــائل الأمور و غيب الدهور بالابتعاد عن كل راية ترفع فإن صاحبها طاغوت يعبد من دون الله ﷻ كما وإنّا أمرنا أن نكون سمل دورنا.

و اعلم يا بني إنهم سيدخلون إليك من كل مدخل و يفسرون و يؤولون لك كـــل آية و رواية طبقا لمذاقهم و لما تمليه عليهم مصالحهم و القرآن حمّال أوجه بحســـب فهم بسطاء العقول و من لم يعايش الكتاب المجيد كما أشار علي عليه السلام إلى ذلـــك و إن كـــان هـــو لدى أهله من أصحاب البصائر و العلم السراج المنير في ظلمات الدهور واضحة معالمه، بيّنة آفاقه.

فقد أبلغتك يا ولدي و أقمت عليك الحجة و أنت جديد عهد على هذه الساحة الملقومة تنظر إلى الأمور بمظاهرها، فاتق الله ﷻ في نفسك و من يتق الله يجعل له مخرجا.

و إن أردت أن تعمل بعيدا عن مزالق الشبهات فلا تخرج عن نطاق عملك و البيـــت و الصلاة جماعة و السؤال عن أحكام صلاتك و صومك و حجك و ما أنـــت مبتلى به مما فرض الله ﷻ عليك من الحق الشرعي لإيصاله للمرجعية و أنصحك بالرجوع إلى الأعلم و هو...

فوجد أحمد في إرشادات شيخه الكثير من الصواب و لكن رب حيطة دفعت إلـــى تطـــرف و جلبت بدلا من الخير طابورا من الأخطار و الأخطاء و أجلست صـــاحبها فـــي كهـــوف العزلة تاركا وراءه الدار و الثمار و الأهل عرضة لنهب الغازين و المكرة الطامعين لأن كل تطرف يسوق إلى تطرف آخر بحسب الغالب.

و بعـــد جـــزيل الشكر ودع أحمد شيخه و من بعد ما قضى قسطا من يومه مثالا لمظاهر حسن الإستماع يتعمق في مفردات الكلمات و أحرفها ذهب إلى البيت تحوطـــه الأفكـــار ليله ونهاره ، فإنه ربما رجح أمرا و تردد في آخر و غرق في شـــأن أمـــر ثالـــث حينما انهالت عليه سيول التساؤلات و ضاع في تقييم مراتب الأولويات.

و قـــد وجد من اللازم أن يستعين بأسفار من الكتب فترة من الزمن ثم يعود إلـــى شـــيخه ليستعين به في كشف غوامض الأمور إن وجد لها عند الشيخ أجوبة تشفي الغليل و تفلج الصدر و ترشد إلى الصواب ثم عاد إلى المسجد بعد فترة من الزمـــن لـــيطرح تساؤلاته و وجهة نظره مخاطبا مرشده الغالي يا مولاي: ما هو الســـبيل لمعـــرفة الأعلـــم إن كان من اللازم الرجوع إليه؟ و هل تثبت الأعلمية بالشهرة ورب مشهور لا أساس له ؟

فقال الشيخ: يا بني الأعلمية تثبت من قبل أهل الخبرة و أصحاب الفن و هم العلماء أهل الإختصاص .

فقـــال أحمـــد:هل مشاهير الخطباء و الوكلاء من أهل الخبرة وهم من أهم الأدوات لتعين الأعلمية في الغالب ؟

فقال الشيخ:كلا و إن وُجدت أحيانا الكفاءة في بعض الوكلاء أو الخطباء.

فقـــال أحمـــد:على فرض وجودها في نوادر الوكلاء أو الخطباء هل تكفي شهادة الواحد لو وجد ذلك على الفرض والتقدير؟

فقـــال الشيخ كلا، فقال أحمد: لو تركنا الخطباء و الوكلاء فهل تلامذة فقيه حضروا لديه العلوم الشرعية فقها و أصولا تثبت بواسطتهم الأعلمية يا مولاي؟

فقال الشيخ: نعم هذا من سبل معرفة الأعلمية.

فقـــال أحمد: كيف يكون من المعقول التوصل لمعرفة الأعلم بواسطة طلاب فقـــيه هم لم يحضروا عند عالم آخر و كيف راح هؤلاء ليجزموا بأن أستاذهم هو الأعلـــم من غيره و كيف حكم أهل النجف الأشرف بالأعلمية لفقهاء النجف على غيرهم من سائر المدن كعلماء كربلاء أو إيران أو غيرهما من سائر المدن ؟

و هـــل مـــن المعقول بحسب العادة أن يرى طلاب عالم غير أستاذهم هو الأعلـــم لـــيدعوا الناس إلى تقليده ؟ و هل على فرض إمكان ذلك يكون الطالب و التلمـــيذ قـــادرا على تمييز الأعلمية أو غاية ما يمكن أن يتوصل إليه التلاميذ هو معرفة أصل الفقاهة و العلم لا البلوغ إلى دقائق مراتب علم الأصول و الفقه و ذلك لأن هذه المرتبة هي مقام الفقهاء أنفسهم الذين تتردد مسألة الأعلمية فيما بينهم.

فقـــال الشيخ: لا أريد أن أقول أن الأعلمية يثبتها طلاب عالم و تلاميذه و لكـــن العلماء و كبار الفقهاء هم الذين يميزون ذلك و هم من تدور عليهم احتمالية الأعلمية.

فقال أحمد: هل وجدت يا مولاي أن الفقهاء إجتمعوا يوما و بعد محاورات و نقاش طويل علمي فيما بينهم تنازلوا جميعا عن رفيع مقام الأعلمية و أعلنوا للناس أن الأعلم منا جميعا هو فلان؟ أم أن ذلك فرض يحسن في ميادين العرض بيانه و يـــندر في مواطن الخارج عيانه، ثم عاد أحمد على الوكلاء فقال: و أما الوكلاء و بـــالأخص الذيـــن يستعيشون عن طريق وكالاتهم و ربما عاش البعض منهم حياة الترف و النعيم لوكالته كيف يرجى منه أن يدعوا إلى غير من له الشهرة ؟!

و لكن لما وجد أحمد شيخه قد يحرج من الإجابة على بعض هذه التساؤلات ترك الكثير منها و ما كان قد أعده من التساؤلات الأخر حول موارد صرف الحق الشـــرعي و كـــيف أصبح الثلث منه حقا مسلما بأيدي الكثير من الوكلاء و ربما أصـــبح مـــن المواريث بعد وفاة بعض أكابر المراجع و إنه لمَ لم تكن هناك لجنة تشـــرف علـــى هذه الأموال التي تقام بها ميزانية دولة و أين النسبة بين عمل من أطفأ شمعة خوفا من التصرف في أموال بيت المسلمين و بين ما يجري اليوم من صرفها تحت واسع عناوين الشأنيات و المبررات الأخرى.

و راح لـسيوجه أسئلة في مجالات أخر فقال: هل يأذن لي مولاي في طرح ســـؤال آخر؟ فقال الشيخ حمدان: نعم،فقال أحمد: أمرتمونا يا مولاي بالإبتعاد عن كافة التيارات، فهل ترون البديل لحفظ الدين و شريعة رب العالمين ما أشرتم إليه مـــن ديـــن يحدد مداه البيت و المسجد لصلاة جماعة و سؤال عن صلاة و صوم وحج و أداء لحق شرعي و الدين منهاج الحياة بكافة معنى الكلمة ؟!

و هل ترون ما تصرف فيه الحقوق الشرعية ولو بحسب غالب مواردها مما يخدم الشرع القويم و يرضي صاحب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف ؟!

و هـــل ترون ما سارت عليه الأمور من ترك لأبناء الطائفة يعيشون مأساتهم و فقـــرهم في كثير من البلاد و بالأخص التي دمرتها الحروب تحت ذرايع مختلفة و مـــنها أن التكلم عن ظلامة الشعوب و مأساتهم من السياسة التي لا ينبغي لرجال الديـــن التدخل فيها حتى دفع ببعض أبناء هذه الطائفة للجهل أو الفقر أو لما يشاهد في كثير من المواطن من السلبيات التي ارتكبت و ترتكبت بإسم الدين إلى أن يلقي بنفسه في أحضان أشقى ما خلق الله ﷻالذين هم مثال التحجر و القسوة و النصب لآل محمد "ص" و هم المكفرة رأس الكفر و النفاق،فهل هذا السير و السلوك يعتبر

مما يخدم الشريعة أم أنه من موارد التخلي عن المسؤولية التي أملتها علينا أنظمة الإستبداد بأقلام وعاظ السلاطين ؟

فكيف نترك أبناء الطائفة فريسة لهؤلاء المكفرة الذين راحوا ليكفروا أتباع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم طيلة القرون طاعة لأسيادهم الحكام إلى أن عبّر عنهم أسيادهم لمّا نازعوهم على الكراسي بالفرقة الضالة و إن كان يعيش في كنفهم من هم على شاكلتهم من بقية هؤلاء المكفرة لتمزيق صفوف المسلمين و كأنهم يعيشون في القرون الوسطى و بداوة الجاهلية الأولى لا شغل شاغل لهم سوى التكفير بدلا من السعي لنشر معالم الشرع و بذل الجهد لبناء المجتمع في ظل النظام الإسلامي الذي يسع البشرية فضلا عن المسلمين.

و لو كان يا مولاي حياة الأئمة عليهم السلام بحدود ما أشرتم إليه،فهل تتصورون أنهم كانوا يتعرضون لأشد ما يحتمل من قسوة و تشريد و اضطهاد و تنكيل و قتل و سم؟!

و هل يتخوف أمثال الرشيد مع عظيم إمبراطوريته من مدرّس يدرس الأحكام الشرعية من صلاة و صوم في زوايا مسجد أو في غرف دار و إن كان ربما أدى إليه بعض الشيعة على قلتهم آنذاك وفقرهم لإضطهادهم من قبل الحكام شيئا من الحق الشرعي الذي يصرف فقط لإنشاء الحوزات ورواتب الطلاب، بل لعلي أقول:لو كان الأئمة عليهم السلام على ما عليه الكثير من علمائنا لافتخر بهم الحكام و قالوا: هؤلاء العلماء من أبناء عمومتنا و ممن تفتخر بهم الأمة و قبيلة قريش ، لكن يا مولاي المتتبع لحياة المعصومين عليهم السلام بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يشاهد و بوضوح أنهم على الرغم من عدم تخطيطهم لقبض أزمة الامور كانوا ثورة ضد الباطل و الظلم و الجهل و ما جلسوا يوما بمعزل يشاهدون كيف تفترس الحكام هذه الأمة و كيف ينهب الظالمون خيراتها و كيف يحرف الماكرون مناهج دينها.

فلمـــاذا يـــا مولاي كل شيء مقدس لا يمكن النيل منه سوى هذه الأمة و حقوقها، فيوما قدست الخلافة و في يوم آخر قدست عروش السلاطين ونخرج كل يوم من صنمية إلى صنمية أخرى تاركين وراءنا موازين الشرع نستطلع معالمها مـــن وراء خطى الرجال و قد قال علي عليه السلام : ﴿**الحـق لا يعرف بالرجال إعرفوا الحق تعرفوا أهله**﴾ .

فقـــال الشيخ حمدان يا بني لا تتدخل في السياسة و دعها و أهلها،أما ترى إن أكابر العلماء يتجنبون مثل هذه الأمور و يترفعون عنها؟

فاستغرب أحمد هذا المقال و الإرشاد من شيخه و هو لا يشك في إيمانه إلا إنـــه ربمـــا لمس رواسب الإستبداد طيلة القرون أملت الكثير من لوازم حضارتها علـــى الأمة على إختلاف طبقاتها حينما انقلبت الموازين تحت ضغوط الجبارين و حُرّف الحق بواسطة وعاظ السلاطين.

فقـــال يـــا سيدي: كيف يكون الدفاع عن حق المضطهدين و المظلومين و الأيـــتام و الأرامل من السياسة بناء على أن المراد من السياسة المكر و الدجل و الكـــذب و النفاق و سحق القيم بازاء المصلحة و الحال أن قوام الشرايع على دفع الظلم و قد قال تعالى : ﴿ **ليقوم الناس بالقسط** ﴾[1] و قد بنت الشرايع موازينها علـــى أسس العدل و جعلت غاية الأنبياء الظهور على الدين كله على يد مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإقامة دولة العدل و كيف نأمل أن ترقى أمة إلى المجد و الكمال تحت نـــير الإستبداد حتى راح الإستبداد ليغزو المجتمع في كل ميادين الحياة و هانحن نجد معالمه في كل بيت و زقاق بلا حاجة لتحمّل عناء السفر للوصول إلى قصور أصحاب الفخامة حيث نجد حضارة القمع للفكر تتجلى في أكثر البيوت فنرى الأب

---

[1] : الحديد ٢٥

و هو يلغي الجميع من زوجة و أبناء مادام في البيت وعند خروجه تقوم الزوجة بنفس الدور فتلغي الأبناء كذلك و عند خلو البيت من الأب و الأم يقوم الولد الأكبر بهـذه المهـام لفـرض سلطانه على البيت كل ذلك باختلاف العناوين فتارة تحت عـنوان لزوم إطاعة الزوج و الأب و تارة تحت عناوين أخرى محمّلين الشريعة كل ذلك و قد بلغ الإستبداد بالأمة أن يفرض على الزوجة عدم الخروج من البيت ولو لزيارة أبيها المشرف على الموت لرغبات سلطان صاحب البيت بدعوى لزوم طاعـة الـزوج المفروضـة علـى المرأة من قبل الله ﷻ كل ذلك حينما فسرت الشريعة تحت قيم الاستبداد و حضارة الجاهلية.

فهـلا تحتملون يا سيدي أن ما توصل إليه الفهم من لزوم الإنطواء على بعـض أبعـاد الشـريعة بتجزئـتها وترك أكثر أبعادها كان مما أملته عليه هذه الحضارات؟

و أيـن يا سيدي كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته، و أين قد ذهب لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق و قد أصبح الحكام طيلة القرون يرسمون مصير هذه الأمة بلا رادع و لا مانع و أين ذهبت إطلاقات الأمر بالمعروف و النهي عن المـنكر و أين ذهبت أبعاد كلمة حق عند سلطان جائر و أين ذهب قول علي عليه السلام فـي خطبة الشقشقية : ﴿**وما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظة ظالم و لا سـغب مظلـوم** ﴾و أيـن نحـن من قول رسول الله ﷺ: ﴿ **من أصبح و لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم**﴾ و الكلام عن أمور المسلمين لا عن بيان أحكام الشريعة فقط.

فكيف يكون يا مولاي من الزهد و الورع السكوت عن الظلم و الظالمين و الأمـة في أكثر بلاد الله تأن من سطوة الجبارين و من تحريف وعاظ السلاطين و

قد بات لا يرى العلماء من مسؤوليتهم الدفاع عنها و توعيتها بواقع مفاهيم الشرع حيث بات كتمان الحق منهجا عند البعض وراح آخرون يتترسون بالتقية الحقة بعد تحريفها للتخلص من كاهل المسؤوليات.

أفليس من الممكن يا مولاي إن الموازين قد تبدلت تحت ظل ظلمات الدهور فأصبح الحق باطلا و الباطل حقا و المعروف منكرا و المنكر معروفا و الواجب محرما و المحرم واجبا و قد أضيعت الأولويات و شوهت الحقائق و أنه لابد من عودة لفهم مناهج الحق و شريعة الله ﷻ بعيدا عن إملاءات القرون و فهم الرجال و اجتهاداتهم.

و هل من الممكن أن يكون المراد من ﴿ **كونوا سمل دوركم**﴾ الوارد عن المعصومين عليهم السلام هو التخلي عن المسؤوليات و ترك قيم الشرع تنهب بأيدي الطامعين و التفرج على الأمة و مأساتها و ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا في مثل ترك الصلاة و شرب الخمر أم أن الأمر يعم المعروف و المنكر على صعيد الشريعة و حياة الأمة و أي منكر هو أشد من ظلم الأمة و تحريف مباديها و نهب تراثها و قتلها و زج أبناءها في ظلمات السجون تحت عناوين مختلفة كالإخلال بالأمن و الخيانة و هاهو القرآن المجيد و الأحاديث كلها تحث على مقاومة الظلم و الظالمين و تعتبر الصابر على الظلم مع إمكان التخلص ظالما ليس له إلا النار و نحن نشاهد الفقر و الحرمان و القتل و التشريد و المخدرات راحت لتعم الكثير من البلاد .

فكيف وصل بنا الأمر أن يعتبر من الزهد و الورع السكوت عن مأساة الأمة و يكون المدافع عنها متدخلا في غير ما يعنيه فهو سياسي منحرف و لو كان من أكابر علماء الشيعة و لماذا لا يكون يا مولاي هناك خط وسط بين التحرك السياسي للوصول إلى سدة الحكم و بين الإلتزام بالشرع غير المجزء بالقيام ببيان

الشـــريعة و الدفاع عن المظلوم و لعله هو المستفاد من سيرة المعصومين عليهم السلام و هو الذي ساقهم لمقابلة الطغاة و الجبارين باسم الدين.

و قـــد أصـــبح الكثير من الناس يتسائلون و يستفهمون عن عدة نقاط ربما تجاوزهـــا المجتمع في ماضي الزمن للتقديس و البساطة و لكنها يا مولاي أخذت تستفحل في هذا العصر يوما بعد يوم و لا تجد الناس لها أجوبة مقنعة و لا أدري إلـــى أي نفق ستساق هذه الأمة من جراء هذه الثغرات التي يحاول الكثير تغطيتها كفلـــتة القوم التي ساقت الأمة إلى الفلتات حتى نسف الدين و ضاعت الأمة ،فهلا تحتملون يا مولاي أن يدفع بنا السكوت خوفا من تربص الأعداء إلى طريق مسدود و هـــلا تتصـــورون يا مولاي أن السكوت عمن باتوا تحت شتى العناوين ينهبون ثروات هذه الأمة و يلعبون بها تحت مئات المبررات و نسيج الشأنيات سيسوق إلى طريق مسدود لا رجعة فيه.

فقـــال الشيخ حمدان: أولا الكثير مما ذكرت هو فوق نطاق قدرتنا فلا سبيل إلى إصلاحه و ثانيا المفروض أن تصلح هذه الثغرات بواسطة من بأيديهم القرار و ثالـــثا الإصـــلاح يحـــتاج إلـــى تضحيات قل من يجرأ إلى خوض المعارك في ميادينها.

فقـــال أحمـــد:إنـــا لله و إنا إليه راجعون، شمعة تطفأ لأنها من بيت مال المسلمين و حديدة تحمى لأخ جائع فقير ونحن نشاهد نهب خيرات أمة المتكلم في شأنها يصبح خائنا أو مهينا لكرامة بعض أصحاب الكرامة...

فـــترك عـــندها أحمد أسفارا من تساؤلاته و إعتذر خوفا من سوء أدبه في محضـــر أســـتاذه و عاد إلى البيت غارقا في بحور أفكاره يتطلع إلى الأفق المبين لعله يشاهد فيه معالم تلك الطلعة البهية و الأنوار المحمدية العلوية لصحاب الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف.

البؤساء و القوميون

بنيت قواعد الإسلام و أسسه منذ نادى بها محمد بن عبد الله ﷺ على ضرب أركان الجاهلية ليصنع من البشرية على اختلاف الأصناف و الطبقات أمة واحدة هي خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر حرة تعيش المثل العليا في مسالك ربها بعيدة عن قيود ذل عبودية الأوثان و الأمكنة و الألسن و الألوان.

هكـــذا بدأ خطابه بعد الحمد و الثناء لله مرشد الأمة إلى علياء قمم السلام مظهر تجليات أسماء الحق جمالا و جلالا آيته الكبرى في العالمين من فوق أعواد مسجد يشرق على الأمة من مشارق الأرض ليزداد نورا على نور.

فأشـــرقت الأرض بـــنور ربها و وضعت موازين القسط و تنفس البؤساء الصعداء و أطلق للقلم عنانه في أفق الحرية يرسم للأجيال بأحرف من نور مدارج العز عروجا نحو أفق مبين تحت ظل أنفاس قدس مرشد الأمة .

حـــتى إذا مـــا أنهـــى المرْشـــد الحديث منظوما كسلاسل الذهب هبط إلى الأرض من فوق أعواد عزه تحوطه الجماهير بالتهليل و التكبير و التقديس عندما وجدَت في سفر خطابه ضالتها المنشودة بعد توالي القرون في معالم الدهور يبشّر بعضها بعضا بحدث الكون العظيم بعد ظلمات الأيام و يأس الأنام.

أحـــلام أمة رسمها بُعد الخيال فأضفى عليها من نسيج الوهم طابعا أسلمها عند البروز إلى صعيد الخارج إلى ميادين هوة هي من ديار الغابرين على مراسي سفح أبواب جهنم، فاستيقظت تعانقها الحسرات في عتمة ليل بعد ما فات الأوان.

هكـــذا هي حياة الشعوب في ظل فوارس الآمال في عواصم طيف الخيال يدوس بعضها بعضا حين التجاذب أو التدافع كبش فداء لأصحاب الجلالة و السمو ذوي الســـبائك الذهبية من نسيج أحرف الحماس في قوالب لحنها البرّاق في طيات رنين أمواج بحور القوافي حين مهبها على سواحل ديار الغافلين .

ثـــم بـــادر يوصل حماس الشعب بمبدأ الفيض مرشد الأمة مرتلا للقرآن ترتيلا في صلاته التي كللها بابعاد الخشوع و الخضوع و ألحقها بقوافل المأثور و ختمها بسيل دموع الذاكرين الشاكرين .

و عـــندما حـــان أوان التوديع في وسط تلكم الجموع الغفيرة الهائلة وقف المرشد مستندا إلى أسطوانة المسجد يمسك باحدى يديه رفيق درب النضال سماحة الشـــيخ يعرب بن قحطان مستعينا به و باخرى يودع الجماهير الغفيرة منحنيا من شدة ألم الوداع و حزن الفراق و لو كان فراقا لأمته لبعض يوم .

و لمّا طال به المقام وقوفا لكثرة المودعين خاف عليه زميله الشيخ يعرب فطلـــب من الشعب المتحمس أن يخفف على أمل الأمة و مجلى الآيات الربوبية حـــتى يغادر الجموع ليعيش قسطا من الوقت في رحاب الأهل و الحاشية في بيته المعد له في جوار المسجد .

فـــانطلق الشيخ يعرب سليل الخلافة و الشرف برفقة صديق الحياة مجلى الربوبـــية الشـــيخ داريوش بن كورش ليقضيا ساعة من الزمن ذكريات الحياة و معالمهـــا بعيدين عن زخارف أهازيج المستقبلين و المودعين و مستلزمات الحياة الإجتماعية لنفوس الفانين في ذات الله ﷻ.

وفـــي بدايـــة خلـــوات أنسهما تبادلا البسمات مقدمة للإنطلاق لضحكات الأحـــبة حين الإبتعاد عن ساحة الغرباء الذين ليسوا أهلا لسفط جواهر الأسرار و عـــندها قـــال الشيخ يعرب لزميله الشيخ داريوش : إنك أشد مني إتقانا لما يناسب

المقام حركة و سكونا للنفوذ في أعماق السواد الأعظم فكنت أرى نفسي لك أستاذا و لكن الآن أقر بكل إقرار أني من أصاغر الطلبة بين يديك.

فضـــحك الشيخ داريوش ضحكا عاليا كاد أن يطير سرورا من هذا الوسام العظـــيم الـــذي مـــنحه إياه أحد كبار أهل الخبرة فهي شهادة يعتز بها لنفسه لكنه ســـرعان مـــا عـــاد إلـــى رشده ليقول: لا يا شيخنا ليس الأمر كذلك و إنما أنتم تتواضعون من جانب و تطرون على تلميذكم من جانب آخر.

فقال الشيخ يعرب دعنا من هذا و قل لي متى أنعم اللهﷻ عليك بهذا العدد الهـــائل مـــن صفوف المصلين و كنت قد عهدتك قبل سنين في مسجد صغير لا يـــتجاوز عـــدد المصـــلين فيه أصابع اليد ، فضحك الشيخ داريوش و قال لزمليه أتحسدني على أنعم اللهﷻ علي و أنت تأم في بلادك عددا هائلا من الناس لا يقاس به ما وجدتنا عليه اليوم ؟!

فقـــال الشيخ يعرب إن الصديق لا يحسد صديقه و لكن احيطك علما بأن الناس اخذوا يوما بعد يوم في بلادنا يبتعدون عن أمثالي من العلماء التقليديين الذين تملـــى علـــيهم الخطـــب للصلاة و أصبحوا أكثر ثقة بخلف النهروان فقال الشيخ داريـــوش كيف لا يعي هؤلاء أنهم من بعد ما استغلوا لمآرب قوم آخرين نصبت لهـــم الـــيوم شـــباك الصيد للقضاء عليهم فإن الزمان قد فاتهم لأن ما أريد تحقيقه بالأمس و هم كانوا من أدوات صنعه يختلف عما يراد تحقيقه ليوم غد .

فقـــال الشيخ يعرب لزميله الشيخ داريوش حقا ما تقول و لكن أين هؤلاء من شهود هذه الأعماق و فهم متطلبات الزمن التي تعود لأصحاب الغايات و من يملكون صنع القرار.

ثـــم التفت الشيخ يعرب لأخيه الشيخ داريوش قائلا:إن الدنيا مادامت لأحد فإغتـــنم الفرصة و لا تكن عبرة لمن يعتبر و أنت تضرب الأمثال ، فابتسم الشيخ

داريـــوش بسمة خفيفة كاد أن يفصح فيها لما لمسه من مخاوف تحدق به لكنه آثر الصـــمت علـــى الإفصاح و لمّا وجدا الغور في واقع الحياة قد يكدّر الحال انعطفا على قطع ثمار أينعت بدلا من الخوض في ماضي الحياة أو مستقبلها فإن الله ﷻ قد يحدث ما ليس بالحسبان.

و من بعد ما قدمت لهما مائدة الغذاء ظهرا و اختارا منها ما طاب بحسب الـــذوق و المـــزاج تركا سؤر المؤمن للخدم و الحشم و من حالفه الحظ أن يأكل لقمة الشفاء و البركة من بقايا طعام الأعلام.

ثـــم قامـــا ليستريحا بعض الوقت لأن العلّامة الثقة الفقيه المتألّه... الشيخ داريـــوش على موعد ليلا مع الجماهير و عليه فلابد من إعداد جسماني روحاني يناســـب المقـــام يتجلى فيه ذو المجالي الأسمائية على أمته و شعبه البائس الفقير الذي كُله أمل بمساعي مرشده الأغر لإنقاذه مما هو فيه من الهوان و الذل ، و ما أيقـــظ العلمين من لذيذ نومهما إلا ضجيج تدافع الرجال و صراخ النساء و عويل المحرومين و البائسين في المسجد من الأيتام و الأرامل .

فقام الشيخ داريوش و نادى زميله الشيخ يعرب هل ترافقنا إلى المسجد و قـــد احتشدت فيه الجماهير آملة أن نصنع لها المعجز بل المستحيل، فأجابه الشيخ يعـــرب هـــذا بـــلاء قد ابتلينا به نحن أيضا في بلادنا منذ زمن طويل يا أخي يا داريوش فعليك بالصبر و المصانعة و هي فهم الناس و إن كان رضى الناس غاية لا تدرك فصانع الأمور و إرض كلا بما يناسبه من القول مبدعا في صنع الكلمات تكفى شرهم.

فقـــال الشـــيخ داريوش لزميله يا أخي العزيز : لا توصي خبيرا عرف المداخـــل و المخارج و أنا تلميذك القديم فضحكا معا و توجها إلى رحاب المسجد يحوطهما جند الرحمن و يرعاهما الحق تعالى بملائكة الغفران.

فاســـتقبلت الجماهير مرشدها الأكبر استقبال الفاتحين و ألقت عليه نظرة القديسين و شاهدت في محاسن وجهه معالم المنقذين و حيّته تحية الأولياء المقربين و تدافعـــت للتبرك بأطراف عبائته تدافع المنتحرين ثم اصغت إلى جواهر كلامه اصغاء الوالهين .

فخاطـــب المرشد شعبه بعد الحمد و الثناء قائلا: اعيروني مسامع قلوبكم لألقي عليكم قولا ثقيلا فإنه نعم و كذلك سوف يكون و من أجل ذلك تجري الأمور بمجاريهـــا و ترســـي السفن بعد إبحارها في مكامن موانيها و إنه هو و هو لا يكون غيره و الشيء شيء و ما ليس بشيء لا يكون شيئا لاستحالة سلب الشيء عن نفسه و ذلك تقدير العزيز الحكيم إن أقررتم أصبتم لئالئ البحور في أعماق مهابطهـــا فـــتكونوا بذلك أنتم أنتم و إلا أصبحتم عن هوية ذواتكم منسلخين و عن اسطقسطات وجودكم مبتعدين و عن اطلاقها رغم تقييدها منحرفين و لكني اعرفكم حـــق اليقين فأنتم أنتم كما كنتم و لا يكون في مواطن وجودكم غير واقع هويات ذواتكم و لا حول و لا قوة إلا بالله و ما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين و علـــيكم بالتحلـــي بالصبر فإنه سلّم المقربين إلى جوار النبيين و إني لأرى بطيف الحجـــب وجوهـــا هي وجوه المهاجرين و الأنصار الذين بهممهم غيّروا مجاري التاريخ مضحين كل غال و نفيس لعز الإسلام و إعلاء كلمة لا إله إلا الله .

فبكى الحاضرون لبشرى مرشدهم وما هو عليه من فراسة الإيمان و قال بعضهم لبعض تكلم المرشد بعظيم من القول نأمل أن نوفق لفهم جزء من أربعين جزء هي أسرار عالم الإمكان.

و المرشـــد فـــي هذه اللحظات الحاسمة التي رسمها قلم العز بأحرف من نـــور يـــتطلع في وجوه شعبه حتى إذا ما شاهد الفتور في غليانهم و التقهقر عن بعض مدارج حماسهم شاركهم زفير العبرات يستعين بمحارم الحافين بقدس مقامه

العظيم و هم يدّخرونها بعد إلقائها من يد مرشدهم أمانا ليوم لا ينفع فيه مال و لا بـــنون إلا من أتى الله ﷻ بقلب سليم و ربما راحوا ليتقاسموها بعد تقطيعها فيما بينهم بسيل نفائس الأموال.

ثم عاد المرشد إلى مواطن الحزم و الثبات بعد مسالك رقة الإيمان مخاطبا الجماهير: أيها الناس إنا و أنتم جميعا مقبلون على عواصف الأيام و مزالق الأقدام فأعينونا بجلدكم يوم النزال متأسين بنخبة الدهور و الأجيال ركب النور و الملائكة علـــى وجه الأرض في مواطن قدس الولاية تلكم النخبة التي حفت بسيد الشهداء الحسين بي علي عليه السلام .

و إني لأعلم إن جمعكم هذا ما كان و لن يكون يوما من الأيام لزهو الدنيا و زخارفها فليس أمثالكم من الذين عرفناهم بطهر اليقين و حب الرسول الأمين و آله الغر الميامين من يتحمل الأسى و يتدافع في هذا المقام لأجل دنيا زائلة فضلا عن التفكر في زهيد مقامها من مأكل أو مشرب أو ملبس أو مسكن، بل أنتم النور الزاهـــر الذي به تقام الحجة و ترفع الراية و يصدّ العدو و يعز الدين و قد فخرت بكـــم ملائكة السماء و استبشرت بقدومكم حور العين و اشتاقت إلى رفيع مقامكم نفوس المقربين و تطلّعت إلى طلعة أنواركم صفوة الأنبياء و الصالحين و أنبأ عن مقـــامكم هـــذا إمام المتقين و أشار من قبل ذلك في كتابه رب العالمين ، فابشروا بنعـــيم دار المقـــام وجوار سيد الأنام محمد و آله الكرام، فأنتم لذلك أهل و لو لا مخافة شطحات الجاهلين و نقد القاصرين لقلت في حقكم و حقا أقول: إن أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم و الحسين عليه السلام دون مقامكم.

فكـــاد أن يطير المحتشدون فرحا من نغم الحان مرشدهم و جواهر كلمات ناصرهم أمل الأمة و ملاذها يوم الحيرة في ظلمات الدهور.

فـــرجع الحاضرون إلى أعماق سرهم و سليم ضمائرهم و صفاء نفوسهم يســـتلهمون واقع الحياة من انفاس طهر مرشدهم يلوم بعضهم بعضا كيف ساقتهم الأقدار في ظل حجب الظلمة و الغفلات إلى اجتماع كاد أن يكشف سرائر نفوسهم لـــدى مرشدهم و يبيّن واقعهم لدى مليك قلوبهم بأنهم كانوا في حطام دنيا الغرور طامعين، في حين أنهم في منظار مرشدهم في أعلى منازل المقربين .

فيالله و مزالق الأقدام لولا تدارك رب الأنام، فكتموا ما كانوا لأجله قادمين و أيقنوا بأن ما أراده لهم مرشدهم هو الحق المبين.

فهتفوا:(بالروح و الدم نفديك يا إسلام) ساعة من الزمن ثم قالوا: خض بنا غمار الموت فإنا ورائك سائرون و للقاء ربنا مشتاقون و للعيش في جوار أنبياءه وأولياءه الكرام راغبون.

ثم انصرف الحاضرون مودعين مرشدهم إلا قليل منهم لم يستنيروا بنور العلم و طهارة المرشد للتطلع إلى الأفق المبين ،فطلبوا من مرشد الأمة أن يتفضل عليهم ببعض أوقاته الذهبية،فأعطاهم موعدا بعد ستة شهور لكثرة أوراده و خطبه و إنشغاله في شؤون الحكم من تعيين و عزل.

ثـــم عاد مع زميله الشيخ يعرب إلى البيت تعلوه بهجة الفوز و الإنتصار لـــيدير دفـــة الأمـــور مســـتعينا بخبرة رفيق النضال و صديق العمر حيث تسقط العناوين و الألقاب و المجاملات ليستلهم كل واحد من الآخر مناهج الرشاد و سبل الجهاد في سبيل الله ﷻ.

فقـــال داريوش ليعرب كم فقدتم في جهادكم لعز الإسلام مع عدوكم حين فتحـــتم ســـيليكية و فيليكـــية و هيليكـــية و نشرتم الإسلام في شرق وغرب هذه القارات؟!

قـــال يعرب قدّمنا ما يتجاوز نصف مليون شهيدا فتبسم داريوش ، فسأله يعرب ما هو سبب هذا التبسم؟ فقال داريوش لا شيء ، قال يعرب أقسم عليك بالله العظيم إلا وإن بينت لي ما هي دواعي هذا التبسم؟

قـــال داريـــوش: يا أخي و عزيزي كنت أتمنى لك الشهادة ضمن هؤلاء الشـــهداء لـــيكون لي في الجنة بعض المعارف فأصبت بالدهشة حين بلغني عدم توفـــيقكم لذلك يا سماحة مولاي و لكن يكفيني من يعز لديك من الأولاد و الأهل الذيـــن الـــتحقوا بالرفيق الأعلى إن كنت أوصيتهم بتفقد أمثالي من أصدقائك يوم الحساب؟!

فقـــال يعـــرب لداريـــوش إعلم إن من الشهداء بعض أبناء القبيلة و لعلهم سوف يشفعون لأمثالي من علمائهم إن اعتبرهم ربهم عنده من شهداء دار المقام و لكن لا أظن يا أخي يا داريوش حتى اصدقاء القبيلة لسماحتكم نالوا شرف الشهادة و هذا مما يدلل على صدق رأيي من أن التلميذ أصبح أعظم مكانة من الأستاذ.

ثـــم قال يعرب: لزميله دعنا عن الشهادة و الشهداء و أنت العارف الخبير بكيفـــية إصـــدار الماشية و ارتواءها ثم العود بها إلى منازل رعيها و لكن قل لي كيف التخلص من جمع يتلهفون إلى موعد قَرُب حينه على اختلاف مطالبهم ؟ فقال داريـــوش لزمـــيله اصبحت تناقض نفسك بنفسك فتارة تعتبرني تلميذا فاق استاذه وتارة أخرى تسألني عن كفائتي في إعداد الأجوبة بما يناسب المقام، نم قرير العين رغـــدا فستسمع ما يفلج صدرك إنشاء الله تعالى و تمتع حاضر حياتك حتى يأتيك سفير الغد بأطباق الرغيف.

و ماهي إلا صروف الأيام لتجعل الشهور بالية تمر كلمح البصر حتى جاء ممـــثل المستفسرين و الطالبين بحق من تلكم الأقليات ليمثلوا بين يدي مرشد الأمة إلى سبيل النجاة.

و بعـد أداء واجـب التحـية و السلام تقدم أحد القادمين مخاطبا المرشد قـائلا: سـيدي أبناءكم من منطقة فقرستان يبلغونكم السلام متمنين لسماحة قدسكم المـزيد من التوفيق في قضاء حوائج المجتمع جعلكم الله ﷻ محلا لقضاء حوائج الأمة و يخبرونكم بسوء أحوالهم المعيشية بل و تدهورها عما كانت عليه سابقا و يأملون من سماحتكم أن تأمروا بتحسين أوضاعهم و رفع رواتبهم و رعاية أحوال الأرامل و الأيتام الذين باتوا يتسكعون في الشوارع للحصول على لقمة عيش.

فأشـار إلى المتكلم بعض حاشية المرشد قائلا: لا تخرج عن زي الأدب، و تكلم مختصرا مفيدا و لا تضع وقت المرشد الذهبي في مالا يعنيك أو في أمر لم يحن وقته بعد و كن على ثقة و علم أن المرشد اكثر منك حماسا و أشد منك تألما على ذوي الحاجة و الفاقة فهو ليس بحاجة إلى مثل هذه التنبيهات و التوجيهات و التذكير لكن هناك أولويات أنت بعيد عن الإلمام بها و لم تدر كيف يقضي المرشد يومه في ما هو من مهام أمور الأمة و متطلباتها .

فأشار المرشد إلى ناقد البائس الفقير أن يكف ، فكف عن توجيه اللوم على من كفاه البؤس تعثرا لحظّه المشوم ثم قال المرشد: إنه لمن أشد الأمور وقعا على الـنفس سـماع مثل هذه الأخبار و كم بت حياتي أتقلب حتى الصباح ألما لتصور مثل هذه المأساة فضلا عن مشاهدتها و لكن لا ننسى أن الصبر هو مفتاح الفرج و قـد قـال تعـالى :﴿ **إستعينوا بالصبر و الصلاة و إنها لكبيرة إلا على الخاشعين**﴾ [1] و سنجعل هذه البلاد من أولويات أعمالنا .

فكـان ما وعد به المرشد حقا رحمة بحال البائسين و سفيرهم حين وجد نفسه غير قادر على إصلاح حالهم و وجدهم غير قادرين على الإستعانة بالصبر

---

[1] : البقرة ٤٥

و الصـــلاة إلى ما لا حد له عندما رأى إن من الأجدر بعثهم بقوافل الإحسان إلى جوار ربهم حيث السكينة و الأمان و النعيم في جنة الرضوان في منازل الغفران لـــيكونوا من شهداء دار المقام و هو عظيم مقام ما كان ليرقى إليه البائسون لولا فضل مرشدهم العظيم فجزاه الله ﷻ عن شعبه خير جزاء المحسنين.

و كـــان المرشد قد أذن بعد سفير البائسين لقوم آخرين بطرح مسائلهم و بـــيان مشـــاكلهم فـــتقدم ممثلوا الأقليات القومية فشرحوا للمرشد واقع حالهم و ما يعيشونه في ظل واسع عدله و رحمته من الظلم و العدوان و أنهم واثقون و على أتـــم الجزم و اليقين على أن الكثير من الحقائق لم تبلغ كريم مسامعه مما يعانونه من التمييز العنصري و الطائفي في البلاد .

فذهـــل المرشـــد و إغرورقت عيناه بالدموع و تبدلت ملامح كريم وجهه حينما بلغه أن هناك عنصرية و طائفية ترتكب في ظل حكمه و أبدى لممثلي هذه الطوائـــف بـــالغ حزنه و شديد ألمه، فاطمأن القادمون لرقيق أحاسيس مرشدهم و مولاهـــم فازدادوا إفصاحا لما في جعبتهم من رسائل و وعدوا المرشد إن حالفهم الحظ بالإذن إلى ساحة قدسه مرة ثانية فيما يحدد من الوقت بمزيد من الصحف و الكتـــب فـــي هذا المجال تحقيقا لتساوي الحقوق و إندفعوا في شرح أعماق قلوبهم لنكد الحياة التي يعيشونها منذ فترة من الزمن تحت مسميات القيم و المثل الإلهية حيـــنما إستشـــعروا من المرشد إن ما هم عليه عن الكبت و الإضطهاد و التمييز العنصـــري غائب عن معالم كشفه و شهود بصيرته و من بعد ما تم بيانهم التفت المرشد إلى بعض حاشيته فأوكل أمرهم إليه ليحسم أمرهم بما يناسب حرية الشرع و حدوده حيث لا إكراه في الدين و لا قهر في قبول حضارة قومية أو أمة في ظل رسالات السماء و إن كانت تلك الحضارة هي حضارة المرشد نفسه.

و عندها ودّع المرشد ضيوفه و عاد إلى بيته بعد قيامه بمهام أمور شعبه ،تقـــدم إلـــيهم المفوض السامي لسيادة المرشد قائلا:إنكم على ضلالكم القديم أيتها الزمرة المتعنصرة التي لا تكاد تفقه قولا، أين أنتم من قيم الرسالة التي ألغت جميع الممـــيزات القومية و العنصرية لتجعل من هذه الأمة أمة واحدة هي أمة الحق و الســـلام و لكـــنكم أبيتموها إلا أن تكون جاهلية عمياء فوالله و تلله و بالله القاصم للجباريـــن لأجعلـــنكم بسيف الحق تعتدلون على رغم غطرسة أنوفكم و إعوجاج فطرتكم و إنحراف عقولكم و عمى بصائركم و لؤم عنصركم و خسة نفوسكم أيتها الأوغـــاد العنصـــريون ، فلِمَ أيها الجاهلون تشقون صفوف هذه الأمة و تعرقلون عجلـــة سيرها و إن كنتم بإذن الله ﷻ و وعي هذا الشعب سوف لن تجدوا لنقيع سمكم الدفين منفذا أيها الشذاذ الذين منكم الدين و الأمة براء بل حتى من تنتسبون إليهم من الشعوب.

فقـــال له أحد الحضور القادمين ما بمثل هذا وعدنا أيها الأستاذ الكريم يا صـــاحب الأدب و الفضيلة فقطع عليه كلامه قائلا: أأنت تعلمني الأصول و معالم الدين و ما هي حدود مسؤوليتي أيها الجاهل اللئيم فإستغرب القادمون و كادوا أن لا يصدقوا مسامع أنفسهم و ما وقعوا فيه من فخ لسوء إختيارهم لبساطة عقولهم و تمنوا أنهم ما كانوا إلى دار العدل قادمين ثم استعادوا بعض عزمهم و بقايا ثباتهم و استعانوا برفيع أدبهم فعلت الأصوات من كل جانب حتى كاد الغضب أن ينسيهم عواقب الأمور .

فقـــال قـــائلهم: أيها الأستاذ العارف الإسلامي لِمَ تكون عنصرية مقيتة إن طلبنا بحق الأولوية في العمل لأهل البلاد و لم تكن من العنصرية غزو البلاد بغير أهلهـــا على الرغم من تفشي البطالة و هدير الفقر و الحرمان فيها ،فقال الأستاذ: لا أدري عـــن أي فقـــر و حرمان تتكلمون فأجابه آخر الحمد لله الذي زادنا فيك

بصـــيرة، فحقـــا تقول: فإنه كيف يلمس الحرمان و الفقر لذوي الأكواخ أصحاب البروج و القصور و كيف يتحسس الجوع من أسهرته التخمة و أعيته البطنة .

و صـــاح ثالـــث من القوم لا أدري لم لا يكون من العنصرية سحق معالم حضـــارة قوم بكل أبعادها لغة و تراثا بل و منع أهلها حتى من تسمية أبنائها بما يحـــبون و يكـــون من العنصرية المقيتة من لا يلغي الآخرين و إنما يطالب لنفسه بحـــق الحياة، فأشار المفوض السامي أن إقطعوا نزاع القوم فقطع نزاعهم ليكونوا فـــي أسفل درك من الجحيم ،فأراح الأمة من براثن القومية و العنصرية التي هي خـــير أمـــة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، فأدام الله ﷻ ظل المرشد و كثّر أعوانه من المفوضين السامين!!!...

الطائفيـة

سـرت الشـمس باستحياء لتطل من وراء الحجب على قصور الخلد بكل سـكينة متصاغرة خجلة تتحاشى سوء الأدب حينما أوحى إليها ربها بأنها ستمثل بين يدي مولانا الأجل الأكرم ذي الشرف و العلم و الكمال مظهر العدل الإلهي.

فامتثلت أمر ربها حيث يكون الامتثال خيرا من الأدب، يعلوها الاضطراب و يبدو عليها الارتعاش علما منها بما عليه مولانا من عظم، و كيف لا و هو أمير المؤمنيـن و ولـي أمور المسلمين،عينهم الساهرة في رعاية مصالح الإسلام في العالميـن و من خَوله أهل السماء قبل الأرض تشخيص مصلحة النظام الإسلامي أدام الله ﷻ ظله الوارف على رؤوس المسلمين.

فأطلت الشمس بنورها الدافئ ساطعة على بعض شرف و ستائر غرف في أجنحة قصر على ضفاف البحر ألا و هو قصر السلام و الخلد حينما أثقل ساكنيه عمـيق نوم في جوار المها و الريم الحسان المبثوثة وردا مختلفا ألوانه على سرر مـن ذهـب و فضة فوقها الديباج و الحرير وإلاستبرق حيث النمارق و الزرابي تطرز قيعان تلك الغرف التي تباعد أطرافها فكادت أن لا تتجاور إلا بحسن طيبها و قد وضعت في جوانبها مالا عين رأت و لا أذن سمعت من مختلف لذيذ المآكل و المشـارب لمن أنعم اللهﷻعليهم بواسع لطفه قابلية الأكل و الشرب حيث العدل الإلهي بحال العباد تقسيما لأنعمه بحسب القابليات.

فسـرى ذلك النور مستأذنا على أمير المؤمنين من تلكم الشرف و الستائر متأدبا مستقرا بعض الوقت بين يدي مولانا خليفة رسول رب العالمين!!!...

وعندها راح النور بكل أطيافه اللوامع يدقدق أجفان مولانا المبارك تحيطه أبعاد الخوف و الحذر مستعينا بتغريد العصافير التي هي بادرت أيضا عند الصباح همســا تداعــب بإذن العزيز القدير و الهامه ووحيه مسامع مولانا الأجل الأكرم رضـــي الله تعالى عنه و أرضاه و تفضل عليه بواسع جنانه بعد طول عمر جزاء وفاقـــا عطاء من سلطان السماوات و الأرض لمن خدم الإسلام والمسلمين و بسط العدل و العلم في الأرضين.

و لكـــن على الرغم من كل ذلك ما وجدت لنفسها موقعا من سمع و بصر مولانـــا الأغر تلكم الأنوار و الهمسات إلا بعد اللتيا و التي و عندها ملأ السرور أعماقها و الشمم أضحى يعانق عنفوان زهوها حيث بلوغ الغايات في جنب ركب ســيف الحــق بات يرفرف ما بين جوانحها و تموّج البركات أصبح من فم مولانا بطهر أنفاسه يعمها فيضا متدفقا يجعلها تتطلع إلى الأفق المبين تألقا نحو السكينة و نسيم الخلد.

و ما كان هذا التباطؤ من الأنوار و الهمسات في التأثير على سمع و بصر مولانـــا إلا حقــا حيــث أن الفاعلية لمولانا هي الأصل و الأساس قبل القابلية و الإنفعـــال و الـــتأثر بحسب مقتضيات الوجود و محال جريه فعلا و إنفعالا بمشيئة العزيز القدير.

و لما فتح مولانا عينيه يعلوه النعاس وجد نفسه إلى جنب كؤوس زفت إليه ليالـــي الأنـــس و قد أخذ النهار من يومه مأخذا، فبادر بحزم العظماء يوقظ حشد المثقليـــن بأعــباء السمر بزعيره المعروف المألوف في جمع النواعم الحسناوات اللواتي كأنهن اللؤلؤ و المرجان.

و مـــا أن طرق صوت مولانا المبارك المهاب أسماعهن إلا وجدهن جميعا كحمام السلام يتراكضن بين يديه يمينا وشمالا تلبية لنداء الحق المتجلي على لسان

أمـــير المؤمنين و ولي أمور المسلمين أطال الله تبارك و تعالى عمره الشريف و أدام ظلـــه الـــوارف على رؤوس أمة محمد ﷺ بل على البشرية كافة إنه سميع مجيب الدعوات.

ثم عاود سرب الحمام و الغزلان تتقدمهن غزيلة تتمايل في مشيها غنجا هي حـــب أمير المؤمنين و قلبه النابض بعد تنفيذ ما أُمرن به إلى سيدهن مولانا الأجل ركعا سجدا يرتدين رقيق الفساتين كل واحدة بما يناسبها من فستان أبيض أو أسود أو أصـــفر أو أخضـــر علـــى إخـــتلاف الفساتين طولا و قصرا ليقبّلن أيدي أمير المؤمنين و ظل الله ﷻ في العالمين مظهر الجود و الكرم قبل أن يلبس عمامته و يرسم المشط كريم محاسنه بما يناسب عز الإسلام و يرتدي قبائه الأسود و ينتعل نعالـــه الأصفر أو الأخضر إذا وجدا إلى قدميه سبيلا لينالا بركة من بعض عرق قدميه حيث يصبح عندها مولانا الأجل مصداقا لقول الشاعر:

أنا ابن جـــلى وطـــلاع الثـــنايا متى أضـــع العمـــامة تعـــرفوني

و ذلـــك لأنـــه عند ظهور مولانا بمظاهر الكون على العرش أمام الجموع سيصعب قرب مثل حور العين منه حيث الظهور و التجلي لمولانا يختلف من حال إلى حال وعند الإشراق على الأمة يكون ظهوره بآيات الجلال و القهر والهيبة و الوقـــار و العظمة هو الحاكم على بقية أسمائه و صفاته إعزازا لدين الله ﷻ بعيدا عـــن التبســـط و التواضع المألوف لمولانا في قصور الخلد حيث الظهور بمظاهر الجمـــال و في مثل هذا المقام العظيم ألا و هو الظهور بمظاهر الجلال و القهر لا يـــبقى لأمـــثال النواعم مجال للقرب من ساحة قدس مولانا الأجل، هكذا رصدته مراصد الأفق المبين في مكامن جريه و مسالك عروجه.

و عندما تجهّز أمير المؤمنين بكل ما منحه الحق تعالى من مظاهر الجلال للإشـــراق فـــي مجلـــس الحكـــم في دار الخلافة محفوفا بسبع و سبعين بطنا من

الحواشـــي و الخـــدم و الحشم تأسّيا ببطون الكتاب المجيد بما يحمل في طياته من العلـــم و هي بطونه اللامتناهية،توجه عندها ذو الجلالة بركبه المهيب سائرا نحو الغايـــة بهـــذه الحشـــود الميمونة المباركة ببركاته بما تحمل في أعماق قلوبها من اجـــلال و تقديـــس للخلافـــة و الخليفة ذي الجود و الكرم الذي ما حرم الأمة ثقل وجوده الناسوتي و إن عاش واقع حياته في الملأ الأعلى بأثقال أبعاد وجوده الثلاث الأخر الملكوتية و الجبروتية و اللاهوتية.

أجل ما هي إلا سويعات من الزمن تجلى فيها نور الخليفة بين القصر و دار الخلافـــة لأمـــته حتى استقر بمولانا المقام على العرش ليصبح الصمت هو الحكم الفصـــل تجلـــيا للمولى بمظاهر الحق تعالى حيث يقول: ﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾[1] و عندها نشف الريق بأفواه الرجال ليصبحوا بكل أبعاد وجودهم إصـــغاء لســـماع أوامر أمير المؤمنين معز دين الله ﷻ في العالمين لينثر على الأمة الدرر المكنون بكلماته القصار، لكن قبل ذلك أذن الخليفة للشعراء أن ينشدوه ما جادت به قريحتهم الغراء إعزازا للدين بذكر عظيم مقام الخلافة و مدح الخليفة و بيان بركاته على الإسلام و المسلمين.

و قـــد كان ذلك من الشعراء و غيرهم ممن عرف حق الخلافة في الإسلام هـــو الحق المبين جزاء لما يقوم به مولانا الأجل الأكرم من خدمة للأمة في لياليه حيـــنما تـــتعاكس الأنوار السواطع من جبين الخليفة و الشموس الزاهرات النواعم عـــندما يخـــرق صـــمت الليل لحنهن ليقوى بذلك أمير المؤمنين على مهامه تجاه الإسلام بتكثير نسل المسلمين لكي لا تصاب الأمة بأزمة من حيث عدد الأمراء و

---

[1] : غافر ١٦

القـــادة فضـــلا عن ضرورة إنشاء ولي عهد بإبداع جديد يناسب الزمن مواكبة مع متطلبات الشعب و أبعاد الرسالة.

و مـــن تردد في مكانة مولانا أمير المؤمنين جهلا منه بحقائق الأمور أو لعمـــى البصـــيرة لبعد عن مهب الأنوار فاليذهب إلى أصحاب علم اليقين و عين اليقين وحق اليقين ذوي البصائر الذين أشرق عليهم نور الحق فانبسطوا في مواطن البســـط و انكمشوا في مواطن الإنكماش تلبية لأسماء الله ﷻ بسطا و قبضا عندما وجـــدوا القصـــر في بعض الأطراف أنسب بالحيطة و الورع و الطهارة و الزكاة فشاهدوا عندها في محال طهر نفوسهم أمراء المسلمين جميعا في مواطن قدسهم.

و إن كـــان المتأمل البصير يجد بوضوح أن تطلع أمير المؤمنين لمستقبل الأمـــة هـــو أوسع بكثير من أن يحدد بإطار خاص بل كان طموح مولانا و بقية أمـــراء المســـلمين الذين سبقوه هو إنشاء أجيال من نسل الأمراء تكون قادرة على تحـــريك البنـــية التحتية للإقتصاد الإسلامي حتى لا تقف عجلة الحياة ولذا كانوا يدفعون دائما الأسواق إلى تحرك مستمر بما يمدّون به الأمة من شبيبة من الأسر الحاكمـــة قـــادرة على تحريك أعظم الأسواق ألا و هي أسواق النخاسين حتى لا تصـــاب أســـواق المســـلمين بالركود الإقتصادي فجزاهم الله ﷻ عن الإسلام و المسلمين خير جزاء المقربين.

و لكن على الرغم من كل الجهود فإن ما قد يتوصل إليه البصير من فيض جـــود أمراء المؤمنين طيلة هذه القرون ليس إلا بعض جداول جودهم و خدماتهم الإسلامية في حق الإسلام و المسلمين وإلا فسوف تجف الأقلام و لو مدها الله ﷻ بسبعة أبحر كما قال تعالى بالنسبة إلى فيض جوده: ﴿ **قـل لـو كان البحر مدادا**

لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي و لو جئنا بمثله مددا﴾[2] .

و من أراد معرفة المزيد من خدماتهم فاليسأل الغيارى على دين الله ﷻ الذين ببصيرة الإيمان و فراسة اليقين كشفت لهم الحجب فوجدوا اكثر أمة محمد ﷺ كفرة إلا الحكام و أتباعهم فأخذوا من العزيز القدير مفاتيح الجنان لأنفسهم و من اهتدوا بهداهم من الحكام فدخلوا جميعا مع قادتهم من الحكام الذين أوجبوا طاعتهم على الأمة إلى جنان الخلد ينعمون في جوار النبيين و الصالحين، فهنيئا لهم جنة الخلد مع أئمتهم و ولاة أمرهم من الحجاج بن يوسف الثقفي و أمير المؤمنين يزيد بن معاوية و أضرابهم من العظماء الأبرار من قادة الأمة الإسلامية.

آه آه لا أدري كيف أبعدنا سيلان القلم حينما أطلق له العنان فراح لينطلق في سماء العظماء و الغيارى على دين محمد ﷺ في قممهم العوالي و رفيع جنانهم، فأنسانا دار الخلافة مظهر العدل و العلم لرسالات السماء و قد راح يحتشد فيها بصفوفهم المتراصة ممثلوا الشعب و هم فقهاء دار الخلافة و الخطباء الذين بحضرة أمير المؤمنين مستأذنين الدخول على ساحة قدسه على إختلاف طبقاتهم ليقوموا في محضره الشريف ببعض ما تملي عليهم ضمائرهم و ما فرضه الله ﷻ عليهم في شرعه القويم تجاه مولانا أمير المؤمنين من طاعة في كتابه المجيد حيث يقول: ﴿**أطيعوا الله وأطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم**﴾[3] و ليس ذلك ببعيد عن سنة رسوله الكريم محمد ﷺ القائل: ﴿**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**﴾ و كيف لا يموت ميتة جاهلية و هو لا يعرف مولانا

---

[2] : الكهف ١٠٩

[3] : النساء ٥٩

أمـــير المؤمنين و من سبقه من ولاة الأمر كيزيد بن معاوية و المتوكل العباسي و الكثير من حكام زماننا هذا أسكنهم الله ﷻ فسيح جنانه لأنهم مظاهر شرع الله و رسّـــام ســـنن الأنبياء،كما أرشدنا إلى ذلك الغيارى على دين الله أصحاب مفاتيح الجنان الذين دخلوا الجنة لحبهم للقاء ربهم و تركوا ورائهم أمة محمد ﷺ سنة و شيعة وراء الأبواب فضلا عن سائر البشرية لمّا وجدوا ببصيرتهم أن هؤلاء جميعا كفرة مبتدعين و لذا لم يطلبوا لهم من ربهم العفو و الغفران، لا حرم الله ﷻ الأمة بل البشرية من واسع علمهم و رقيق قلوبهم، فهم محالّ رحمة الله ﷻ التي وسعت كل شيء.

ثم تكلم الخطباء بما يناسب المقام خطبا يشهد لها رفيع مقام الأدب و أظهر الفقهـــاء فـــي تعابيرهم استعدادهم المطلق لما تحتاجه الخلافة الإسلامية من الفتيا إعـــزازا لدين الله ﷻ خدمة للأمة و ما عجز عن بيانه و إظهاره قوالب أدب الفقه أبـــدع في شرحه تقاسيم الوجوه و حركات اليدين بما يناسب المقام في دار الخلافة مـــن إنبســـاط أو انكماش تارة و من تحريك للمحاسن على الصدر و من غمض العينيـــن أو استرخائهما تارة أخرى حين وجد الفقهاء أنهم مشمولون لنظرات أمير المؤمنيـــن فـــي بعض تطلعات أنفاسه يستطلع رضاهم و يستطلعون رضاه و بعد القـــيام بكـــل واجبات المدح و الثناء أبلغ ممثلوا الأمة مولانا ما عليه الشعب من الرضا و الولاء و السرور و الإمتنان تجاه كريم قدسه و ما يكنه الناس في طيات قلوبهم تجاه ولي أمرهم الميمون ظل الله ﷻ في العالمين.

و عـــندها هز الخليفة رأسه المبارك و تمايلت عمامته فبان جزء من شحمة أذنه اليسرى فأندهش الحاضرون لدقيق حركات مولانا و هو يعلو العرش، فأشار بعضـــهم لـــبعض بطرف عينه أنها حركة تدهش العقول تحكي في بطون أبعادها لذوي العلم عظيما من دقائق الفلسفة و العرفان يغيب على كثير من السواد الأعظم

فهـــم مفردات المراد منها حيث أحاط أمير المؤمنين بلطيف فعله الحاضرين علما بأنـــه واقـــف على حقائق الأمور و ما عليه كافة الشعب من الرضا على اختلاف أطـــيافه ثم بادر مولانا يوصل الفعل بالقول بمزيد من العطاء ينثر جواهر الكلمات القصار المتراكمة على صدره الطاهر سفط العلم و الحكمة مفيدا إياهم أنه لا يفكر لـــيله و نهاره إلا بخدمة دين الله و الشعب و نشر شرع الله ﷻ في العالمين و هـــذا هـــو ما أهمه في طموحه لشعبه ودفع به إلى التأخير في الظهور عليهم من قصور الخلد.

ثم أمر لممثلي الشعب و هم الشعراء و الفقهاء الذين بحضرته و الخطباء و مشيخة العشائر الذين في دار الخلافة تكريما لهم بالهدايا،ليصبح التكريم متبادلا بين الحاكم و الرعية تحقيقا لمكارم الأخلاق.

فقدّم لهم المسؤولون مئات الآلاف من الدراهم و الدنانير التي ورثها مولانا الخليفة من جدته لأمه و قد راعى في العطاء كلاً من المهدى إليهم ما يناسبه، كل ذلك رحمة من ولي أمور المسلمين بحال شعبه البائس الفقير ثم أشار كبار أعضاء حكومـــته إلى الفقهاء الذين بحضرة الخليفة أنه لو كان بوسع أمير المؤمنين المزيد من العطاء لما حرمهم وابل فيضه و لكنهم دائما سيبقون تحت واسع عنايته لما هم علـــيه من خدمة الشعب و الشرع ماداموا مستلهمين الأحكام بما يناسب الزمان و المكان من أنفاس خليفتهم المعز لدين الله المعتصم بحبله المتين سيف الله المسلول على أعداء الدين و الأمة.

ثـــم أشـــار الخلـــيفة بطرف حاجبه الأيمن لممثلي الأمة و عيونها الساهرة بالإنصراف ليخلوا بوزيره المؤتمن على العباد و البلاد.

فـــراحا معا يمشيان في حدائق القصور و جنانها بسبق قدم لأمير المؤمنين ليـــتجلى الأدب و التواضع في خطى الوزير بأزاء ولي النعمة تحقيقا لما حكم به

العقــل مــن لزوم شكر المنعم و كيف لا يكون ذلك و هو ولي أمور المسلمين و حامــي حماهم و راعي مصالحهم بفراسة تشخيص مصلحة النظام التي لا يحظى بها إلا ذو حظ عظيم.

و بيــنما همــا يســيران و تعلوا البهجة عليهما إلتفت الوزير لولي نعمته المــيمون متصــاغرا على الرغم من عظيم خدماته قائلا: إن أذن لي سيدي أمير المؤمنيــن أطال الله ﷻ عمره الشريف و لا حرمنا و الإسلام و المسلمين من واسع بركاته و فيضه و عظيم حكَمه أنبأته و هو العالم، ببعض المستجدات من الأحداث إن رأى مولانا الوقت مناسبا لذلك ؟

فقــال له الخليفة: قل ما بدالك يا وزيرنا فإنك الرشيد المؤتمن على مصالح الأمــة الذي خبرناه في شدائد الامور حين ورودها و من لا يؤخر بيانها عن وقت حاجتها و لا ينكمش حين انحدار سهام رميها جريا مع سبل قضائها و قدرها.

فقال الوزير: حمدا لله تعالى على جسيم آلائه و نعمه على هذا العُبيد الذي جعلــه الله ﷻ محلا لثقة مولاه و سهما من سهامه، فأخبركم يا مولاي إن جندكم جــند الإســلام قــد قبضــوا على شرذمة من المنحرفين الخونة الكفرة الروافض المرتدين بعون الله ﷻ و بركة أنفاسكم التي يستمد منها غلمانكم الأشاوس بعد ما قتلوا الكثير من هؤلاء الكفرة و سبوا نسائهم و أسروا ذراريهم و ما كان ليحصل يــا مــولاي ذلك كله لو لا فضل إرشاداتكم و فتوى من يرعون مصالح الأمة من فقهاء تنوروا بنور عرفانكم لخدمة الدين و الكيان الإسلامي القائم تحت رعايتكم .

فيا سيدي إن هؤلاء الخونة الروافض كانوا يؤججون نار الفتنة الطائفية بين الأمــة ليشــقوا بذلك صفوفها المتراصة المتوحدة تحت رايتكم داعين إلى مذهب التشــيع بإمامــة علي بن ابي طالب و أبنائه من آل الرسول و ما أدري يا مولاي ماذا يريد هؤلاء الذين أعمى الله ﷻ بصائرهم؟!

فهلا يشاهدون كرمكم وجودكم على من يقصد مجلسكم المبارك من العلماء و الشعراء و الأشراف و الأعيان ممثلي هذه الأمة؟، و هلا يرون عدلكم و نشركم للديـــن و اهتمامكم بذلك،و ها أنتم تغزون البلاد و تأسرون و تغنمون و قد ملئت بعـــون العزيـــز القدير الأسواق من الرقيق من الجواري و العبيد كل ذلك إعزازا لمُثل الإسلام و قيمه و ذلا لأعداء الله حتى أصبحت يا مولاي أسعار الرقيق لكثرة من يؤسر تتدانى كل يوم في الأسواق فضلا من الله ﷻ بحال العباد.

فأجابـــه أمـــير المؤمنين و ولي أمور المسلمين و رئيس تشخيص مصلحة الـــنظام الإســـلامي المـــبجل قائلا: هؤلاء كما قلت يا وزيرنا و إن أعمى الله ﷻ بصـــائرهم و حـــرمهم من مشاهدة مجلسنا لسوء توفيقهم لكنهم بالقطع و اليقين قد بلغهم مانحن عليه من الأفضال على المجتمع سخاءً وجودا و ما نحن عليه أيضا يا وزيرنا من واسع الرحمة على من تحت أيدينا من الحسناوات النواعم اللواتي ملكنا قوامهـــن بفضل المجاهدين في سبيل الله ملك يمين وقد جعلناهن في خير نعمة في القصـــور ينعمن بكل ما آتانا الله تعالى من فضله و لم نعمل في حق هذه القوارير اللواتي كأنهن مظاهر نور الله تعالى حيث يقول: ﴿ **الله نور السماوات و الأرض مثل نوره كمشكوة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية و لا غربية يكاد زيتها يضيء و لو لم تمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء و يضرب الله الأمثال للناس و الله بكل شيء عليم** ﴾[4] إلا الطيب و الرفق و الحنان.

---

[4] : النور ٣٥

فاستشعر الوزير أن مولانا الخليفة إكتفى بما قام به جند الله الميامين بما لا مـــزيد علـــيه مـــن القمع و التنكيل لأعداء الله و الأمة و أنه يريد أن يقضي هذه اللحظـــات في حدائق القصر بعيدا عن المجاملات و الرسميات و ذلك حينما وجد الوزيـــر تقاســـيم وجـــه مولانا تبدلت من الجد إلى الهزل وأن البسمة علت على محاسن وجهه المبارك.

فضـــحك الوزيـــر لظرافة مولاه الخليفة حتى كاد أن يقع على قفاه إلى أن أشار إليه مولانا بأنه كفى، فعاد الوزير إلى صمته و أدبه السابق المألوف بين يدي الخلفاء مظاهر عز الله و رسام خطى الأنبياء.

و مـــن بعـــد مـــا قضى الخليفة بعض الوقت بعيدا عن السياسة مع وزيره يـــتجول بيـــن الحدائق و القصور و الأنهار عاد فجأة دفعة ثانية فقال: و أما إتهام هؤلاء الروافض إيانا بالإستبداد و الكبت و قد راحوا يشكلون كفة المعارضة طيلة القـــرون لمـــن أمر الله تعالى بطاعتهم و هم **(أولـــوا الأمر)** على الرغم من تأييد الأمة لنا بكافة أطيافها فهو ليس إلا بعض مفتريات هؤلاء الكفرة حقدا على الإسلام و المســـلمين،ألم ينظروا إلى مثالية الحكم حرية وعدلا و رفاهية طيلة القرون من حكام المسلمين و كيف ساروا بالأمة من رقي إلى رقي و من كمال إلى كمال في كافـــة مجالات الحياة العلمية و الأخلاقية و الإقتصادية و الإجتماعية و كيف كانوا دائما ربان سفينة الحياة إلى خير الدارين دنيا و آخرة و من شك في عدل السلف و ما بنوه من أواصر أسس الحرية فالينظر إلى مثالية الخلف في مجاري الأمور فهو خير شاهد على حسن السيرة و العدل و الإبتعاد عن الظلم و الإستبداد ،فهلا يشاهد ذلك كله الروافض لعنهم جبار السماوات و الأرض،أجل كيف يشاهدون وقد أعمى الله تعالى بصائرهم!!!

و هانحـــن لـــم نستبد يوما من الأيام في الحكم بل نشاور من بحضرتنا من القضاة و الأشراف و الشعراء و أين هم عما نحن فيه الآن ليشاهدوا كيف يتبادل الآراء مـــع وزيـــره أمـــير المؤمنين و على فرض أن الخليفة لم يشاور أحدا في شـــؤون الحكـــم فليس معناه الإستبداد و الظلم بل هو اتباع الامة لولاة أمرها فيما يرونه لها من الصلاح و السؤدد و هاهي سيرة السلف من الأمراء رعاية لمصلحة الأمة و خوفا من تشتت الآراء و بروز النزعات .

ثم ودّع أمير المؤمنين و ملاذ الخلق في العالمين وزيره و عاد إلى قصور الخلـــد للأجـــنحة التـــي أعدهـــا بإذن الله تعالى لحور العين ليقضي بقية يومه في جوارهن إعدادا للنفس للقاء من هن أعظم درجة حسنا و كمالا في جنان الخلد غدا عند مليك مقتدر و ما كان ذلك للعب و لهو من أمير المؤمنين كما يظنه الجاهلون أعاذنا الله و إياكم من شطحات الأقوال و سقطات الأفعال بازاء من أمرنا الله تعالى بطاعتهم و أرشدنا العلماء الأعلام الذين في كنف دار الخلافة بالصبر على أفعالهم و لو كانوا فسقة ظالمين كل ذلك اعزازا لدين الله عز وجل و النظام السياسي.

و عندما ذهب من نهار يوم غد ثلثاه تزامن إشراق أمير المؤمنين و فيض نـــوره الســـاطع مع قوة اشراق الشمس حينما تم بتوفيق العزيز القدير انبساط ثقل الخلافـــة لمولانـــا الأجل الأكرم على العرش في دار الخلافة و هو يكاد أن يتفجر غضبا على الرغم من واسع حلمه و عظيم علمه و جسيم صبره خوفا على وحدة الأمـــة وشق عصاها على أيدي الرافضة الفئة الضالة المضلة رأس الكفر و النفاق و المكر و الشقاق التي أعمى الله السميع العليم بصيرتها فأصبحت لا تعي ما عليه أمير المؤمنين من تطلع زاهر لمستقبل الإسلام و المسلمين رسم خطاه مولانا قدس الله سر انفاسه في خلواته في غرف قصور الخلد بشهوده حجب النور لتلكم الأقمار

و الشـــموس الركع السجد حينما تجلى لها ربها فوق عرشه فأتت سالكة سبل ربها طوعا أو كرها.

و ما أن استقر بمولانا الخليفة المقام فوق العرش في دار الخلافة حتى أمر بإحضار رؤوس هذه الفئة الرافضة لشرع الله المتجلي بسيرة مولانا أمير المؤمنين لتـــنال جـــزائها الـــلازم قـــربة إلـــى الله تعالى حيث يقول عز من قائل: ﴿**و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون**﴾[5].

فجيء بهم مكبلين بالحديد إذلالا لأعداء الله ورسوله و الأمة الإسلامية.

فقـــال لهم خليفة الله تعالى في العالمين مظهر عدله وعلمه: الويل لكم اليوم مـــن ســـخط الله تعالى و سخط هذه الأمة التي تريدون النيل منها بشق عصاها و تمـــزيق صـــفوفها وزرع البلـــبلة فيما بينها بإلقاء الشكوك في معتقدها و السعي لـــترديدها في ولاة أمرها،فأين المفرّ من سخط هذا الشعب و عذاب الدنيا قبل نار الآخـــرة و بـــئس المصير،فاعلموا إنكم ستقتلون شر قتلة و لا تغفر لكم هذه الأمة المسلمة كيدكم لها ﴿**فإن حزب الله هم الغالبون**﴾[6].

ثـــم نظـــر الخلـــيفة إلـــى الناس فقال: الحذر الحذر فإني أخاف عليكم من الروافض أن يبدّلوا دينكم و ينشروا في الأرض الفساد و بعدها وجه الخليفة خطابه يستفتي الفقهاء الذين بحضرته في حقهم فقال: ماذا يرى قاضينا قاضي القضاة من جـــزاء يستحقه هؤلاء الكفرة الخونة الجناة الذين منهم الدين براء و قد برئت منهم الأمة و الذمة أيضا؟

---

[5] : النحل ١١٨

[6] : المائدة ٥٦

و إنمـــا أوكل مولانا أمرهم إلى القاضي لكي لا يحيف عن موازين العدل الإلهـــي تجـــاه هذه الفئة الضالة لما هو عليه من غضب في جنب الله تعالى غيرة على دينه.

فأجـــاب قاضـــي قضاة الأمة و رئيس تشخيص مصلحة نظامها الإسلامي قـــائلا: إن أذن لي مولاي ولي أمور المسلمين أمير المؤمنين بإحالة هؤلاء الكفرة مـــن دار الخلافـــة إلـــى دار القضاء كنت له شاكرا لما أعلم من رقيق قلب أمير المؤمنين حتى بازاء أشد أعدائه الذين يكنّون له عميق الحقد و البغضاء،فلذا خوفا من أن ينصدع حين صدور الحكم قلبكم الطاهر يا مولاي قلب الأمة النابض على هـــؤلاء الجـــناة فيشملهم عفوكم و رحمتكم التي وسعت كل شيء تجسيدا لعظيم رحمـــة الله تعـــالى التـــي وسعت كل شيء أطلب من حضرتكم إحالتهم إلى دار القضاء.

فأجابـــه بعد تأملٍ مولانا الخليفة على الرغم من إعتصار قلبه رحمة بحال الجناة أن لا مانع من ذلك .

وعندما أحضروا عند ميزان العدل الإلهي قاضي القضاة شريح بن الحجاج خاطـــبهم قـــائلا:أيـــتها الكفرة المجرمون لماذا تبثون روح النفاق و الطائفية بين المســـلمين و تشـــقون عصـــاهم، فتؤذون بذلك خليفة رسول الله و من آذى خليفة رســـول الله قـــد آذى الله تـــبارك و تعالى و ذلك ما يهتز منه عرش الرحمن، و الإسلام شرع الله الواحد الذي بعث به محمد بن عبد الله ﷺرحمة للعالمين،فألغى عصـــبية الجاهلية بكل أبعادها الطائفية و القومية ، فهلا تعون هذه الأسس المسلّمة من الإسلام أم أنتم صم بكم عمي لا تفقهون؟!

و قـــد أبلـــغ أمير المؤمنين عنكم عيونه الساهرة أنكم تدعون الناس إلى آل بيـــت محمـــد ﷺ تمـــزيقا لصفوف هذه الأمة، فاقسم بالله القاهر الجبار المهلك

لأعدائـــه لأجعلـــنكم عبرة لمن اعتبر من كافر أو منافق يريد النيل من أمة محمد ﷺ الـــذي بعثه تعالى بشريعة الإسلام و قد تمسك به الصالحون و اتّبعهم الخلف الصالح تحت راية أمير المؤمنين.

فإمـــا أن تـــتوبوا إلـــى الله وتعلنوا برائتكم من الروافض المنحرفين و إلا أجريت في حقكم حكم الله تبارك و تعالى .

فخاطـــبه أحـــد الروافض و هو مكبّل بالحديد يكاد أن لا يفصح لبعد عهده بالماء وقد أعياه قبل ذلك في السجن جند الحق بما آتاهم الله تعالى من قوة و إبداع و تفنن في كيفية أخذ الإعتراف و فهم الضمير و لو بدون اقرار بلفظ قائلا:إن أذن لـــي ســـيادة القاضـــي ببعض الإستفسار تنويرا للعقول كنت له شاكرا، فنظر إليه القاضـــي شـــزرا ثم انطوى في أعماق الضمير ليسبح في سفن الأفكار هنيئة من الزمن منجحا مفلحا في سداد الرأي مشيرا للمتهم بعد ذلك برأسه بالإذن و كله أمل يتمـــنى أن يهدي الله به طيلة حياته و لو شخصا واحدا للفوز بجنة الخلد في جوار النبيين مصداقا لقول رسول الله ﷺ: ﴿ **يا علي لو هدى الله بك رجلا واحدا لكان خيرا مما طلعت عليه الشمس**﴾ .

فقال الرافضي:نورونا يا سيادة القاضي، لمَ لا يكون العمل بمسلك العامة و الجماعـــة المعروف بمذهب التسنن بإلغاء المذهب الشيعي الذي أئمته كلهم من آل محمـــد ﷺنـــزعة طائفية شقت عصا المسلمين طيلة هذه القرون و قد رافق هذه الـــنزعة ســـفكا لدماء الآخرين و حرمانهم من كل حق من حقوقهم حتى الإنسانية الأولية فضلا عن حقوقهم الدينية السامية و لكن يكون الإعتقاد بالمذهب الشيعي و لـــو بـــدون محاولة لتطبيقه على أبعاد الحياة العقائدية و السياسة و الإقتصادية و الإعلامية و التعليمية و العسكرية نزعة طائفية توجب الخروج عن الدين و يستحق صاحبها القتل،فمن هم الطائفيون حقا يا سيادة القاضي؟!

فـــارتعدت فرائص قاضينا المبجّل غضبا لدين الله و أمة محمد ﷺ فقال: ويحك أيها الرافضي الخبيث أتجرأ و أنت بين يدي قاضي القضاة بإظهار مثل هذه السفاسف و الهذيان و شطحات الكفر و الزندقة و تتردد في أن الحق ما عليه أكثر المسلمين أتباع ولاة الأمر الذين أمر الله تعالى بلزوم إتباعهم وهم الخلفاء و أمراء المســلمين فلمـــاذا لا تفقهـــون قـــولا و لا تفهمون أيتها الروافض منطق الحق و الصـــواب مـــنطق الأكثرية، اسكت لا أنطقك الله أيها الملعون ،خذوه إلى السجن فسيصـــدر فـــي حقه مع بقية هؤلاء المرتدين الحكم العدل الإسلامي ، فإلى النار وبئس المصير .

فقـــال رافضي آخر مخاطبا القاضي: أي سلف نتبع وهاهم قد اختلفوا فيما بينهم و كفّر بعضهم بعضا و لم يبايع الكثير منهم الخلفاء إلا تحت ظلال السيوف قهـــرا و جبرا، و الناظر البصير سوف يلحظ أن في البيعة لم ترع بدايات شؤون الشـــورى و الحرية حتى وصل الأمر إلى أن اشيع أن بعض أكابر الصحابة قتلهم الجن حين إمتنع من البيعة إطلاء للأمر على بسطاء العقول و قد وصل أمر البيعة بعـــد رســـول الله ﷺ فضـــلا عن بقية القرون أن يهدد الشخص إما أن يبايع أو تحـــرق داره بمـــن فـــيها من زوجة و هي بنت محمد ﷺ و ولد و هما ريحانتا رسول الله ﷺ بل و إحراق من يتحصنون في بيته إعتراضا على مهزلة البيعة و هـــم من أكابر الصحابة و قد راح من يهدد الناس بالحرق نفسه بعد أيام ليقول: إن بيعة أبي بكر كانت فلتة فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ثم قَبِل الخلافة لنفسه بلا شورى تنصيبا من فرد فأي استبداد أعظم من هذا ؟

و قـــد جـــرى ذلك في الصدر الأول فأين معالم الحق التي رسمها السلف حـــتى يجب علينا اتباعهم فهل نتبع بيعة الفلتات أو أصحاب الحطب الذين للتسلق على مدارج الحكم يبررون لأنفسهم حرق أكابر الصحابة و آل الرسول ﷺ و لمَ

لا يكون الأخذ بالحق بدلا من فعل الرجال هو المنهج المتبع السليم كما قال رسول الله ﷺ:﴿ **إعرفوا الحق تعرفوا أهله**﴾ و كما قال علي: عليه السلام ﴿ **إن الحق لا يعرف بالرجال إعرفوا الحق تعرفوا أهله**﴾ .

و أي دليل لو قلت أنهم إجتهدوا فأصاب بعضهم و أخطأ آخرون و للمصيب أجران و للمخطئ أجر بأن لا يكون هذا الدليل بنفسه إن صح جارٍ بالنسبة إلينا لنكون قد اجتهدنا و اجتهدتم و للمصيب منا أجران و للمخطي أجر كما تزعمون.

و لماذا يجب إتباع سنة السلف الذين تسلطوا على الحكم و هم متهمون بحب الدنيا ولا يجب إتباع غيرهم من بقية السلف، فهل يجب إتباع أصحاب السلطات و الحكم لأنهم أصحاب القوة كما يدعوا إلى الإستسلام إليهم على الرغم من كل ثغرات الحكام الكثير من وعاظ السلاطين طيلة هذه القرون أم أن الملاك في التبعية هو لزوم متابعة الأكثرية و أنها هي سنة الله التي بها يرسم الحق و يميزه عن الباطل ؟!

فقطع القاضي على هذا الرافضي هذيانه و قد اشتعل غضبا غيرة على دين الله تعالى خوفا من أن يصاب بشبه هؤلاء الكفرة، المجتمع الإسلامي فقال القاضي لإخوانه و أعوانه على الحق: اخرجوا هذا الخبيث أيضا من قاعة المحكمة و لا كرامة لمن يسحق موازين الحق تحت قدميه و ينال من كرامة الصحابة ، فإن هؤلاء الروافض لعنهم الله تعالى جميعا قلوبهم متشابهة و إلا فكيف يجيزون لأنفسهم إلقاء مثل هذه الشبهات الواضحة البطلان بازاء مذهب الأكثرية اتباع الخلفاء وحكام المسلمين الذين أمر تعالى بلزوم طاعتهم فاخرجوه حتى لا يسمم أذهان الأمة بهذا الهراء و الأباطيل، فله و لأصحابه الضالين الويل و الثبور فكأنهم

يرون انفسهم أعلم بالحق و موازين الاسلام من مولانا الخليفة أمير المؤمنين و من سبقه من أمراء المسلمين.

فصاح ثالث بلا استئذان من سيادة القاضي قائلا:يا سماحة القاضي هل كون الأكـــثرية من المسلمين على مذهب أهل التسنن يكون مستمسكا شرعيا يوم القيامة لإثـــبات الحق و الصواب و هل معنى ذلك أنه يجب القضاء على الفكر و الحرية بالســـيف كما تصنعون وصنع أسلافكم باسم دين الله تعالى و سنة نبيه ﷺ طيلة القرون و هلا يكون معنى كل ما جرى من الكبت و الظلم و الإضطهاد باسم الدين علـــى الشـــيعة لأن الشيعة ما استسلموا كما استسلمتم للسلاطين و الحكام و وعاظ السلاطين الذين رسموا لكم شرع الله تعالى فاتبعتموهم.

و لـــو كـــان حقـــا أن اتباع الأكثرية فرضا لازما فلماذا لا يكون الحق مع النصـــارى لأنهم أكثر منكم عددا أو يكون الحق مع البوذيين و عبدة الأوثان لأنهم اكثر من الجميع عددا و هل وجدتم كتاب الله المجيد مدح الكثرة بما هي كثرة يوما مـــن الأيام و اعتبرها من مظاهر الحق أم أن الأمر فيه بعكس ما تدّعون و بعكس ما أنتم به تفخرون ولو كان مرادكم يا سيادة القاضي من الحق لأنكم تجزمون بما أنتم عليه من الرأي فلا أظن هذا من خصائصكم بل كل اصحاب معتقد هم فرحون بمـــا لديهم و جازمون بما يعتقدون حتى عبدة الأوثان و هاهو الكتاب المجيد يشير إلى هذه المسلكية حيث يقول تعالى:﴿ **و قالت اليهود ليست النصارى على شـــيء و قالـــت النصـــارى ليســـت الـــيهود عـــلى شـــيء و هم يتلون الكتاب كذلـــك قـــال الذيـــن لا يعـــلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيـما كانوا فيه يختلفون** ﴾[٧].

---

[7] : البقرة ١١٣

و إن كـــان الملاك لأنكم نشأتم فوجدتم آبائكم هكذا وجدوا الإسلام مرسوما كما رسمه السلاطين فهو ملاك باطل زُخرفَ بمظاهر الحق لوحدة الملاك مع من ذمهـــم الله تعـــالى حيـــث يقول: ﴿ **قـالوا إنا وجدنا آبائنا على أمة و إنا على آثارهم مهتدون**﴾[8].

و قد يكون منشأ هذا الملاك هو الجهل المركب الناشي من الكبر الشيطاني و هـــو (**أنـا خـير مـنه**) حينما يصبح حب الذات متجاوزا الحد فهو عبادة هوى النفس بمظاهر الحق حينما يتشبه الباطل بالحق و هو منشأ أكثر الأغلاط على وجه الأرض من حيث وحدة الملاك فإن العربي يرى نفسه أشرف من الأعجمي و هكذا الأعجمـــي و هكذا يرى الشرقي نفسه بالقياس إلى الغربي و ربما رأى ذلك حتى أبناء قبيلة واحدة لإختلاف الشوارع.

وهاهنا نفد صبر قاضينا الأجل كثّر الله تعالى أمثاله في أمة محمد ﷺ و كـــاد أن يـــتفجر غضبا لوجه الله تعالى لعدم تمكنه من سماع مثل هذه الأباطيل، فـــاندفع بكل ما أوتي من قوة ليصيح بأعلى صوته وقد علته بحة الغضب قائلا: لا أسمح بعد الآن لأحد في محكمة العدل الإسلامي أن يتكلم بمثل هذه الكفريات، فمن تكلـــم بموازيـــن الحق التي رسم أبعادها أمراء المسلمين وحدد إطارها قضاة دار الخلافـــة بعيدا عن هذه الشطحات و هذا المنكر و الزندقة فسحنا له مجال التكلم و الدفاع عن النفس و إلا منعت الجميع من الكلام و اصدرت عليه حكم الله تعالى.

فصاح متهم آخر أيها القاضي: تكفيركم للآخرين من المذاهب الإسلامية و حكمكـــم بأن المذاهب الإسلامية ليست إلا أربعة و هي المذاهب السنية الأربعة و إلغائكم لمذهب يقول بإمامة علي إبن أبي طالب عليه السلام الذي ما حصلت بيعة كبيعته

---

[8] : زخرف ٢٢

فـــي الإســـلام ليومنا هذا إن أغمضنا الطرف عن أدلة نصبه من قبل الله تعالى و رســـوله ﷺ و أنه وصيه بالحق ليس طائفية كما تزعمون و يكون الإنتماء إلى هـــذا المذهـــب العظـــيم طائفـــية و هو مذهب بني على حرية الفكر و عدم تكفير الآخرين و عدم إلغائهم و الحكم عليهم بالقتل .

فإنصفنا أيها القاضي هل المكفرة طائفيون أم أتباع آل محمد صلى الله عليه وآله؟!

و لـــمَ يكون المكفرة حملة راية الإسلام طيلة أكثر من أربعة عشر قرنا لمّا كـــانوا سندا لحكام المسلمين لحفظ كراسيهم و إبادة أعداءهم و يصبحوا اليوم فرقة ضالة ارهابية لمّا عرّضوا هذه الكراسي للخطر؟!

فقال القاضي: اقتلوا هذا الزنديق الرافضي الآن فتقدم أعوان الحق بسيوفهم فضربوا عنقه فأراحوا الإسلام و المسلمين من شره.

ثـــم أمر القاضي بإحضار مجرم آخر من هؤلاء الروافض الكفرة فقال له القاضـــي: لمَ لا تلتزمون بالحق، و لماذا أنتم تقضون حياتكم كأسلافكم و أنتم على ضـــلالكم القديم ، تغضبون بذلك الله و رسوله و خلفاء المسلمين ولاة الأمر و هم الحكـــام الذيـــن أمـــر الله تعالى بطاعتهم، فلم تتكرون عدل ولاة الأمر و ما عليه المســـلمون من الحرية و الديمقراطية و الإزدهار في كافة أبعاد الحياة و ميادينها المختلفة التي يعيشونها تحت ظل حكامهم، فكيف لا تبصرون؟و لكن أنىّ لأمثالكم ذلك و قد أعمى الله تعالى بصائركم.

فقال المتهم الملعون: لست أيها القاضي متهما بشيء سوى الإنتساب لمذهب أهل البيت عليهم السلام.

فقـــال القاضـــي: و أي تهمة هي أشد من هذه التهمة و أعظم جريمة و أي عقـــيدة هي أشد ضربا لأركان الإسلام من هذه العقيدة التي حاربها حكام المسلمين منذ رحيل رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا.

فـــاعلم أيها الرافضي إن كنت تريد إضاعة الوقت بمثل هذيان أصحابك و أباطيلهم لا أفسح لك المجال أن تبتّ بكلمة واحدة.

فصـــاح المتهم بدون إستئذان لست أدري أيها القاضي لمَ يكون إتّباع مذهب أهـــل البيت عليهم أفضل الصلاة و السلام كفرا و هو المذهب الوحيد في الإسلام الـــذي أئمـــته جمـــيعا من قريش من آل بيت الرسول ﷺ وهم اثنا عشر كما قد أشـــارت الأحاديث عن الرسول ﷺ من الفريقين سنة و شيعة إلى ذلك حيث تقول الـــروايات إن الأئمة إثنا عشر كلهم من قريش و هم جميعا من العرب الأقحاح و كـــذا اكـــثر رواة الحديـــث عـــند الشيعة من العرب أيضا و لا يكون من الكفر و الخروج عن الدين و الطائفية الإنتساب إلى بقية المذاهب التي جل أئمتها أو كلهم من الفرس أو الأعاجم و إن كنا لا ندعوا إلى العنصرية و القومية.

و كيف يتهم المذهب الشيعي بأنه من صنيعة الفرس و لم يتهم مَن أئمتهم و رواة حديثهم من الفرس كبخاري و نيسابوري و ممن هو من بقية المدن الفارسية بأنه من صنيعة الفرس ولكنها الدنيا و موازين أبناءها وآية السيف تمحو آية القلم و كـــيف نـــرجوا من وعاظ السلاطين كأمثالكم أيها القاضي الإنصاف في الحكم و شهود الحق و قد ترعرعت أصولكم و فروعكم من فيض قطر ندى السلاطين من بيت مال المسلمين.

فصـــرخ القاضي صرخة عنيفة كاد أن يصاب بنوبة قلبية من جرائها خوفا علـــى وحدة المسلمين أن تتصدع من هدير هذا الكافر الرافضي و أمر برفع جلسة المحكمـــة و قال: إن هؤلاء لا يتركون أباطيلهم و تمردهم على ولاة المسلين ولا

حاجة لنا إلى إحضار بقية المتهمين لعنهم الله تعالى أجمعين فإنهم كفار ولا يلدون إلا كافـــرا كمـــا ورد في القرآن الكريم عن قول نوح ﴿ **إنـك إن تذرهم يضلوا عبادك و لا يلدوا إلا فاجرا كفارا** ﴾[٩] .

و كـــيف يـــتعرض هـــؤلاء لحكام المسلمين الذين أمر الله تبارك و تعالى بإطاعـــتهم وهاهم يسيرون بالأمة الإسلامية من عز إلى عز و من كمال إلى آخر علما و عملا في كافة الميادين الأخلاقية و العلمية من الاختراعات و الاكتشافات و الصناعات بأدق تقنيتها و ما حققوه للأمة الإسلامية من مجالات الحرية لنمو الفكر و عيش الرفاه و السعادة، وغير ذلك من المجد كثير .

ألـــم يشـــاهدوا الملاحم التي سطرها أبطال الأمة الإسلامية و العربية فيما بيـــنهم و كـــيف بذلك قضوا على عدوهم المشترك الكيان الصهيوني و ابعدوا عن ديارهم الطامعين بل جعلوهم في عواصمهم من سيوف أبناء الإسلام خائفين و لو شاءوا لاحتلوا بلادهم و لكن روح الحرية منعتهم من ذلك و كيف لا يخافون من ســـيف قـــائد الأمة العربية و قائد الأمة الإسلامية المغاوير الأبطال أعز الله تعالى بهما و بوحدتهما راية الإسلام و المسلمين من العرب و العجم إنه مجيب الدعوات.

ثم قام القاضي بعد ما ألقى على مسامع الحافين بقاعة المحكمة هذه الخطبة البليغة و كله خشوع و خضوع لسلطان السماوات و الأرض فتوضأ قربة لله تعالى و صـــلى ركعتيـــن ثـــم أصدر حكمه بقتل هؤلاء الروافض الكفرة الطائفيين باسم الخلـــيفة و الشـــعب المسلم فأراح العباد و البلاد من شرهم لتعيش الأمة الإسلامية تحـــت رايـــة الخليفة أمير المؤمنين و ظل الله تعالى في العالمين حياة العرفان و

---

[٩] : نوح ٢٧

العــدل والوحــدة و الحــرية و المثل العليا و إشتراكية المساعي و الحمد لله رب العالمين.

العـــدالـــة

رفـــع هاتفه النقال بعد ما رن أكثر من مرة الساعة الرابعة صباحا الطبيب الأخصائي الإستشاري في أمراض القلب جان جوك قبل الدوام الرسمي بأكثر من ثـــلاث ســـاعات، و إذ به يسمع صوت سيادة الوزير بران أوك سي يخاطبه على عجـــل و قد بدا على صوته بعض الإضطراب معتذرا منه على إزعاجه إياه في غير الوقت المناسب، لكن للضرورة أحكامها .

قـــائلا له: إنـــه قد حصل على إتصال هاتفي من قبل فخامة سفير المملكة المتحدة الجماهيرية العالمية الديمقراطية الموقرة السامية المكرمة المبجلة المحترمة اللاهوتية الإلهية الإسلامية يبلغه بأن سيادة قاضي قضاة الدولة الإسلامية العظمى سيشّـــرف الـــبلاد بطائـــرته الخاصـــة البراق ٢٠٩٧ هذا الصباح برفقة عدد من الوزراء السامين و المشايخ المكرمين و الحرس المتطوعين و التلامذة الإنتحاريين و هم جميعا ضيوف الشعب و الدولة .

و عليه فلابد من تجهيز الجناح الخاص في المستشفى الملكي للملكة جاكلين لاســـتقبال قاضـــي الأمة الإسلامية ليقضي أيام علاجه و نقاهته فيه و ما أن ختم الوزيـــر كلامـــه حـــتى بدأ الدكتور جان قبل وصوله إلى المستشفى إتصالاته مع زملائه الأطباء و على رأسهم زميله جينغ جانغ جينك المشرف العام على شؤون المستشفى لإعداد ذلك الجناح بما يحتاجه من أمر إضافي ليليق بشأن الوفد الكريم مع ما يحيط به من فندق تقدّر نجومه بعد عناء العد و الإحصاء المستغرغ بضعة أيام بسبعة آلاف نجم .

و عـــند الســـاعة العاشـــرة صباحا بإذن الله ﷻ و توفيقه وصل إلى قاعة المستشـــفى سماحة العلامة الجليل شيخ الإسلام و ملاذ الأنام مظهر تجليات العدل الإلهـــي للملـــك العلّام المسمى باسمه المستعار المقلوب عن أصل لشأن أمني بعد الإختصـــار ب(يلـــخ) فأستقبل إستقبالا ضخما من قبل بعض المغتربين المعجبين بســـماحته و راح كـــل يهتف باسم بطل الأمة و سيفها البتار مشبها إياه بمن يعتقد عظمهم من السلف الماضين فهذا يصيح أهلا بسيف الإسلام يا خالد و ذاك يصيح مرحـــبا بفـــارس الأمة في ليلة الهرير يا مالك محييّن بقدومه إلى بلده الثاني بين إخوانه المسلمين وغيرهم.

راجيـــن منه أن يتمم عليهم الفرحة بمزيد من قاطعيته المعروفة عنه بازاء المفسدين في الأرض إذا ما شافاه الله ﷻ و عاد سالما غانما إلى أرض الوطن.

و لمـــا رأى الشـــيخ ذلك الحماس من جمهوره صار بركانا على أعداء الله تعـــالى فأصدر حكمه العدل من قاعة المستشفى على خمسة آلاف سجين بالإعدام مستشـــهدا ببعض كلمات نفسه القصار التي كان قد ألقاها قبل أشهر من سفره هذا فـــي مســـجد من مساجد البلاد الإسلامية بعد مسيرة مليونية قائلا:إن كان هؤلاء المعدومـــون أبـــرياء فأتمنى لهم أن يجعلهم ربهم يوم الحشر في عداد الشهداء و الصالحين و إن كانوا مفسدين في الأرض فإلى جنهم و بئس المصير.

فكـــبّر الحاضـــرون و هللوا و غمرتهم الفرحة لنصر الله المبين ، ثم توجّه فـــارس الأمة و سيفها البتار و قاضي عدلها ليخضع لفحوصات عدة قبل الدخول على أخصائي أمراض القلب .

فأشـــارت إلـــيه الممرضة بعد ما استقر مع محافظيه و حاشيته في جناحه الخـــاص به أن يتكرم عليها بالصعود على آلة تشخيص الوزن، فلما اعتلى عليها ســـماحته مســـحت الممرضـــة مزتين إلى ثلاث مرات عينيها ثم قالت أُه مستر ،

فاستغرب شيخنا القاضي من نظراتها وما هي عليه من الدهشة أهو إعجاب به أو منه، و طلب على استعجال المترجم الخاص، فقال له: يا مولاي إن هؤلاء يعيشون الرشـــاقة حبا في الدنيا لتطول أعمارهم فإذا رأوا من لا يفكر في الدنيا و لا يبالي بســـبل الـــبقاء فيها طويلا راحوا منه يعجبون، فلا تعر لها أهمية يا سيدي فنحن اعتدنا أن لا نبالي بما يراه الجاهلون نقصا .

ثـــم التفتت الممرضة إلى الطبيب فقالت: مستر جان جوك إن وزن المستر يتراوح بين الستين و السبعين بعد المائة و لكن بعد لحظات من التفكر قال الطبيب لها: هل كان هذا الوزن للمستر حين تجرد من رسميات ثيابه أم قبل ذلك.

فقالـــت له: بـــل قبل ذلك، فقال لها:جددي الاختبار مرة ثانية الآن ،فوجدت الشـــيخ عـــندها لا يـــتجاوز المائـــة و الأربعين كيلو غراما فزادت دهشتها لأنها أصـــبحت لا تـــدري هل المشكلة في آلة الوزن أم في أمر آخر، ثم سألت شيخنا القاضـــي عـــن عمره الشريف، فقال:إني بحمد الله ﷻ بلغت الواحدة و العشرين ســـنة، ثم راحت لتقيس الطول و العرض و المحزم فطار عند ذلك عقلها فوقفت مندهشـــة تفكّـــر في نفسها أنها تعيش المفاجآت في هذا اليوم فهل من المعقول أن يكون العرض للمستر أكثر من الطول و أن لا يوجد للمستر محزم ؟!

فنظر إليها الدكتور جان جوك بشزر فالتفتت إلى أن لكل أمة جمالية تناسب حضـــارتها ظانة أن هذا من جمالية لوازم هيبة قاضي الإسلام و لم تعلم المسكينة بأبعاد أخطائها و أنّى لأمثالها بذلك لتعلم حضارة الإسلام و أبناء الإسلام عن واقع شرعهم يحيدون وعن معرفة أعماقه يعجزون.

و مـــن بعد المقدمات اللازمة، حوّلت القاضي إلى المستر جان جوك فأخذ يدقق النظر في القلب و في كل شيء يرتبط من قريب أو بعيد بشؤونه فتوصل بعد فحوصـــات أن هـــناك مشـــكلة أخرى يعاني منها القاضي المبجل فنادى المترجم

الخاص و أبلغه بسرية متناهية أن من اللازم الإستعانة بلجان الأعصاب و الدماغ و اتصـــل بالمشـــرف العام لشؤون المستشفى الدكتور جينغ جانغ و طلب منه أن يعمـــل اتصالاته اللازمة مع الأخصائيين و يأخذ لسماحة القاضي المواعيد بعد ما يعافى من أزمته القلبية بعد إعمال التدريبات لخفض الوزن و تقليل نسبة الأكل بعد مراحل في غضون أشهر حتى يصل سماحته إلى المستوى المتعارف.

فـــبقي سماحته تحت الرعاية المركزة ستة أشهر ثم عاد إلى أرض الوطن برفقة من تشرّف بمحضره أيام السفر ليقوم في الديار الإسلامية بمهامه المخوّلة إليه بعدما دفعت الجهات المختصة مبالغ السفر و المستشفى لفارس الأمة الإسلامية و رفاقه الكرام.

و اســـتقبل فـــي البلاد استقبالا حارا طالبه خلاله الكثير من الغيارى على الشرع القويم أن يقطع دابر المجرمين المفسدين في الأرض.

فقاد بعد يومين من وصوله مسيرات حاشدة توعد فيها العلماء و على رأسهم رجالات الدين الذين عرفوا بالكفة المعارضة و المثقفين أيضا ثم أمر بالهجوم على مـــنازلهم و أحـــال الكثـــير منهم إلى السجون وحكم على البعض بالإعدام و على آخرين عرفوا بشعبيتهم و مكانتهم الدينية و العلمية بالإقامة الجبرية، كل ذلك منه كان خدمة لشرع الله ﷻ.

و تصـــدى بعـــد أيام لرئاسة المحكمة لتصفية المعارضين فصفاهم أفواجا أفواجا على الظنة والتهمة لغاية نبيلة سامية و هي تقوية بنية النظام الإسلامي الذي هو غاية الإسلام و المسلمين وبه تحقيق سبل السلوك لرب العالمين ثم أذن للناس و الإعلاميين على اختلاف طبقاتهم بالحضور لديه في صلاة الجمعة و خطب على رؤوس الأشهاد خطبة توعد فيها كل من تسوّل له نفسه بالتفكر فيما يخالف النظام

الإسلامي برئاسة من له الصلاحيات المطلقة و هو زعيم الأمة الإسلامية ثم أجاب بعد ذلك على أسئلة الصحفيين.

فسأله صحفي من قارة آسيا مسمى بجونغ جينغ جيغ كيف أمر سماحته في يـوم واحـد بإعدام خمسة آلاف من المتهمين و محاكمة الواحد منهم قد تستغرق الأيام إن لم تحتج إلى عدة شهور؟!

فأجاب سماحته مستغربا من غباوة هذا السائل و هو يدعي أنه من المثقفين قـائلا: هاهنا تكمن الأخطاء أيها السائل،فإنك أبصرت شيئا و غابت عنك أشياء، فنحـن ببصيرة مصلحة النظام لا نقع فيما وقعتم فيه أنتم من الأخطاء حتى تجاوز عددكـم المليار إنسانا و قد فتح الله ﷻ لنا أبوابا ببصيرة الإيمان فعرفنا بمرونة إسلامية كيف نحدد النسل ،فالمتهم كما أشرت أنا في بعض بياناتي السابقة إن كان مجـرما ففـي الـنار و بئس المصير و إن كان بريئا فالله ﷻ يجعله في عداد الشـهداء و لكـن لعلك تظن أنّا عرّضنا بيت المال لأزمة اقتصادية بقتلنا لهؤلاء المفسـدين في الأرض ،فهذا وهم يصيب من لم يعرف الأبعاد الإسلامية بأعماقها الحركية و ذلك لأن الأخصائيين في علم الاقتصاد الإسلامي قرروا أن يؤخذ ثمن الرصاص من ورثة المتهمين إن لم يجدوا للمقتول تركة.

فانبهر السائل الجاهل بالمعارف الإسلامية بما حصل لديه من متانة أجوبة القاضي المبجل و أصبح بعد الجهل متنورا ثم استأذن الصحفي سماحة القاضي أن يتكرم عليه بسماع الشهادتين في محضره الشريف ليصبح في عداد المسلمين.

ثـم أشار القاضي لصحفي آخر أن يطرح أسئلته ، فقال المستر بلاك داق جانسـون :هـلا فتح الإسلام المجال للمتهم بالدفاع عن نفسه باختيار المحامين و الاستئناف للحكم بعد صدوره؟

فتبسم القاضي، ثم اعتصر قلبه الألم و الأسى فتبدلت ملامح وجهه و بقى صـــامتا بعض اللحظات ثم إنهملت عيناه بالدموع حتى بللت دموع عينيه كريمته المـــباركة ثـــم تنفس الصعداء و علت نبراته بالحسرات و عندها استعان بأطراف عمامته فمسح عينيه و أنفه الشريف ثم التفت إلى السائل فقال: لا عتب عليك أيها السائل فإنكم شغلتكم دنيا الغرور بزهوها و أهازيجها و بهرجتها و زخارفها وإنما العتـــب على من يعيشون في بلادكم من المسلمين فإنهم كيف تركوكم جهالا و قد مـــرّ علـــى دعوة رسول الله ﷺ أكثر من ألف و أربعمائة سنة، و لكن لا البيان الـــيوم يـــنقص من شأني و إن كنت قاضي الديار الإسلامية و لا الإستماع للحق بعض اللحظات من العمر يفوّت عليك ملاذ دنياك الفانية.

فاعلم إن كنت أهلا لدقيق المعارف و أعماقها: إنما يحتاج إلى الاستئناف و المدافعين عنه من لم يعش واسع الرحمة و الحيطة في الحكم و التثبت في مجاري الأمـــور و العلم الواسع المحفوف بنور الإيمان و هي محاكمكم أيها السائل و أما نحن فأحن و أرأف على المتهمين من أبناءنا و لو كانوا جناة منحرفين مفسدين في الأرض.

فهـــم في كنف العطف و الرحمة و الحنان و الود و العلم و المثل و القيم و الأمـــن و الأمـــان والعفو و اللطف و الإخاء و الصفح و... يرتعون و ها أنا أيها الســـائل قد أقمت عليك الحجة البالغة ليوم لا ينفع فيه مال و لا بنون، اللهم اشهد فإني قد بلغت، اللهم اشهد فإني قد بلغت، اللهم اشهد فإني قد بلغت.

ثم أشار القاضي لصحفي آخر بطرف حاجبه أن يطرح أسئلته لكي لا تبقى لأحد شبهة في فهم أبعاد شريعة السماء وبالأخص في مجال القضاء الإسلامي فقال لـــه صحفي يسمى عباس علي تقي خان: يا سيادة القاضي تتبّعنا عشرات الآلاف مـــن الذيـــن صدر في حقهم الحكم بالإعدام في بلادكم الإسلامية عدلستان فوجدنا

مصادرة الأموال تتعدى المتهم نفسه لتعم أقاربه من الدرجة الأولى كأبنائه و أبويه و زوجته و لكن ما تمكنا أن نعرف ما هو مستند هذا الحكم في الشريعة الإسلامية في حين أن رسول الله ﷺ هو القائل: **﴿ما أوذي نبي مثلما أوذيت﴾** لم يأمر بمصـــادرة أموال أعدائه عند ما فتح مكة المكرمة و هم من أكابر رؤساء الكفر و الشرك و كذلك ما حدّث التأريخ أن عليا عليه السلام عندما هزم أعدائه في معركة الجمل أمر بمصادرة أموالهم و هم مسلمون بل قال: أما و الله لو أن أحدا أخذ درهما من أحد لأقمت عليه حد الله تعالى.

فأجابـــه القاضـــي قائلا: إن ما جرى من مصادرة الأموال من قبل المحاكم الإســـلامية إنما كان بالعنوان الثانوي لقطع دابر المجرمين لكي لا يحصل أقرباء المقتولين على منابع المدد المالي فهو من العمل الوقائي و ما حكم به العقل حكم به الشرع القويم و إلا فكلامك حق لا ريب فيه من أنه ليس هناك من عنوان أولى يجيز مصادرة أموال المتهم نفسه فضلا عن مصادرة أموال أقرباءه فقال الصحفي: يا سيادة القاضي مما أجمعت عليه الأمة الإسلامية أن الإسلام دين العفو و الصفح و قـــد عفـــى رســـول الله ﷺ عن أعدائه و أعداء المسلمين و الإسلام جميعا بل تجـــاوز مرتبة العفو إلى التكريم لتجسيد المثل الإسلامية حينما قال بالنسبة إلى ألدّ أعدائـــه و رئـــيس الكفر و الشرك أبي سفيان: **﴿من دخل دار أبي سفيان كان آمنا﴾**.

و إن قلـــت إن العفـــو إنما كان من الرسول بازاء الكفرة لا المسلمين لكان عمـــل علـــي عليه السلام الذي هو شرح تطبيقي لسيرة رسول الله ﷺ أكبر شاهد على جـــريان العفو عند المقدرة مع المسلين المنحرفين المجرمين أيضا كما صنع عليه السلام بعـــد حـــرب الجمـــل فعفى عن كافة الناس حتى ألدّ أعدائه كعبد الله بن الزبير و مروان ابن الحكم.

فقال القاضي: حقا ما تقول هذه هي سيرة المعصومين عليهم السلام جميعا و لا نزاع لأحد في ذلك إلا إن الدنيا دار اختبار و تجربة و قد علمتنا التجارب أن الصـــفح و العفـــو قد يعرّض الحكم إلى الأخطار و لذا فلتت أزمّة الأمور منهم ـ عليهم السلام ـ و تجرأ عليهم من تجرأ و نحن لا نعيد تجربة تعرّض الحكم القائم الإسلامي إلـــى خطر و أي قيمة لزيد أو عمرو بازاء الغاية المنشودة القصوى و هي النظام الإسلامي المبارك الميمون.

ثم قال القاضي: كفى أيها الصحفي أسئلة من هذا القبيل إفسح المجال لغيرك ليطرح أسئلته بعد ما تنورت بما أرشدناك إليه من عظيم المطالب تحليلا و شرحا لرســـالة السماء و إن كان فهم أعماق هذه المطالب بما يناسب الزمان و المكان و التصـــرف بحســـب ما تقتضيه العناوين الثانوية و الشأنيات المثالية لأبعاد الولاية الإســـلامية لـــولاة المسلمين تحتاج إلى عقود من الزمن درسا و بحثا و إجتهادا و تحقـــيقا لا تـــتحملها خلفـــيات العامة و لا عقولهم، فدع ما ليس من شأنك لأكابر العلماء.

ثـــم سأل صحفي آخر يسمى حسين بن جعفر الهاشمي القاضي قائلا: كيف تـــريدون الإصلاح بتنفيذ أحكام الله عزّ وجلّ بإقامة الحدود و التعزيرات كقطع اليد و الـــرجم و الجلـــد في حين أن أسباب الأخطاء لم ترفع و من المعلوم أن المسببات تابعـــة لأسبابها فالفقر يسوق إلى كثير من الأمور و قد كاد الفقر أن يكون كفرا و الإســـلام حســـن جميل مادام كسلسلة واحدة منظومة و إلا فلا يحسن قطع اليد في ظل حاكم جائر و عالم يكتم حقائق الأمور أو يقصّر في بيانها و إيصالها إلى الأمة و تاجر يبخل في أداء الحق الشرعي و شاهد لم تثبت عدالته و متهم لا حق له في جرح الشهود .

فمـــن هـــو الأولى بأن تقام عليه الحدود أيها القاضي أهو سارق قميص أو تفاحة من دكان لفقره لا من حرز و لم يبلغ السعر ربع دينار ذهبي أو سارق بيت مـــال الأمـــة مـــن حاكم أو عالم أو قاض لم يحكم بعدل وعالم يكتم علمه مداراة لأصحاب السلطات أو العامة خوفا من أن يخدش أحاسيس تاجر أو صاحب عنوان و مكانـــة و كيف أقيمت أو تقام حدود الزنا و قد علقها الله ﷻ على أربعة شهود عدول يرون الميل في المكحلة و هو أمر كاد أن يكون من المحال وقوعا و إن لم يكـــن من المستحيل ذاتا و ما ذاك إلا رعاية للستر من جانب و جعل حدود لردع المســـتهترين الذين يرتكبون الفسق و الفجور في الملأ العام ليدفعوا بالمجتمع كما فـــي بعـــض مدن الغرب إلى حضارة الإباحية و الإنحلال و عليه فلا أدري كيف أقيمت مئات الموارد من الحدود و الإنسان المتزوج الآمن من إقامة الحدود طول عمـــره لـــم يشاهده أربعة عدول يرون الميل في المكحلة، فمن أين حصلتم على هـــؤلاء العـــدول في أغلب بلادكم أيها القاضي المبجل و رحتم لترجموا و تجلدوا عشرات الآلاف من الناس في بلادكم ؟!.

و لمـــاذا هذه الغيرة على دين الله ﷻ في إقامة الحدود و لو بالشبهات و لم تحصل هذه الغيرة بإقامة الحدود على سراق بيت المال و من سببوا بظلمهم الفقر و الجهـــل حتى انساق الكثير من أبناء الأمة إلى المفاسد و نحن نشاهد الإمام عليا عليه السلام يقول للمرأة المقرة بالزناء أمامه لعلك قبّلت يريد لها الستر و العفاف.

و لمـــاذا الغـــيارى على دين الله ﷻ يعيشون الترف في القصور و شاب لفقـــره وعـــدم تمكنه من الزواج لغلاء المهور و عدم بذل بيت المال له الأموال للعمل أو الزواج تقام عليه الحدود و الحدود لا تقام إلا بعد تحقيق شرائطها.

فأيـــن العلماء الآمرون بالمعروف و الناهون عن المنكر عنك و عن أمثالك مـــن الظلمـــة أيهـــا القاضي الذين هم كصوارم الحتوف في مواطن الحيطة على

صـــحة الوضوء و تشجيع الناس على دفع الحق الشرعي في حين أنهم يعيشون التساهل عن أمثالك من ظالمي هذه الأمة و مشوهي شرعها القويم.

فغضـــب القاضي غيرة على الإسلام و المسلمين و أمر بإخراج الصحفيين من قاعة الإحتفال و إعتقال العديد منهم و إغلاق مكاتب عدد آخر، ثم سمع العامة مـــن خلال منابع الإعلام بعد أيام بانتحار بعض المعتقلين في السجون، فأراح الله ﷻ بقضائه و قدره و عظيم مشيئته البلاد و العباد من شر هؤلاء الصحفيين حين ألهمهم الانتحار و وفق سيادة القاضي بإصدار حكمه بإخراج بقية الصحفيين غير المسلمين من الديار الإسلامية فله الشكر و المنة على نعمائه على أمة محمد صلى الله علـــيه و آلـــه كما كانت له المنة من ذي قبل حينما أمر الجن بقتل أحد أكابر الصـــحابة فـــي الصـــدر الأول الإسلامي إعزازا لدينه عندما خالف النظام القائم الإسلامي!!!

ضياع الأمة

بين نسيج التقديس و هذيان التفسيق

هلم معي يا أخ السلام لنمشي ساعة في ظلال سماء تجلى أفقه ناصعا حيث السكينة و صفاء القلوب لنشم نسيم الصبح بعيدا عن كدر مهب عواصف الدهور في ليلها المطبق و لنسمع في فسيح من الآفاق أنغام الملكوت همسا هادئا يناغم بصدى أوتاره بطون صحائف الوجدان حيث يكون طرب العشاق حين أنسها بدقائق الألطاف على ضفاف شواطئ النور لنطلق الطرف حرا غير مقيد بنسيج زخارف التقديس و هذيان شطط التفسيق لنرقى بمدارج عزلة أصحاب الكهف لشهود بحور قدس هي الأنفاس المحمدية العلوية لتهدأ النفس بعد اضطرابها و ضياعها في بقاع خلد هي سماوات ذوي الألباب في محفل صدق لنعيش لحظات من العمر في رحاب عظيمٍ قام ليطفئ شمعة كان قد أشعلها بعمق مدارج الإيمان ثم راح ليطفئها بقرارة الإيقان ، لم تأخذه في الله لومة لائم.

عندما يكون تجسيد الحق بعيدا عن معرفة الحق بالرجال و تقديسهم على حساب رسالات السماء و عندما تتهاوى العناوين مهما طالت و كانت قطارا من الألقاب ليعيد بعدها الكَرة صاحبها بإشعال شمعة أخرى يؤتى إليه بها من بيته كان قد ملك قوام أمرها بعرق السعاة إلى مسالك الرضوان، نزيها عن صنع قوائم رسالات السماء بأوتار عناكب الأوهام و أكداس الصحف المجوزات لنهب بيت المال المدعومة بجيوش الشأنيات و جميل زخارف التأويلات بدوافع المبررات ثم لنلقي يا أخ السلام نظرة أخرى إلى حديدة محماة يدنيها من أخيه و هو يأن من ألم

الفقـــر و الحـــرمان قبل أنينه من لظى النيران، كل ذلك خوفا من تقديم ذي رحم علـــى حســـاب الشرع القويم لنعيش لحظات من العمر في سوح وصال العاشقين ليصـــبح البصـــر حديـــدا يربو بطهر النفس عن مزالق حضارات الجاهلين و إن أجلست بزخرفتها في مسالك المتقين.

فأين رجل الحق و العرفان من هذه الأزمنة ليشهد إعطاء عشرات الآلاف مـــن العاطلين علما و عملا من بيت المال و الحق الشرعي تحت شعارات فارغة مـــنها ... و مـــنها... حـــتى راحت لتصبح بعد طي القرون شريعة، المتأمل في صـــحتها مـــنكر لضـــرورة من ضروريات الشرع القويم و هو في الوقت نفسه متطاول على أعاظم رجالات العلم و الدين .

فـــيالها من مأساة حينما تسحب الشريعة لتتمشى و خطى الرجال بدلا من ركوع قوامها أمام صفاء نداء الأنبياء و الصديقين الذي به حياة القلوب حينما يدعو داعية السلام محمد ﷺ قائلا: ﴿ **إعـرفوا الحق تعرفوا أهله** ﴾ و حينما يقول لســـان صدقه علي عليه السلام: ﴿ **إن الحـق لا يعرف بالرجال إعرفوا الحق تعرفوا أهله**﴾.

لكن الأمة أبت إلا أن تعرف الحق في نواصي الرجال فذاقت وبال أمرها في ضنك ديار الجاهلين لتعيش حلّية الربا تحت ذرايع الحيل الشرعية و أكل الثلث من الحق الشرعي تحت ذريعة الجباية و التسابق لإعطاء الوكالات لغير أهلها من الـــبعض تحـــت شعار تشخيص الأولويات و التمويه في صياغة التعابير بإعطاء البعض ما يبدو منه عند العامة بإجازة إجتهاد و فقاهة تحت غطاء عدم المسؤولية إن كانت العامة لا تفهم المصطلحات .

و لـــيس الكلام مع من رفع عنهم القلم أتباع بيعة الفلتات الذين صنعوا من الأمـــة قطيعا يتبع رغبات الحكام بل مع من يعنيهم الخطاب من أهل الولاء و لكن

قــبل الدخــول فـــي صلب الموضوع رأيت من اللازم التعرض بقدر ما لظاهرة الـــتقديس التي دفعت بالبعض إلى وديان التشنيع و التفسيق حيث يسوق التقابل إلى التضـــاد و هو أمر معقول حيث أن الإفراط يدعوا إلى التفريط عندما تفقد موازين الاعتدال.

فكلمـــة **قدس** قدسا بمعنى طهر و تبارك و قدس اللهﷻ فلانا أي طهره و بارك عليه و نزهه و التقديس هو التنزيه .

و القـــدوس مـــن أسمائه تعالى و هو الواجب الوجود بذاته المنزه عن كل نقـــص و تقديسه تعالى تنزيهه عن شؤون الإمكان و ليس بخفي لدى العارفين لا الجّهال المتحجرين بأن له تعالى في عالم الإمكان مظاهر لإسم القدوس و هم الذين أرادهـــم مظاهـــر أسمائه الحسنى فنزههم عن الخطأ و النسيان حينما اختارهم و إنتجـــبهم في قديم علمه بواسع رحمته أزلا ليقيم بهم الحجج و يجعلهم منار هدى على اختلاف مراتب أوليائه و تجليات أسمائه و صفاته فيهم و على رأسهم محمد المصطفى و نفسه الزكية علي المرتضى و أبنائه الهداة الميامين عليهم السلام.

فالعلمـــاء الربانـــيون الراســـخون في العلم أظهر مظاهر أسماء الله ﷻو الفقهـــاء الصالحون المتقون هم المتعلمون على سبيل الرشاد ، لكن علينا كمسلمين أن لا نقـــع فيما وقع فيه الكثير من الأمم من تقديس الرجال بدلا من تقديس الحق المتجلي في الكتاب و السنة و السيرة لأولياء الله ﷻأو تقديس الصحابة و العلماء بدلا من الشرع .

فالـــتقديس شـــأن نصـــراني تربت عليه نفوس النصارى في نظرتهم إلى قساوستهم و رهبانهم و هكذا هو شأن اليهود بالقياس إلى الأحبار حيث راح اليهود يقدســـون الأحبار و بالأخص الحبر الأعظم ، في حين أن المتتبع لحياة الأنبياء و الأوصياء يجدهم قد عاشوا أشد ما يكون من العناء و البلاء من أممهم و الكثير من

المنتســـبين إلـــيهم حينما كان الحق واقعا و الشرع صراطا و ذلك لأن الناس عبيد الدنيا ، قبل أن تدخل الأهواء لأصحاب المصالح بصنع دين تستذوقه العامة يرضي التابع و المتبوع و يناسب جهل الأمة.

أجل تقديس الرجال يسوق إلى التصنيم و عبادة الفرد على حساب الدين و يفـــتح الباب بمصراعيه أمام أبناء الدنيا لتحقيق كلمة حق يراد بها باطل كما شوهد ذلـــك بعـــد وفـــاة الرســـول ﷺحينما انقلبت الأمة على الأعقاب فراحت لتقدس الصـــحابة و الرجال مع خروج بعضهم عن مسلمات الشرع و تلاعبهم بمقاييس الدين المبين.

و قد ورد في تفسير الآية الشريفة و هي: ﴿ **و اتخذوا أحبارهم و رهبانهم أربابا من دون الله و المسيح بن مريم و ما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون**﴾ [1]،فعن رسول الله ﷺ : ﴿**بأنهم قبلوا منهم التحريم و التحليل بخلاف ما أمر الله تعالى**﴾.

و الأحـــبار جمـــع حبر و هو العالم و غلب استعماله في علماء اليهود و الرهبان جمع راهب و هو المتلبس بلباس الخشية و غلب استعماله على المتنسكين من علماء النصارى.

فاتخاذهم أربابا من دون الله ﷻإصغائهم إليهم و إطاعتهم لهم من غير قيد و شرط و معرفة، متبعين إياهم بلا دليل و لا برهان.

و قد ورد في جواب سؤال سائل من أبي عبد الله عليه السلام أنه قال ﴿**أما و الله مـا دعوهـم إلى عـبادة أنفسهم و لو دعوهم ما أجابوهم و لكن أحلوا لهم حـراما و حرموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون**﴾ و في حديث

---

[1] التوبة ٣١

آخر ﴿**و الله ما صاموا لهم و لا صلوا لهم و لكن أحلوا لهم حراما و حرموا عليهم حلالا فاتبعوهم**﴾ وقد أخبر بتحقيق ذلك الرسول الأعظم ﷺفي أمته كما عن أبي سعيد الخدري حيث قال: ﴿ **لتتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه ، قلنا يا رسول الله اليهود و النصارى ؟قال : فمن!** ﴾.

تاركين وراء ظهورهم قول رسول الله ﷺ: ﴿ **اعرفوا الحق تعرفوا أهله** ﴾ و قد حدثنا أهل السير عن علي عليه السلام أنه لما قرب من مشارف البصرة بعث رسله إلى رؤساء المتمردين الناكثين للعهود و البيعة يذكرهم ما هم به عالمون ، فإنه من بعد إقامة الحجة و إصرار القوم على العناد أخذ عليه السلام يكتّب الكتائب و يقسم الرايات و إذ بكثير ممن جهل حقائق العرفان جاء مستغربا يسأل باب مدينة علم النبيين قائلا: يا أمير المؤمنين أأنت مقاتل هؤلاء القوم و فيهم طلحة و الزبير حواري رسول الله ﷺ، و كذا فيهم أم المؤمنين زوج رسول الله ﷺ فأجاب عليه السلام صادحا بالحق :﴿ **إن الحق لا يعرف بالرجال و لكن إعرفوا الحق تعرفوا أهله**﴾.

أجل القداسة و التقديس للحق المتجلي بالكتاب و السنة و من هم القرآن الناطق و هم المعصومون عليهم السلام لكن الأمة قد أصيبت جراء الانقلاب على الإعقاب بما أصيبت به الأمم السابقة من تقديس الرجال بدلا من تقديس الرجال بالحق و قد عم هذا الانحراف الأمة على اختلاف مذاهبها فصار حضارة في النفوس بحكم هيمنة منهج الأغلبية و قد عانت الأمة و مازالت تعاني طيلة هذه القرون من رواسب حضارة الجاهلية عندما راحت الأمة بعد ابتعادها من مناهج الشرع بعد ما أمرت بمعرفة الحق لتعرف أهله لتنظر الحق في وجوه الرجال صحابة أو علماء.

و إني لم أقصد بقولي هذا التقليل من شأن رجالات العلم و الرشاد الذين جسدوا العلم بواقع العمل بخطى الرسالة الذين هم من جملة حجج الله ﷻعلى خلقه و لكنـــي أريـــد القـــول بأن الأمة تحتاج إلى معرفة مقاييس الرسالة حتى لا تفتح الأبـــواب لمن يصطاد في الماء العكر من علماء السوء في كل دين و مذهب الذين يلعبون بمقاييس الحق علما و عملا باسم الله ﷻ و أنبيائه و خاصة أولياءه .

و إن من المعلوم أن هناك حقا و باطلا و أن رجال الباطل هم الأكثرية في كافـــة ميادیـــن الحياة و أن من سنن الله ﷻاختبار الأمة بكافة ما أختبر به تعالى الأمم السابقة و من جملة أشد مواطن الاختبار اختبارهم بعلماء السوء و بالأخص إذا كـــانوا بمظاهر القدس و الصلاح بما لهم من المقدرة على تلبيس الباطل بالحق أو بكلمـــة حـــق يراد بها باطل و إن كان لا مجال لذلك إلا من خلال جهل الأمة حينما تريد أن تعرف الحق بالرجال.

اللهـــم وفقـــنا لمعرفة رجال الحق بالحق و اجعلنا أعوانا لهم لتحقيق سبل الرشاد و الشرع و أبعدنا عن حضارات الجاهلية بتقديس الرجال على حساب دينك القويم.

و قـــد كتبـــت هـــذا و أنا على علم تام بتألم كثير من أصحاب المصالح و ضجيج المقلدين لكل سيرة ضربت بأركانها على وجه الأرض و لو كانت خطأ كما و أني على علم تام بمقالة قوم آخرين بأن كاتب هذه الأسطر مدفوع من قبل البعض للنيل مـــن قداسة ما لا تضر بهم مثل هذه الأباطيل بدلا من السعي لإصلاح ما يعلمون بقرارة نفوسهم من عشرات الأخطاء و التحريف لسنن رب العالمين لكنني اعتدت منذ زمن طويل أن لا أبالي بمثل هذا الزبد في مجتمع راح الكثير منه ليعبد الرجال من دون الله ﷻ .

و لمزيد من التوضيح و البيان أذكر نموذجا من سيرة الهداة المعصومين عليهم السلام و أدع الحكم لأهل العلم و الإنصاف مقرا بعجزي التام و معلنا استسلامي المطلق بازاء أهل الجدل و أصحاب الاختصاص لتأويل الواضحات و لو كان المقام نصا جليا لا يقبل التأويل و التفسير.

فمن سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما أشار إليه علي عليه السلام حينما قال: ﴿ **كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طبيبا دوارا بطبه**﴾ .

أي كان بعيدا عن الشأنيات و العناوين و الألقاب و التفاسير للعناوين الثانوية بمنظار المصالح الشخصية التي أخرجت الأمة في كثير من المواطن عن سيرة المعصومين تحت عناوينها الخلابة فقد كان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يذهب بنفسه داعية للحق ليرشد الناس في مدنهم و قراهم إلى الله سبحانه وتعالى طاردا رواسب الجهل ، معالجا أمراض القلوب .

و قد كان علي عليه السلام يعيش حياة الأمة يتفقد بنفسه الأرامل و الأيتام و يقضي حياته بين الجموع في المسجد أو السوق عند ميثم التمار و هو آنذاك زعيم الأمة الإسلامية.

و قد رويت الأحاديث المتعددة عن الأئمة الكرام عليهم السلام تبيّن سيرتهم لإحياء الأمة و من جملة ذلك ما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام بما مضمونه أنه بعث أحد أصحابه المقربين إلى بعض قرى الحجاز أو العراق ليخبرهم بعزم إمامهم القدوم عليهم و لكن المبعوث لما صار إلى تلك القرى و وجدهم بما هم عليه من الجهل، لا يميزون بين الحق و الباطل و لا بين طهارة و نجاسة و إن كانوا من محبي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فكتم الخبر و لم يبلغهم بعزم الإمام و رأى أن مقام الإمام أرفع من النزول إلى مثل هذه القرى و لما عاد إلى الإمام و أخبره الخبر غضب عليه الإمام عليه السلام غضبا شديدا و أمره بالرجوع إليهم مرة ثانية و استمر عليه السلام بالذهاب إلى تلك

القرى ثم بعد أكثر من عشر سنوات خاطب صاحبه قائلا يا فلان :أتريد أن يكون هـــؤلاء كأنت و قد عاشرتني و عاشرت أبي من قبل أكثر من أربعين سنة ؟ فما تقول في حقهم الآن ؟ فأجاب : إن الحق ما رآه سيدي جعلت فداه.

فنتســـائل بعـــد هذا المختصر لجانب من جوانب السيرة لأهل البيت عليهم السلام لإحـــياء الأمـــة،هـــل نجد لهذه السيرة مصداقية في حوزاتنا و بين علماءنا على اختلاف طبقاتهم و بالأخص أكابر الفقهاء منهم أم أنهم معتصمون بالنجف الأشرف و قـــم المقدسة لم يرهم أهل المدن فضلا عن القرى و الأرياف فلماذا هذه العزلة عـــن واقـــع حـــياة المجتمع و متى تعيش قرى البصرى و الناصرية و كرمان و خراسان صيفها و شهر رمضانها مع علمائها الأعلام حياة الآباء مع الأبناء .

و أدع الإجابة و الحكم لأهل العلم و الإنصاف كما قلت مسبقا بعد الإقرار بالعجـــز المطلـــق عن مناقشة رواد الجدل و أصحاب الاختصاص في التبريرات بدلا من الإصلاح لثغرات راحت لتعصف بالطائفة و تراثها لو لا اللطف الإلهي و أنفاس قدس صاحب الأمر (عج) .

و هناك العشرات إن لم تكن المئات من الثغرات التي يجب إصلاحها قبل فـــوات الأوان داعـــيا الله سبحانه وتعالى أن يوفـــق الأمة بقياداتها العلمية لإصلاحها إنه ولي التوفيق.

شيخ المكفرة يستغرب من التكفير

لســـت أدري كيف يبدأ الحديث مع أقوام لهم من غريب الأمر ما يضحك الثكلى و إن كانت الدنيا بأعين العارفين و بصيرة المتألهين ذوي اللب تحمل الكثير ممـــا يضـــحك الثكلى في موازين العقل و سلامة الفطرة و إن كان ذلك مألوفا لا يضحك أحدا في محافل الغافلين .

و لـــيس بخفـــي على الفطن النبيه أن ما يضحك الناس يختلف باختلاف العقـــول و الحضـــارات ، فرب مضحك قوم لا يضحك قوما آخرين و ما يضحك الطفل الصغير لا يضحك البالغ العاقل و ما يضحك الجاهل قد لا يضحك العالم و ما يضحك الشرقي قد لا يضحك الغربي و ما يضحك المسلم قد لا يضحك المشرك و الكافر و ما يضحك المعتوه السفيه قد لا يضحك الكيس الرشيد .

و مـــا يضـــحك أبناء الدنيا و يدفع بهم إلى الإستغراب قد لا يضحك أبناء الآخرة و لا يدفع بهم إلى الإستغراب .

و مـــا يستغرب منه البغض لموروث أو تربية خاصة قد لا يستغرب منه البعض الآخر .

و رب حديـــث أو آيـــة أو مثال يعيشه إنسان بكل أعماقه يمر عليه آخر مـــرور الكرام لأنه لم يعش هذا الواقع محسوسا ملموسا في واقع حياته كأن يسمع [إن عشت أراك الدهر عجبا] و هو لم يذق مرارة أبعاد هذا المثل و لم يلمسه على صعيد الخارج و التعامل مع الناس .

أجـــل كـــيف لا يضـــحك العاقل الرشيد و لا يعتبره مما يضحك الثكلى بموازين العقل حينما يسمع أن قريشا تنسب الجنون لسيد العقلاء و العقل و أشرف الكائنات محمد بن عبد الله ﷺ.

و كـــيف لا يضـــحك العـــارف المتأله من مقالة قوم أن محمدا ﷺ ليس معصوما يخطأ و يذنب كما يخطؤون و يذنبون و هو يراه مظهر أسماء الله ﷻ.

و كـــيف لا يضحك المتقون و لا يعتبرون الأمر مما يضحك الثكلى و هم يسمعون أن الخوارج تنسب الكفر لإمام المتقين علي بن أبي طالب و تطلب منه أن يقر على نفسه بالكفر ثم يتوب ليرجعوا معه ثانية لقتال معاوية .

و كيف لا يضحك المؤمنون إن سمعوا أن الكفار على طول التأريخ تسمي أتباع الأنبياء بالأراذل بادي الرأي .

و كـــيف لا يضحك العقلاء و الفلاسفة إن سمعوا من يسخر من ابن سينا فـــي مســـألة فلســـفية بـــدلا من النقاش العلمي و ابن سينا خريت الفن في مسائل المعقول.

و كيف لا يضحك حوزوي عاش الحياة في ظل المدارس الدينية من جاهل في الشريعة ينقد فقيها بارعا في الفقه و الأصول .

و كـــيف لا يضحك أديب من ذي عجمة يسخر من أدب إمرء القيس في معلقته الشهيرة .

و إن مـــن دواعـــي الضـــحك و الاســـتغراب فـــي عصرنا هذا عصر المســـتجدات و الغرائب و العجائب أن يشاهد إنسان بعض مشيخة المكفرة و قادة العناد و اللجاج على قناة فضائية يستغربون التكفير مستخفين عقول الناس مستغلين بسطاء الخلق لأجل التهريج و التشنيع كما هو ديدنهم و ديدن أسلافهم من ذي قبل

طـــيلة القرون ظانين بقاء أيام نفق ظلمات الإستبداد لأسيادهم حكام الجور للقضاء على حرية الفكر و الدين بفتاوى وعاظ السلاطين .

فقـــد كنت جالسا ذات يوم أتابع على قناة فضائية ما يسمى بالحوار الديني بيـــن المذاهب الإسلامية على الرغم من فقدان ذلك الحوار لأبسط مؤهلات النقاش العلمـــي كـــأدب الحوار و شرائط الحكمية بين المتنازعين و قفزة أعداء آل محمد ﷺ مـــن موضع إلى موضع آخر و عدم وحدة في موضوع النقاش إلى غير ذلـــك من أمور كثيرة أخرى ، وجدت في ذلك الحال أن أحد مشيخة المكفرة حملة روح الأحقـــاد يخاطـــب أحـــد المحترمين قائلا : ما هو رأيكم في الشيخين و قد كفرهما بعض أكابر علمائكم و هو (فلان)؟

و كـــان الســـائل يرى نفسه فائزا على كل حال فإنها إحدى الحسنيين لأن المسؤول إن قال : هذا رأي عالم من علمائنا و لسنا مكلفين باجتهاد فرد ما لم يكن مذهبا شيعيا.

صـــاح ذلك المكفر و عيناه تتلاعب في الحدقة ترسم السخرية و كله يهتز فرحاً أنظروا إلى هؤلاء فإنه كاذب يستعمل التقية فإنه أيضا على دين ذلك العالم و مذهبه و قوله بعدم كفرهما من شعار مذهبه .

و إن قال المسؤول : نعم هما كافران

صـــاح المكفّر بأعلى صوته : أيها المسلمون إسمعوا ماذا يقول الروافض في حق صحابة رسول الله ﷺ فإنهم يرون الصحابة كفاراً ، يريد بذلك تأليب الأمة بزعمه على الشيعة و تحريك عواطفهم بمنهج التهريج للفرار من جلسة العلم بأدب المناظرة القائمة على الدليل و البرهان .

لكـــن أقـــول لهذا المكفر و أمثاله ناصحا إياهم قبل الدخول في البحث : اســـتيقظوا من سباتكم فإن زمن التهريج قد ولّى و زمن قتل الملايين بفتوى وعاظ السلاطين قد ألقاه المجتمع البشري في سلة المهملات .

ثـــم أقول أيضا لهؤلاء المشيخة الذين يتظاهرون بالغيرة على الدين أكثر مـــن الله ﷻ و رســـوله الكريم صلى الله عليه و آله حيث قَبِل الله تعالى و رسوله ﷺ إســـلام أبي سفيان و هم ينقبون عن الضمائر لا يكتفون بالشهادتين و لذا راحوا القرون يكفرون الشيعة و يعتبرونهم روافض.

فـــأقول قبل الجواب عن المعتَقد الشيعي في حق الشيخين : يا عجبا منكم كيف تستغربون من عالم شيعي رأى تبعا لاجتهاده كفر الشيخين و أنتم و أسلافكم قـــد كفـــرتم طائفة بأكملها طيلة القرون و اعتبرتم أبناءها روافض لمجرد كونهم خـــالفوا الـــنظام القـــائم و اجتهادات وعاظ السلاطين لتفسير شريعة رب العالمين فأبحتم دمائهم و عاملتموهم في أعراضهم و أموالهم معاملة الكفرة في حين أنه لو قُـــدّر لحاســـوب أن يعـــد أفراد الذين كفرتم و ظلمتم طيلة هذه القرون ليومنا هذا لتجاوزوا المليارات من الناس كلهم يقول : نحن أتباع آل محمد ﷺ و يتشهد الشهادتين و ليس له من أئمته غير الأطايب من أهل البيت عليهم السلام .

فلماذا قبلتم عن أبي هريرة و لم تقبلوا عن باب مدينة النبيين علي بن أبي طالـــب الذي قال في حقه رسول الله ﷺ :﴿ **أنـا مدينة العلم و علي بابها**﴾ و قـــال في حقه الخليفة الأول : **لست بخيركم و علي فيكم** و قال في حقه الخليفة الثاني : **لا أبقاني الله لمعظلة ليس لها أبو الحسن** .

فـــيا عجـــبا كـــيف يســـتغرب مشـــيخة المكفرة من تكفير شخصين و لا يستغربون من أنفسهم و أسلافهم تكفير أمة إن تنزلنا و قلنا لم تشكل ثلث المجتمع الإسلامي فهي بلا شك و لا ريب تشكل ربع المجتمع الإسلامي على مدى القرون

و مـــن المعلـــوم أنه لا يقاس الحق بالقلة و الكثرة إن لم نقل القرآن ذم الكثرة في مواطـــن عـــدة و الرســـول ﷺ أخبر عن إتّباع الأمة الإسلامية الأمم السابقة كاليهود و النصارى و أنه لا يثبت على الحق إلا القلائل و أن أمته تصبح إثنين و سبعين فرقة الناجية منها واحدة و هذا مما يؤكد أن أهل الحق قلائل فلا فخر بكثرة بعد ذلك .

لكـــن إن عشت أراك الدهر عجبا في حين أن العالم بأجمعه قد شاهد أحد زمـــلاء هـــذا المكفر في عصرنا هذا خرج يوماً من الأيام على قناة فضائية و قد سأله السائل ماذا تعتقد في الشيعة أهم مسلمون أم لا ؟

فقـــال أمـــا علمائهم فكفار و أما عوامهم فمن بلغته الدعوة كمَن يعيش في الحجاز فهم كفار أيضا و البقية مستضعفون .

و لا أدري (لِـــمَ) المكفر لعلي بن أبي طالب يكون مجتهدا و للمجتهد أجر إن أخطـــأ و للمصيب أجران و لا يكون العالم من أتباع آل محمد ﷺ مجتهدا إن رأى أن الشيخين من الكفار فيكون له بفضل جود هؤلاء المشيخة كبقية المجتهدين أجـــر و كفـــاه الأجـــر الواحد إن كان من رب العالمين ذي الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء ليسكن في فسيح جنانه تعالى .

فيا لله و أحكام أبناء الدنيا مكفّر الشيخين كافر و مكفّر علي بن أبي طالب مجتهد له أجر و مكفر فردين كالشيخين كافر و مكفر ربع المجتمع الإسلامي طيلة القـــرون بملـــياراته فقـــيه من الأبرار أو مجتهد له أجر إن أخطأ و له أجران إن أصاب!!!

و يـــا عجـــبا أن يكون محارب علي بن أبي طالب المنتخب بآراء قاطبة المســـلمين مـــع غض الطرف عن بيعة الغدير صحابيا جليلا قد إجتهد كطلحة و الزبـــير و مانع زكاة كمالك بن نويرة العبد الصالح الذي قال لا أعطي الزكاة إلا

لمن بايعناه يوم غدير خم كافر يستحق القتل و يكون الزناء بزوجته ليلة قتله جائزا و يكون الزاني سيفا من سيوف الله التي لا يصح لولاة الأمر غمدها .

و لا يكـــاد ينقضـــي عجبي من أمة تدعي أن رسول الله ﷺ ترك الأمة لتخـــتار لنفسها إماما و لتجتهد فصارت المذاهب أربعة كيف أصبح إجتهادهم وحيا فأعطـــاهم مفاتـــيح الجـــنان فدخلوا فيها ثم أقفلوا الجنان عن بقية المجتهدين الذين خـــالفوهم في الرأي كالشيعة فاعتبروهم بحسب إجتهادهم كفارا روافض خارجين من الدين .

فلا أدري أهذا إجتهاد أم نبوة و لعله لا يناسب نبوة عادية بل هي بلا ريب نبوة سيد الكائنات محمد ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى في كل شأن من شؤونه إن هـــو إلا وحي يوحى إلى أمثال هؤلاء لأن غاية ما يمكن أن يدعي المجتهدون فيما هو من شأن الأمور الإجتهادية هو التوصل إلى أمور بحسب ما يساعد عليها الدليل و الـــبرهان الإجتهادي أما الجزم بصحة أربعة مذاهب حدثت بعد عقود من الزمن بعد رحيل رسول الله ﷺ و منع الآخرين من الإجتهاد حتى في المذهب السني و الجزم أيضا بكفر الآخرين و لو كانوا من أتباع آل محمد الذين أمر الله ﷻ بحبهم و لو لم نقل بطاعتهم فإنه يظهر منه أنه وحي يوحى إلى أمثال هذه المشيخة .

و هـــذا ما أوصلها ببليغ علمها أن المجتهد في حق علي بن أبي طالب له أجر و المجتهد في حق الشيخين رافضي كافر.

و المـــانع للزكاة كمالك بن نويرة العبد الصالح القائل لا أعطي الزكاة إلا لمـــن بايعـــناه يـــوم غدير خم كافر و يستحق القتل حفظا لهيبة السلطان و الزناء بزوجته ليلة قتله جائز لأن مالك بن نويرة خالف أمير المؤمنين و إن لم يشهر سيفا على المسلمين و لم يقاتل أمير المؤمنين أبابكر بل بإقرار الجميع أنه صلى مع من بعـــثهم أبوبكر ثم غدر به خالد و لكن الشاهر للسيف على أمير المؤمنين علي بن

ابـــي طالـــب المنتخـــب بانـــتخاب جماهيري عام المقاتل له في البصرة و صفين صـــحابي جلـــيل مسلم لا يجوز حتى نسبة البغي إليه و إن كان خارجا على إمام زمانه الذي بايعه بنفسه ثم نكث البيعة بل حتى و لو كان باغيا بنص من رسول الله ﷺحينما قال : ﴿ **يا عمار تقتلك الفئة الباغية**﴾ فإنه مع ذلك لا يجوز لأحد أن ينال منه فهو خال المؤمنين.

ثـــم راح هؤلاء و أمثالهم ليتجاوزوا الحدود حينما وصفوا معاوية بأمير المؤمنين بدلا من أن يكون باغيا كما سماه رسول الله ﷺفيا عجبا لهؤلاء القائلين بأن رسول الله ﷺترك الأمة لتختار لنفسها إماما و فسح المجال لها لتجتهد و لذا حدثت المذاهب الأربعة ، كيف يكون مجتهدهم له أجر أو أجران و يكون مجتهدنا كافرا رافضيا ؟!

و تكون المذاهب بالإجتهاد أربعة و لا يكون من حق من يعتقد أن الرسول لـــم يترك الأمة ضائعة بل هي الإمامة من بعده لإثني عشر نقيب لا يكون له حق الإجتهاد أو الرأي، و التكفير بحسب مذهبه أنسب لأنه على مذهبه تكون المذاهب السنية خروجا عن النص لو أغمضنا الطرف عن الإكتفاء بالشهادتين .

و بالجملـــة لماذا بعد عدم الإعتقاد بالأوصياء بعد الأنبياء كما هو مذهب أبناء العامة و الجماعة يصبح المذهب السني المبني على الإجتهاد مذهبا إسلاميا و لا يصـــبح المذهـــب الشـــيعي مذهـــبا إسلاميا أيضا فليكن من الإجتهاد في مقابل إجتهادات الآخرين و الإمام الصادق الذي أئمة المذاهب الأربع إما من تلامذته بلا واســـطة أو مـــع الواسطة أولى بصحة الإجتهاد من غيره إن رجعت المذاهب إلى الإجتهاد .

و لِـــمَ يُصبح من شرائط الإسلام الإعتقاد بالفرد كالشيخين و يصير جزءاً مـــن أصول الشريعة ، فلا أدري أي الشيخين حل محل التوحيد و أيهما حل محل

النـــبوة حـــتى يصـــبح عدم الإعتقاد بإسلامهما مخرجا من الدين ؟ و لو كان كل صـــحابي له هـــذا الشأن فالصحابة أنفسهم فسّق بعضهم بعضا بل و كفّر بعضهم بعضا فبأي حديث أم بأية آية كان للشيخين هذا التخصيص و لم يكن الأمر جاريا في حق غيرهما .

و إذا لـــم يكن الشيخان جزءاً من أصول العقيدة الإسلامية فلا أدري لماذا يُسأل كل إنسان عن الإعتقاد بهما من أنهما باعتقادكم مسلمان أم كافران ؟

و لمـــاذا لا يجري هذا التسائل بالنسبة إلى كل مسلم من المسلمين فما هو وجـــه الإختصـــاص بهما ؟! ليكون ذلك أصلا من الأصول العقائدية أو فرعا من فروع الشرع القويم .

و لماذا لا يجوز لنا أن نتسائل إن كان من شرائط الإسلام الإعتقاد بالفرد ، مـــاذا تعتقدون في مالك بن نويرة أكان مسلما أم كافرا و ماذا تعتقدون فيمن كفّر بعـــض الصـــحابة أو ســـبّهم أهو مسلم أم كافر و الحال أن الصحابة أنفسهم كفّر بعضهم بعضا و سبّ بعضهم البعض الآخر .

و لماذا لا يحق لنا أن نسأل مشيخة التكفير ماذا تعتقدون فيمن كفّر عليّا أو ســـبه أهـــو كافر أم مسلم و قد كفّره بعض المسلمين و سبّه آخرون فهل ترونهم كفاراً؟

و لماذا لا ترون من سبّ عليا عليه السلام او كفّره كافرا و ترون ذلك في حق الشيخين هل خصكم الله جل جلاله بآية خفيت علينا ، فإن كان لكم ذلك فنوّرونا بقبس من فيض أنواركم ؟

و لماذا لا تقولون في حق المسلمين من المهاجرين و الأنصار الذين كانوا فـــي عصر معاوية أنهم كفار أو فسقة لأنه كان علي عليه السلام يُكفَّر أو يُشتَم بمرآى و مسمع منهم ، فهل داهنوا في دينهم معاوية أم أعملوا التقية خوفا على أنفسهم .

و المعهود و المشهور عن مشيخة المكفرة أنهم يسمون معاوية و من خلفه بأمـــراء المؤمنيـــن و يوجبون طاعتهم و لا يرون من الصحيح سبّ من كان مع معاوية من الأنصار و المهاجرين .

فلماذا الساب لعلي بن أبي طالب مجتهد و الساب للشيخين كافر و أصحاب رســـول الله ﷺكمـــا تزعمون جميعا كالنجوم بأيهم إقتدينا إهتدينا فكونوا مهتدين بالشـــيخين و نكون مهتدين بعلي و العترة الطاهرة من آل بيت الرسول ﷺو قد أوجـــب الله ﷻ حبهم و لم يوجب حب الشيخين و قد أثبتت الروايات من العامة و الخاصـــة أن علـــيا باب مدينة علم رسول الله ﷺو لم تجعل أبابكر أو عمر بابا لمدينة علم رسول الله ﷺ.

و بعد هذه المقدمة أقول :

إتفق المسلمون بأن من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله كان مسلما و حقن ماله و دمه و كان له ما للمسلمين و عليه ما عليهم و لذا قَبِل رسول الله ﷺ إسلام أبي سفيان على الرغم من قوله حين تشهّد الشهادة الثانية و في القلب شك .

فهذه هي موازين الظاهر و هي تجري في حق كل من تشهد الشهادتين و يكـــون ذلـــك حكما شرعيا لنظام حياة الدنيا لتجري على الشخص جميع المراسيم الإســـلامية و تترتـــب على الشخص جميع القوانين الإجتماعية و لو كان الشخص بحسب الواقع في باطنه كافرا أو منافقا لا يعتقد بمبادئ الإسلام لأن الحساب على البواطن شأن إلهي و لسنا كمشيخة المكفرة أغير من الله ﷻ على دينه بعد أن قبل رســـول الله ﷺ إســـلام أبـــي سفيان فإن النقب على البواطن شعار من كفروا المســـلمين للأحقاد الطائفية و إعتبروا ثلث المجتمع الإسلامي روافض كفرة على الـــرغم مـــن كون أئمة الروافض جميعا من أهل بيت النبوة و بعض أئمة مشيخة المكفرة من ديار الأعاجم و رواتهم من بخارى و نيشابور و ليس هناك على وجه

الأرض مـــن مذهب أئمته إثنا عشر كلهم من قريش سوى الشيعة الإمامية الإثني عشـــرية و ذلـــك لحديـــث متفق عليه بين السنة و الشيعة عن رسول الله ﷺ : **﴿الأئمـة مـن بعـدي إثنا عشر كلهم من قريش﴾** و إن أمكن أن تكون بعض الديار الأعجمية أو الفارسية ببصيرة مشيخة المكفرة من قرى مكة المكرمة و أهلها من قريش .

و الكلام مع الحاقدين النواصب لآل بيت رسول الله ﷺو ليس مع أتباع المذاهـــب الإســـلامية فإن الإنسان حر في إختيار أي مذهب أو دين فضلا عما لو كانت المذاهب إسلامية فإنّا لسنا مكفرة و لا مستبدين بعد قوله تعالى : ﴿ **لا إكراه في الديـن** ﴾[1] و إن رسالة الأحقاد إنما هي شأن المكفرة الذين كفروا المسلمين و حكموا عليهم بالقتل الذين ما فهموا من دين الرحمة و الصفح و العدل و الإحسان إلا حقـــدا يتناسب مع ظلمات نفوسهم و إلا فصدر المسلم يتسع للبشرية فضلا عن أبناء المذاهب الإسلامية .

أجـــل الحساب على البواطن شأن مشيخة المكفرة الذين يعلّمون الله ﷻو رسوله معاني الغيرة على الإسلام !!!

و لعلهـــم يـــرون أن الله ﷻ قد أخطأ و رسوله الكريم ﷺ في الإكتفاء بالشـــهادتين فجاؤوا يريدون تعليمهما معاني الإسلام و طريق الحق و الصلابة في الإيمان فجزاهم من يعبدون خير جزاء المرشدين و ما أقرب هذه العقلية من عقلية قـــوم آخرين كانوا يرون قتل كل معارض لهم في الحكم و مصادرة أمواله و قطع الرواتب عن جميع من يرونه لا يفهم من الإسلام ما هم يفهمون .

---

[1] : البقرة ٢٥٦

فوقـــع بيني و بينهم حوار فبينت لهم أن سيرة رسول الله ﷺمبنية على العفـــو و هـــا هـــو قد عفى عن قريش بما فيهم من رؤوس الجريمة و لم يسلبهم أموالهم و هو القائل : ما أوذي نبي مثلما أوذيت و قد رسم سيرة رسول الله ﷺ علـــي عليه السلام فـــي فـــتح البصرة وعفى عن أشد معارضيه و محاربيه كعبد الله بن الزبير و مروان بن الحكم و لم يأمر بمصادرة أموال من هزمهم في حرب الجمل فأجابني هؤلاء القوم و هذا هو سبب فلتان الأمر و خروجه من يد رسول الله ﷺ و علي عليه السلام و نحن لا نكرر خطأ قد يعرّض النظام إلى الخطر .

فرأيت عندها أن الإعراض عن هؤلاء أجدر بموازين العقل لأنهم أعرف بديـــن الله ﷻ من محمد و علي عليهما أفضل الصلاة و السلام و أغير على دين الله ﷻ من صاحب الرسالة و من يعتقدون إمامته و هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام .

فأقول عوداً على بدء : إن مذهبنا واضح و صريح و هو مبني على أسس لا يحـــيد عنها أي عارف بالمذهب الشيعي منها أن الدخول في الإسلام مبني على إظهـــار الشـــهادتين و لـــيس المســـلم مكلّفا عن نقب ضمائر الناس ، فمن تشهد الشهادتين إعتبر مسلما و لو كان في باطنه كافرا لأن الباطن شأن إلهي .

و منها أن المذهب مبني على الإعتقاد بالأوصياء بعد الأنبياء و منهم النبي محمـــد ﷺفإنـــا نعتقد أنه أوصى لعلي بن أبي طالب و من بعده لبقية الأئمة من ولده عليهم السلام فمن أنكر ذلك عن علم جحودا فهو كافر و من أنكره جهلا و هو يتشـــهد الشهادتين فهو مسلم و إن كان يُسأل يوم القيامة لماذا قلّد الأسلاف و إتبع الأكثرية .

و هـــذا الحكم جار بالنسبة إلى الشيخين فإن كان إنكارهما لوصي رسول الله ﷺعـــنادا و جحـــودا للحق ، فمن خالف أمر الله ﷻ و رسوله لا يكون إلا

كافـــرا و إن كـــان حـــب الدنـــيا و الزعامة دعاهما للتصدي لقبض أزمة الأمور فحكمهمـــا كمن أقر بالصلاة و لم يصل و إن قدما على قبض أزمة الحكم و عزل وصي رسول الله ﷺجهلا فحكمهما حكم بقية المسلمين يسألان عن سبب الجهل هل كان ناشئا عن قصور أو تقصير و لكل واحد منهما حكمه يوم القيامة .

و بالجملـــة كل شيعي بالإعتقاد بالأوصياء بعد الأنبياء و إنه لم يخلو نبي مـــن الأنبـــياء و بالأخص أُولي العزم منهم من وصي فإنه بعد ذلك يرى كل من تصـــدى بعـــد الرســـول ﷺلقبض أزمة الأمور غاصبا لمواريث النبوة و حكم غاصب درهم معلوم فما بالك بغاصب مواريث النبوة علما و عملا .

فهذه عقيدتنا نعيش و نموت عليها و ليس معنى ذلك إنا نكفر المسلمين و إن قلـــنا بصـــراحة من القول بأن المسلم الجازم العالم بلزوم وجود الأوصياء بعد الأنبـــياء المنكر لذلك جحودا و محاربة لله تعالى و رسوله فهو كافر و إن أجريت عليه مراسيم المسلمين لتشهده بالشهادتين .

و نحـــن أتـــباع إمام المتقين علي بن أبي طالب و كلامه في نهج البلاغة بالنســـبة إلـــى أهل البيت و مكانتهم في الإسلام واضح أيضا و كذلك بالنسبة إلى مغتصـــبي الخلافة و بالأخص في خطبته الشهيرة المعروفة بخطبة الشقشقية حيث يقول : ﴿ **أما و الله لقد تقمصها إبن أبي قحافة و إنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحى** ... ﴾.

كمـــا و أن الأمر يبدو واضحا جليا لكل من قرأ خطبة الصديقة الطاهرة فاطمـــة عليها السلام في حشد من المهاجرين و الأنصار بمحضر الخليفة الأول أبي بكر فـــي المسجد النبوي على صاحبه آلاف التحية و السلام حيث تقول : بعدما ذكرت مكانة علي عليه السلام في الإسلام و مواقفه المشرفة: ﴿**و أنـــتم** [و تقصد جمعا من كبار المهاجريـــن بذلك] **في رفاهية من العيش وادعون فاكهون آمنون تتربصون**

بـنا الدوائر و تتوكفون الأخبار و تنكصون عند النزال و تفرون من القتال فـلما إختار الله لنبيه ﷺ دار أنبيائه و مأوى أصفيائه ظهر فيكم حسكة النـفاق و سمـل جلـباب الدين و نطق كاظم الغاوين و نبغ خامل الأقلين و هـدر فنيق المبطلين فخطر في عرصاتكم و أطلع الشيطان رأسه من مغرزه هاتفـا بكـم ثـم إستنهضـكم فوجدكـم خفافـا و أحمشـكم فألفـاكم غضـابا فوسمـتم غـير إبلكـم و أوردتم غير مشربكم ، هذا و العهد قريب و الكلم رحيـب و الجـرح لمَا يندمل والرسول لمَا يقبر ، إبتدارا زعمتم خوف الفتنة [ألا في الفتـنة سـقطوا و ان جهـنم لمحيطة بالكافرين ﴾ إلى أن تقول : ﴿ **و مـن يبـتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه و هو في الآخرة من الخاسرين**﴾ إلى آخر خطبتها الشهيرة .

و ثانيا أستغرب من هؤلاء المكفرة كيف جاز بمنطقهم التكفيري أن يسألوا رافضيا يعتقدون كفره ماذا تعتقد في الشيخين ؟ أهما مسلمان أم كافران ؟

فإن كان المسؤول كافرا فكيف يسأل كافر عن مسلم ؟!

و إن كـــان إســـلام المسؤول يتوقف على إعتقاده بالشيخين فإن قال هما مســـلمان صار مسلماً و إن قال هما كافران صار كافرا فإذن الشيخان من أصول الديـــن و أســـس المعتقد الإسلامي و نحن لم نسمع بذلك في آية أو رواية ، إلا أن يكون الله ﷻ كما تقدم قد خص هذه المشيخة بذلك و ثالثا إن كان المخاطب مسلما ، فعليهم أولا أن يقولوا للعالم جميعا أن الشيعة مسلمون و من كفرهم طيلة القرون كـــان مخطـــئا أو فاسقا أو كافرا أيا كان من العلماء أو العوام إلا أن يكون العامي جـــاهلا مستضـــعفا ثم بعد الإقرار بإسلام الشيعي يسألون الشيعةعن معتقدهم في الشيخين .

و لا أدري لمـــاذا يجـــب على الشيعة دائما أن يجيبوا و هم يسألون و لا يكون من حق الشيعي أن يسأل و هم يجيبون ؟

فلـــنا أن نسأل القوم بعد إقرار جميع المسلمين بالشهادتين سنة و شيعة ، أليس من مسلمات الدين بأحاديث لا يتردد فيها أحد أن من كفّر مسلما فليس بمسلم؟

فلمـــاذا المكفـــر للمليارات من المسلمين المسمي إياهم بالروافض مسلم و المكفر لفردين يكون كافراً .

فإن قالوا : لقاعدة من كفّر مسلما فقد كفر

قلـــنا لهـــم هـــذا نفس المتنازع فيه و هو أن الشيعة ليسوا بمسلمين و لذا كفرهم بعض علماء السنة فهو من باب السالبة بانتفاء الموضوع و ذلك نفسه ما قد يقول به بعض الشيعة أو بعض علمائها في حق الشيخين .

فـــإن قالوا نحن نعتقد أن الشيخين مسلمان و قد كفرتموهم لقلنا نحن نعتقد أن الشـــيعة بملياراتهم مسلمون و قد كفرهم هؤلاء المشيخة و لو كان مجرد الجزم حجة فليكن جزمنا كجزمكم حجة .

و إن كـــان إعتبار الجزم و اليقين لإسناده إلى الحق فذلك ما ندعيه و ما تدعونه ، فلماذا كنتم المدعي و القاضي معا في محكمة القضاء .

فـــيا عجبا من مشيخة التكفير و مؤسسي قواعد الإرهاب و سفك الدماء و من يرون حتى في وجه يزيد بن معاوية و المتوكل العباسي مظاهر الله ﷻ متجلية و خطـــى الرســـالة منتقشـــة و أنوار طلعة الحق المحمدية ساطعة ، كيف راحوا ليستغربوا من تكفير شخصين و هم معلموا هذه الأمة مناهج التكفير فاليعتبروا من كفـــر الشيخين من الشيعة من أصاغر طلابهم حيث راح من يكفر الشيخين ليستدل طـــبقا لمذهـــبه بكثـــير من الأدلة الشرعية و العقلية و خطب أئمته سواء أخطأ أو أصـــاب و هـــم يكفرون الناس بعد الشهادتين على بواطنهم كما يدعون أن الشيعة

يظهـــرون الشهادتين و بواطنهم على خلاف ذلك و المكفر بالدليل خير من المكفر على البواطن .

فبأي مقياس أيتها المكفرة تقيسون و بأي مكيال تكيلون و بأي منطق أيتها النواصب لأهل بيت الرسالة تتكلمون ؟!

أمـــا كفـــاكم الـــتهريج و التشنيع و الإفتراء و التعتيم للحقائق و تضليل المجتمع هذه القرون ؟!

مقدمات منطقة الفراغ التشريعي

تبدو لوحة الكون جميلة بيد رسام راح يناغي بأبعاد الخيال نسيم الصبح و يداعب شمس الحقيقة بنبرات الوجد و الحنان ، يواكب همسات الأيام في سوح معالم الربوبية ليعانق ثوابت السنن و يساير بحور الفيض المتدفق في غور أبعاد أنغام الأبدية لسيلان العالم وسلوكه نحو الكمال و الغاية اللامتناهية ألا و هي الوجود الصرف الحق الأصيل ، ليرسم للأفق المبين بُعده المتوحد الذي كاد أن يكون متنافرا متناقضا بمنظار السالكين سبل ربهم فضلا عن القابعين في نفق مزالق الغافلين على اختلاف هوياتهم كانوا موحدين أو كفرة مشركين .

و كيف لا يكون متوحدا و قد علم أن بالحق المبين تبيان كل شيء لكن بأعين العارفين حيث يقول تعالى: ﴿ **و يوم نبعث في كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم و جئنا بك شهيدا على هؤلاء و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء و هدى و رحمة و بشرى للمسلين**﴾[1] .

و قد وردت الروايات تأمر من جانب آخر بالرجوع عند الحوادث إلى رواة الحديث حيث يقول عليه السلام: ﴿ **و أما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا** ﴾ حيث يشعر المقام بل يدل دلالة واضحة جلية على أن هناك فقها للشرع في ميادين الكتاب و السنة و هناك تطبيقا له في مواطن جري الرسالة بحسب مقتضيات الزمان و المكان يحتاج إلى مرونة و وعي و صلاحية للمس واقع خطى الرسالة في ميادين الواقع الخارجي لحياة الأمة حيث يساير الفقيه حينها

---

[1] : النحل ٨٩

واقع حياة الرسالة في مسالك السيرة للرسول ﷺو أهل بيته المعصومين الميامين النجباء الطاهرين ليصبح بالسيرة و من خلال منظارها المتجسد على أرض الواقع يشـــاهد أعـــلام الشـــرع خفّاقة في كافة مجالات الحياة السياسية و الاقتصادية و الأخلاقـــية و غـــيرها من شؤونها المختلفة صلحا و حربا، عقابا و عفوا قد كان أساسا لها بعد العدل ليشاهد عندها بسعة الصدر و شرحه بالإسلام العقاب أداة ردع لعـــدوان مـــن لا يصلحه إلا الحزم و السيف و لا يكون الفقيه فقيها بأبعاد الرسالة بمعرفة فقه الأحكام على صعيد آيات الأحكام بمعزل عن بقية أبعاد الكتاب المجيد في ميادينه المختلفة و كذا لا يكون فقيها للرسالة بفقه السنة على صعيد بُعد الأحكام أيضـــا حيث يكون إغفالا لبقية أبعاد الرسالة في ميادين الاقتصاد و السياسة و علم النفس و الإجتماع و العبر و ...

أضـــف إلـــى ذلـــك إغفال الرسالة في بعدها التطبيقي في ميادين السيرة للمعصـــومين عليهم السلام كمـــا هـــو شأن حوزاتنا العلمية إن أنصف الحَكَم حيث راحت لتـــتجاوز الإشباع في بعض أبواب الفقه و علم الأصول بإضاعة الشرع في كثير من مسالك جريه و واقع أمره.

بـــل أقـــول يطلق على الفقيه في هذا الإطار الخاص المحدود من الرسالة أهل خبرة في استنباط الحكم الشرعي حلالا و حراما و إستحبابا و كراهة و إباحة ، فهـــو فقه الأحكام ليس إلا الذي هو جزء من هذه الرسالة الواسعة الغراء و لكن التعبير بإطلاق الكلمة يحمل الكثير من التسامح في طياته حيث راح ليسوق الأمة إلـــى الـــتقديس الـــذي هو بعيد كل البعد عن روح رسالة السلام لمحمد ﷺبعد الإعتقاد بأن شرعه تام من جميع الجوانب حيث الخاتمية فهو شرع الحياة في كافة جوانـــبها العبادية و الإقتصادية و الأخلاقية و النفسية و السياسية و العقائدية التي هي علوم متعددة... المحتاجة إلى أهل الخبرة في كل جانب من هذه الجوانب الذي

يستغرق بعض جوانبها حياة الإنسان بكاملها و كيف عندها يمكن إدعاء فقه الرسالة باطلاق الكلمة لأي إنسان مهما كان من المكانة و العلم ؟!!!

و مـــا هو إلا تناقض من القول بكون الرسالة تامة في كافة هذه الأبعاد و في المقابل أنها حاصلة لدى زيد أو عمرو و قد كان هذا و ما يزال من أهم الأسس لأزمـــة هـــذه الأمة حيث التدخل في غير مواطن الإختصاص من البعض تقديسا للرجال بدلا من الواقعية لروح الحياة العامة لكافة الشؤون.

و من المعلوم أن فقه الحديث للكتاب و السنة أيضا لا يطلق في حقه كلمة الحـــوادث الواقعـــة ، فـــالحوادث ميادين واقع حياة الأمة المنطبق عليها شرع الله القويم المحتاج إلى أخصائي عايش الشريعة كتابا و سنة و سيرة على أيدي رسامها الحقيقيين لا المكرة المتقمصين لما ليسوا أهلا له.

و بالجملة : دعوى التمامية للشرع من جانب ودعوى الإختصاص بجميع هـــذه الجوانـــب فـــي طرف آخر لا يناسب الإعتقاد بحصوله لدى إنسان واحد بل يحتاج إلى أهل خبرة في كل جانب من جوانبه فيكون هذا من أهل الإختصاص في إســـتنباط الحكـــم الشرعي و ذاك من أهل الإختصاص في الإقتصاد الإسلامي و ثالث في العقائد و رابع في علم النفس و هكذا في علم الإجتماع و الاخلاق و هلم جرى و إدعاء إجتماع هذه جميعا في فرد واحد من أصعب الأمور .

ففقه الكتاب و السنة في بعض الأبواب كآيات الأحكام لا يجعل الفرد فقيها بـــإطلاق الكلمة في كافة ميادين الشرع بل لابد من معرفة بقية الأبواب أضف إلى ذلـــك أن ميادين المعرفة لا تكفي لرسم الشريعة ما لم يكن الشخص متتبعا لمسالك الشريعة على يد رسامها الحقيقيين الرسول ﷺو أهل بيته الكرام و هو ما يسمى بالســـيرة صـــلحا و حـــربا و عقابـــا و عفوا و مشورة كما هو المشاهد من حياة

المعصومين في شرحهم للرسالة و تطبيقها على صعيد الحكومة الإسلامية أو الحياة العامة .

فتتبع هذه السيرة يغني الفقيه في ميادين تطبيق الرسالة و فهمها في ميادين الواقـــع الخارجـــي و ليس المراد من السيرة كما هو دَيدن الكثير من المتتبعين أن نعـــرف مـــتى كانـــت الولادة أو الوفاة للمعصوم و متى تزوج و بمن و كم عدد زوجاتـــه و كم له من الولد و في أي موطن حصلت منه المعجزة أو الكرامة فإن مـــثل هـــذا السَبر لحياتهم لا يعطي المتتبع فهما لتطبيق الرسالة في ميادين الحياة العامة أو النظام الإسلامي.

فالأمـــر بالرجوع إلى رواة الحديث عند الحوادث الواقعة سبيل حق أقره الضـــمير قبل الدليل و البرهان و من المعلوم أنه ما من واقعة إلا و لها حكم حتى أرش الخـــدش و فقـــه الرسالة لا يتم إلا بفقه و فهم أبعادها الثلاث كتابا و سنة و سيرة.

لكن الحاصل هو إغفال السيرة العملية تماما في حوزاتنا العلمية الذي هو من أهم الأمور لمعرفة كيفية تطبيق الشريعة بعد فهمها في مواطن الكتاب و السنة لـــيعرف المسلم كيف عمل الرسول و أهل بيته في سلوكهم العملي الشارح للشرع فـــي ميادين العفـــو و المشـــورة و حرية الرأي و الصلح والحرب و الحكومة الإســـلامية و كيف كان عملهم في مقابل من سبهم و شتمهم أهو التكفير و القتل أم هـــو الصفح و العفو و هكذا في بقية مجالات التطبيق الذي يصعب فهمه إلا بتتبع ميادين الرسالة في مواطن العمل كتقسيمهم للأموال بالعدل بين الأسود و الأبيض لا بجعل الأموال مختصة ببعض الفئات أو الأفراد و لو بإعطاء خصوصية للبعض أو بجعل خصوصية لقبيلة و لو لبني هاشم بعد كون الرسول جاء بالعدل و ضرب أركان التمييز القبلي كما ضرب أركان الطبقية في الإسلام .

فمـــن جاء بضرب أركان الطبقية و التمييز العنصري من المستحيل أن يبني أساسهما في المجتمع و يطلب من الآخرين إلغائهما .

ثم إن المتتبع سيشاهد أن تجزءة الشريعة بالبحث عن آيات الأحكام فقط قد جعلهـــا حلقة غير مترابطة و ربما كان العمل بالبعض دون البعض تشويها للشرع القويـــم في بعض المجالات كمن يقطع يد سارق مع غمض الطرف عن عدل في تقسيم مال و صمت عن تنفيذ حكم أو تهاون عن تبليغ شرع .

و قد راحت كتب الحديث لا تدون إلا ما هو شأن هذه الأبواب حيث ملئت كتب الحديث بنقل ما يعود إلى أبواب الطهارات و العبادات إلى الحدود و الديات و لـــم تـــنقل لنا إلا الشيء النزر القليل في هوامشها عما كان يتحدث عنه الأئمة و الإمـــام الصادق عليه السلام في بقية شؤون الشريعة و العلوم المختلفة حتى بلغ بنا الأمر أن نقـــرأ مـــا تـــرجم في الغرب عن أئمتنا في كثير من العلوم و لا ننسى ما هو مشهود و ملموس من إغفال حتى لمثل نهج البلاغة و غيره في أهم شأن كالخطب في التوحيد و بقية الأمور العقائدية .

فمواكـــبة الشـــريعة كتابا و سنة و سيرة للمعصومين عليهم السلام قولا و عملا ، عدلا و إحسانا ، يُرشد المتأمل إلى أنه لا يكاد يكون سبيل الحق حسنا متكاملا إلا فـــيما إذا أخذ بعين الإعتبار جميع الأبعاد للرسالة و ذلك لأن نظرة ربما أطلت من زاويـــة على بعض بحور هذه الحقيقة أو أفقها المبين فراحت لترسم الواقع رسما غير جميل أو كاد أن يكون مشوها تشمئز منه القلوب .

كمن راح يتسارع فخورا لتطبيق الشريعة بقطع يد سارق كما قلنا تاركا ورائـــه عـــدلا إجتماعـــيا أغفل فأضيعت في جنبه الكثير من الموازين حينما راح الحاكم يجور في حكمه و العالم يقصّر في زكاة علمه و التاجر يشح في بذل ماله و

القاضـــي ينســـى أو يتناسى عللا شتى تداعت في متن واقعها لتحقيق هذا الحدث المشين.

حيـــث كان الواحد من هذه العوامل المتباعدة في مظاهرها المتآخية في مـــيلها جميعا عن الحق و الصراط المستقيم كافيا لتوقيف هذا الحكم الجائر و هو قطـــع يـــد هـــذا الســـارق بعد ما كان عدلا في واقعه لو طبقت الشريعة كسلسلة مـــترابطة على سارقٍ عالمٍ غنيٍ سرق من حرز عندما كان الحاكم عادلا و العالم طبيبا دوارا بطبه لا قابعا في مراكز العلم لم يخرج حتى إلى قراها فضلا عن مدن و قرى الوطن الإسلامي و التاجر أمينا لم يخن الفقير فيما أودعه الله ﷻ من المال فكاد أن يكون الحكم على السارق في هذا المقام من قبيل الإيمان ببعض الكتاب و الكفر ببعضه الآخر .

فكـــم يـــا إلهي راحت الأحكام لتجري في غير مواطنها جورا باسم العدل بهتانا و كذبا و كم جرت على غير مصاديقها و نحن يبارك بعضنا لبعض تطبيق شرع الله ﷻ جهلا أو مكرا و شيطنة حينما رسم الشرع رسام الجفاف ناظرين إلى الأفـــق المبيـــن مـــن خلال نوافذ أفهامهم يريدون بذلك أن يطلوا على فسيح أفق تصـــاغر العظمـــاء في جنب أعتاب قدسه متمنين أن يأخذوا منه قبسا عند خلوات أنفسهم و صحوة عقولهم .

فأيـــن عشاق الحقيقة الذين قال تعالى في حقهم ﴿**و الذيـن جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين**﴾[٢] جهادا أكبر للنفس تذل بأزائه جميع الرغبات و تتصاغر في جنبه عظائم الأمور و ترتفع الحجب .

---

[2] : العنكبوت ٦٩

و قد حمّل البعض الشريعة فراغا تشريعيا في كثير من مجاري الأمور إن لم نقل حمّلها إغفالا للحياة في مواطن شتى لما راح ليطل عليها من نافذة خاصة و هـــي نافذة بعض الأحكام آية أو رواية بإغفال للشريعة في بقية جوانب الكتاب و السنة و السيرة للمعصومين عليهم السلام كما هو واقع حياة هذه الأمة التي لم تعش الرسالة إلا من خلال هذا البعد .

فمن خلال هذا المطاف و هذه المسالك الضيقة وجد هذا الناظر الشريعة لا تتسع لمواكبة الأجيال و الأزمان و أنها فراغ تشريعي في جل مواطنها .

نعـــم مـــن نظـــر إلى الشرع من هذا المنطلق و هو ما رسمه أكثر رسام الشـــريعة يكون محقا فيما إرتآه و عندها فمن حق طلاب الحقيقة في هذه العصور أن يتسائلوا العديد من التسائلات التي منها : أين شهود الموازين الناصعة السليمة للكـــتاب المجـــيد التـــي أمرنا بعرض الأخبار عليها ليؤخذ بما يوافقها و يضرب بالمخـــالف لهـــا عـــرض الجدار و واقع حياتنا كله بصمات تشهد بالعمل ببعض الأخبار بمجرد مقاييس علم الأصول الذي منحه التقابل الحاد في بعض الأزمنة بين المحدثيـــن و الأصوليين كرسي الرئاسة حتى على كثير من أسس الشرع كتابا و ســـنة ليصـــبح العمـــل به من دون لحاظهما سنة تجعل تحت ظلال أجنحتها أبعاد الرسالة .

حيـــث راح لـــيدفع بالحوزات بكل ثقلها لتأليف الأجزاء تلو الأجزاء من الكتب الضخمة لتجعل الطالب حيران يجد نفسه أمام بحور متلاطمة لا يدري أين ترســـي به السفن ليستقر يوما بعد سبح طويل أكثر من عقدين أو ثلاث من الزمن إن لم يكن أكثر من ذلك بكثير على بر الأمان و ساحل النجاة لتبدأ بعد ذلك مهامه و هي تطبيق هذه الكبريات التي قرأها بمعزل عن الفقه.

وكـــذا العديـــد مما قرأه مما قيل أو يقال في هذا الفن بدخوله في شؤون الإســـتنباط و إن كان عند العجز من توجيه الدخول في موضوع البحث لكثير مما يبحث عنه في علم أصول الفقه نجد البعض يتدرع لتوجيه ما أضيع فيه قسط كبير مـــن الحـــياة بأنـــه يقرأ و لو لتشحيذ أذهان الطلاب بدلا من إصلاح هذه المأساة بمبادرة تحفظ الأجيال مما هو من مصاديق إضاعة الحياة.

أجـــل هاهنا تبدأ المشكلة الكبرى ليرى الطالب نفسه بعد أكثر من عقدين من الزمن قد قرأ علمين منفصلين أحدهما علم أصول الفقه و الثاني علم الفقه ، كل ذلك من بعد ما كانت كتب علم أصول الفقه في العصور السابقة لا تتجاوز الكتاب أو الكتابيـــن حيـــث كان يتم فهمهما ضمن أقل من أربع أو خمس سنوات لتعطي رجـــال العلـــم الفرصة الكافية للتوغل في فهم الكتاب و السنة و أسانيد الأحاديث والتفقه في كثير من العلوم الأخرى بحيث كان العائد إلى بلده من الأعلام يحيي أمة بغزيـــر علومـــه فضـــلا عـــن معايشته للكتاب و السنة و هو بعد لم يتجاوز سن الأربعين عاما.

و قد رأيت من اللازم في المقام سوق مقدمة للدخول في البحث متطرقا و ــ لو بنحو إجمالي ــ لبعض ما له الدخل في تبلور ما نحن بصدد الخوض فيه من الكـــلام حول منطقة الفراغ في التشريع الإسلامي على الرغم من قلة البضاعة و عظيم المورد الذي كاد أن يكون فتنة و إختبارا لمزالق الأقدام ، يتحمل من خلاله الباحث الكثير من المسؤوليات تجاه الحق تعالى و الأمة.

حيـــث وجدته أمرا بل حدثا لو لم تصغ له المسامع اليوم لأصغت له غدا مسايرة من وراء قوافل السائرين تحت ضغوط الخارج و واقع الحياة حيث وجدت الكثـــير مـــن النبرات استوحشت منها المسامع في بدايات رنينها لعدم الأنس بكل طـــارق وحـــدث جديـــد قد يحل بنظرة الناظر ضيفا بلا دعوة في محافل العلم و

الحضارات لكن سرعان ما تصافحه الأكف و تزفه التغاريد و الهتافات لتجلسه في مسند رفيع مستنكرة ما كانت آنسته بالأمس من خل و رفيق درب عايشته الليالي و الأيام و السنين و القرون و ربما كان في كل من الأنس و الاستيحاش جانب إفراط أو تفريط لأن الإتزان بكل أبعاد الكلمة عظيم مقام العارفين الذي شملتهم الألطاف الربوبية .

☆ الكتاب المجيد

و السنة العملية أو السيرة للمعصومين عليهم السلام

ممـــا يجـــب الـــتعرض له مقدمة للبحث هو ما أشار إليه تعالى من كون الكتاب تبيانا لكل شيء و ما ورد من الأحاديث من أن فيه علم ما كان و ما يكون لمن جعله أساسا يقتدي به في كافة ميادين الحياة متمشيا مع سننه الثابتة و بحوره السيالة فهو الثقل الأكبر لمن اعتصم به و الحبل الموصول بين السماء و الارض لمـــن أراد العـــروج إلى القمم العوالي و قد أمرت الأحاديث بالرجوع إليه كأساس لكافـــة الشـــؤون و متطلبات الحياة ليكون الميزان و المقياس الذي تقاس به السنة صـــحة و ســـقما في بُعدها العلمي و العملي عند صحة سندها فضلا عما لو بدت متعارضة ليكون البُعد عن روح الكتاب المجيد سبباً للطرح و الإعراض.

فالكـــتاب المجيد هو الأساس و الميزان الذي يجب أن توزن به السنة بكل أبعادهـــا العلمية و العملية ، و السنة العلمية هي الشرح و التفصيل لأبعاد الكتاب

اللامتناهـــية ، كمـــا و أن السنة العملية أو السيرة هي التطبيق للشرع و التدريب العملي لتجسيد الشريعة لمن راح ينظر بإمعان إليها من خلال حياة الرسول ﷺ و أهـــل بيـــته الكرام نقياً بعد نقيب لتصبح الشريعة حضارة للأمة في كافة ميادين الحـــياة الفـــردية و الإجتماعية و الحكومة الإسلامية لو عاشت الأمة هذه الأبعاد الثلاثة للشريعة الإسلامية .

فهـــذه الأبعاد الثلاثة يكمل بعضها بعضا لتخرج الشريعة من الفرضية و الـــنظرية إلـــى عالم الواقع و الخارج متجسدة برسم بُناتها لها في بُعدها العلمي و العملـــي علـــى ضوء الكتاب المجيد ليتدرج المسلم مع الشريعة في ميادين الأسس للكتاب المجيد و التفاصيل للسنة العلمية و مواطن التطبيق للسنة العملية حيث كانت الشـــريعة سلســـلة مـــترابطة و حلقات تدور على محورها حقائق الأمور لا غناء لأصـــل دون فـــرع و لا لفرع دون أصل و لا لهما دون مرحلة التطبيق و العمل الخارجـــي الراســـم لهذيـــن البعدين في مجال التطبيق حتى لا يصابا بالإفراط و التفريط من قبل المجتمع في مواطن الجري العملي و التطبيق للمنهج الإلهي .

فـــإذن من اللازم أن لا تفسّر السنة العلمية في ميادين الأخبار بمعزل عن مـــيزانها و أساس محورها و هو الكتاب المجيد و كذلك يجب أن لا تفسر بمعزل عـــن السنة العملية أي السيرة الآتي بيان المراد منها من خلال البحث إن شاء الله تعـــالى ، و ذلـــك خوفا من أن يتمشى حكم من الأحكام في محاور السنة العلمية ، كعـــدم جواز خروج المرأة من بيتها بدون إذن زوجها فيأخذ إطارا عاما و إطلاقا يجعل من الزوج حاكما مطلقا قلّما تشاهد له البشرية من نظير فتصبح الزوجة أمَةً يجب عليها أن تعيش فناء العبودية بازاء مولاها لو أحبّ أن لا تخرج من البيت و لـــو لبضع سنين في حين أن الأوامر و النواهي الإلهية ما كانت من رب العالمين إلا بيانا لواقع الكمال و تبعا للمصالح و المفاسد و عدلا و رحمة بحال العباد كما و

أنه تعالى ما جعل أوليائه أولى بالناس من أنفسهم و أوجب طاعتهم على العباد لو لا شهودهم للحق و مراعاتهم لمصالح الخلق و جريهم بالعدل.

فإذن كيف يمكن إطلاق حكم لزوج بدون هذه الملاحظات و القيود للحكم و لا أقل من ملاحظة كون أوامر الزوج و نواهيه متمشية مع روح الشرع و العقل و المنهج العقلائي بما له من الإمساك بالمعروف بما يناسب الزمان و المكان .

أضف إلى ذلك أنه لابد أن تلحظ بقية الجوانب لمعرفة منهجية الشرع في أبعـــاده المختلفة ليعرف المراد منها ككون (الرجال قوامون على النساء) و ما هي الحقوق المتبادلة بين الزوجين و ما هو إطار العدالة في الإسلام و تسليط أحد على أحد، في حين أن القاعدة الأولية لا سلطان لأحد على أحد .

و أن يلحـــظ في المقام أيضا ما هو مدى نفوذ الشورى في ميادين الحياة الفـــردية و الأسرية و الإجتماعية و ما تحدده السيرة العملية لمن هم الأسوة الذين يجب أن نقتدي بهم في مراحل تطبيق الشريعة عدلا و إحسانا لننظر إلى عشرتهم ﷺ في ميادين الحياة الزوجية لنطل على المنهجية السلوكية لرسام الشريعة حتى لا تخـــتلط الحقـــائق بالرغبات و المنهجية الشرعية بتمايلات النفوس و لا تصبغ الشريعة بموازين الأمم و عاداتها و ما لها من الحضارة المدنية أو القبلية حتى لا يصـــبح الأمر و النهي من قبل الزوج مما يجب اتباعه و لو كان منبعثا عن روح الأنانيات و حب الهيمنة و السلطان أو العبث بلا مبرر شرعي أو عقلي أو عقلائي أو عرفي و قد قال تعالى :﴿ **و لهـن مثل الذي عليهن بالمعروف**﴾[3] ﴿**و يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرها و لا تعضلوهن لتذهبوا**

---

[3] : البقرة ٢٢٨

ببعض ما ءاتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة و عاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا و يجعل الله فيه خيرا كثيرا﴾[4] .

فلابـــد من دراسة معمقة علمية لبعدين أساسيين في المنهج الإسلامي هما الكتاب المجيد بما له من دور الميزان و الأصل و الثاني هو السنة العملية بما لها من دور التطبيق بحيث تكون البحوث و الدراسات بعيدة عن تقوية الرأي و الدليل بواســطة حكم العامة و كثرة الأنصار و وضع اليد على عواطف المجتمع بمناهج الخطابة و إثارة الشعور.

إضافة على ملاحظة البعد الثالث و هو السنة العلمية التي هي أيضا ربما أخذت في ضمن مسيرتها في هذه القرون جانبا خاصا و بعدا معينا فراحت لتجري في بعض أبواب الشريعة بمقتضى ما كان حكما و تكليفا و محلا للابتلاء لكن هذا الواقع الأصيل ربما جعل البحث عن بقية الأبواب من السنة العلمية أمرا جانبيا كما هــو الملحــوظ بالنسبة إلى كثير من الأبواب كالاقتصاد الإسلامي و علم النفس و الاجــتماع و غــير هذه المواطن التي تحتاج إلى بحث معمق و رجال أخصائيين حيث لا يكفي فيها معرفة الحكم و الإفتاء .

و لإلقــاء الضوء بوضوحية أجلى لما نريد الإشارة إليه نلقي نظرة أخرى على جانب من جوانب الشريعة بما لها من العدل في مجال تقسيم الثروات و بيت مال المسلمين بما للكتاب المجيد من الدور الذي يجب أن يكون ميزانا للسنة لتوزن به لننظر إليه كيف تعامل مع الخمس و الزكاة من حيث التشريع و التقسيم ثم نأتي لنــنظر مرة ثانية إلى ما جرى في الكتاب من التقسيم لهذه الثروات هل كان بنحو العنوان أو البيان للمصاديق بما يمكن أن تتسع بما يناسب الزمان و المكان ؟

---

[4] : النساء ١٩

ثم نأتي في المرحلة الثانية لننظر إلى الأخبار ، بعيدين عن مسلكية التقليد باســم الفقاهــة و الإجــتهاد و دعوى الإتفاق و الشهرات لننظر إلى ما تدل عليه الأخــبار ، ثــم ننتقل بعد ذلك إلى السيرة العملية لنعايش الواقع الخارجي لتطبيق الشــريعة علــى أيــدي بُناتها : الرسول ﷺو أهل بيته الكرام ، لننظر في هذه المرحلة أيضا إلى ما جرى من كيفية تقسيم لهذه الثروات العامة في غضون الحكم الإسلامي في عصر الرسول ﷺو خلافة علي عليه السلام.

لنلقــي نظرة بعد هذه المراحل على ما هو جار اليوم من المسلكية لتقسيم هــذه الــثروات العامــة التــي أريد بها و بغيرها أن تكون الرصيد لقوام الهيكل الإسلامي حتى و لو أسلمت البشرية كافة لتكون متعاطفة مع كافة المجتمع البشري بــلا خصوصية لأحد في ذلك لحفظ التوازن في الحقوق و حق الحياة لنرى ما هو جــار الــيوم مــن التقسيم لهذه الثروات هل يتمشى مع أبعاد الشريعة بما لها من الميزان و هو الكتاب المجيد الذي هو مثال العدل و التوازن لحياة البشرية ، فضلا عن المسلمين و كذلك مع التفصيل للسنة العلمية و التطبيق للسنة العملية أي السيرة أم لا؟

و هلّا يحتمل أن يكون ما جرى في ضمن هذه القرون مما نحن عليه من التقسيم و التطبيق كان في بدايته اجتهادا لبعض أكابر علمائنا الأعلام ثم أخذ إطارا عامــا فاصبح شرعا لا مجال للنقاش فيه ؟ و هكذا يجب التأمل و السير في أبعاد الشريعة الثلاث في كافة ميادين الشرع القويم .

و لعــل الكثير من التفاصيل التي صارت محل بحث في باب الخمس هي مــن شــؤون المصداق و البحث الصغروي فلا مساس لها بالكبريات و مواطن التقلــيد و علــيه فــلا تدخل في إطار الحكم و الفتوى ، غاية ما يمكن في المقام الــتعرض له بــنحو الإرشاد إلى تشخيص المصاديق إن كان الفقيه في مورد هو

أعــرف مــن المقلّد بالنسبة إلى ما هو أمر عرفي بعد أن يعرف المجتمع من قِبل الفقهــاء ما هي إطارات الكبريات للأخذ بأيدي الناس إلى شرائع دينهم حتى تحفظ مواطــن الخــبرة و الاختصاص لكل من الفقيه في مجال الكبريات و المجتمع في مجــال الصغريات التي هي من شؤون العرف و أهل الإختصاص و مما هو من هذه المواطن هو الصعيد و الغبار الغليظ و البنوك و كثير من الأمور الأخرى التي وقع الخلط فيها بين الصغروية و الكبروية فراح العامة و السواد الأعظم يتسائلون من الفقهاء عما هو من شأنهم مما هو أمر عرفي ليصبح التقليد في الكبرويات و الصغرويات معا أمرا مألوفا لدى الناس .

☆ السنة العملية أو السيرة للمعصومين عليهم السلام

ليس المراد من السنة العملية في بحثنا هاهنا قراءة تأريخ لحياة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم و أهل بيته الكرام كأن نعرف سنة الولادة أو الوفاة و الآباء و الأمهات و عدد الزوجات و أنه في أي سنة وقعت غزوة بدر أو أحد و كم هي عدد الغزوات و في أي منها كان الانتصار للمسلمين أو المشركين و من قُتل في وقعة بدر أو أحد و متى كانت الهجرة إلى الحبشة أو المدينة و كم استمرت الدعوة سراً و متى بدأت جهاراً و كم بقي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة المكرمة و متى هاجر إلى المدينة و كم بقي فيها و من عفى عنهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بعد التسلط عليهم و ممن أخذ الفدية و من أمر الرسول بقتلهم و في أي سنة استشهد الإمام علي عليه السلام و من الذين حاربهم في أيام خلافته و متى وقع الصلح بين الإمام الحسن عليه السلام و معاوية و متى إستشهد الحسين عليه السلام و كم عدد أنصاره ؟ و هكذا.

بل المراد من السنة المبحوث عنها في إطار موضوعنا ما يستعين به المسلم لتطبيق الشريعة في أبعادها المختلفة بإلقاء الأضواء على المنهج الإسلامي في كافة المجالات المستوحاة من حياة بُناة الشريعة ليكون تفسيرا عملياً و تدريباً خارجياً و تجسيداً للشريعة يحكي بأبعاده السلوك العملي الذي يمكن أن يستعين به المسلم في حياته الفردية و الاجتماعية و مواطن الحكومة الإسلامية.

فالسنة العملية أو السيرة إذن متابعة السلوك العملي لرسام الشريعة بتفسير ذلك تحت أضواء الكتاب و السنة العلمية بأخذ اعتبار كون السنة العملية حاكية عن مسارهما في ميادين التطبيق و البروز و الظهور من باب تعاكس الأضواء المتقابلة بين الكتاب و السنة العلمية من طرف و السنة العملية من طرف آخر مع حفظ الموازين تحت ضوابط الكتاب المجيد ، حتى لا تشتبه الحقائق بالرغبات و

الآداب و الرسوم للأمم فتأخذ الشريعة تفسيراً غير سليم ينبئ عن مذاق الأفراد بدلا من منهجية الشرع القويم فينطلق من خلال ذلك البعض زاعماً أن الشريعة سنة حسينية بمعزل عن كونها سنة حسنية كانتا معا السنة المحمدية برزت بمظاهرها المختلفة لترسم خطى الشرع بما يناسب الزمان و المكان لكون الحرب يوما سنة إلهية تحكي منازل المقربين و هو بنفسه في يوم آخر يكون انتحارا و جهلا و ضلالا و إضلالا و إلقاء للنفس في التهلكة كما و أن الصلح كذلك بحسب الزمان و المكان قد يكون رسما لخطى الشرع و قد يكون في يوم آخر خيانة و جبناً .

فإذن يجب مسايرة السنة العملية في كافة مجالات الحياة للرسول و أهل بيته الكرام ليحصل المسلم على معرفة بشؤون تطبيق الكبريات على مواطن انطباقها من خلال معايشة رسام الشريعة و تفسير المنهج و التأريخ تحت ضوابط الشرع و العقل .

و هذا الأمر مما يحتاج إلى فتية تنتدب لخوض معركة لتفسير التأريخ الإسلامي تفسيرا تحت ضوابط الكتاب و السنة لتصبح القراءة مثمرة لمعرفة قواعد التطبيق و تفسيرها بموازين الشرع فهو بحث عن بعد خاص من أبعاد الشريعة يحتاج إلى أخصائيين في هذا المجال فقها و سياسة و علم نفس و اجتماع و تفسير و هكذا كما نحتاج إلى أخصائيين في مجال الاقتصاد و الكثير من المجالات الأخرى التي تكاد أن تكون مهجورة و لا يمكن أن نسمي حدود الفتوى في كثير من العلوم الإسلامية اختصاصا في ذلك المجال .

و نحتاج إلى معايشة السنة العملية بما لها من كثير من الأصول العامة ككون الإسلام بنى مسيرته على العفو العام عند المقدرة و رسم ذلك بوضوح في فتح مكة المكرمة و حرب الجمل لنتساءل بعد ذلك ما هي الفوارق التي دعت إلى رفع اليد عن هذه القاعدة المسلمة بالنسبة إلى البعض كاليهود حيث يقول الرسول

ﷺ: ﴿**ملحمة كتبت على بني إسرائيل**﴾ فكأن الأمر كان من قبيل الإطلاق و التقييد العملي في مواطن تطبيق الشريعة ليتمكن المسلم بعد ذلك من الجري على طبق منهجية الشرع في أبعاد الحكومة الإسلامية و في مواطن الحياة الفردية و الاجتماعية .

فإذن المراد هو دراسة السنة العملية دراسة علمية بواسطة لجان مختلفة من أهل الخبرة في كافة ميادين الحياة ليحصل المسلم على منهجية سلوكية مستوحاة من حياة الرسول و أهل بيته الكرام لكل مجالات الحياة ليتمكن بواسطتها من القرب الأكثر من الصواب في تطبيق الشريعة على الواقع الخارجي في ميادين الحياة الفردية و الاجتماعية و الحكومة الإسلامية و ليس المراد من السنة العملية هاهنا دراسة التأريخ كما قلنا أو الدفاع عن منهج الحق في مقابل شبهات البعض حيث ترد يوما لتقول أن الحسين عليه السلام ألقى بنفسه في التهلكة و في يوم آخر لتقول إن صلح الحسن عليه السلام ينبئ عن ضعف يتناسب مع ما أشيع عنه بواسطة معاوية و أضرابه .

و من أدق الأمور في المقام حسن التطبيق للكبريات على مصاديقها ليعرف الإنسان عند معترك الحياة ما يناسب الزمان و المكان ليجعل كل مصداق تحت ما يناسبه من الكبريات سلما و حربا و مجهول مالك و ربا و تجارة أو مضاربة فرّب فقيه رأى أن البنوك من مجهول المالك و آخر وجدها من المعاملة الربوية و ثالث رآها تجارة صحيحة حيث يكون كل ذلك من تشخيص المصاديق و هو الأمر الذي يشترك فيه أهل الخبرة جميعا و لا خصوصية له بالفقيه إلا أن يكون هو أعرف بالمصداق من غيره في مثل البنوك و الصعيد و الغبار الغليظ و غير هذه الأمور و إن كان مما ينبغي الإلتفات إليه أن تشخيص المصاديق أمر وراء أصل الكبريات التي يتوصل إليها الفقيه من خلال استنباطه للأحكام من كون

الربا من الحرمات و البيع قد أحله الله ﷻ و مجهول المالك يعود أمره إلى عدول المؤمنين أو الفقيه و كون القمار من المحرمات و هكذا.

و ذلك لأن تشخيص المصاديق يعود إلى أهل الخبرة بما يناسب المقام بعد أن يتعرفوا على الكبريات الشرعية إلا أن يكون الفقيه من أهل الخبرة في بعض المقامات كما أشرنا لكن يبقى الكلام عن كون خبرته هل تدخل تحت إطار ميادين التقليد أم أنها لا تتجاوز حدود الإطمئنان الشخصي بالنسبة إلى مقلديه و لعل في بعض المواطن يكون المقلد أكثر خبرة من نفس الفقيه في تشخيص بعض المصاديق لأنها من مجال اختصاصه ، فإذن يجب الالتفات إلى أن الكتاب و السنة يفسر بعضه بعضا فرب حضارة فرضت نفسها على الواقع الإسلامي فجاءت لتفسر قانون الرقيق من وراء منظارها الجاهلي أو من وراء منظار عربي أو فارسي .

و لعل اليوم راح البعض ليطل على الشريعة و حقوق المرأة و الرقيق و غيرهما من وراء منظار غربي ، فماذا يصنع الإنسان ليتخلص من قيود نفسه ليصبح البصر حديدا يشاهد الحق حقا و لذا يجب الالتفات إلى أنه من الجائز في بعض المقامات أن ما حصل عليه الرجال من السلطان لتفسير الشرع قد أعطت الكثير من المزايا و السمات لهم بخلاف ما لو كانت السلطة العلمية و العملية بيد النساء فإنهن سوف يفهمن منها ما يعطيهن الكثير من الحقوق و السمات أيضا .

فنحتاج إلى بصيرة نتمكن من خلالها أن نعيش النظرة إلى الواقع بروح التوازن الإسلامي فلعل من خلال هذا المنظار الخاص حصل الرجل على كثير من الأوسمة التي جعلت منه حاكما في الأسرة بلا منازع و لو تجول في ميادين أنانيته و واسع خياله ليصدر الأحكام على زوجته و بات الحاكم الإسلامي هو الثاني كذلك يعيش سلطانا ليس لأحد أن يقول بازائه (لِمَ) يتلاعب بمصير أمة تحت غطاء وابل

من توجيهات وعاظ السلاطين من أنه ولي الأمر و إن المتكلم معه و لو كان مستفهما يصبح منازعا لظل اللهﷻ و أمير المؤمنين و خليفة اللهﷻ في الأرض ، و قد جرى ذلك باسم الشرع بمشهد و مرأى من رجالات العلم و الدين لم تتقيد الأعمال بشورى أو غيرها بل راحت سلطة الرجل و الحاكم لتتخلص من كل القيود حتى من مسلمات الشرع من أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق حينما أمر بعض علماء السنة بإطاعة الحاكم و لو كان فاسقا جائرا قائلين تجب طاعته و لا ينعزل بالجور و الظلم و يجب تأييد الحاكم و ضرب المخالف له و لو كان عادلا يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر .

و بالجملة فالأحاديث إذن يجب أن تساير قاعدة العدل و الإحسان و العمل بالمعروف و العقل و موازين الحرية الإسلامية و الكتاب و السنة العملية و ملاكات التزاحم و الأولويات و المصالح و المفاسد و جميع أبعاد الرسالة نفسية و أخلاقية و هكذا .

☆ ولاية الفقيه

و من جملة المقدمات أيضا للدخول في البحث تحديد إطار الولاية و اختيارات الحاكم الشرعي فالولاية المطلقة الكبرى شأن من عصمهم الله ﷻ و جعلهم حجج حق على بريته يقيم بهم الموازين لمقامهم الرفيع الذي لا يرقى إليه من كان مبلغ علمه ظواهر الأمور و إجراء الأصول العملية في مقام الحيرة ، فبقية الناس مكلفون بالشريعة طبقا لضوابط الدليل و البرهان و العمل في مواطن الاجتهاد تحت ضوابط الشورى فيما كان يعود إلى المصالح العامة و النظام

الإســـلامي و ذلك لأن ولاية الحاكم الإسلامي لا يراد منها سوى تطبيق الشريعة بعـــيدا عـــن روح الهيمنة الشخصية و الرئاسات الدنيوية و هذا لا يتجاوز حدود المصـــلحة العامـــة للأمة الإسلامية و ما تحتاجه الأمم إلى زعمائها من أجل إقامة العدل و النظم فيما بينها .

فالولايـــة للفقيه تكون لكل مستجمع للشرائط لا خصوصية لها بفقيه خاص إلا أنـــه لما كان من الضروري أنه لابد لكل أمة من إمام استدعى ذلك التصدي لهـــذا المطلب الخطير للخروج من الفوضوية و التعددية في مقام تنفيذ الأحكام من قبل فقيه تعينه الشورى من أهل الخبرة برضاء الأمة أو أغلبيتها و لا يمكن دعوى الخـــروج عن ضوابط الشورى فيما يرجع إلى مصير الأمة مع أنه لم يخرج عن إطارها حتى الرسول الأعظم ﷺ حيث يقول تعالى: ﴿**و شـــاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله**﴾[5] .

فإذن لابد في جميع ما يرجع إلى شؤون الأمة من خضوع لقاعدة الشورى لأهل الخبرة من الفقهاء و أهل الاختصاص في كافة مجالات الحياة من اقتصاد و سياســـة و ثقافـــة و علـــم نفـــس و ذلك تكريماً لحرية الرأي و حرصاً على حفظ الموازين في ميادين العلم و العمل حتى لا تأخذ الأمور جانب إفراط أو تفريط على قـــدر الإمكـــان عـــندما تشترك العقول بروح المسؤولية و البناء الحركي لتعيين المصير و السير نحو الأحسن.

فالولاية للحاكم هي ولاية تطبيق للقانون و تنفيذ لما هو من شأن التشاور فـــيما تحـــتاجه الأمة في أمر حياتها و هو يستدعي تشكيل لجان في كافة مجالات الحـــياة لأهل الاختصاص فقهاً و اقتصاداً و سياسةً و ثقافةً و هكذا لتجري قاعدة

---

[5] : آل عمران ١٥٩

الشورى في كافة الشؤون بمراقبة نزيهة من غير أصحاب المصالح حتى لا تساق الشـــورى نفســـها أيضا كما سيقت أغلب الكبريات مع بقاء إطارها الظاهري إلى ميادين الانحراف بما يجعل منها أمراً سلبياً بدلاً من البناء و السير التكاملي ، و لذا مـــن أخطر مواطن التلاعب على طول التأريخ هو التلاعب بالمقاييس و هو أمر مشـــهود في أغلب أنظمة العالم دينية كانت أو غير دينية التي تدعو إلى العدالة و حقـــوق الإنسان و هذا الخطر لا يمكن أن تتخلص منه الأمم إلا بوعي تام حتى لا ينطلي عليها الباطل باسم الحق .

فالولاية لرئيس الدولة بحدود إقامة الحق و إجراء القانون بإشراف شورى الفقهـــاء ضـــمان لشرعية القانون و تشكيل لجان مختلفة من أهل الخبرة في كافة ميادين الحياة تحت ضوابط الشورى أيضاً .

فطاعـــة ولاة الأمر إنما هي في تنفيذ المسلمات الشرعية و ما يكون من مواطـــن الشـــورى للأخـــذ بالراجح علما و عملاً و إن كان لأصحاب الرأي غير السائد إبداء رأيهم لأنه ربَّ راجح اليوم بمنظار الأكثرية يكون مرجوحا غداً فقبول رأي الأكثرية ليس معناه الصواب و الحق بل معناه تكريم الحرية و الأخذ بالرأي الســـائد مـــع عدم إلغاء الأقلية في بيان آراءها و التأمل في مواقع إيجابها و سلبها بعـــيدا عن منهج التهريج و التشنيع المتبع في كثير من الديار الإسلامية حينما يجد مـــن يكتســـب أغلبية الآراء قاعدة شعبية حيث يقع إستغلال العقول البسيطة سندا لصحة الرأي لإنزالهم إلى الشوارع لكسح الأقلية و الفئات المخالفة .

و من جملة المقدمات أيضا التي يجب الإلتفات إليها أن بعض الكبريات قد تخـــتلف مصاديقها باختلاف الزمان و المكان فرب لباس كان من لباس الشهرة في زمان أو مكان و هو بنفسه لا يكون كذلك في زمان أو مكان آخر .

فـــإذن من الممكن أن تدخل بعض المصاديق تحت كبرى ثم تكون تحت كـــبرى ثانـــية باختلاف الزمان أو المكان إلا أن يرد الحكم من قبل الشارع على مصداق معين و يفهم من ذلك أنه مبغوض بنفسه لدى الشرع كما لو علم أن بعض أدوات القمار حرمت بنفسها لا لكونها من أدوات القمار و عليه فيجب الالتفات إلى أن دخـــول بعـــض المصاديق تحت بعض الكبريات و خروجها أحيانا ليس تبديلا للأحكام الشرعية ليقول القائل كيف يكون هذا ؟ و الحال أن حلال محمد ﷺ حلال إلى يوم القيامة و حرامه حرام إلى يوم القيامة حيث يُقال هاهنا أنه لم يتغير الحكم في المقام و هو كون لباس الشهرة محرماً.

و مـــن جملـــة المقدمات أيضا أن للزمان و المكان تبعا لتحقق المصالح و المفاسد أثرا بارزا في توجيه الأحكام حينما يكون تشخيص المصالح و المفاسد في متناول العقول بما يرجع إلى شؤون الحياة و الأمة الإسلامية فمثلا ربّ يوم يكون الـــتعامل مـــع أمـــة أو دولة من المحرمات لأنه تعامل مع المحاربين للإسلام و المسلمين فتحرم بتبعه الكثير من المأكولات و المشروبات و الملبوسات و غيرها.

لكـــن قلنا أن تشخيص هذه الأمور لا يكون عملا فرديا لأنها أمور تتعلق بـــالواقع الخارجـــي و مشخصاته فلابد و أن تجري تحت ضوابط الشورى لأهل الخبرة و الإختصاص .

نعـــم يكون التنفيذ بيد رئيس الدولة الإسلامية حتى لا تقع الفوضوية في البلاد و تتعدد الحكومات داخل النظام الإسلامي و لكن هذا أيضا ليس معناه تبديلا للأحكـــام الإلهـــية فـــي كـــون المباح صار محرماً ، لأنها من الأمور التي تتغير ملاكاتها تبعا للزمان و المكان.

و من المقدمات التي يجب الإلتفات إليها أيضا أنه نحتاج بالنسبة إلى بعض الكـــبريات أو الصغريات إلى شيء من التثبت في إصدار الأحكام عليها خوفا من

توجيه بعضٍ النقد على الشريعة من أنها كيف أصبحت أحكامها متغيرة بالنسبة إلى بعض الأمور كما هو المشهود بالنسبة إلى الراديو و التلفاز و غيرهما حتى كادت أن تكون محرمة بنفسها يتحاشاها المؤمنون ثم أخذت تدخل البيوت بلا استثناء من بعد ما صدر الحكم على بعض المتعاطفين معها فيما مضى من الزمن بالفسق .

فقد يقع التساؤل في أنه هل كان الحكم بتحريم هذه الأدوات بإطلاق الكلمة من باب الخطأ في تشخيص المصداق لكبرى من الكبريات أو أن المصداق كان معيناً و أريد من المنع التجنب عن هذه الأمور إحتياطا أو أن العزلة و محاربة كل جديد و حادث كانت هي الداعي إلى التسارع في إصدار الأحكام أو أن المراد في المقام هو أن هذه الأدوات تختلف باختلاف المستعملين لها فقد تكون محرمة بتبع الاستعمال أو مباحة كذلك .

و على هذا الفرض فإنه كان ينبغي أن يبين ذلك للمجتمع من أول الأمر حتى لا يسبب المنع بنحو الإطلاق شبهة في فهم الأحكام الذي قد يسوق البعض إلى الأخذ بنحو الإفراط أو التفريط بازاء التعامل مع مستجدات الحضارة و العلم.

و من المقدمات التي يجب الالتفات إليها أيضا أن الكثير من العناوين و الموضوعات راحت لتأخذ إطارا عاما بإطلاق الكلمة في حين أنها تحتاج إلى تنقيح محل البحث بمعونة الشرع أو العرف أو أهل الإختصاص لتتحدد الموضوعات أولاً حتى يأتي دور ترتب الأحكام.

فمن هذه العناوين عنوان اللهو و اللعب و الضرر المستوجب لحرمة الاستعمال أو الإقدام على الشيء و عنوان الإعراض عن ذكر الله ﷻ و الغناء و الباطل و القبيح و اللغو و الموسيقى ليقع البحث أولا حول تحديد الموضوعات سعة و ضيقاً ليأتي بعد ذلك دور الأحكام من أنها بنحو إطلاقي أم بنحو الموجبة الجزئية بمعنى أن الحرمة عند البعض دون البعض أو أنها مقيدة ببعض الشروط

و القـــيود أو أن لها مواطن استثناء حتى لا يقع الكلام فيها بنحو الإطارات العامة بدون تنقيح للكبريات و الصغريات .

و بالجملة لابد من بذل جهد لتنقيح هذه الموضوعات أولاً ولو بواسطة أهل الخـــبرة و الاختصـــاص حتى يأتي دور البحث عن الأحكام في المرحلة الثانية ، فمثلا هل الغناء هو الحديث المضل أو الكلام الباطل كالكذب و البهتان و التشبيب بالنســـاء المعينات أو هو أمر يرجع إلى كيفية الصوت المطرب أو هو قول الزور أو هو كل ما يستلذ به السمع ، أو أن الغناء هو اللهو ليقع الكلام حول اللهو من أنه مـــا المـــراد مـــنه ، و هـــل هناك دليل على أن اللهو من المحرمات مطلقا و هل التشخيص يكون من قبل الشرع أو العرف، أو أن الغناء ما كان منشأ لشدة السرور أو الحزن أو هو الخفة التي تخرج الإنسان عن الاعتدال و الوقار .

و هـــل الحـــرمة لنفس الغناء ذاتاً أم الحرمة عرضا بدخول النساء على الـــرجال مـــثلا و مـــا يستتبعه من المفاسد، أو أنه يكون محرما إذا كان من شأن مجالس أهل اللهو و الفسوق ، و هل بناء على الحرمة هو محرم بنحو الإطلاق أو هناك مستثنيات كالأعراس أو الأفراح و الأعياد.

و كذا يجري البحث في اللغو من أنه هل هو كل ما لا يعتد به من الأفعال و الأقـــوال لعدم اشتماله على غرض عقلائي أو هو غير ذلك و على فرض كونه ما لا يعتد به من الأفعال و الأقوال فهل هناك دليل يدل على حرمة ما كان كذلك ؟ أو أن اللغو له مراتب يكون محرما إذا بلغ مرتبة خاصة من مراتب اللغو .

و هل اللعب بآلات القمار بلا عوض للإستيناس محرم لأنه قمار أو بحكم القمـــار أو أنـــه يحـــرم للهو أو أنه لا دليل على حرمته ، و هل تكون الاطلاقات الجاريـــة علـــى كثير من الموضوعات تحت عنوان الاحتياط مستوجبة لضيق قد يـــؤدي إلى بعض السلبيات أم لا ؟ و إذا كانت بعض هذه العناوين قد اختلف فيها

الأعلام من حيث الحكم أو سعة الموضوع و ضيقه فهل يكون من الجائز في مثل هذه المقامات الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ؟ أو غاية ما يمكن أن يقال هو الإرشاد و النصح دون النهي المحتاج إلى دليل قاطع في المقام ؟

و كذا يكون البحث عن اللهو هل هو كل ما يصدّ عن الحق فيكون متابعة للهـوى ، أو هو شيء آخر، و هل هو تشكيكي قابل للشدة و الضعف حتى يكون المحـرم مـنه هـي المراتـب الشـديدة لإضاعة الحياة أو أن الحرمة تعم جميع المصـاديق؟ و كذا اللعب ، ما المراد منه؟ هل هو كل عمل غير عقلائي ؟ أو هو غير ذلك ؟ و هل الحرمة ثابتة بنحو إطلاقي أم لا ؟ و كذا العبث ما المراد منه ؟ هل هو نفس اللعب و لو من حيث الملاك ؟ و هل المصاديق لهذه الأمور ثابتة أو تختلف من حيث الزمان و المكان ؟

و مـن المقدمـات أيضاً أنه نحتاج من أجل تطبيق بعض الكبريات على مصـاديقها إلـى خبراء في كل فن بما يناسب المقام ، فمثلا قد يتوصل الفقيه إلى بعـض الكـبريات سواء كانت من المسلمات كحرمة الخمر و الربا أو من موارد الاجـتهاد و الاسـتنباط و تشـخيص المصاديق كالغبار الغليظ أو الصعيد و كون الغـبار الغلـيظ من المفطرات ، إلا أن تشخيص المصاديق ربما يحتاج إلى أهل الخـبرة من كون هذا من الخمر و المسكرات أم لا ؟ و كذلك هل البنوك ربوية أو تجاريـة أو أنهـا من مجهول المالك لأنها ليست من مواطن الكبريات الاستنباطية للفقيه ، غاية الأمر قد يكون الفقيه من أهل الخبرة فيها لكن خبرته لا تفيد حكما بل تكـون من موارد الاطمئنان إن كان المقلد لا سبيل له لتشخيص المصداق من قبل نفسه أو العرف أو الشرع.

و كذلك كون الغبار الغليظ من المفطرات بحسب الكبرى لا يستدعي تحديد الموضـوع و المصداق من قبل الفقيه ككون دخان السيجارة من هذه المصاديق أم

لا؟ بـــل هـــو أمـــر يعـــود إلى العرف و يكون الفقيه في المقام أحد أفراد العرف لتشـــخيص المصـــداق و حصول الاطمئنان و لعل الكثير من المصاديق للكبريات عرفـــية أو تعود إلى أهل اختصاص خاص فيكون العرف الخاص أو العام أعرف بها من غيره .

و مـــن جملة مواطن التطبيق الصغروي أنه قد يجري البحث في أن مثل الســـيارة أو الراديو و ما شاكل هذه الامور من بعض الأدوات المنزلية هل يشملها الخمس أو لا ؟ فيظن البعض أن النزاع فيها كبروي و الحال أنها ترجع إلى كبرى المؤن السنوية فتشخيص ذلك أيضا مما يعود إلى العرف من بعد ما يعرف ما هو المـــراد مـــن المؤن السنوية و ما هو المراد من الفاضل السنوي فهذه المواطن لا ترجع إلى شأن الاستنباط و الفقاهة .

و هكذا الأمر جارٍ بالنسبة إلى وجه الأرض و الصعيد و كون الأفق واحدا أو متعددا في مسألة الهلال و كون هذه المدينة الكبيرة بحكم مدينة واحدة أو متعددة فإنها أمور عرفية أو ترجع إلى أهل الخبرة بما يناسب المقام .

و مـــن المقدمات أيضا أنه يجب الالتفات إلى ما هو من مسلمات الشريعة ليمـــيز عما هو من شأن الاستنباط و الفهم البشري الذي قد يختلف الأمر فيه و لو عند شخص واحد حينما يتبدل رأيه من شيء إلى شيء آخر .

فإذن من جملة المقدمات التي يجب الالتفات إليها أنه يجب تمييز ما هو من شـــؤون الاجتهاد الفقهي أو السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو غير ذلك من الأمور ليمتاز ما هو من مسلمات الشرع عما هو من مواطن الفهم البشري الذي قد يقـــع فيه الخطأ أو التغيير و التبديل ، و إن كان الشرع القويم ثابتا في كافة أبعاده في نفس الأمر و الواقع حيث أنه لم يدع شيئا إلا بيّنه و لم يدع واقعة إلا و تطرق لحكمها و على هذا فلم يبق سوى تطبيق الموازين و معرفة الكبريات لتطبق على

مصـــاديقها و هاهـــنا يظهـــر عمق المعرفة لمعايشة المسلم لأبعاد الرسالة الثلاث الكـــتاب و الســـنة العملـــية و العلمية ، و كيف يتمكن المسلم العارف من تخطي مـــراحل النظرية السليمة الشرعية في ميادين العلم إلى مرحلة التطبيق على أيدي ذوي الخبرة و الدراية بظرافة ترسم الشريعة بأفقها المبين باعتدال و توازن بعيدا عن الإفراط و التفريط .

و من جملة المقدمات و الأمور الهامة في المقام التي يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار هي ملاحظة الأسس و المباني التي هي من المحكمات ، و السنن الثوابت في عالمي التكوين و التشريع التي لا تبديل و لا تحويل لها لأنها نظم عالم الإمكان لتكون أصولا لمنهج الكمال و الحركة المتواصلة نحو الغايات بازاء المتشابهات و التفاصيل من معالم التطور و التغير و مظاهر الآيات الربوبية لأنه تعالى كل يوم هـــو فـــي شأن و فيض و عطاء جديد مستمر على هياكل الممكنات قال تعالى : ﴿ **يسأله من في السماوات و الأرض كل يوم هو في شأن**﴾[6] و ذلك لسيلان عـــالم الإمكان بسيره التكاملي نحو غاية الغايات اللامتناهية لقاعدة ﴿ **إنا لله و إنا إليه راجعون**﴾[7] تحت ضوابط الأسس الثابتة من المبادئ إلى الغايات بالنسبة لكل شـــيء بمـــا يناسبه من الكمال من الذرة حتى المجرة بما يعم الملائكة و الإنسان الكامل الذي بلغ قاب قوسين أو أدنى و راح مستمرا في عروجه بما لا يحد بحد .

فالراسخون في العلم على الرغم من سيلان عالم الإمكان طراً نحو الكمال بجميع مراتبه و شؤون تطوره يرونه ثابتا بوحدته و أسسه و محكم آياته المتقنة ،

---

[6] : الرحمن ٢٩

[7] : البقرة ١٥٦

فهـم يعايشـون السيلان و التطور في عين الإحكام و الثبات الذي لا تبديل و لا تحويل له .

فـلا جمـود يدعـوا إلى التوقف بازاء التطور و التحرك نحو الغايات و الكمال بدعوى المحافظة على الشرع بمقابلة كل حادث باسم البدع و الانحراف و لا تحلـل باسـم الحضـارة و الحركية و التجدد ليسوق نحو إنكار القيم الثوابت المحكمات في عالمي التكوين و التشريع التي لولاها لنسفت جميع القيم و موازين العلم و الخلق الكريم و الفطرة و الحضارات.

كـل ذلـك لـيأخذ الإنسان باختيار في عالم الاختبار سبل الحق و مدارج الكمال بعقل سليم تحقيقاً لحكمة الله بقضائه و قدره على وجه الأرض و هو تعالى القـادر على حسم مادة النزاع و جعل الناس أمة واحدة لا تختلف في مبدأ أو معاد أو نبوة أو إمامة أو مذهب أو مسلك ، لكن بذلك إبطال الموازين و الحكم الإلهية و تضـييع مـنازل الأبرار و المقربين على اختلاف مراتب ذوي العزم و الصلاح السائرين في مسالك الكمال .

☆ الشورى

و مـن جملة المقدمات في إطار البحث أيضا ملاحظة أنه لابد من جريان قاعدة الشورى في كافة ميادين الحياة تحت ضوابط الشرع و الحرية و حفظ حقوق الآخريـن الخاصة كالأقليات القومية و المذهبية و غيرها من المسالك و الأحزاب حـتى لا تسـحق الحـريات و الحقوق الخاصة تحت عربة الرغبات أو مصلحة الأكـثرية ، ثـم يكـون ما ترجحه الشورى في كافة مجالات الاختصاص مسلّما

لرئيس الدولة الإسلامية في مرحلة التنفيذ ليحصل اشتراك المساعي لبناء المجتمع ، و يتســـع نطاق الشورى ليعم الحياة الفردية و الاجتماعية و الحكومة الإسلامية قـــال تعـــالى ﴿ **و الذيـن استجابوا لربهم و أقاموا الصلاة و أمرهم شورى بينهم و مما رزقناهم ينفقون**﴾ [8] فامتدح بذلك المؤمنين مشيراً إلى عظيم مقام التشاور و التفاهم الناتج عن الوعي و الكمال العقلي ، الداعي إلى البعد عن روح الكبر و الاستبداد في الرأي .

فالمؤمـــنون نفـــس واحـــدة يتبادلون الآراء طلباً للوصول إلى الأحسن و الـــراجح من كل شيء حيث يقول تعالى ﴿ **الذيـن يستمعون القول فيتبعون أحسنه**﴾[9].

فقد جعل الله ﷻ الشورى بعد رابطة الصلاة التي هي المحبة و الصلة بين العـــبد و ربه و ألحقها بالتضامن و حس المسؤولية بازاء الآخرين مما أنعم اللهﷻ به على العباد تأكيداً و إرشاداً على أسس الروابط و كون الدين هو المحبة و أنه لا واقعية للشرع بلا تحكيم أسسه التي منها التشاور في الأمور و قال رسول اللهﷺ **﴿ما شقي عبد بمشورة و لا سعد باستغناء رأي﴾** و قال: ﷺ **﴿ ما خاب من استخار و لا ندم من استشار ﴾** و قال :ﷺ **﴿كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته﴾** و قال ﷺ:﴿ **إذا كان أمرائكم خياركم و أغنيائكم سمحائكم و أمـركم شـورى بينكم فظهر الأرض خير لكم من بطنها و إذا كـان أمـرائكم شراركم و أغنيائكم بخلاؤكم و لم يكن أمركم شورى بينكم فـبطن الأرض خـير لكم مـن ظهـرها**﴾ لـــيجعل الأمة في هذه الكلمات تعيش

---

[8] : الشورى ٣٨

[9] : الزمر ١٨

الاندفاع نحو الخير و التواصي بالحق و حس المسؤولية و حياة التشاور و التفاهم في الأمور و قد قال تعالى مخاطباً نبيه الأعظم ﷺ ﴿ **و شاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾[10] و قال علي عليه السلام: ﴿ **لا ظهير كالمشورة و الاستشارة عين الهداية**﴾ و ورد أيضا ﴿ **من استبد برأيه هلك و من شاور الرجال شاركهم في عقولهم**﴾ .

فإذا كان الرسول ﷺ مع عظم مقامه يؤمر من قبل الله ﷻ بمشاورة المسلمين بإطلاق الكلمة فكيف حال سائر الناس بالنسبة إلى هذا الأمر الهام الذي يرتبط بمصير الشرع و الأمة في كافة الأبعاد .

فإذن لا يمكن تحت أي عنوان و توجيه التهرّب من واقع رسمته الشريعة و أكدته في أبعادها الثلاث الكتاب و السنة العلمية و العملية بعد أن كان الرسول يشاور الناس و يأخذ بعين الاعتبار آرائهم الراجحة بل غير الراجحة إذا كانت الأصوات تميل بكفتها إليها تكريماً لحرية الرأي.

و قد جرى ذلك من الرسول ﷺ في أشد ظروف الحياة صعوبة و أخطرها مقطعاً و دخالة في رسم مصير الأمة و الرسالة كمسائل الحرب و غيرها كما هو المشاهد في غزوة (أحد) على الرغم من كل ما كانت تحمل المشورة من السلبيات التي أدت بالهزيمة و قتل العديد من أكابر المسلمين و هناك الشواهد العديدة التاريخية تدل على العمل بمقتضى الشورى بمنهج الشرع في كافة ميادين الحياة لما تحمل من الإيجابيات التي لا تقاس بجوانبها السلبية .

و عليه فلا يمكن رفع اليد عن المشورة في الأمور في كافة المجالات الفردية و الاجتماعية و الحكومة الإسلامية ، و إن العمل الفردي بروح الكبر و

---

[10] : آل عمران ١٥٩

الاستبداد يتنافى و روح الإسلام و سلامة العقل مع ما يحمل الإنسان من القصور و التقصـــير ، و قــد راح المؤمنون يضطربون اضطراب السليم خوفاً من ربهم بازاء ما حمّلهم من المسؤولية .

و قــد قــال الرسول ﷺ **«شـيبتني آية من سورة هود»** حيث يقول تعــالى ﴿ **فاستقم كما أمـرت**﴾[11] و لــو فتحت الأبواب للتأويل و التفسير و التوجــيه لــترك المشــورة في الأمور لما بقي أمر من أمور الشريعة و عناوينها الأولــية و أسســها الثابتة و قواعدها المسلمة فضلاً عن حقوق المجتمع و تطبيق موازيــن العــدل إلا و طاولــته معاول التحريف و التوجيه و كدرت أفقه المبين الصــياغة العلمائــية بنحــت القوالب الذهبية الكلامية من قبل أصحاب المصالح الشخصــية و لــو تحت غطاء العناوين الثانوية و تشخيص المصالح و الأولويات المكانية و الزمانية .

فمــا لم تتقيد الصلاحيات في كافة المجالات و الشؤون المصيرية للامة و المصالح العامة للإسلام و المسلمين بإطار الشورى لأهل الخبرة و الاختصاص لا يبقى من الشرع و حقوق الأمة إلا رسمها و لست أدري ما هي الأبعاد التي تساق إليها الأمم من جراء تلبس قادتها بروح الاستبداد و العمل بغير علم و لا مشورة .

فــإذن لابد من تشكيل لجان بمستوى المسؤولية و الخبرة في كافة مجالات الحــياة علما و عملا سواء في ذلك ميادين الفقه أو الاقتصاد أو السياسة أو غيرها لتســير الأمــور جميعا تحت ضوابط الشورى بعيدة عن تدخل غير أهل الخبرة و الاختصاص فيما ليس من شأنهم .

و من المقدمات التي يجب الالتفات إليها أيضا أن لا يقع الخلط بين مواطن الاختصاص في الكبريات التي يكون المرجع فيها هم الفقهاء ، و بين الصغريات و

---

[11] : هود ١١٣

هـــي تشـــخيص المصـــالح التـــي قد يكون أمرا عرفيا أو راجعا إلى أهل فن أو إختصاص خاص فمثلا ما هي متعلقات الخمس و الزكاة شرعا فإنه يعود إلى أهل الاســـتنباط و الفقاهة لكن المصاديق الخارجية قد تكون عرفية أو عائدة إلى أهل الخبرة كعلماء الاقتصاد أو غيرهم كالنقود المتداولة في هذه العصور من أنها تكون تابعـــة لأرصدتها في البنوك العالمية من الذهب و الفضة أو غيرهما أو لها اعتبار نفسي لدى العقلاء ؟ فإن كانت تابعة لرصيدها كان المدار على منشأ الاعتبار من النقدين و عليه فيجب أن تُلحظا بلحاظ كونهما مسكوكين أو غير مسكوكين ، لينظر إلـــيها ، هـــل يشملها حكم النصاب من الدراهم و الدنانير و عدمه من حيث تعلق الحكـــم الشـــرعي أم لا ؟ أم هي تدخل تحت المؤن السنوية ، و هذا بخلاف ما لو كـــان منشـــأ الاعتبار هو اللحاظ العقلائي بنفسه بدون منشأ مالي للاعتبار لكنه قد يكون بعيدا عن ساحة الواقع ، فتشخيص هذه الأمور مما يعود إلى أهل الخبرة في الاقتصاد و ليس من الكبريات الاستنباطية لحكم شرعي.

و مـــن المقدمات التي يجب الالتفات إليها أيضا أن موضوعا واحدا ربما اختلفـــت أحكامه باختلاف الخصوصيات كالحج ، قد يكون واجبا أو مستحبا و قد يحدد بحدود إذا أصبحت البلاد لا تسع كثرة الحجيج و هكذا بالنسبة إلى الصلاة قد تكون واجبة أو مستحبة و من قيام أو قعود و ربما تصبح مجرد تكبيرات كالصلاة فـــي مـــيدان الحرب لكن هذا ليس معناه تغييرا للأحكام الإلهية بل هي أحكام ثابتة لموضوعاتها باختلاف المكلفين .

و قـــد أشرت إلى هذه المقدمات أولا من أجل أن لا يظن البعض أن هناك تغييرا للأحكام الإلهية و ثانيا من أجل أن لا تختلط مواطن الاختصاص (كبرى) و هـــو الأمر العائد إلى الفقيه و (صغرى) و هو الأمر العائد إلى أهل الخبرة بما يناسب المقام .

و مـــن المقدمـــات أيضـــا أنـــه يجب تمييز ما هو من مسلمات الشرع و ضـــروريانه عمـــا هـــو مـــن شأن الاجتهاد حتى لا يصبح العلم وقفا على بعض العصور.

و من المقدمات أيضا أنه لابد من الحذر التام حتى لا يأخذ الاجتهاد بالجري في سوح الواقع تحت ظلال التقليد.

☆ مواطن جريان الشورى

تجـــري الشـــورى فـــي الكبريات التي هي من شؤون الفقاهة و استنباط الأحكام الشرعية في مواطن المصالح العامة للأمة كما تجري في تطبيق الكبريات علـــى مصـــاديقها و تشخيص الموضوعات في كافة ما هو من أمور الأمة و في مواطن الأمور التنفيذية و تشخيص الراجح منها و السعي لإدخال الصغريات تحت مصاديقها على أيدي أهل الخبرة و الاختصاص في كل مقام بما يناسبه و ما يرجع لمواطـــن تـــزاحم الملاكـــات في الأمور العامة و كذلك بالنسبة لتشخيص الأحكام الـــثانوية و مواطن العسر و الحرج و الاضطرار لو فرض لها ميادين عامة تعود إلى المصالح الاجتماعية .

و لا تـــرقى الشـــورى للأحكام الإلهية بما هو من شأن التنزيل و التأويل لشـــرح بطون الرسالة بأبعادها السبع و السبعين اللامتناهية بلا تناهي الكمال حيث يكـــون من مواطن اختصاص من جعلهم الله ﷻ أسوة و حجج حق على البرية ، كمـــا و أنهـــا لا تـــرقى إلى كل موضوع قضى الله ﷻ و رسوله فيه حكما لرسم الشـــريعة لمصـــلحة خاصة كما كان بالنسبة إلى زواج زينب بنت جحش من زيد

مولى رسول الله ﷺقال تعالى ﴿ **و ما كان لمؤمن و لا مؤمنة إذا قضى الله و رسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم** ﴾[١٢] .

فالأمـــر الـــذي كان بالعنوان الأولي شأنا بشريا ليعيش فيه الإنسان كامل الاختـــيار قـــد يدخل تحت ضوابط الشورى رجحانا في مجاله الفردي و لزوما و إيجابـــا فـــي مجالـــه الاجتماعـــي و الحكومة الإسلامية و قد يدخل تحت وجوب الاستسلام المحض إذا كان موردا لقضاء الله ﷻ و رسوله ﷺ.

لكـــن لابد من مراقبة من غير أصحاب المصالح الشخصية حتى لا تساق الشـــورى نفسها أيضا كما سيقت أغلب الكبريات السليمة إلى ميادين الانحراف مع حفـــظ إطارها الظاهري بحيث أصبحت أمرا سلبيا كالمخدرات و الأمور المضلة للأمم بدلا من الإيجابية و البناء .

و لـــذا كـــان من أخطر مواطن التلاعب ؛ التلاعب بالمقاييس على طول الـــتأريخ و ذلـــك لأنـــه فـــي كثير من المواطن تكون العناوين سليمة و الكبريات صحيحة بل ربما كانت من أجمل العناوين و أحسنها حلاوة لكن يجب أن لا تنخدع الأمم بصياغة العبائر و نغم الألفاظ فرب كلمة حق أريد بها باطل و عسل دس فيه السم و لا مخلص من مكر شياطين الإنس إلا بوعي و عقل سليم .

و كـــيف لا تكون الأمور مورد التشاور في حين أن كل إنسان ينظر إلى الحقـــيقة بمـــنظاره الخاص و مبلغ علمه و عقله و قدر صفاء نفسه و سلامته بما يحمل من القيود و ما يحاط به من تأثير الحضارات و العوامل المختلفة المكانية و الزمانـــية و آثار الوراثة و التربية و الانفعالات النفسية الخاصة و تأثير المعلم في

---

[12] : الأحزاب ٣٦

كيفـــية تفهـــيم الإنسان لحقائق الأمور و عشرات العوامل المؤثرة الأخرى التي قد تكون لها الدخل في استنباط الإنسان للأحكام الشرعية و كيفية تطبيقها .

لكـــن بالتشـــاور يتحمل الجميع مسؤولية أعمال أنفسهم فقد جعل الله ﷻ الشـــورى أداة لحفـــظ الموازين على قدر الإمكان لبشر لا مخلص له من قيوده و قصـــوره ، و لـــو لا خوف الإطالة و الخروج عن مواطن البحث لأشرت إلى ما يستوحى من الشرع القويم بالنسبة لسبل الله ﷻ اللامتناهية في الكمال تبعا للانهاية الحق تعالى و كونه الغاية المطلوبة بالذات و أن هذا الواقع الأصيل لا يبلغ مداه إلا مـــن أحاطهم الله ﷻ بألطاف رحمته الواسعة على اختلاف مراتب المقربين و أين من فهم و تطبيق المسالك الربوبية مظاهر الشياطين الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فظـــنوا الكمال في حضيض ظلمات الجهل المركب بمنطق الكبر و الغرور مدعين العلـــم بكل شيء و أنه يجب على الكون أن يقف إجلالا لمقدمهم و رفيع مقامهم ، فـــراحوا بـــروح الاســـتبداد على طول التأريخ ليرسموا للأمة مصيرها و للشرع خطاه.

منطقة الفراغ التشريعي

التعبـــير بمنطقة الفراغ التشريعي قد يكون بحسب الظهور البدوي متضمنا لشـــيء مـــن التسامح أو مؤديا لمفهوم غير مراد لأصحاب النوايا السليمة حيث لا فـــراغ في نفس الأمر و الواقع لشريعة كانت تبياناً لكل شيء في مواطن الكتاب و السنة والسيرة ، فلم تترك واقعة و لا حادثة إلا بينتها لذوي البصيرة الذين يعيشون أبعـــاد الرسالة بأبعادها الثلاثة أصلا بحسب الكتاب و بيانا بحسب السنة و تطبيقا بحســـب الســـيرة ليصـــبح كـــل حـــدث صغرى لتلك الكبريات التي رسم خطاها المعصـــومون في غضون حياة أربعة عشر معصوما من النبي الأكرم ﷺ حتى زمن الغيبة للحجة (عج).

و المراد من الفراغ هي الصلاحيات بما تناسب حياة الأمة بمقتضى الزمان و المكان في مجال تطبيق الشريعة بما يناسب الأولويات العقلية أو الاجتماعية في حـــياة الفـــرد و المجتمع و النظام الإسلامي بحسب ما يستوحيه المسلم من سيرة المعصـــومين لكافـــة شؤون حياته الفردية و الاجتماعية و نظامه الإسلامي على اخـــتلاف المسؤولية لهذا المسلم في حياة أمته الإسلامية حيث قال ﷺ: ﴿ **كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته** ﴾.

فمن جملة هذه الصلاحيات تطبيق الكبريات على مصاديقها بتنفيذ الشريعة فـــي مواطن الضرورات و المسلمات و كذلك ما يكون راجحا بحسب الاجتهاد و أهل الخبرة سواء في ذلك الاجتهاد الفقهي أو الاقتصادي أو السياسي أو الثقافي أو غيره من محاور الاجتهاد و الاختصاص تحت ظل الشريعة و ضوابط الشورى .

و مـــنها إجراء الأحكام الثانوية من قبل الشورى المختصة بها بعد ثبوتها بأدلـــتها بالنســـبة إلـــى ذلك الأمر الطارئ في محاور المصالح العامة و الحكومة الإســـلامية لا ما يعد من العناوين الثانوية في مجال شؤون الفرد حيث يكون حقا شخصـــيا أو تكلـــيفا خاصا يميزه الفرد بوجدانه و عقله و مشورته مع الآخرين و بمسؤولياته الباطنية تجاه الحق تعالى و الخلق .

و منها مواطن تزاحم الملاكات ثم العمل طبقا لما يرجحه أهل الخبرة تحت ضوابط الشورى سواء كان التزاحم في ميادين الأمور العقلية العائدة إلى المصالح العامـــة أو الاجتماعـــية أو الاقتصادية حيث أنه ليس من حق أي أحد بانفراده أن يقرر مصير أمة كما عاشته الأمة الإسلامية طيلة القرون سواء باسم أمير المؤمنين أو ولـــي الأمر أو الأمير حيث عاشت الأمة استبداداً لا مثيل له حتى في الغابات باسم الله ﷻ و رسوله حشّد لتلقين الأمة شرعيته وعاظ السلاطين .

و منها مواطن تشخيص الأولويات للأخذ بالراجح منها بعد انصياعها أيضا تحت ضوابط الشورى لأصحاب الخبرة ليكون التنفيذ أيضا بيد الحكومة الإسلامية لأن ولايـــة الحـــاكم هي ولاية تنفيذ للشيء و ليست ولاية تبديل و تغيير للأحكام الشـــرعية ككون البضاعة تمراً أو سيفاً أو حصيراً في يوم من الأيام و كونها من مستجدات العصر الحديث في يوم آخر بعد كونها مما أحلها الله ﷻ .

و الأمة بحاجة ماسة في كافة مجالات الحياة لأصحاب الخبرة على صعيد العلم و العمل حتى يصبح ميدان جولان الحكومة الإسلامية في المواطن النظرية و كذلك في مجال تطبيق الشريعة على الواقع الخارجي مزدهرا بأهل الاختصاص و محفوفـــا بضـــوابط الشورى حيث يكون العمل بالشورى راجحا في مواطن الحياة الفـــردية و لازمـــا في مواطن الحياة الاجتماعية و التخطيط لرسم مصير أمة أو شرح الرسالة الإلهية .

أجل من الضروري أن تقع الأمور بأيدي أهل الخبرة و الأخصائيين ليعمل كـــل ذي خـــبرة و اختصاص في مجال عمله من فقه أو اقتصاد أو سياسة أو علم نفس و هكذا ،كل ذلك تحت ظل موازين الشريعة بإشراف من قبل شورى الفقهاء لصيانة الأمور و شرعيتها.

فقـــد حـــدد الإســـلام حدود التصرفات الفردية و الاجتماعية و صلاحيات الحـــاكم و الحكومـــة الإسلامية تحت ضوابط الشرع و الشورى و لم يفتح المجال تحـــت عـــنوان منطقة الفراغ لهجمة الاستبداد للتلاعب بالقوانين و ضياع حقوق المجـــتمع و الأقلـــيات بادعاء تشخيص المصلحة ليتلاعب المتلاعبون تحت غطاء التأويل و التفسير بكل أبعاد الرسالة و حياة المجتمع و أوكل مواطن التطبيق لمنهج الشـــرع بما يناسب الفرد و المجتمع و الحكومة إلى كلٍ بما يناسب المقام بإشراف لسليم العقل و نور العلم حتى و أنه منع الإنسان من التصرف في أمواله الشخصية إذا لم يتزن من حيث البذل و سماه سفيها و جعله تحت سلطان الولاية .

فتطبيق الشريعة في ميادين المسؤوليات العامة و المصالح الاجتماعية بما يكـــون رسما لمنهج الشرع و تخطيطا لمصير أمة لابد و أن يجري تحت ضوابط الشورى بما يعم تطبيق الشرع بعناوينه الأولية أو الثانوية و كذلك بالنسبة إلى كل مـــا يعـــود إلى مواطن الاجتهاد سواء كان اجتهاداً فقهياً أو اقتصادياً أو سياسياً أو اجتماعيا أو غير ذلك لأن الاجتهاد حتى و لو كان في مواطن الفقه و الأصول إذا تجاوز حدود الفتوى و التقليد و راح ليرسم شرعا أو يخطط لمصير أمة لابد و أن يكون تحت ضوابط الشورى في كافة ميادينه العلمية و التطبيقية بما يناسب المقام من شورى الفقهاء أو الاقتصاد أو السياسة أو غير ذلك .

و كذلـــك لابـــد أن تحـــدد الصلاحيات للحكومة الإسلامية تحت ضوابط الشـــورى مـــن أهل الخبرة و الاختصاص فيما تعود إلى تشخيص الأولويات في

المصـــالح العامـــة و الأخذ بالراجح في مجال التزاحم للملاكات من صراعات في ميادي ـــن الأهـــم و المهم و القبيح و الأقبح و الفاسد و الأفسد حيث لا يكون هناك مخلص من أحدها عند التزاحم .

فيتعيـــن الأهـــم أو القبيح أو الفاسد في مجال التزاحم في مورد المصالح العامـــة لـــيقدَّم علـــى ما هو المهم أو الأقبح أو الأفسد مما يحتاج المقام أيضا إلى ضـــوابط الشـــورى لتشـــخيص هـــذا الواقع و من كونه أمرا عقليا أو سياسيا أو اقتصاديا و يكون المقام عند العجز عن التشخيص أو عدمه هو التخيير.

و مـــن صـــلاحيات الحكومـــة الإســـلامية تطبـــيق مسلمات الشريعة و ضـــروريا تها تحت إشراف لجان مؤمنة و من أهل الخبرة لتجنّب سوء العمل في مواطن التطبيق مما قد يعود على الشريعة ببعض السلبيات لما لحسن التطبيق من أثر بليغ على النفوس و كذا العكس عند سوء العمل في مواطن التطبيق حيث يكون تشويها للشرع.

و من صلاحيات الحكومة الإسلامية أيضا تطبيق الكبريات على صغرياتها تحت ضوابط الشورى و إشراف أهل الخبرة و ذلك لأن الكثير من المصاديق ربما دخلـــت فـــي ظـــرف زمنـــي أو مكاني خاص تحت كبرى من الكبريات ثم كانت بمقتضـــى زمان أو مكان داخلة تحت كبرى ثانية كما تقدم في بعض المقدمات من أنـــه قد يعد شيء من لباس الشهرة عند عرف أو بحسب ظرف خاص ثم لا يكون كذلك عند عرف آخر أو بحسب ظرف زماني أو مكاني آخر .

و رب بضاعة حرمت بمقتضى زمان لأنها تشترى من المحاربين أو تباع علـــيهم و إذا انـــتهى هذا التخاصم فلا موجب لبقاء الحكم على مثل هذه البضاعة المـــباحة بحســـب نفسها و رب أداة كانت مختصة بالقمار لا مورد لاستعمالها في

غير ذلك أو تمثال أو مجسم لا مورد له سوى العبادة الباطلة و قد انتهى زمنها و أصبح لهما مواطن استعمال أخر.

و رب شـــيء كـــان في زمان لا مالية له فأصبح في زمان آخر ذا مالية لدى العقلاء يعتد بها تبذل بازائها الأموال و رب عمل كان عبثا بحسب عرف أو زمـــان أو مكـــان أصـــبح عملا عقلائيا في ظرف آخر و لو كان من قبيل جمع الحشـــرات لأنهـــا أصبحت موردا لاستعمال طبي أو علمي و رب حكم كانت له ضرورة بحسب ظرف قد لا تكون له بحسب ظرف آخر تلك الضرورة و لذا يجب أن تكـــون مـــثل هذه الأحكام تعايش واقع الحياة لأنها ليست من قبيل الحكم على الصلاة أو الصوم أو الحج أو الخمر و الميسر و الغيبة .

و كذلـــك قد تختلف الأحكام بحسب ظروف الإضطرار و العسر و الحرج كمـــا و أن شيئا قد تكون له في ظرف مرجحاته العقلية أو الإجتماعية أو السياسية أو يكون الشيء لهوا و عبثا أو ضررا أو باطلا بالقياس إلى فرد أو ظرف خاص و قد لا يكون كذلك بالقياس إلى فرد أو ظرف معين.

كمـــا و أن الأحكـــام الثابتة لموضوعاتها قد تختلف باختلاف الأفراد فقد تكـــون الصـــلاة واجبة من قيام على فرد و من جلوس على فرد آخر و قد يجب الصوم على فرد و قد لا يكون واجبا أو يكون محرما بالقياس إلى فرد آخر كما و إنه قد يعتقد شخص بتحقيق شرط لشيء و يراه الآخر مفقودا أو يرى تمامية بينة و الآخر لا يراها عادلة ، و مثل هذه المواطن ليست من باب تغيير الأحكام .

و قد اتضح من المقدمات أن الفقيه يكون مرجعا في تشخيص الكبريات في مواطن الأحكام الشرعية و لا عموم لذلك في بقية شؤون الرسالة التي هي رسالة الحياة في كافة جوانبها .

كمـــا و أنـــه لا خصوصـــية له في مواطن تشخيص المصاديق و لو في كـــبريات كانت من اختصاصه إلا أن يكون هو من أهل الخبرة فيها فتكون لخبرته مـــرجحات الاطمئـــنان و الوثوق لمن ليس من أهل الخبرة لكن لا شأن لذلك في التقليد حتى لمقلديه .

كمـــا و أنـــه من اللازم تحديد ميادين البحث الفقهي الكبروي ليمتاز عن مواطـــن الصـــغريات ليرجع فيها إلى أهل الخبرة بما يناسب المقام من العرف أو المبانـــي العقلائية أو أهل الإختصاص ككون هذا من مصاديق الخمر أو الربا أو اللهو أو الضرر المحرم.

لكـــن ربمـــا وقـــع الخلـــط فـــراح المقلد يسأل الفقيه عن الدخان أنه من المفطـــرات أم لا ؟في حين أن الكلام كبرويا عن الغبار الغليظ و مصاديقه عرفية غايـــة ما يمكن أن يدعى فيه أن الفقيه أحد أفراد العرف في ذلك لا أنه من مواطن التقليد التي يجب فيها رجوع العامي إلى مقلده .

كما و أنه لابد و أن تحدد ميادين التقليد التي هي في مواطن الأحكام عما هو من الأمور العقائدية التي لا تدخل تحت إطار التقليد و هي المباحث التي تستفاد مـــن علـــم الكلام و الحكمة أو التفسير و الروايات في مجال العقائد حتى لا تساق الأمة للتقليد حتى في مثل هذه الأمور العقائدية كما هو مشاهد في أغلب المدن .

كمـــا و أنه لابد من فرز و تمييز بين ما هو من خطى المعصوم الواجب الإتـــباع و بيـــن ما فعله المسلمون إلا أن تكون سيرة من المتشرعة أهل العلم و الـــتقوى حيـــث تطمئن النفس بحكايتها خطى من أوجب الله ﷻ إتباعهم و إلا فقد أصيبت الأمة بتقديس الرجال على حساب الشرع القويم فضاعت الكثير من معالم الشرع في ظل هذا الخطأ و رب حٰسن ضيّع ما هو أحسن منه و حق ضيع ما هو أحق منه .

هــذا كلـــه إن لم يكن من ماكر جاء بكلمة حق يريد بها باطلا أو كان من جاهل عاش حضارة جاهلية باسم الدين يريد شهود شرع الله ﷻ في وجوه الرجال و النســـاء خلافـــا لما ورد عن الهداة ﴿ **إن الحق لا يعرف بالرجال إعرفوا الحق تعرفوا أهله** ﴾

كمـــا و إن الأمـــة قـــد أصـــيبت من خلال تقديس الرجال بتقديس فهمهم لنصوص الكتاب و السنة ظانة أن ما توصل إليه السلف من فهم أو تطبيق للرسالة فـــي ميادينـــها المختلفة كان وحيا غير قابل للاجتهاد و النقاش و إن وجدت الأمة نفسها أن الإختلاف في الفهم و التطبيق ساق الكثير من السلف إلى الحروب فضلا عن الشتم أو التكفير لبعضهم البعض الآخر .

أضف إلى ذلك ما حاولت الأمة من غمض الطرف عما تشاهده من العديد من الأخبار المتواترة التي تشير إلى أن أمة محمد ﷺ ستسير على ما سارت عليه الأمم كاليهود و النصارى شبرا بشبر و ذراعا بذراع و إنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلـــت هـــذه الأمـــة فيه و لما ورد من قول الرسول ﷺ من أنه يؤخذ ببعض أصـــحابه إلـــى النار فيقول : أصحابي أصحابي فيقال له : ما تدري ماذا أحدثوا بعدك.

كمـــا و أنه في كثير من الموارد تدخلت أيدي السياسة و السلطة لتفسير و توجـــيه النصـــوص فأطلقت أيدي وعاظ السلاطين و منعت من إبداء الرأي بقية علمـــاء و مفكري هذه الأمة و إلا فأين المهاجرون و الأنصار ليصبح أبو هريرة راويـــة الإســـلام في عهد معاوية و هو القائل كما في الصحاح كالبخاري و غيره يتهمني المسلمون بكثرة الأحاديث و الكذب فيها و لماذا تخاف السلطات من كتابة السنة و نشرها و تمنع المسلمين من تدوينها .

أجل يمنعها متقدم لينشرها آخر كمعاوية على أيدي أبي هريرة و أمثاله من مقربي السلطات العايش في كنف نعيمهم و قطر ندى أفضالهم ، فما أذن الحكام في نقله من السنة إلا ما كان يوافق فقهاء السلطة أو لا يعارض آرائهم مما لا دخل له في شؤون حكمهم و أصيبت جراء ذلك الأمة التي عاشت تحت ظل الجبابرة المستبدين باسم أمراء المسلمين أو المؤمنين بالذل و التبعية ليصبح المسلم المثالي من لا يتكلم و لا يسمع و لا يرى .

فراحت الأمة تعيش تحت ظل الجبابرة هذه المأساة و راح الكثير من العلماء يراعون أولياء نعمهم و هم الحكام الذين ملكوا مصادر الحياة المالية و الإجتماعية ليصبحوا موظفين يتقاضون الرواتب منهم و يداهنونهم من أجل العيش على حساب الشرع و الأمة بإخفاء كثير من حقائق رسالة السماء .

و كيف نعجب من مراعاة كثير من العلماء أولياء النعم كالسلطات الذين يملكون مصادر الحياة المالية والاجتماعية و ها نحن نشاهد أيضا البعض من العلماء ممن تحرر بحسب مسلكه من تبعية الجبابرة ليسعى لمرضاة أولياء النعم أيضا حين اختلف أولياء النعم من مذهب لآخر فأصبح ولي النعمة بدلا من الحاكم هم عامة الناس فراح ليكتم الكثير من موازين الحق و يعيش بعقلية العوام لأن بأيديهم أيضا مصادر الحياة كالحق الشرعي و المكانة الإجتماعية .

و إن كان عند التأمل لا يجد الإنسان داعيا للعجب في المقام لأنها سنة الحياة بازاء أولياء النعم حكاما كانوا أو من سائر الناس ما لم يحصل التحرر من قيود العبودية للدنيا و المتحررون نوادر من البشر و هم الأقلون الذين اختارهم الله ﷻ حججا على خلقه و إلا فالناس عبيد الدنيا و الدين لعق على ألسنتهم يدورونه ما دارت معايشهم كما قال الإمام الحسين عليه السلام إلا من عصم الله ، فإنه ولي التوفيق.

و كيف نعجب من تعيين مصير الأمة على أيدي الفرد باسم أمير المؤمنين و هو ما أذعنت إليه الأمة طيلة القرون تحت أعواد وعاظ السلاطين على حساب الشـــرع لتعيش هوان التبعية و الذل بعد ما عشنا نحن نفس هذا الواقع و إن تبدلت الأســـماء و العناوين حينما أصغت الأمة أيضا لضجيج من ملؤوا مساجد الله ﷻ بهـــتاف المـــوت لكل من خالف رأي الحاكم في كيفية تدبير دفة الحكم و إن كان المخالف هو جل علماء الطائفة إلا من ندر منهم في هذه الأزمنة الأخيرة كما وقع الأمر بالنسبة لمسألة ولاية الفقيه و ذلك على مرأى و مسمع من الأمة و علمائها و لا أدري أيـــن ذهب مفهوم الإجتهاد و حرية الرأي عند قوم ينزلون إلى الشوارع بهـــتافات المـــوت لكـــل من لم يوافق رأيهم في مسألة الولاية المطلقة و يجعلون الحماس الشعبي لأناس لا يفهمون مفردات الكلمات العلمية مستنَدا لصحة منطقهم و صواب منهجهم .

و قـــد صرح بعض الأعلام بأن منطقة الفراغ التشريعي هي المباحات و المندوبات و المكروهات دون الواجبات و المحرمات ، فلولي الأمر أن يتدخل فيها كأن يمنع الأشخاص مثلا عن شرعية الإحياء للأراضي وفقا لمقتضيات الظروف الخاصـــة و الدلـــيل على ذلك النص القرآني حيث يقول تعالى ﴿ **يـا أيها الذين آمـنوا أطـيعوا الله و أطـيعوا الرسـول و أولي الأمر منكم** ﴾[1] بحيث تكون محـــاور الصـــلاحيات تعم كل مورد لم يرد فيه نص خاص يدل على حرمته أو وجوبه كالنفقة على الزوجة ، ففي مثل هذه المواطن ليس لولي الأمر التدخل فيها .

فنقول : إن ثبوت هذه الصلاحيات لولي الأمر لا يدل على سريانها بالنسبة إلـــى الفقيه أو رئيس الحكومة الإسلامية لأن كلامنا في المقام ليس عن صلاحيات

---

[1] : النساء ٥٩

أصـــحاب الولاية المطلقة الذين هم أولى بالناس من أنفسهم لأنهم مظاهر الحق و موازيـــن العدل و إنما الكلام في حدود صلاحيات الفقيه و رئيس الدولة الإسلامية التي يجب أن تحدد بإطار تطبيق الشريعة بالدليل و البرهان تحت ضوابط الشورى مـــن أهل الخبرة و الإختصاص حيث لا صلاحية لفقيه في تقنين أو تقرير مصير أمة أو رسم شريعة بنحو التفرد في الرأي طبقا لاجتهاده الخاص .

نعم ما يكون من أعمالهم عليهم السلام راسما لحكم شرعي بحيث يستفاد منه بنحو الجزم أنه ما كان من شأن ولايتهم الخاصة بل جيء به لتطبيق الشريعة في ميادين السنة العملية بعناوينها الأولية أو الثانوية فإنه يكون من الصلاحيات في المقام لولي الأمر شريطة أن يتمشى مع ضوابط الشورى لأهل الخبرة و أما ملاحظة المصالح الإجتماعـــية بمـــا يناسب الزمان و المكان فهو تحت ضوابط الأولويات بإطارها الشرعي بحدود الشورى أيضا .

و أمـــا الأحكام الشرعية سواء منها الواجبات و المحرمات أو المباحات و المســـتحبات و المكروهات فهي جميعا ثابتة لموضوعاتها لدخول الصغريات تحت كبرياتها مطلقا بلا أي دليل على التخصيص بولاية الحاكم الشرعي و الضرورات تبـــيح المحظـــورات في كل المواطن إلا أن يمنع من السريان طروء قاعدة عليا (حاكمـــة و لـــو عقلـــيا) أو تكون بعض مصاديق الضرورات خارجة عن إطار الكبرى بحسب ظرف زمني أو مكاني كما تقدم بيانه في المقدمات .

فإذن على فرض طرو عنوان ثانوي على ما كان من المباحات كالأرض لمـــن أحياها لظروف خاصة كعدم اتساع الأراضي و كثرة الناس و تحقق قدرات طائلة لبعض أصحاب القدرات المالية لإحياء الأراضي بنحو يكاد أن يمنع الضعفاء مـــن الإحـــياء لعدم مقدرتهم و عدم مقدرة الحكومة على مساعدتهم قد يكون سببا لطـــرو عـــنوان ثانوي في ميادين المصالح العامة التي لا يمكن العمل بها إلا من

خـــلال ضوابط المشورة مع أهل الخبرة و الإختصاص سواء كان المقام يستدعي التشاور مع أصحاب الإختصاص في مجال الاقتصاد أو غير ذلك .

و لا يكفي مجرد دعوى تحقق العناوين الثانوية في ميادين المصالح العامة من قبل الحاكم أو الهيئة الحاكمة ما لم يقرن ذلك بتأييد من قبل اللجان المختصة و ضوابط الشورى و إلا فلو فسح المجال لدعوى ثبوت العناوين الثانوية و تشخيص المصـــالح بلا تقييدها بضوابط الشورى فسوف لا تبقي معاول أصحاب المصالح ركنا من أركان الشرع إلا و هدمته و لا تبقي معرفيتهم المتأطرة بالمصالح موردا إلا و فسرته و أولته بما يتمشى مع مصالحها الشخصية تحت عناوين مختلفة فضلا عمـــا لـــو قيل بأن من صلاحياتها التدخل في ميادين الأحكام الأولية من المباح و المكروه و المستحب بإعطائها حكما وجوبيا أو تحريميا .

و لا أظـــن أنـــه مع تحقق العدل و التطبيق السليم للشريعة يحدث عنوان ثـــانوي في مثل إحياء الأراضي التي أرادها الله ﷻ للتنافس في مجالات الرشد و التنمـــية و العمران إلا في ظروف نادرة جدا يجب تشخيصها من قبل أهل الخبرة كما تقدم.

فـــإذا كـــان العـــنوان الأولي كالأرض لمن أحياها مانعا من حق الحياة للآخرين كأن كان الأغنياء بقدرات طائلة و كان العجز من قبل الحكومة الإسلامية مانعـــا من مساعدة الضعفاء لإنعاش الحياة الإقتصادية و التنافس في مجال إحياء الأراضي ففي مثل هذه الظروف النادرة يمكن طرو عنوان ثانوي يعطي الحكومة الإسلامية الصلاحية لمنع الأغنياء من الإحياء للأراضي و لكن فرض كلمة [يمكن] لا يكفي لطرو عنوان ثانوي في المقام لرفع اليد عن العنوان الأولي و هو [الأرض لمـــن أحـــياها] مـــا لم يثبت ذلك بواسطة أهل الخبرة لكي لا يحصل التلاعب من الحكام كما هو المشاهد في أغلب المناطق الإسلامية .

و بالجملة لو أطلقت أيدي الحكام من قبل الشرع تحت عنوان منطقة الفراغ التشـــريعي و لـــو في مثل المباحات بأن يجعلوها واجبة أو محرمة بدعوى طرو عـــنوان ثـــانوي ســـوف لا تبقى قاعدة من قواعد الشرع في ميادين المباحات و المـــندوبات و المكـــروهات إلا و نســـفتها معاول التوجيه و التأويل تحت غطاء تشـــخيص المصلحة و العناوين الثانوية فضلا عما لو أطلقت أيديهم بلا شورى و بلا حاجة إلى مختصين في الواقع البشري و إرهاصاته تحدد بهم هوية الموضوع و حيثـــياته كما و أن الإبتعاد عن منطقة الفراغ قد يفضي إلى الجمود تحت عنوان المحافظـــة على الشرع فلذلك لابد من تفاعل مع الواقع حتى لا توسم الشريعة مع ســـعة انطلاقهـــا بطـــابع يظهـــرها قاصرة عن تفسير مستجدات العصر و هجمة التطور.

فالإســـلام بحاجـــة إلـــى رجال و نساء يعيشون سعة الصدر ، يحتضنون البشـــرية بأسرها مع المحافظة على مباديء الإسلام في ظل أبعاد الشريعة الثلاث الكتاب و السنة العملية و العلمية يدافعون عن أسسها الثابتة و تراثها المنهوب الذي شـــوهته تـــراكمات الـــتاريخ ، يمـــيزون بين الأسس التي لا تقبل النقاش و بين الإجتهادات التي طرأت في ضمن أربعة عشر قرنا حيث يمكن أن يجري في حق بعضها التعديل و التنظيم أو الإستفسار و التغيير تبعا لاجتهاد و بحث علمي جديد و بـــالأخص لـــو كانـــت البحوث العلمية من أهل الخبرة بنحو مشترك بعيد عن رواسب التقليد باسم الاجتهاد بروح تذعن بكل إقرار بأن ما توصل إليه البشر من لمـــس روح الشـــريعة وفهم أبعادها إنما كان نقطة من بحر حتى لا يصاب المسلم بالتوقف عن مسيرة الكمال .

فليس الشك في المنهج الإسلامي و قابلياته لمواكبة الزمن و إنما الشك في ما توصل إليه الكثير من المجتمعات الإسلامية من فهم الشريعة خوفا من أن يكون

ســـوء الفهـــم ينعكس على نفس الشريعة و يدعوا إلى صياغة أسسها من العدل أو الإحســـان بصـــياغة جافة على أيدي بعض من ينسب نفسه إلى العلم و المعارف الإلهـــية فلو أريد من العنصر الثابت هي الكبريات المسلمة الشرعية و من المتغير ما يفهمه المجتهدون من الشريعة فيما يعود إلى مواطن الإجتهاد و إستنباط الأحكام مـــن أدلتها الظنية و محاور الأصول العملية أو موارد الدلالات غير القطعية و ما هـــو من موارد تشخيص المصاديق لإدخالها تحت الكبريات فلا مانع من ذلك فإنه لا مشاحة في الإصطلاح أو كون المتغير هو ما كان راجحا لتغير الحكم تبعا لتغيّر موضوعه .

فإذن ليست هناك من صلاحيات خاصة للدولة تسمى بمنطقة الفراغ سوى تطبيق الشريعة بأبعادها المختلفة في محاور الأحكام الأولية و الثانوية و تشخيص مواطن التزاحم للملاكات و الأولويات .

و قـــد وقـــع التلاعـــب في كثير من مواطن التطبيق و التفسير مع حفظ الإطارات العامة للشريعة و ذلك من خلال التلاعب بالمقاييس .

و الخـــوف فـــي هذه العصور من التحلل باسم التطور بما قد يوصل إلى التلاعـــب بالمقايـــيس تحـــت عناويـــن شتى من قبيل دعوى فهم الغايات أو لمس المصالح و المفاسد و العمل بروح الدين لا بحروفه .

و مـــن جانـــب عدم التخصص في كثير من مواطن الشريعة على ضوء الكتاب و السنة أفضى بالبعض لتصور فراغ و قصور في الشريعة بمعناه السلبي فـــي حين أنه كان ناشئا من عدم مواكبة المسلمين للشريعة بأبعادها الثلاث و عدم وجـــود خبراء في كثير من المجالات كالإقتصاد الإسلامي أو علم النفس أو غيره تحـــت ضـــوابط الشرع التي قد تكون مهجورة أيضا و إن كان في بعض الموارد

حصـــل فـــيها بعض التحرك بقدر متابعة و مسايرة الآخرين تحت ضغوط الزمن لكنها لا تفي لرسم الشريعة و دفع شبه القصور أو توهم فراغ تشريعي في المقام .

فلابـــد أن تحدد صلاحيات الدولة الإسلامية ضمن إطار الشورى في كافة مجـــالات الحياة تحريكا لروح المسؤولية و القابليات المختلفة لكيلا تذهب الطاقات هدرا أو تتحجم أو تتحجر العقول تحت مطارق الإستبداد أو التقليد .

و إن كـــان من الملحوظ أن لكل أمة بحسب حضارتها و زمانها و مكانها التفاعل الخاص مع روح الشريعة التي هي الفطرة و الإستسلام إلى الحقيقة ، فلا أظـــن أن جميع الأمم لو أسلمت لتفاعلت مع الإسلام تفاعلا واحدا ما لم تصل إلى الكمال المطلوب حيث لا يختلف عند ذاك الواقع في أعينها.

فـــتفاعل العربـــي الحضري يختلف عن القبلي بأزاء الآباء و الأمهات و حقوق الأبناء و حسن الضيافة و الشجاعة حيث ينظر كل بمنظاره الخاص سعة و ضـــيقا إلى الشريعة بأبعادها المختلفة كما و أن الغربي المسلم ينظر إليها بمنظار آخر حتى و لو كان كل مسلم يعيش سلامة في دين ، كما و أن التفاعل مع حقيقة واحدة كالصلاة يختلف باختلاف النفوس فقد تكون مسقطة للتكليف فقط كما و أنها قد تكون قربانا و معراجا و عمودا للدين على اختلاف مراتب الإيمان و الخلوص و بعد المعرفة .

و الـــذي يجب أن يلحظ في المقام الخوف من وقوع التلاعب في مواطن التطبيق و التفسير مع حفظ المتون و الإطارات تدليسا و خداعا للشعوب و ذلك من خلال استغلال الجهل بالشريعة أو عدم الإحساس بالمسؤولية تجاه التخطي للقوانين مـــن قـــبل أصـــحاب المصالح الشخصية فإنه رب حق أريد به باطل تحت غطاء العناوين الثانوية أو حصل في حقه التحريف في مواطن التطبيق و دعوى تشخيص

المصالح بعيدا عن قاعدة الشورى و حدود الحرية و مجالات صلاحيات الحكومة الإسلامية.

فالشرع تبيان لكل شيء ما ترك أمرا إلا و بين حكمه فإذن ليس هناك من منطقة فراغ بما توحي به العبارة بحسب ظاهرها البدوي من ترك الشرع لواقعة أو حكم قد أوكل أمره إلى ولاة الأمر .

و لا أظن أن الشريعة ثابتة بأحكامها الوجوبية و التحريمية فقط لتكون بقية الأحكام في مواطن الندب و الكراهة و الإباحة محلا لمنطقة الفراغ التشريعي و تصدي الحاكم الإسلامي بل كل حكم لموضوعه باق على ما هو عليه و إنما يقع النزاع في صغروية المصاديق لكبرى من الكبريات من حيث تشخيص الموضوع و يبقى التأمل في جميع الأحكام التي أصابها الفقيه باجتهاده من حيث كونها متطابقة مع الواقع أم لا ؟ و إلا فجميع الأحكام الخمسة يمكن أن تعمها الأحكام الثانوية لأن الضرورات تبيح المحظورات حتى الصلاة بلحاظ كيفياتها و إن كانت هي لا تسقط بحال.

و هذا مما يمكن أن يختلف باختلاف ظروف الحياة و هو ميدان واسع يجري فيه النزاع لكي لا يصبح التقليد جالسا على كرسي الإجتهاد لأن الإجتهاد ليس تقنينا للشرع بل هو سعي للوصول إلى فهم الشريعة و أحكامها الثابتة في نفس الأمر و الواقع التي قد يقع فيها الخطأ من قبل المستنبط كبرويا أو من حيث التطبيق صغروياً .

فإذن الصلاحيات لرئيس الحكومة الإسلامية أو ولي الفقيه محددة في الكبريات بوجوب الإلتزام فيها و تنفيذ قواعد الشرع المسلمة و أما الإجتهادية فهي داخلة تحت ضوابط الشورى و أهل الخبرة و الإختصاص و كذلك الأمر في مجال الصغريات ثم يعود التنفيذ إلى رئيس الدولة تحقيقا لقوله تعالى ﴿**و شاورهم في**

الامـر فـإذا عزمـت فـتوكل عـلـى الله﴾ [٢] فالعزم تطبيق للمنهج بعزم وجد بعد مراحل المشورة مع أهل الخبرة في كافة مجالات العلوم المختلفة .

و نحن اليوم بحاجة ماسة إلى خبراء في كافة المجالات المختلفة للشريعة حتى لا يتوهم البعض أن الشرع ترك جانبا من جوانب الحياة حيث يكون قد نظر إلى جانب من الجوانب فظن وجود فراغ في التشريع .

نعـــم ليس من السهل التطبيق السليم للشريعة من الكبريات على مصاديقها المناســبة لهـــا بعـــد الإبتعاد عن معايشة الشريعة بأبعادها الثلاثة و لو من بعض الجهات.

فالتطبيق السليم وظيفة اجتماعية تتبع حسن النوايا و العمل بأبعاد المعرفة حتى نتدارك بعض ما حصل طيلة أربعة عشر قرنا من قسوة للزمان على العلم و الحريات و وقوع الأمور في أغلب الأزمنة بأيدي غير أهلها و قد أضاف على هذه السلبيات التي سببت البعد عن التطبيق السليم كما تقدم الكثير من العوامل منها إن الكثـــير مـــنا لا يـــرى لغيره حق الحياة في مواطن العلم و المعرفة جازما بأن ما توصـــل إلـــيه من الإستنباط و الفهم هو الحق الذي لا نقاش فيه و أن كل ما كان مخالفا لهذا الفهم يكون باطلا يجب أن يحكم عليه بالإضمحلال و العدم في حين أن المتنازع فيه من شؤون الإجتهاد و ليس من مسلمات الشريعة .

و ربما صار في بعض المقامات تأييد الرأي بكثرة المؤيدين و الأنصار و الحماس الشعبي بدلا من الإستدلال بالكتاب و السنة و العقل و هذا ربما جرى بين أهل الطائفة الواحدة فضلا عن جريانه بين الطوائف المختلفة الإسلامية التي ساقها الكـــبر الباطنـــي بدلا من السلام الإسلامي إلى تكفير الآخرين جهلا بالشريعة تبعا لخطوات الشيطان كما تبدو معالم هذا الجهل لدى المكفرة المبيحين لدماء المسلمين

---

[2] : آل عمران ١٥٩

فضـــلا عـــن غـــيرهم طهّر الله ﷻ منهم الأرض قبل ظهور وليّه الأعظم الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف إنه العلي القدير .

و ربمـــا أضاف على هذه السلبيات كتمان الحقيقة من قبل البعض مماشاة مـــع الســـلطات أو إســـتعطافا لعواطف الجماهير ، و راح آخرون ينظرون إلى الجوانـــب السلبية و لو بمعتقد أنفسهم بدلا من النظر إلى الإيجابيات والجوامع في العقيدة .

و هناك الكثير ممن يندفع وراء الجوانب الجانبية بدلا من دراسة الأسس و القواعد الإسلامية و إضاعة الحياة في بعض البحوث التي لا طائل من ورائها في دراسة المنهج الإسلامي و السعي بمجادلات شتى لجعل ثمرات نادرة أو وهمية بل قد يصل بنا الأمر في بعض المقامات أن يقول القائل منا : بأن هذه البحوث و إن لم تكن لها ثمرات علمية و لا عملية إلا أنها تفيد لتشحيذ الذهن حتى سارت القرون المعاصرة بنحو من الإفراط و التفريط بالنسبة إلى علم أصول الفقه و إدخال ما لا دخـــل له بالإستنباط بحيث جعلت الطالب كأنه يسبح في بحر لا ساحل له كما تقدم بيانه .

فالكثـــير مـــن هـــذه العوامل و غيرها صيرت الكثير من الحقائق يصعب تـــناولها سواء في مراحل العلم أو في مواطن التطبيق في حين أنه تقدم أن قلنا أن الأساس و الميزان هو الكتاب المجيد الذي كاد أن يكون عند المسلمين مهجورا .

فبعض العوامل كعدم المماشات مع الكتاب المجيد و السنة العملية التطبيقية ربما أدى لتوهم باطل و هو الإعتقاد بمنطقة فراغ بمعنى قصور الشرع القويم عن بـــيان كـــل شـــيء بعد كون الشريعة هي فطرة الحياة ، و سنن الله لا تبديل و لا تحويل لها سواء في واقع التكوين أو التشريع و إن حقائق الأحكام تابعة للمصالح و المفاسد التي لا يمكن تحت شعار الحركية أو التطور أن ينال البشر من قدسيتها

كمـــا لا يتمكـــن أن يـــنال من القوانين الثابتة الطبيعية أو الفلكية أو الرياضية أو الفيزيائية أو الفلسفية .

فمـــثلا هـــناك أسس عقلية حَكَمية لا تنالها مطارق الحدثان كعدم اجتماع النقيضين أو احتياج الممكن إلى العلة و استحالة الترجح بلا مرجح و كالثوابت في علـــم الهندسة و الرياضيات و كالفطريات البشرية و الوجدانيات و حسن و قبح ما تســـالمت عليه البشرية من الفضائل و الرذائل الأخلاقية حيث لا يمكن أن يقال أن حســـن العـــدل و قـــبح الظلم أصبح كلاما رجعيا و إن أمكن أن يختلف الناس في محققـــات كـــل من العدل و الظلم في الخارج بتبع اختلاف العقليات و الحضارات والديانات .

فشـــعار الـــتطور و التغيـــير يجب أن يلحظ بدقة كي لا يأخذ جانبا وهميا يوجب الخلط بين نواميس الكون الثابتة والأحكام التابعة لموضوعاتها تبعا للمصالح و المفاسد المتغيرة بما يناسب الزمان والمكان والأفراد و المجتمعات البشرية و ما هو من شأن التكامل الذي بني عليه عالم الإمكان طرّا بحيث يعم الجبال و الكواكب و المجـــرات لســـيلان عالم الإمكان نحو الكمال كما قال تعالى ﴿ **فترى الجبال تحسبها جامدة و هي تمر مر السحاب** ﴾[3] فلا ليل ثابت و لا نهار و لا جبل فكـــل فـــي فلك يسبحون و قد أمرنا أن نربي أبناءنا لزمان غير زماننا لما هو من مقتضيات التطور تبعا للزمان و المكان .

فـــإذن لا يجوز الجمود لكونه ينافي سنة التطور في الأرض بما فيها من الـــتكامل و التغيير و لا شيء ثابت من أرض و لا سماء حيث تُبَدل الأرض غير الأرض و السماء غير السماء فالكل محكوم للتبدل و التغيير و السير نحو الغايات

---

[3] : النمل ٨٨

و غايـــة الغايات اللامتناهية في الكمال هي الله ﷻ فبهذا اللحاظ و التقويم لمعرفة المباني الإسلامية لا ثبات لأي موجود لسيلان عالم الإمكان و الحركة نحو الكمال المطلق .

و مـــن ناحـــية ثانية أنه سيلان و حركة نحو الكمال تحت ضوابط العلم و النواميس المحكمة السليمة الصحيحة .

فـــإذن هـــناك قواعد و قوانين و سنن و محكمات و أصول ثابتة في كافة المعـــالم لا تبديل و لا تغيير لها هي ضوابط التكامل لعالم الإمكان و ليست منهجا للجمود و التخلف مع عين ثباتها .

و هناك سنن بما يناسب المكان و الزمان فهي ثابتة بلحاظ موضوعاتها و ظروفها الخاصة فمثلا يقال إن في كذا ضوابط و شروط و زمان و مكان يقع كذا شـــيء و فـــي كذا ظرف يجب الحرب أو السلم أو الصلح و عند كذا فصل يكون الجـــو باردا أو حارا و هكذا آلاف الضوابط التابعة لشرائطها و عللها بما يناسب ظروفها الخاصة سواء كانت بحسب التكوين أو بحسب العقل بحيث يجب أن يكون الإنســـان مـــتفاعلا مع مقتضياتها حتى لا يحكم على الليل بحكم النهار و لا على الشتاء بحكم الصيف و لا على السلم بحكم الحرب و لا على الصديق بحكم العدو و لا على الجاهل بحكم العالم و لا على نفسه في أيام شيخوخته بحكم ما كان شابا .

و لا يطبّق على نفسه أحكام الصحة حينما يصبح مريضا و لا يتعامل مع مستوجبات الغضب و الشدة تعامل البسمة والحنان و هذا التغيير للأحكام من لوازم تغيـــير الموضـــوعات و الزمان والمكان و بقية المستجدات و العوامل التي يجب التعامل معها طبقا لما تقتضي الأشياء تبعا لعللها و أسبابها من الشرائط الطبيعية و العقلية.

و علـــيه فنحـــتاج إلـــى لجان من أهل الخبرة والإختصاص في كثير من المواطن لدراسة السنن الثوابت بإطلاق الكلمة و إلى معرفة السنن الثوابت بحسب زمانها و مكانها و مستوجباتها الخاصة بما لها من الإختلاف بمصاديقها و كيفياتها و مظاهـــرها و ما هو من شأن السيلان و التغيير و التبديل لحركة كل شيء نحو غايـــته الخاصة بما للأشياء جميعا من الحركة نحو غاياتها حتى لا يقع الخلط بين الســـيلان و التغيـــير الذي هو منْ شأن الكمال لكل شيء حتى لا يفر الإنسان من الجمود و التقليد و يقع في مغالطات كلامية و أوهام باسم الثقافة و التطور بالتحلل مـــن كـــل شيء بلا تنقيح و لا تمييز لما هو من شأن التكامل و التغيير لكل شيء بحسب ما يناسبه و بين ثوابت السنن في عالم الإمكان .

فلابد من تنقيح البحث لمعرفة مواطن الثبات و محكمات السنن و ما يكون من السنن المتغيرات في عين ثباتها في أصول قواعدها بتبع ظروفها الخاصة من السيلان و التغيير لكل شيء في عالم الإمكان من حيث المصداق سواء كان التغيير فـــي جوهـــره أو كمه و كيفه أو بقية شؤونه و خصوصياته المختلفة و ما هو من الثوابت بحسب واقع النفس و الفطرة و الخلق السليم .

أين تكمن الأزمة

بـــادر العديد من مثقفي هذه الأمة المسلمة من ذوي العلم و الرأي و ممن يرى نفسه سائرا في ركب الغيارى على كرامة الأمة و مصيرها و كيانها و تراثها الشامخ الأصيل لتعليل أسباب الانهيار و التخلف و التمزق و ما يمكن أن تكون من السبل للعودة إلى مدارج المجد و العز الذي أسس أركانه رائد السلام محمد بن عبد الله ﷺ نبـــي الـــرحمة و الكمـــال مـــن بعد ما وجد هؤلاء المثقفون الحصون قد تدكدكت و الأبواب قد اقتلعت و الجيوش الغازية قد تدفقت كالسيل قادمة من شتى بقـــاع الأرض تتصارع فيما بينها بعد زهوة الانتصار على تقسيم الغنائم حيث لم يبق لهذه الأمة المنهزمة من تراثها المنشود و صرحها الشامخ موضع قدم إلا و قد نالـــه التصدع و وطئ بأقدام الطامعين سوى بعض الأحاديث التي يتداول نقلها في زوايا الأكواخ بعض المساكين ليلا لتسكين ألم النفوس تارة و للفخر برفات الدهور تارة أخرى على الرغم من عظم شأن المرسل و الرسول و الرسالة.

فراح كل واحد من هؤلاء السادة طبقا لمجال اختصاصه و أصول تربيته و مـــنظار مذهبيته و ظرفه المكاني و الزماني ليعلل تدهور هذه الأمة المسلمة بعلة اعتـــبرها المســـتند الوحيد لكافة ما يعاني منه أبناء هذا الدين القويم من تخلف و انهيار و تمزق و شتات حتى قيل إتفق العرب على أن لا يتفقوا و إن كان في هذا التعبير تضييق لدائرة المأساة حيث أنها راحت لتعم الأمة المسلمة كافة عربا كانوا أو غير عرب في عصر أصبح المسلم يعيش صفر اليدين من عظيم تراثه المادي و المعنوي و إن كانت بقية العصور التي مرت لا تقل فيها المأساة عن يومنا هذا

فـــي ميادين الاضطهاد و الكبت و الضياع الحضاري و المعرفي مما يجعل القلم عاجزا عن الخوض في بعض مجالات الأزمة فضلا عن رسم عميق أبعادها.

فحـــاول الـــبعض بهالة من الخطاب الشعري محفوفا برقيق نغم الألفاظ و همـــس نســـيم حلم عالم الخيال أن يعزو جميع هذه المأساة لشأن معرفي ناتج عن خطأ في الرأي لفهم البشرية في مواطن التفسير و التأويل و مجال التطبيق لأبعاد الكتاب و السنة أفرزته توالي الأيام و الدهور.

و اندفع آخر بعد تدقيق و تحقيق في المقام بحسب ما إرتآه ليعلن جازما أن المشـــكلة إنمـــا تكمن في بُعد خارجي ألا و هو الغزو الفكري و العسكري الغربي ليلقي باللائمة كل اللائمة على عنصر خارج عن الهيكل الإسلامي لينام قرير العين هادئ البال من تأنيب الضمير و عبئ المسؤولية دينية كانت أو قومية حيث أنه لم يكـــن بحســـب رأيه جزء علة في تحقيق هذا العدوان و مأساة الأمة التي هو أحد أفـــرادها و علـــى إثـــر هـــذا التحليل و المعتقد بادر الكثير من دعاة الإصلاح و بالأخص رجالات الدين للدعوة إلى إحياء تراث الإسلام و مجد المسلمين بالوقوف أمـــام هذا الزحف الغربي داعين الأمة للنهوض صفا واحدا لمواجهة المد العلماني أو الصليبي من بعد ما انهار المد الأحمر في كثير من بقاع الأرض و أصبح بدلا من الهجوم و الغزو مدافعا.

و إعـــتلى صـــهوة جواده ثالث في هذا الخضم من تلاطم الآراء تنافسا أو تصـــارعا ليطل بمنظاره الخاص من فوق قمم العلياء على قوافل المسلمين و هي تـــنحدر من علياء قممها إلى سفح الجبال قاصدة الوديان حتى إذا ما أمعن النظر و هـــو يعـــاود الكرة بعد الكرة صاح بأعلى صوته هلم إلي أيها المسلمون فها أنا قد أبصـــرت مـــن مكامن سلالم العلياء منازل الأفق المبين حينما تعاليت عن ظلمات عالم الناسوت سالكا سبل ربي عروجا إلى عوالم الملكوت و اللاهوت و من ثم إلى

سـماء إشـراقة الجـبروت حيث قدس تجليات النور بما منحني تبارك اسمه من خصـائص فـيض المقربين و الأولياء المخلصين حيث يكون هنالك شهود السبب الرئيس لأزمة هذه الأمة جليا بأعين العارفين فابشروا فإني قد جئتكم بالخبر اليقين (وعـند جهيـنة الخبر الصحيح) فلا أكتمكم خفي ما اطلعت عليه من نعم الحق و آلائه و هو القائل ﴿**و أما بنعمة ربك فحدث**﴾[1] و أي نعمة هي أعظم مكانة مـن العلـم و مـا نبأنـي اللطيف الخبير في خلوات مكنون السر و معالم شهود العارفيـن فأصغوا إليّ بمسامع القلوب و لا تغفلوا حتى تصبحوا محلا لتلقي هذه الفيوضـات التـي لا يـتلقاها إلا ذو حظ عظيم فإني قد رأيت فيما يرى المستيقظ الفطن كيف راح ماكر غادر ليشق صفوف المسلمين و يخرق سليم عقولهم قبل أن يوردهـم موارد الهلكى ينال من قيم دينهم و عز مكانتهم باذلا قصارى جهده في تثبـيط عزائمهم ليوقع الشر في نفوسهم تجاه قياداتهم السليمة و ولاة أمرهم أمراء المسلمين فياله من رجل خبيث كافر فاجر يعبث بكرامة الأمة و أسس معتقدها ألا و هو عبد الله بن سبأ اليهودي الأصل المسلم بالعنوان مكرا و كذبا و زورا.

ثـم عـاد فارسـنا المغوار بعد طي القرون و توالي الدهور ليطلق عنان بصـره ثانـية من فوق علياء سماء المقربين ليطل على سير قوافل المسلمين من وراء حجـب النور و مطاوي سجل الغيوب ليشاهد الأزمة بكل ثقلها عائدة متمثلة فـي مخطـط رجلين أحدهما يسمى الخواجة نصير الدين الطوسي و الآخر بابن العلقمـي فهـؤلاء الثلاثة من الرجال باعتقاد فارسنا المغوار و محللنا السياسي و الاجتماعي و مستشارنا الأخصائي في محافل المتألهين و الفقهاء المتنسكين كثّر الله تعـالى أمثاله من أذكياء هذه الأمة و بورك له في مكنون سرّه و واسع علمه و لا

---

[1] : الضحى ١١

حرمنا الله تعالى من فيض تجليات إشراقه هم تمام العلة لمأساة المسلمين و تدهور كيانهم بقياداتهم السليمة و أسسهم الناطحة للسحاب.

و إندفع رابع بلواءه إلى ميادين الصراع و النزاع حيث تشابك أسنة الأقلام و زئـــير أُسد الأعواد يدوّي في كل حوب و صوب يخفق بلوائه يسنده جل السواد الأعظم بمختلف الرايات في هذا العصر فرحا على الرغم من شدة ألم المأساة حيث وجد نفسه نزيها كل النزاهة من الاشتراك في دواعي تحقيق هذه الأزمة ليعبّر عن نفسه بالأصالة و عن الأمة بالنيابة بأنه قد عرف سبب العناء و التخلف و المأساة حيـــن لمس كل ذلك مجتمعا في حكام المسلمين و وعاظ السلاطين حيث سارا يدا بـــيد لمحـــق الحقـــوق و نهب الثروات أعم من كونها مادية أو معنوية و تضليل المجتمع و إضاعة الحقائق حتى أوردا هذه الأمة موارد الذل و الهوان لتصبح بذلك تســـتجدي الرحمة من أعدائها الغازين تاركا وراءه ألف سبب و شرط و معد ربما كانت جميعا مع ما إرتآه تمام العلة لمأساة هذه الأمة .

و اعـــتقد خـــامس بأن السر مكتوم تحت طيات غطاء أضفت عليه ليالي الدهـــور سنن الشرع بعدما كان انقلابا على الأعقاب لإعادة سنن الجاهلية مصداقا لقـــول رسول الله ﷺلتتبعن سنن من كان قبلكم ...حيث يكون كلامه ﷺتبيانا لأســـس الكـــتاب المجيد القائل:﴿ **و مـا محمـد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم** ...﴾

و هكذا راح كل ذي رأي و مسلك يعلل الأزمة بعلة لتتعدد الآراء في هذا المقـــام بحثا عن موجبات المأساة و التدهور المتواصل المستمر طيلة القرون حتى بـــات تدهـــور القـــيم و الأمة يعم ما نملك مقاليد أمره بلا حاجة إلى كسب علم أو اســـتيراد أدوات أو أجهزة من الخارج كحسن الخلق و رد الأمانة و صدق المقال فـــي الـــتعامل و غير ذلك من بدايات الفضائل فضلا عن الالتزام بدقائق موازين

الشـــرع القويم التي لا ريب في جليل تصدعها في الديار الإسلامية،كل ذلك يحف بنســـيج مـــن عشـــرات الآلاف من التبريرات و التفاسير للتخلي عن المسؤولية ، أشرت إلى بعض أمهات الأقوال و الآراء تاركا جلها للقارئ الكريم وفقنا الله تعالى و إياكم إلى حسن الصنيع بدلا من التدرع بدروع مخادعة النفس للتخلص من عبئ المسؤولية التي لا ريب في تحمل كل واحد منا قسطا منها إن أنصف الحكم و إن كانـــت بعـــض الأســـباب أقوى تأثيرا من بعضها الآخر إن كان المشهود منها له السببية في نفس الأمر و الواقع .

فتركـــت ورائـــي أكداسا من صحائف التعليلات و التبريرات و وقفت في العـــراء ألتحف السماء و أفترش الحصى حيران منقلا مما يحز في النفس من شدة الحـــزن و الأســـى،تصهرني حرارة الشمس تارة و يزعجني رعد البرق و وابل المطر تارة أخرى أدير الطرف حيث الحسرات و الآهات تذيب أعماق وجودي لا تحملني قدماي لعظيم مصاب هذه الأمة أمعن النظر في كم هائل من سجل عظيم الآراء المـــتدافعة المتجاذبة يسحق بعضها بعضا تتخبط في مسالك جريها و منازل وصـــلها ،أبلـــت زخارف الألحان زهرة بريقها الناصع عندما اندفعت من معازف أوتارها بدوافع الشنآن و روح التضاد و حب الظهور و النقد الهدام و تتبع الثغرات و التخلـــي مـــن المسؤوليات إلا نادرا بدلا من تكريس صفو قواها و جمع نفائس جواهـــرها المبعثرة الملقات على قارعة الطريق و زوايا المنازل الخاليات لإعادة بناء صرحنا المائل و تراثنا المنهوب.

فيا لله كم بات الجرح عميقا، عميقا، عميقا و أنا أتستر بقميص رقيق أبلته طـــوارق الحدثـــان ، كـــل ذلك من أجل الهروب من طعن تأنيب الضمير لحظات الوعي و اليقظة و إن كانت هي ثوان من صروف الحياة سعيا وراء إلقاء اللائمة علـــى قوم آخرين إن أمكن أن أجد لهم مصداقا على أرض الواقع و لو في لفيف

شجر الغابات أو في أعماق ظلمات البحور و إلا أبدعت في ميادين الخيال و واسع ســمائه المــرهف فاصطنعت دمية لأصبح بذلك بحسب الوهم من مظاهر تجليات الحق تعالى حيث الإيجاد للأشياء إبداعا ثم حمّلتها عبئ المسؤولية و عار الخيانة و تمــام الســببية لأبعاد الأزمة ثم عاودت بعد ذلك مقبلا بتمام الوجه استقري وجوه حشــد القابعين في نفق الأوهام لتبادل رقيق الكلمات على عظيم الصبر بازاء هذا الامــتحان الصــعب المرير ليبشّر بعضنا بعضا بجنة عدن عند مليك مقتدر حين يكون الجزاء وفاقا بازاء الصبر و اكتشاف علل الأزمة .

أجــل أنه لمشهد حسن المظهر تتجلى أعلامه في مواطن الجدل و الإفراط في ميادين حب الذات لصاحبها نقية زكية ناصعة سليمة تأخذ به إلى وادي السلام حيــث الأنس و الخلود بعيدا عن مزالق الأقدام في نفق ظلمات الجاهلين و المكرة الخائنيــن الذيــن خانوا الأمانة لرب العالمين و قد كان ذلك من دواعي بقاء الأمم علــى الموروث حتى راح الوثني ليجزم بحقانية مسلكه فضلا عن إتباع الرسالات الســماوية بعــد كون جل سلاك الطرق على كثرتها لا يترددون أن الحق واحد لا تعــدد فــيه لكــن من المؤسف أن يراد تابعا لا متبوعا تبعية الواجب لحب الذات بدواعــي أنــا خير منه تبعا لخطوات الشيطان ،لكنها سرعان ما تسلم حاملها دار الحســرة و الندامة حيث الفراغ من مسالك الإصلاح و مواطن التطبيق حتى و لو ســلم المعتقد عن الخطأ و الانحدار في الحضيض بحسب الواقع لا بحسب المعتقد التابع لمناشيء قيوده في الغالب في المجتمعات البشرية و إن تلبّس بلباس المثقفين و الأحرار و تردى رداء البررة و الأخيار .

و بعــد بــرهة مــن الزمــن عاودنــي رشدي بعيدا عن المشاتمات باسم المحــاورات الدينــية و المجــاملات باسم المقربات بين الطوائف الإسلامية حيث ضياع الحقائق على حساب شرع الله القويم فشاهدت كيف راحت الأمم يتلو بعضها

بعضا كأنها تساق قصرا إلى محافل حتفها تاركة وراءها سليم العقل و سديد الحق و ناصع العبر لتعيش الموروث و حضارة الجاهلية باسم صراط الله المستقيم.

و علمت أن الأمم لا تأخذ إلى قمم العلياء أو حضيض الوديان لمجرد سبب واحد ما لم تتوال الأسباب كحلقة متواصلة لتحقيق واقع أمة رفعة أو إنحطاطا.

و شـــاهدت كـــيف تجـــري ســـنن الله تعالى في فسيح أرضه بلورة لحياة الاختـــبار و الاختيار و لو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة هي أمة السلام حيث العقل و الفطرة.

و شـــاهدت من خلال المطاف كيف اتبعت أمة محمد ﷺ سنن الماضين شـــبرا بشبر و ذراعا بذراع ،تؤخذ البيعة تحت ظلال السيوف على حساب الدين على مرأى و مسمع من عامة المهاجرين و الأنصار على الرغم من تسميتها باسم الشـــورى حيـــنما جاء زعيم القوم قائلا:من ينازعنا سلطان محمد و نحن عشيرته ناســـيا أو متناسيا أنها النبوة التي رفع أعلامها سيد الكائنات لترسم مكارم الأخلاق رحمـــة للعالميـــن لا لسيادة قريش على رقاب الأمم لتُسحق الشورى و النصوص الدالـــة على الإمامة معا تحت أقدام الجبابرة المستبدين و شاهدت كيف باتت تقسّم الأموال لبيت مال المسلمين بالرغبات و الشهوات و هي تسمى بجود السلاطين و سخاء أمراء المؤمنين بدلا من أن توسم بالسرقات لأموال الفقراء و المستضعفين و اليتامى و الأرامل المعدمين.

فـــأقول عـــودا على بدء : إنه لا ريب أن مفتاح الرشاد وسبيل الرقي نحو الكمـــال و الـــتطلع إلـــى الآفاق هو العلم ، فللمعرفة شأن لا يدانيه أي شأن آخر ،فـــالعلم نـــور و الجهل ظلمة ،و العلم حياة و الجهل موت ، و قد قال تعالى في

محكم كتابه المجيد: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون و الذين لا يعلمون**[٢]﴾

و قال أيضا: ﴿ **إنما يخشى الله من عباده العلماء**[٣]﴾

و المتتبع في هذا المقام يجد مئات الموارد في الكتاب و السنة تشيد بالعلم و العلماء على اختلاف مراتب العلم و أنواعه و قابليات النفوس لتلقيه سعة و ضيقا و تمـــنح العلمـــاء مكانة لا يضاهيها في المنزلة أحد من الخلق حتى جعلت سكان المـــلأ الأعلى سجدا لعظيم مقام العلم حينما خلق الله تعالى آدم عليه السلام معلّما للملائكة الأســـماء كلهـــا ، لكن ذلك كله لا يعني أن العلم وحده هو تمام العلة لتدور مداره السعادة وجودا و عدما في دار الدنيا و الآخرة فقد يوجد العلم و لم تحصل الغاية المنشودة منه و قد ذم تعالى في مواطن عدة من كتابه المجيد علماء السوء واصفا إياهم تارة بالكلاب كما قال تعالى حكاية عن أحد أكابر علماء اليهود كمثال لعلماء السوء المتواجدين في كل دين و مذهب ﴿**و أتـل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسـلخ مـنها فأتـبعه الشيطان فكان من الغاوين**[٤]﴾ ﴿**و لو شئنا لرفعناه بهـا و لكـنه أخلـد إلى الأرض و اتـبع هـواه فمـثله كمثل الكلب إن تحمل عليـه يلهـث أو تتركـه يلهـث**[٥]﴾ كناية عن سجية فيه على كل حال سواء منعته أو أعطيـــته هـــو ماد لسانه في حديث طويل يذم عوام اليهود بتقليدهم لعلمائهم بلا فحص و لا معرفة و قال الإمام الصادق عليه السلام ما مضمونه أن عوام شيعتنا إن قلدوا علمـــائهم بهذه المقاييس فهم كعوام اليهود و العامة و أخرى واصفا لعلماء السوء

---

[2] : الزمر ٩

[3] : فاطر ٢٨

[4] : الأعراف ١٧٥

[5] : الأعراف ١٧٦

بالحمـــير التـــي تحمل أسفارا قال تعالى : ﴿**مـثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا**[6] ﴾و ذم علماء السوء الذين يكتمون الحق و يخونون أمانة العلم أو يتخذون عليه ثمنا قليلا لدنيا زائلة.

فقول البعض : إن مأساة الأمة و أزمتها إنما تكمن في شأن معرفي فقط لو قُدّر أن يرتفع لعاشت الأمة كمالها و عزها المطلوب ،كلام فيه الكثير من التأمل و ذلك لأن الأمة ما كانت لتعيش جهلا في ظل سيد الكائنات محمد ﷺ حينما راحت لتحيي سنن الجاهلية في نزعتها القبلية في سقيفة بني ساعدة و رائد السلام بعد لم تجر عليه حتى مراسيم التوديع فضلا عن أدب التكريم و سنن التدفين.

و إن المتتبع لحياة الأمم بعد أنبياءها سيجد بجلاء أن بوادر الانحراف عن منهاج الحق و الضياع لموازيين العدل ما كان رهين جهل و لا قرين شبهة بل كان ناشئا من حب الدنيا و بقاء رواسب حضارة الجاهلية في النفوس و قد حذر القرآن المجيد أتباع الأنبياء من رواسب الجاهلية حينما أشار في مواطن عدة إلى قصص بني إسرائيل مع موسى عليه السلام حينما عبدوا العجل و طلبوا منه أن يجعل لهم إلها كما لعـــبدة الأصنام آلهة و أن يروا الله جهرة و هو ما حذر منه رسول الله ﷺ الأمة الإســـلامية لمـــزيد من العلم حينما نهاهم من الإنقلاب على الأعقاب من بعده أو التـــنافس فـــيها أي فـــي شأن الدنيا و قد ورد ذلك في صحاح العامة كثيرا و في مستندات الخاصة أيضا .

فمحمد ﷺ نبي العرفان و الصلاح ما كان ليعيش في كنفه المهاجرون الأوائل و الأنصار حياة الجهل و الشبهات حتى بالنسبة لمسلمات الشرع و بديهياته

---

[6] : الجمعة ٥

و أسسه الواضحة كالخلافة و من هو أهل لها و الشورى و تقسيم الأموال بالعدل بين الأمة بلا تمييز لعربي على أعجمي أو قديم في الإسلام على جديد فيه.

وها هو باب مدينة علم النبيين إمام المتقين علي أمير المؤمنين عليه السلام يرشد إلـــى هذا الواقع المرير و هو أن إنحراف الأمة ما كان ليكمن في بداية الإنحراف عـــن مجرى الرسالة في براثن الجهل و الشبهات تفسيرا أو تطبيقا حيث يقول في خطبته الشهيرة الشقشقية ﴿ **أما و الله لقد تقمصها ابن أبـى قحافة و إنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحـى** ...﴾ أي أن الرجل لعالم علم اليقين أن الرســـالة بكل أبعادها علما و عملا هي حركة و حياة و كمال و عروج بوجود علي عليه السلام و هي سكون و ضياع حين عدم تصديه لمقاليد أمرها.

أجـــل تتجلى المعرفة لكل من أمعن النظر في أدوات التأكيد المستعملة في هذه الفقرة من كلام الإمام عليه السلام و أنه لا حركة للإسلام إلا بوصي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فـــإذن الشأن المعرفي إنما يحمل في طياته جزء العلة للكمال لو اجتمعت معه بقية الأجزاء كان علة تامة.

و بالجملة لو كانت أزمة المسلم معرفية فقط لوجب أن تحدث الخلافات بين المســـلمين و الإنحراف عن كثير من المناهج الإسلامية تفسيرا و تأويلا و تطبيقا للحكومة الإسلامية بعد عقود من الزمن على رحيل رائد السلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم لكـــن المتتـــبع يجـــد بصـــمات الإنحراف و رواسب حضارة الجاهلية في السقيفة واضحة جلية حينما وقع النزاع بين المهاجرين و الأنصار على الزعامة و الرئاسة حـــبا لعـــروش الدنيا الفانية و لو كان السواد الأعظم من الصحابة قد لمس بقرارة النفس أن التصدي للخلافة ثقل و تكليف عظيم يحمله راعي الأمة على عاتقه لأخذ كل واحد منهم حيطة على دينه و خوفا من سؤال رب العالمين مسلك الإبتعاد عن التصـــدي لهذا المنصب الخطير و لرأى نفسه غير أهل لتحمل ثقل هذه المسؤولية

التي تسوقه يوم القيامة أن يجيب عن كل صغيرة و كبيرة في ميادين العلم كتابا و سنة فضلا عن العدل بين الرعية في مواطن تطبيق الشريعة و الحكومة الإسلامية و لمـــا راح بعضهم ليهدد بعضا حتى ضرب في السقيفة بعض أكابر الأنصار و أصـــبح بعد ذلك الوصول إلى سدة الحكم أمرا يستحق أن تسفك من أجله الدماء و تقطـــع الأرحام و تستباح الحرمات و تنصب المجانيق من أجل الوصول إليه و لو على الكعبة المكرمة .

و إن المتتبع بروح الحرية بعيدا عن قيود العصبية يشاهد معالم الإنحراف لحضارة الجاهلية ملموسة و الرسول ﷺ بعد يعيش بين ظهراني هذه الأمة حيث ينســـب إلـــيه الهجر و الهذيان بمشهد و مرأى من بعض أكابر المسلمين كل ذلك خوفا من أن يبت بكلمة تمنع من تسلق البعض من الوصول إلى غاياتهم التي طالما دبر لها بليل .

إذن الأزمة المعرفية إحدى الأسباب التي حدثت فيما بعد ثم راحت يدا بيد لتعصـــف بكيان الأمة و تأخذ بها إلى مسالك الهوة و التخلف حتى أصبحت بركانا يســـنده الطوفـــان لاقتلاع جميع قيم هذه الأمة حينما راح الكتاب المجيد ليفسر بل يـــؤول بواســـطة وعاظ السلاطين و راحت السنة هي الثانية أيضا ينقلها للأجيال أتـــباع البلاط الأموي كأمثال أبي هريرة بمعزل عن قاطبة المهاجرين و الأنصار ناســـبا لصحابة رسول الله ﷺ عدم الإعتناء بالشريعة مدعيا في حقهم أنهم كانوا مشـــغولين بـــتجارتهم كالمهاجرين أو بمزارعهم كالأنصار أو بالكحل والخضاب كأمهات المؤمنين .

و راح آخـــر ليقيم دعائم هذه الأزمة من بعد وفاة الرسول ﷺ ليومنا هذا بكتمان الحق خوفا من السلطات على حساب الدين أو طمعا بما في أيديهم و ربما أعـــان علـــى تحقيق هذه الأزمة ماكر إستخدم كلمة حق أريد بها باطل أعانه على

تحقـــيقها الجهال الناسكون و البسطاء المستضعفون و مهّد الطريق لهم حَمَلة روح العـــزلة ظنا منهم أن ذلك نسكا يتقربون به إلى الله تعالى أو إتخذوا العزلة غطاء للتخلي من المسؤولية فراحوا يفسرون الصبر بالإستسلام و الزهد بعدم التدخل في الأمور ناسين قول رسول الله ﷺ ﴿ **كلكم راع و كلكم مسؤول عن رعيته**﴾ و ﴿ **إن من أصبح و لم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم**_﴾ثم وعدوا الأمـــة علـــى ذلك بالثواب الجزيل و تناسى آخرون الغاية التي دعت إليها الأنبياء عليهم أفضل الصلاة و السلام و هي إقامة العدل و محاربة الظلم و الجور و إنه قد أخذ الله تعالى على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم و لا سغب مظلوم ففسروا الدفاع عن حق المظلوم و الشعوب المضطهدة على أيدي الحكام بالسياسة ، فتركوا الأمة فريسة بأيدي الظالمين حتى أصبح من أبرز مصاديق الزهاد من أصبح و لم يهتم بأمور المسلمين.

و هناك من صنع من الأمة قطيعا من الغنم و سلّمه بأيدي الطواغيت قائلا بملء الفهم : يجب على الأمة أن تطيع ولاة أمرها و لو كانوا فسقة ظالمين و تقف جنبا إلى جنب مع إمامها و لو كان المخالف عدلا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر مدعـــيا أن ذلـــك مـــا أمر الله تعالى به في قوله تعالى﴿ **أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولي الأمر منكم** ...[٧]﴾ مسميا كل من هب و دب خليفة لرسول الله ﷺ و لو تسلط على رقاب الناس بالسيف أو الوراثة بلا شورى و سار فيهم بـــالجور و العدوان قائلا بأن الإمام لا ينعزل بالفسق ثم راح ليدعي أن ذلك ما قام عليه إجماع المسلمين فيا له من إجماع خير و بركة و سلام على حساب شرع الله القويم !!!

---

[7] : النساء ٥٩

و ظن البعض خطأ أن حب آل محمد ﷺحسنة لا يضر معها شيء و إن لم يكن المحب مشايعا في العلم و العمل لعلي بن أبي طالب و الأئمة الأطهار من بعده .

فأخطأ في فهمه لمفهوم الحب و نسي المراد من معنى المشايعة و كأنه لم يقــرأ الأحاديث التي تشير إلى أن من شيعة علي عليه السلام الحسن و الحسين و إن من شيعته نخبة من الأبرار كأمثال أبي ذر و عمار و سلمان و المقداد و ذو الشهادتين و مــالك و حجــر بن عدي و إن واقع المشايعة و الحب لا يتمشى مع الكثير من المنتســبين إلــى آل البيت عليهم السلام بالوراثة أو التقليد في حين أنه لو وُجد على وجه الأرض مــن شيعة آل البيت حقا مئات الألوف لغيروا وجه العالم برمته و لكانوا أسوة للخلق و الكمال .

و زاد في الطين بلة لضياع أبناء الطائفة بعض المتحدثين جهلا أو طمعا بما في أيدي الناس فلم يفسروا لهم من هو الشيعي و ما هي شرائط الشفاعة و من هــو المحب حقا لأهل البيت عليهم السلام و غير ذلك كثير وجدت الصمت عنه أولى من أن...

و إندفــع آخــرون بروح (أنا خير منه) ليمزقوا الأمة عربية أعجمية و ربمــا تجــاوز البعض منهم هذا الحد ليبث روح (أنا خير منه) لتصبح الطائفة نجفية كربلائية و طهرانية رشتية إن لم نقل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك ليمزق شمل هذه الأمة أو الطائفة باختلاف الشوارع فضلا عن الأحياء و القبائل و هناك من بذر روح الشحناء بين الطائفة لاختلافات علمية إجتهادية لا ترجع من قريب و لا بعيد إلى أسس المذهب و ركائزه فهدم أركان الأسرة الواحدة لعناوين الأصولية الإخبارية الشيخية و كأنه لم يبصر المقاسم المشتركة التي دعى الله تعالى إليها في كــتابه المجيد بين أبناء الديانات السماوية بل بين أفراد البشر و أرشد إليها الإمام

علـــي بـــن أبـــي طالب عليه السلام في عهده لمالك الأشتر حيث يقول فيه مخاطبا مالك الأشتر حين ولاه مصر يا مالك ... ﴿ **فإنهم (الرعية) صنفان إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق** ...﴾

فأين ضيق هذه الصدور التي تضيق حتى من سماع النقاش و الحوار مع أبـــناء الطائفة أنفسها من إنشراح صدر المسلم المتسع للإنسانية في خطى الرسالة المحمديـــة الســـمحاء مع المحافظة على قيم الرسالة بروح الحب لله تعالى و روح خدمـــة الإنسانية لا الأحقاد و البغضاء كما هو المشاهد في تربية من يسمي نفسه الـــتابع للســـلف الذي لم يفهم من الدين إلا جفافا و ضغينة و حقدا على الإنسانية جمعاء.

إذا هناك من راح لينظر إلى الأزمة من زاوية عقائدية بحتة ليلقي باللائمة على الآخرين فقط و إن كانوا هم يحملون وزرها الأكبر متخليا بحسب منظاره من عبـــئ المسؤولية ناسيا الشريعة بأبعادها المعرفية و العملية بلزوم الإلتزام بمباديها ظانا أن العقيدة السليمة و إن لم تقترن بالعلم والعمل الصالح كافية لإصلاح النفس و دخول الجنان العاليات و جوار سيد الكائنات و آله الأطهار ، فأصبح كمن يجادل شخصـــا مـــنكرا لوجوب الصلاة حيث يراها واجبة و إنها سلم المقربين إلى رب العالمين لكنه لا يصلي و إكتفى بما هو عليه من الرأي المصيب ظانا بأن صواب رأيه بأزاء المنكر لوجوب الصلاة يجعله من المقربين و الزهاد الناسكين .

فيا لها من طبيعة إنسانية حين ضياع المقاييس للتخلي من تأنيب الضمير و التخلص من روح المسؤولية حيث يصبح عندها كل واحد يلقي باللائمة بكل ثقلها علـــى الآخريـــن فالعالم يلقي باللائمة على العوام و هم على العلماء و الناس على الدولة و الدولة على الرعية أو المسؤولين و قد يصل بنا الأمر للتخلص من عبئ المســـؤولية أن نلقـــي بكـــاهل الأعباء التي أثقلت ظهر هذه الأمة على البخت و

النصـــيب و الحظ بدلا من البحث عن واقع الأسباب و السعي بعد ذلك لإصلاحها التـــي هـــي علل و أسباب تأصلت في عمق تأريخ المسلمين أكثر من أربعة عشر قرنا حيث يكون على عاتق كل واحد منا بدلا من البحث عن مثالب الآخرين بروح التغالـــب ، الســـعي للإصـــلاح و قد خسر لهذا المنزلق الرهيب كل من الأطراف منهجـــية السير نحو الكمال و العز فضاعت النخبة في مطاوي هذا الخضم ضياع نداء المنبه في سوق الحدادين أو ما بين مدافع الجند المتصارعين.

و لا ننســـى عنصرا مشتركا بين البشر ساق أكثر الأمم بعد العز إلى هوة وديـــان الضـــياع و الهلاك ألا و هو ظن العظم الداعي إلى روح التعالي و الكبر والغـــرور حيث يكون الحكم عنده على الفرد أو النظام القائم بالتوقف عن مسيرة الكمال و فتح الأبواب لتسلق ركب السائرين لرقي الحصون و أخذ أهلها أخذ عزيز مقتدر بطشا و نهبا و إضاعة لجميع تراث الأمم السابقة بروح الزهو و الحقد .

و أن الأمـــة الإسلامية لم تكن بعيدة عن هذه المزالق ليرثها على الأرض قـــوم آخرون سنة الله تعالى في عباده و بلاده ما لم يسكن الإيمان و حب الرقي و الكمـــال فـــي قلوب الأمم لترى فقرها الذاتي بأزاء الغني المطلق لتصبح عند ذلك حـــركة لا هـــوادة فيها نحو غاية الكمال ليكون عمر الدهر فيها قصيرا فضلا عن عمر الإنسان و عندها يكون العروج نحو مبدأ اللاتناهي سلوكا في ميادين الكمال حيـــث شـــهود الأسماء الحسنى لله تعالى رب العالمين مسايرة مع الأيام الربوبية ليصـــبح الإنسان المؤمن مظهرا من مظاهر أسماءه تعالى و هو العليم و الحكيم و الصانع و المبدع و العزيز و ...

فالمؤمـــن مظهـــر العلـــم و العزة و الحكمة و التدبير و الإبداع و ...لأن الإسلام منهج الحياة و ليس صلاة لا حراك فيها في زوايا الكهوف .

و لكـــن أين الأمم أو الأمة الإسلامية من لمس هذا الواقع الرفيع و هو ﴿**لا يمسه إلا المطهرون**[8] ﴾ و هـــم نـــوادر البشر الذين لمسوا فقر ذواتهم ﴿ **فعظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم** ﴾ فساروا إليه للتخلق بأخلاقه سير الوالهين لا يهجعون عن طلب العز و الكمال ليلهم و لا نهارهم و لم يبعضوا الشريعة و لم يجزؤوها لتصبح شرع عبادة بالتخلي عن المسؤوليات باتجاه النفس كمالا و المجتمع خدمة .

فعشـــاق الحقـيقة وجـــدوا الله تعالى بأسماءه حكيما عزيزا مقتدرا رحمانا ســـلاما عفوا غفورا فصار الواحد منهم مظهر العلم والحكمة و العز و الرحمة و العفو و السلام بما يمكن لممكن من التجليات والآيات الربوبية .

و في الختام أقول : لابد من النظر والبحث السليم لشهود أسباب التخلف و موجـــبات إصـــلاحها بعيدا عن روح أحقاد الطائفية و عصبيات المسلكية و دوافع العنصـــرية لنشـــاهد ببصـــيرة الإيمان شرعا أخرج به الأنبياء أممهم من ظلمات الجاهلـــية إلـــى قمم علياء النور و العز و الكمال فصنعوا منهم خير أمة أخرجت للـــناس بقيم الرسالة و مثلها العليا بدلا من السيادة تحت ظلال السيوف لاسترقاق الآخرين للمصالح الشخصية و من لم ير هذا الواقع و كان مترددا فيما أشرنا إليه فعليه بالسير بعض الوقت في أعماق تأريخ المسلمين و بالأخص في مطاوي سجل قـــادتهم فـــي زمـــن ما يسمى بالفتح الإسلامي ليشاهد الإماء و العبيد في أسواق النخاســـين و يسمع ضجيج البائسات و فرار الصبية يلوذ بعضهن ببعض خوفا من أن يفرق القدر المشؤوم بينهن و بين أمهاتهن ليلتذ السيد المؤمن بهذه الطفلة باسم الدين الذي صنعه حد السيف و أعطاه الشرعية وعاظ السلاطين .

---

[8] : الواقعة ٧٩

و من يعش بدافع فطرة الذات لحب معرفة الحقيقة و نهج الصراط المستقيم يلمس هذا الواقع المؤسف المخزي لحياة غالبية قادة الأمة و أنظمتها الخاوية على عروشـــها لحضيض الجهل والإستبداد حيث راح السواد الأعظم بمنظار زهو عالم الدنيا و فخرها الكاذب لينبهر بزخارف البسط الجغرافي على وجه الأرض لسيوف الغـــزاة الطامعيـــن فـــي خيرات الأمم بإسم الدين الإسلامي غافلا عن ضياع قمم الرسالة و مثلها العليا في مسالك عدلها و إحسانها و عظيم ميادين حريتها و بعدها العلمي الذي هو قوام أسها الشامخ لا فتح البلاد الذي طالما فخر به المعتدون على طـــول التأريخ البشري حتى نال منه مكانة لا يستهان بها أمثال جنكيز و هولاكو والحجـــاج بـــن يوسف الثقفي و من تردد في ضياع القيم في ظل ما يسمى بالفتح الإســـلامي في أغلب مواطن جريه فعليه بالغور في أعماق التأريخ الإسلامي حرا نـــزيها عـــن العصبيات و إفراط حب الذات ليصبح في الأفق المبين مشاهدا كيف راحـــت سيوف المقاتلين لتسترق الأمم و تنهب ثرواتها و تبيد صرح حضارتها و تملأ أسواق الرقيق من حسناوات حور عينها ليعود فخر الجاهلية في ربوع الإسلام بكثرة العبيد والإماء بعدما كان المسلمون على عهد الرسول الأعظم ﷺ يتسابقون إلى عتق الرقيق و حياة البساطة لينالوا بذلك رضاء ربهم و نبيهم نبي الرحمة الذي جاء لتتميم مكارم الأخلاق.

و لـــو تركنا الرسالة بقيمها و شامخ مثلها العليا و جئنا لنفخر في الدنيا و عـــزها لكفانا التخلف عن ركب أبنائها ما نحن عليه من إستجداء أبسط التقنيات و أول الأولـــيات لحـــياة كـــريمة و لو أمعنا النظر على الرغم من كل الإدعاءات و ضـــجيج الشعارات و جئنا لنساير الشعوب لأقررنا بواقع المأساة حينما يجد الواحد مـــنّا كـــيف راحت لتزحف بعض الأمم على الرغم من عظيم ألم الجراح و نزف الدمـــاء لتواكـــب الزمن مرة ثانية و إليك مثالا لذلك اليابانيين والآلمانيين من بعد

ســـتين عامـــا من الزمن كيف بدؤوا من الصفر أو دون ذلك ليصبحوا اليوم ممن يشار إليه بالبنان في حاضرنا القائم و لكن لما كان التعرض للأزمة بأبعادها يحتاج إلى فصل خاص تركت ذلك للأجزاء اللاحقة إن شاء الله تعالى .

معالم الحضارة الإسلامية

من معالم الحضارة الإسلامية نغم يهب من رواسي بحور الأزل على سوح قلوب الوالهين ليقظة ضمير ترشد إلى سلامة فطرة تشاهد ربط الكائن الفقـير بمـبدأ الكمال اللامتناهي فتأخذ بأيدي السالكين سبل الرشاد إلى كون العوالـم على إختلاف مراتبها قربا و بعدا من عالم الشهود و الغيب تسير سيرا متواصلا لا وقفة فيه نحو الحق تعالى في ظل أسمائه و صفاته.

لأنه تعالى مبدأ المبادئ و حقيقة الحقائق الجواد الفياض الذي لا يحد بحد في ذات أو صفة فهو الكبير المتعال الذي برحمته المطلقة دائم الفضل علـى البرية كما و أنه غاية الغايات المطلوب لكافة العوالم طوعا أو كرها لأن كل غاية دون جلال قدسه متناهية بموازين الحق و هي﴿ **إنـا لله و إنا إلـيه راجعـون** ﴾[1] فلا مطلوب سواه رشاد قول يهدي إلى سنن الخلد و الأبديـة في مسالك الربوبية في قوسي النزول و الصعود فلا مبدأ سواه و لا عطـاء إلاعطاؤه و لا مطلوب غيره تعالى ربنا عن ضيق مزالق الوهم و الخيال و محافل الجهل بإسم العقل و الكمال.

أجـل لـو عاش العقل ضنك الاستقلال لرواسب الأنانية بلا مدّ يد السـؤال إلى عظيم خلق اللهﷻ ألا و هو الإنسان الكامل خليفة الرحمن و مسجود الملائكة الجامع لشتات عالم الإمكان و الكلمة التامة الإلهية التي أشير إلى ذلك إضافة إلى ما في الكتاب المجيد على لسان أولياء اللهﷻعليهم أفضل

---

[1] : البقرة ١٥٦

الصلاة و السلام : ﴿ **نحن الكلمات التامات و نحن الموازين و إنهم القرآن الناطق** ﴾ لراح العقل بحجب الأنانية و الكبر يحصد من جهله المركب أوهاما رجيما مطرودا عن ساحة رحمة الله ﷻ يتردى رداء الشياطين في حين أنه أخذ الآخرون يسيرون الكمال و المعارف لأسماء الله ﷻ في ميادين رحمة العزيـــز القدير كما هو شأن الملائكة كما يرشد إلى ذلك الكتاب المجيد بأن المعلـــم لكنوز المعارف اللدنية هو آدم عليه السلام الإنسان الكامل و على رأس الجميع سيد الكائنات محمد ﷺ .

نعـــم منه و إليه تعالى حقائق الأمور﴿ **يدبـر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون** ﴾[2] و حيـــث يقـــول : ﴿ **و إن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون**﴾[3] فـــالكل مـــنه نزولا و إليه عروجا يطلبون الكمال يخرقون الحجب النورية على اختلاف مراتبها حتى يبلغ خرق الحجب الربوبية بلا واسطة عالم الأســـباب و المسببات أخذا من الحق العزيز الحكيم حيث يقول تعالى: ﴿ **ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[4] ليكشف له سبعين ألف حجاب من حجب النور اللدني .

فكل الموازين و السبل مجار لفيض الله ﷻ يشاهدها العبد المؤمن في ظل مدرسة معالم الربوبية و مسالك الشريعة الإسلامية حيث يعيش المسلم حياة الكائنات طرا يراها ناطقة شاعرة يسايرها في أوج روعة البقاء و الخلود و

---

[2] : السجدة ٥

[3] : الحج ٤٧

[4] : النجم ٨_٩

العروج و الأبدية﴿ **تسبح له السماوات السبع و الأرض و من فيهن و إن من شيء إلا يسبح بحمده و لكن لا تفقهون تسبيحهم** ﴾[5]و ﴿**يسبح له ما في السماوات و الأرض و هو العزيز الحكيم**﴾[6] فالكل حي شاعر على اختلاف مراتب الحياة و الشعور لأن الكل آيات اللهﷻ و جميع العوالم علامة على أسمائه و صفاته فهي حية بحياته عالمة بعلمه قادرة بقدرته باقية ببقائه و سائرة إلى الكمال بواسع جوده و رحمته.

فهكذا يكون المسلم في مدارس الربوبية و مناهج الرسالة الإسلامية بعيدا عن ظلمات وديان العدم في نفق الجاهلية و الزندقة الطبيعية مترفعا عن قيود محافل المجسمة المشبهة حيث يرى نفسه مرتبطا بمبدأ الجود اللامتناهي الدائم الفضل على البرية ينتقل في مسالك الربوبية من مرحلة إلى مرحلة حينما تصغي مسامع القلوب إلى عظيم قوله تعالى :﴿**يسأله من في السماوات و الأرض كل يوم هو في شأن**﴾ فيلمس فقر عالم الإمكان و أنه لا خصوصية لهذا الفقر لعالم دون عالم فالكل طالب للكمال حتى الملائكة الكرام وأن الله ﷻ هو الغني المطلق المفيض على الكائنات على اختلاف مراتبها﴿ **فسالت أودية بقدرها** ﴾[7]كل راح يأخذ على قدر قابليته و سعة وجوده.

فمن جانب الممكن فقر و سؤال دائم و من جانب الحق تعالى فضل و جود مستمر فإنه تعالى كل يوم بظهور و عطاء و فيض جديد على هياكل

---

[5] : الإسراء ٤٤

[6] : الحشر ٢٤

[7] : الرعد ١٧

الممكنات على اختلاف أيام الربوبية و قابليات عالم الإمكان لأنه الكنز الخفي الظاهـــر بأســـمائه و صفاته اللامتناهية بلا تناهي الذات الأزلية و العوالم و الآيات دلائل على ذاته و أسمائه لمن شاهد الحق من خلال أنفاس الخلائق و إلا فهـــو مشهود بذاته لأوليائه الكرام﴿ **يـا من دل على ذاته بذاته**﴾ و قد شاهده الصديقون حيث يقول الإمام الحسين: عليه السلام ﴿**الهـي متى غبت حتى يكون غيرك دليلا عليك** ﴾و حيث يقول : ﴿**إن التردد في الآثار يوجب بعد المزار**﴾ و حيث يقول تعالى﴿ **سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾ [8] ﴿ **و شهد الله أنه لا إله إلا هو و الملائكة و أولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾[9] .

فمعرفة الله سبحانه وتعالى بقدمه وأزليته و لا تناهي وجوده و رحمته المطلقة و فيضه الدائم على البرية و معرفة الممكن بالفقر الذاتي يرشد المسلم إلى سير متواصل لمسيرة الكمال التي لا اختصاص لها بعالم الطبيعة بحركتها الجوهرية بـــل يشاهد المسلم عالم الإمكان سيرا و سلوكا إلى الله سبحانه وتعالى لأن كل غاية و مطلوب دون الله سبحانه وتعالى متناهية و إن كانت الكلمات التامة من الأنبياء و الأوصياء الكرام سبل العروج إليه لمن أراد كمال المقربين و سير المتقين .

فالإنسان بما منحه الله سبحانه وتعالى من عظيم صنع كان في أحسن تقويم يحمل الأمانة العظمى قابلا لكل كمال و رفعة و قرب يفوق الملائكة الكرام معلما إياهم خليفة لله تعالى لا يبلغ مقام قربه أحد كما أشار إلى ذلك تعالى بالنسبة

---

[8] فصلت ٥٣

[9] : آل عمران ١٨

إلى مظهر الأسماء و الصفات الرسول الأعظم محمدﷺ قائلا : ﴿**ثم دنى فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ [10].

لكن الإنسان قد يصبح بسوء اختياره متأخرا عن كافة الخلائق حين تسافله تتبرأ منه العجماوات و تتعالى عليه الخلايا و الذرات فيتمنى يوما أن يكـــون تـــرابا فلا يبلغ هذه المرتبة التي بدأ منها حياته و هذا ما جنته يداه فاســـتحقه بموازين العدل لخروجه عن استقامة العدل و الفطرة و سنن عالم الرشـــاد و لا نـــدري حينئذ أتطهره نار الله الموقدة بلطف من اللهﷻ لأن رحمته وسعت كل شيء أو يبقى رهين حجب الظلمات يسير وراء كافة العوالم مسيرة ﴿ **إنـا لله و إنـا إليه راجعون**﴾ [11]فذلك أمر يعود عرفانه و تحقيق مقامه إلى تقدير العزيز الحكيم .

و أمـــا نحـــن فمصداق قوله تعالى ﴿**قـل لو أنتم تملكون خزائن رحمـة ربـي إذا لأمسكتم خشية الإنفاق و كان الإنسان قتورا**﴾ [12]إلا الذين شرح الله ﷻ صدورهم فوجوده باعتدال أنفسهم في الأفق المبين برحمته التي وسعت كل شيء إنه الغفور الرحيم التواب و أنه شديد العقاب فشاهدوه بكل أسمائه و صفاته و لكن أولئك هم الأقلون عددا.

فقـــد إتضح مما تقدم من مسايرة الشرع القويم أن آدمعليه السلام هو المعلم للملائكة الأسماء كلها من الأسماء الذاتية الإلهية و الفعلية سواء كان الإسم هو العلامـــة و الآيـــة أو هو الرفعة و العظمة و سواء كانت الأسماء من شأن

---

[10] : النجم ٨ _ ٩

[11] : البقرة ١٥٦

[12] : الإسراء ١٠٠

الجمـــال أو الجـــلال أو من اللطف و القهر في مراتب الأحدية جمعا لحقائق الأمـــور قـــرآنا بما لإسم اللهﷻ من الدلالات و في مراتب كثرة الأسماء و تعددها في ميادين الربوبية فرقانا في مرتبة الواحدية شهودا للحق تعالى على قدر أسمائه و شهودا له على قدر أنفاس الخلائق في مرتبة الفعل .

و أنـــه لمـــن المعلوم لدى التأمل أنه لا يراد من الأسماء ما كان من الأسماء الإعتبارية التي لها شأن التمييز لكل فرد عن الآخر كتمييز هذا عن ذاك باسم زيد و عمرو، إذ من الواضح أن جعل الإسم الإعتباري لا يحمل في طياته عظيم أمر يستوجب الخلافة الربانية الداعية للسجود لهذا الكائن الذي من لم يأت من طريقه للوصول للحق تعالى للعروج إلى سوح الكمال كان رجيما مطـــرودا عن رحمة الله ﷻ كإبليس المتقيد بقيود حجب ظلمات الأنانية و الكبر.

فالغايـــة مـــن بعثة الأنبياء التخلق بأخلاق اللهﷻ الداعية للعروج إلى سوح الكمال اللامتناهي للاتناهي الحق ذاتا و صفة.

فالدعوة للتخلق بأخلاق الله ﷻ التي جاء بها الرسولﷺ حيث يقول : **﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾** و حيث مدحه اللهﷻ :**﴿ و إنك لعلى خلق عظيم﴾**[13]ترشد في ظل معالم المدرسة السامية الإسلامية إلى مسيرة كمال و عروج لا يحد بحد لطلاب الحقيقة الذين عشقوا الوجود الأزلي و ساروا نحو غاية الغايات سعيا وراء التخلق بأخلاق اللهﷻ في دعوة للكمال اللامتناهي .

---

[13] : القلم : ٤

فالشـــريعة الإسلامية بكل أبعادها العلمية و العملية دعوة نحو الكمال اللامتناهي بلا تناهي الحق تعالى لأنه هو المطلوب للعارفين و غيره مطلوب بالتبع.

فهذا يشاهد أبواب العروج نحو الحق تعالى مفتحة من طريق وجوب التخلق بأخلاق اللهﷻ و هذا بشهود الصديقين للانهاية الحق تعالى لأنه شاهد اللهﷻ قـــبل الكائنات و شاهد القدم قبل الحدوث و الغنى قبل الفقر و حقيقة الوجود قبل الممكن الموجود بالغير فقال أولياء الله:ﷻ ﴿ **إلهي متى غبت حتى يكون غيرك دليلا عليك**﴾ و ﴿**إن التردد في الآثار يوجب بعد المزار** ﴾و حيث يقول قائل العرفان الإمام عليعليه السلام :﴿ **ما رأيت شيئا إلا و رأيت الله قبله و بعده و معه و فيه**﴾ و حيث يقول أولياء الله ﷻ :﴿ **يا من دل على ذاته بذاته** ﴾و حيث يقول تعالى : ﴿ **أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾[14] .

إن عظمـــاء الخلـــق ما شاهدوا إلا اللهﷻ و به شاهدوا الأسماء و الصـــفات ثم شاهدوا الفيض و الخلق على اختلاف مراتب عالم الإمكان فهم شاهدوا الحق بالحق .

و آخرون شاهدوا الحق تعالى من خلال الدليل و البرهان فلمسوا بداهة حاجة الممكن إلى وجود لم يكتسب الوجود من غيره و إن كل ما بالغير لابد و أن يـــرجع إلى ما بالذات فهو هالك الذات فقير لا قوام له إلا بمبدأ الجود الفياض الدائم الفضل على البرية .

---

[14] : فصلت ٥٣

فعالم الإمكان سير و سلوك في ميادين الربوبية لطفا من الله ﷻ بحال الكائنات و عليه فلا وقفة في العروج على اختلاف مراتب الكائنات لأنه تعالى غاية لا متناهية أخذ على نفسه لطفا بحال العباد أن يمدهم بجوده و كرمه على اختلاف قابليات الممكنات في العوالم المختلفة.

و هناك من يشاهد العروج إلى الله ﷻ من طريق نصوص الكتاب و السنة اللفظية و إن كان السابق من القول شهودا لمدارج الكمال من طريق الشريعة أيضا لكن من حيث معرفة الحق لعظم النفوس أو لأن الناظر هو القرآن الناطق و هو ظهور الأسماء و الصفات و هو الإسم الأعظم الإلهي في مقام الفعل لأنه الكلمة التامة الإلهية فليس الكلام إلا في مراتب شهود الأولياء من الصديقين المقربين ثم مراتب الأولياء الشامخين السالكين إلى ربهم في ميادين الحكمة.

فراح المسلم ينظر من خلال معالم الرسالة الإسلامية إلى أهم حدث كوني وهو عروج الرسول الأكرم ﷺ ليتأمل في معاني كشف الحجب النورية المشار إليها في الأحاديث الشريفة و أنه تعالى كشف لحبيبه محمد ﷺ سبعين ألف حجاب من النور و هو تعالى كل يوم في شأن و تجل جديد لأوليائه في ميادين الربوبية.

و قد تحدث القرآن المجيد عن الإسراء و المعراج و وردت بذلك الأحاديث الكثيرة لتدل على أن مسألة المعراج عظيم أمر له المساس التام بواقع العقيدة الإسلامية حتى أصبح لزوم الإعتقاد به من ضروريات المذهب بل الدين و إن اختلف المسلمون فيه إجمالا و تفصيلا في أنه كان مجرد رؤيا أو عروجا روحيا أو أنه كان بالجسم و الروح معا كما هو الحق أخذا من سفن

الـــنجاة و أبواب مدينة العلم النبوي و هم خلفاء الرسول ﷺ علي و أولاده المعصومون عليهم السلام .

و المستفاد من الكتاب و السنة أن الغاية من المعراج مشاهدة آيات الله الكبرى و أنه سبحانه أوحى إلى عبده ما أوحى و قد دلت الأحاديث الشريفة أنه عرج برسول الله ﷺ إلى السماء و منها إلى سدرة المنتهى و منها إلى حجب الـــنور ثـــم ناجاه الله سبحانه و كشف له سبعين ألف حجاب من النور و أن من جملـــة مـــا له دخل في الغاية أن يشرّف الله سبحانه بنبيه سكان السماوات و هم الملائكة الكرام و أن يريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه و ليس ذلك على ما يقوله المشبهون سبحانه و تعالى عما يصفون .

و قد ورد في العلل بإسناده عن ثابت بن دينار أنه قال: سألت الإمام زين العابدين عليه السلام قلت :فلم أسرى الله سبحانه بنبيه محمد ﷺ إلى السماء؟ قال ليريه ملكوت السماوات و ما فيها من عجائب صنعه و بدائع خلقه قلت فقول الله: سبحانه ﴿ **ثم دنى فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾[15] قال ذلـــك رســـول الله ﷺ :دنـــا من حجب النور فرأى ملكوت السماوات فكان المعـــراج كمـــالا و شهودا من ناحية و تكميلا للملائكة و الجن و الإنس من ناحية أخرى بواسطة رسول الله ﷺ.

و فـــي بعض الروايات أن من الآيات التي شاهدها الرسول ﷺ هي تجلي أنوار الجمال و الجلال الإلهي على سدرة المنتهي.

و عن هشام بن الحكم عن موسى بن جعفر عليه السلام أنه لما أسري بالنبي ﷺ و كـــان من ربه قاب قوسين أو أدنى رفع له حجابا من حجبه و قال جـــبريل لرسول الله قد بلغت قربا ليس لملك و لا رسول طريق له قال تعالى:

---

[15] : النجم ٨ _ ٩

﴿**ثم دنى فتدلى* فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾ فرسول الله كلمة الله ﷻ التامة التي فيها تجلي الأسماء و الصفات الإلهية فهو الجامع لشتات الكلم و هو ظهور التخلق بأخلاق الله ﷻ .

و تشير الروايات إلى تعدد المعراج للرسول ﷺ حتى نقل أنه تجاوز عدد المعارج المائة و العشرين مرة !و هذا مما يشير و يدل على أن العروج إلى الله ﷻ لا يحد بحد للانهاية الحق تعالى فكان الرسول ﷺ يساير أيام الله ﷻ في تجليه على الكائنات و يأخذ الأنوار من الكنز اللدني .

و تدلي الثمرة تعلقها بالشجرة و الآية ترشد إلى أن تمام القرب يوجب تمام التعلق و التدلي بما في ذلك من تمامية الربط و لمس فقر عالم الإمكان بإشعار تام و لطف إلى أن محض التعلق و العبودية ثمرها عائد للسائرين كما هــو شأن ثمار الأشجار لمن رفع رأسه فإنه يشاهد الثمر ليتناول منها فهكذا حياة الأنبياء.

و إجمال القول في المقام أن المنهج الرسالي للشرع القويم يشير بكل وضوح إلى عرفان الحق تعالى بلا نهاية وجوده و فقر عالم الإمكان و سؤاله الدائم و فيض الحق اللامتناهي بلا تناهي الذات و أنه تعالى كل يوم هو في شأن هذا أولا.

كما و أن الدعوة للتخلق بأخلاق الله ﷻ التي لا تحد بحد تبعا للانهاية الحق هي الغاية من بعثة الأنبياء كما قال ﷺ: ﴿**إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**﴾هذا ثانيا.

و إن معــرفة المعراج و أنه بالجسم و الروح و أنه كان لرسول الله ﷺ حتى قيل أنه تجاوز المائة و العشرين مرة مسايرا في ذلك للأيام الربوبية كل هذه الأمور الثلاث تجعل المسلم يشعر بوضوح من المنهج الإسلامي أن

مســـيرة الكمال لا تحد بحد و أن العالم الإمكاني على اختلاف مراتبه بكله و تمامـــه سير و سلوك و جولان و تحرك نحو الغاية اللامتناهية و هي الحق تعـــالى و أن أداتهـــا الموصلة الشارحة للبطون اللامتناهية لهذا العروج هو خاتم الولايـــة المطبق لشرع الله القويم لبلوغ الغاية ألا و هو منقذ البشرية من الضلال المحقق للعدل محمد بن الحسن العسكري (عج).

و قـــد أشار القرآن المجيد إلى التكامل لبلوغ مراتب العرفان في كافة أبعـــاد الوجود الإنساني في مسألة المعراج حيث جمع النبيﷺ شؤون عالم الإمكـــان ظاهرا و باطنا لقوله تعالى﴿ **مـا زاغ البصـر و ما طغى** ﴾[16] مشـــيرا إلـــى الشـــهود الحسي لعالم الظاهر و قال تعالى مشيرا إلى الشهود المعنوي لعالم الباطن ﴿ **ما كذب الفؤاد ما رأى** ﴾ [17]لأنهﷺ ميزان الحق و جامع شتات كمال عالم الإمكان و اعتدال البصر و البصيرة و أن الإنسانية حقيقة واحدة تسير الكمال و العروج إلى اللهﷻ على اختلاف مراتب السالكين إلى اللهﷻ بكل أبعادها الوجودية جسما و روحا و الإنسان يحشر كذلك بكل أبعـــاده يوم القيامة و لا يتوقف سيره نحو الكمال و الغاية اللامتناهية بعد دخوله الجـــنان بل يبقى سائرا نحو الحق تعالى سيرا لا متناهيا فتتبدل بكماله الجنان إلى جنان أخرى على اختلاف مراتب الجنان و أبعادها حسا و مثالا و عقلا و نورا .

فإذا كل المعالم الإسلامية من التخلق بأخلاق اللهﷻ و كون الحقﷻ هو الغاية و الوجود اللامتناهي و أنه كل يوم في شأن جديد و كون الممكنات عين الفقر و السؤال و كذا التأمل في مسألة المعراج و أنها روحانية جسمانية و أن المعـــراج تعـــدد بالنســـبة إلى الرسولﷺو ضرورة مجيء منقذ بشري

---

[16] : النجم ١٧

[17] : النجم ١١

يخلـــص العـــالم من دماره و ظلماته تحقيقا لوعد الله ﷻ إن الأرض يرثها عباده الصالحون كل ذلك يلفت نظر السالك سبل الشريعة الإسلامية إلى تكامل و سير و ســـلوك إلى الله ﷻ لا يحد بحد وأنه لا وقفة فيه دنيا و آخرة و الحمد لله على هديه سبل الرشاد فإنه ولي التوفيق.

في رحاب السيرة النبوية

تمر البشرية في طي تأريخها الطويل بليال عصفت بالخلق الكريم إلى هوة كادت أن تمسخ هوية هذا الكائن الذي ما خلق إلا من أجل غاية تفوق الملائكة قدرا و مـــا كـــان ليحدث ما حدث من رأي أو فعل تندى لهما جبين الإنسانية لو عاش البشر حياة التأسي بعظماء الخلق كالأنبياء و أوصيائهم الكرام.

فنحـــن الـــيوم بأمس الحاجة إلى دراسة معمقة في أبعاد السيرة النبوية لسيد الكائـــنات محمـــد ﷺ لنتلقى الأضواء من خلالها على مناهج الرشاد علما و عملا لنســـتعيد بها هوية السلام التي كادت أن تندرس في هذا العصر من بعد ما انبهر العقل البشري بظاهر من الحياة الدنيا فأخلد إلى الأرض ظانا بأن الغاية المنشودة مـــن خلقـــه تحصل في ظل حياة الغرور التي تمر كالبرق الخاطف على أهلها ثم تصبح سراباً بأعين أبنائها من بعد ذهاب ربيع الأيام.

و مـــن الواضـــح عند التأمل أن ما يعاني منه المسلمون اليوم من التخبط و الانهيار في أغلب مجالات الحياة لا يكمن فقط في جانب الغزو الخارجي لنعلل به الانهـــزام و الانحطاط الذي نعيشه اليوم بل لابد و أن نبحث ذلك بكل دقة أولا و بـــالذات في عوامل البعد الداخلي لمجتمعنا المسلم عن مسيرة الكمال التي جاء بها الرســـول محمـــد ﷺ لـــيأخذ بنا إلى تراث الأنبياء الخالد الذي به ضمان سعادة الدارين و إلا فنقد حضارة الغرب بلا بديل يضمن للأمة مجدها قد لا يكون سوى منهج خطابي أو شعري.

كمـــا و أنـــه بات الأمر من الواضح أنا لسنا نعيش في زمن يمكن فيه حسم الأمـــور بأحكام تكليفية و ها نحن نعيش هجمة ثقافية في عقر دارنا ربما لبت لها الكثير من رغبات النفوس و لو في ميادين الرغبات الحسية أو عالم الوهم والخيال حيـــث ضاعت عندها الكثير من المقاييس الحقة أو التي هي أولى و أجدر بالأخذ لسبل الرقي و الكمال.

فالكفـــيل بخـــروج الأمة من مأزقها و محنتها التي عمت كافة أبعاد الحياة فانهـــارت عـــندها القيم المادية و المعنوية معا هو أن تقر الأمة مرة ثانية ببواطن ضـــميرها بأنهـــا لابد و أن تكون لها الأسوة برسول الله ﷺثم تحاول الجهد من وراء ذلـــك للمس الأسباب التي أدت إلى الانهيار ثم السعي بعد ذلك للتخلص من هجمـــة أجنبـــية بعد وجدان البديل الضامن للمجتمع سعادة الدارين لأنه ربما كان الكثـــير من دواعي الانهيار كامنا وراء تفسيرنا الخاطئ لمناهج الإسلام القويم من بعـــد مـــا ابتعدنا عن مسلك الشرع أحقابا من الزمن سواء في ذلك تفسيرنا للكتاب المجيد أو السنة النبوية المتجسدة بسيرة اثني عشر نقيب هم مظاهر العلم و العدل و الملاذ الذي يردّ الأمة عند اضطراب الأهواء إلى الله ﷻ و الرسول ﷺحيث قال تعالى ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله و الرسول** ﴾[1] .

فإذن لابد من دراسة حياة المعصومين للتوصل إلى معرفة الكتاب و السنة و لابـــد أن تكون دراسة السيرة النبوية في كافة مجالاتها المختلفة المادية و المعنوية علـــى أيدي أهل الاختصاص لتكون مترامية الأطراف يأخذ كل بحّاثة على قدر ما لديـــه مـــن القابلـــية مـــا هو من شؤون اختصاصه في المقام فهذا يبحث الجانب

---

[1] : النساء ٥٩

الأخلاقـــي و ذاك الجانب الاقتصادي و ثالث الجانب النفسي و هكذا بقية الجوانب المختلفة من العسكرية و السياسية و المعنوية في ميادينها الإلهية .

فرسول الله ﷺمجمع الكمال و قد أوتي جوامع الكلم فهو القرآن الناطق و من أراد الخلق الكريم عليه أن يعيش حياة أكبر رائد في عالم الإمكان لقوله تعالى ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة**﴾[٢] و قال تعالى: ﴿**و إنك لعلى خلق عظيم**﴾[٣] و قال هو ﷺ: ﴿ **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**﴾.

و قال علي عليه السلام مخاطبا لولده الحسن عليه السلام: ﴿ **و إعلم يا بني أن أحدا لم ينبئ عن الله سبحانه كما أنبأ عنه الرسول** ﷺ**فأرض به رائدا و إلى النجاة قائداً**﴾

و من المسلّم أن الأنبياء قادوا أممهم و بالأخص الرسول محمد ﷺ إلى قمم الكمال و العز حيث جعلهم خير أمة أخرجت للناس لو استقاموا على الطريق و لم ينقلبوا على الأعقاب .

لكـــن بلـــوغ الكمال و السعادة بواسطة الكتاب و السنة رهين معرفة ترسم الشـــرع بأبعـــاده المخـــتلفة بما للكتاب و السنة القطعية من دلالة بعيدة عن أهواء الـــرجال ثـــم البحـــث عن صحة أسانيد الأخبار بعيدا عن الأخذ بها مطلقا لقاعدة التســـامح في أدلة السنن في بعض مواطن الأحكام و إلا فقد ورد عن الإمام علي عليه السلام أنه قال : ﴿**و قد كُذب على رسول الله** ﷺ**على عهده حتى قام خطيبا فقال من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار**﴾ و لا ننسى المنافقين الذين انحلوا في المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺليومنا هذا حيث

---

[2] : الأحزاب ٢١

[3] : القلم ٤

راحـــوا يوجّهـــون و يحـــرفون الكلم عن مواضعه حتى فتحت الأبواب لكثير من الدخـــلاء على العلم و المعرفة ليفسروا الكتاب و السنة طبقا لأهوائهم عن عمد أو جهل بعيدين عن مناهج العلم غافلين عن جمع الدلالات بالعام والخاص و الناسخ و المنسوخ و المحكم و المتشابه و أن القرآن يفسر بعضه بعضا و أن الأخبار لابد و أن تعرض على الكتاب و السنة القطعية .

و قـــد بـــذل أوصياء الرسول ﷺ الجهد الشديد لحفظ السيرة النبوية حيث جعلوا الكتاب المجيد هو الملاك الذي يجب أن تعرض عليه جميع الأحاديث ليكون المخـــالف للكـــتاب مردودا و أن يكون الكتاب و السنة القطعية هما الملاك لتمييز الحق من الباطل ليكون غير ذلك زخرفا من القول يضرب به عرض الجدار.

و مـــن جملـــة ملامح السيرة النبوية كأصول تذكر في المقام و إن كان كل مفـــردة مـــنها تحـــتاج إلى دراسة و بحث واسع النطاق هي المساوات و العدل و الحرية و الشورى و الدعوة لطلب العلم حيث يكون به العز و الكمال و الخشية من الله ﷻ و الابـــتعاد عن مناهج التقديس المستندة إلى قوة الوهم و الخيال البعيدين عـــن واقع السيرة النبوية المبتنية على العلم و العمل الصالح و رسم المعايير التي بهـــا يتمكن المسلم من تمييز دعاة الحق عن الباطل و الدعوة إلى الاتزان في كافة مجالات الحياة.

حيـــث لا تكـــون رهبانية ابتدعوها ولا يهودية منغمسة في حضيض عالم المادة باسم الشرائع السماوية و السعي في ميادين التزاحم للأخذ بالأهم على الرغم مـــن ملاك المهم و الإقدام على القبيح عند دوران الأمر بين محذورين فرارا من الأقـــبح إلـــى القبيح حيث لا مفر عنهما ليعيش المسلم روح المقاييس و الاختيار للإصـــلاح أو الأقل ضررا و كذا حياة المواساة مع المحرومين و معالجة المجتمع قـــبل الدلـــيل و البرهان بالخلق الكريم و القيم الرسالية العليا كما عالج به الرسول

ﷺ الأمـــة و العمـــل بـــالعدل و الإحســـان حيث يكون بالعدل استقامة الأمور و بالإحسان امتلاك القلوب و الهجرة عند لمس الخطر بعد كافة الأصحاب و التسابق إلى ميادين الجهاد حيث يقول علي عليه السلام: ﴿**كنا إذا حمي الوطيس لذنا برسول الله** ﷺ ﴾ و هكـــذا مئات المناهج الحقة و السيرة المشرقة التي لكل مفردة منها كتاب كريم .

الإمام المهدي (عج) الخطيب الرسالي

تنحدر قوافل البشر منذ آلاف السنين كالسيل المتدفق يتلو بعضها بعضاً ينسي اللاحق منهم أحلام الماضين و يودع ما شيّدوه من عروش بعظيم أوهامهم في طبق محافل الغابرين و إن كانوا بالأمس هم ربّان سفن هذه الدار يبحرون في بحور أوهامها و يتخذون من نسيج عناكبها بيوتاً ظناً منهم أنهم في كنفها من الآمنين حتى أسلم هدير الأمواج أجسامهم منازل الوحشة و ديار الغفلة فسكت عندها بليغ القوم و انهارت عروش الأوهام .

و قد جئت في مسيرة الكون أحثّ السير مع السائرين بوجد و حنين أصطحب الأجيال لأصبح خيالاً لا يتحدث عنه الركبان و وهماً لا تحكي وحشة فراقه الوديان، فخضت في جنبهم بحور الأوهام و طربت في كهفهم لوتر الأنغام ثم رحت أخاطب النفس بعد ربيع أنسها و محافل جهلها قائلاً: لِمَ صرت اليوم لا أُذكر في حفل و لا مقام و لا في جبل أو سهل و لا في بحر أو بر؟!.

أجل أسلمتني كوارث الحدثان لخلسة صمت مؤلمة و قد كنت من قبل أجدّ السير مع السائرين شاهدت من خلال المطاف بريق الرايات كيف راحت تساق إلى منازل كدحها و محافل وجدها كل منها يظن وقفة الكون إجلالاً لهيبته و تكريماً لبريق رايته و قد راح أصحاب الرايات يسمع كل منهم تكسر أضلاع المضطهدين تحت رايات السائرين فيرى أنينهم جرماً و صراخهم كفراً وارتداداً.

فشاهدت من خلال هذا المشهد الرهيب كيف تسلق الذئبان الأعواد باسم سيد المرسلين ﷺ و كيف سالت الأقلام بدماء الشهداء و البائسين لمرضاة

الطغاة الجائـــرين و كيف رسمت لوحة الكون بأجمل ما يكون باسم أصحاب المال و القـــادة الماكريـــن حتى رأيت أمراً عجباً ، كيف صار الطليق أميرا للمؤمنين و الطريد وزيراً بل خليفة لسيد المرسلين ﷺ.

فوقفـــت مدهوشاً تطوف بي الأفكار، أنظر مواقع النجوم علّني أشاهد قمراً منـــيراً حجبـــته عن الأبصار غيوم الأوهام في حين أنها أيقنت بواطن القلوب بأن بظهـــوره تحقيق الغاية من بعثة الأنبياء ليقوم الناس بالقسط لرب العالمين حيث قال ﷺ : ﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾ و قال تعال﴿**و مـا خلقت الجن و الإنس إلاّ ليعـبدون**﴾[1] و قد مرّت البشرية منذ خلق الله ﷻ آدم عليه السلام إلى الخاتم ﷺ إلى يومنا هذا بأليم من الأمر و هول مطّلع شديد الإعصار ذاقت البشرية فيه شتى أنواع الجـــور و العدوان كان ثمر الإنحراف عن موازين الصراط المستقيم و ما كسبته أيدي الناس من الفساد في البر و البحر .

و قـــد تجـــاوزت الأحاديث التي تتحدث عن مجيء منقذ البشرية في كتب المسلمين ثلاثة آلاف حديث على اختلاف ألسنتها لكنها جميعاً متفقة على أنه من آل محمد ﷺ كما تنص على ذلك الصحاح عند الفريقين منها صحيح البخاري و الـــترمذي و سنن ابن ماجة و ابي داود و مسند الإمام أحمد ابن حنبل و ذخائـــر العقبى و صواعق ابن حجر و الشعراني في اليواقيت و بن العربي في الفتوحات المكـــية و الشـــبلنجي في نور الأبصار و كذا في كنز العرفان و العديد من كتب الخاصـــة حيـــث تشير الروايات إلى أن السماء تنزل بركاتها و الخير يعم و أن الأرض تخرج كنوزها و أفلاذ كبدها.

---

[1] : الذاريات ٥٦

فالتأمل في هذه الأحاديث يلفت نظر القارئ إلى حتمية مجيء منقذ للبشرية بـــه تحقـــيق الغاية من بعثة الأنبياء لتخرج الشرائع من مرحلة الفرضية إلى واقع التطبيق في كافة أبعادها علماً و عملاً حتى لا يقول قائـــل من الأولين و الآخرين يـــوم يقوم الناس للحساب لعلّ الشرائع التي دعت إليها الأنبياء من زمن آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم كانت مثالية معنوية بعيدة عن منهج السلوك و التطبيق.

أضـــف إلى الأخبار ما دلّ على ذلك من إجماع المسلمين على مجيء منقذ للبشرية من آل محمّد صلى الله عليه وآله وسلم على الرغم من الإختلاف في كونه مولوداً أو سوف يولد و حكـــم العقل بتحقيق هدف الأنبياء للدعوة إلى الكمال المطلوب الذي لم يتحقق منذ خلق الله عزّ وجلّ البشرية على وجه الأرض .

و كذا ما دلّ على مسألة العدل العالمي من الآيات قال تعالى : ﴿**و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض و نجعلهم أئـمة و نجعلهم الوارثين**﴾[2] و قـــال أيضاً ﴿**و لقـد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصـالحون** ﴾[3] و قـــال تعـــالى أيضـــا ﴿ **وعـد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصـالحات ليســتخلفنهم في الأرض كمـا اســتخلف الذيــن مــن قبـلهم و ليمكـنن لهـم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً يعـبدونني لا يشـركون بـي شـيئـا**﴾[4] و قال تعالى﴿ **هـو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون**﴾[5] .

---

[2] : قصص ٥

[3] : الأنبياء ١٠٥

[4] : النور ٥٥

[5] توبة ٣٢ و متكررة هذه الآية في سورة الصف ٩ أيضا

☆ محتملات في تطبيق العدل العالمي

قد يتسائـــل الإنسان أنه كيف يمكن تطبيق الشريعة على أيدي منقذ البشرية المهدي الموعود (عج) بكل أبعادها العلمية و العملية بالأخذ بأيدي الناس إلى الكمال و العـــدل بعد ما ملئـــت الأرض ظلماً و جوراً في حين أنه مرت على الأمم دعاة حـــق على اختلاف مراتبهم من آدم عليه السلام إلى سيد الكائـــنات محمد صلى الله عليه وآله وسلم لم يتحقق ذلك على أيديهم ؟.

فالمحتملات في المقام أمور كثيرة ربما يكون منها إقامة الحق بواسطة ولاية تكوينية تسلب الناس اختيارهم أو للقدرة و الهيمنة الإلهية تكاد الناس أن تلجأ إلى العمل بالحق لأنهم لا يرون للفرار منه سبيلا و منها أن يظهر الله عز وجل للبشرية بأسماء القهر و الملك و الهيمنة كما هو كائـــن في يوم القيامة ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾[6] فتستسلم الناس للحق خوفاً من السلطان الإلهي.

ومنها أنه تعالى يظهر آياته الكبرى كإظهار الملائـــكة أو إظهار من ينادي بين السماء و الأرض داعياً الناس إلى شريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم على أيدي مهدي هذه الأمة و منقذ البشرية أو يظهر نيرانه و جنانه و ما شاكل هذه المظاهر و الآيات الكبرى التي لا تبقي لأحد روح الشقاق و النفاق أو الشك في حقائـــق الأمور .

و منها أن تقام الأمور و موازين الحق بواسطة ولاية من المعصوم عليه السلام بحيث لا تبقى لأحد مفراً من سلطانه ، و منها أن تقام دولة الحق كما أقيمت لسليمان عليه السلام بما مكّنه الله عز وجل منه من سبل أو بما هو أوسع من ذلك، و منها أن

---

[6] : الغافر ١٦

تسبق الدعوة إلى الحق حوادث و حروب تبيد أكثر البشرية فتجعل الباقين مستعدين لقبول منقذ يخرجهم مما هم عليه من الدمار و الخوف .

و منها أن يمد الله ﷻ وليه عليه السلام بمدد كما أمد موسى و نوحاً و محمداً عليهم أفضل الصلاة و السلام.

فيجعله بذلك قادرا على القضاء على كل مخالف و كافر و منافق و لو بخوض حروب عالمية بمدد من طريق السبل العادية ، و منها تحقيق العدل بمعجزات حتى يستسلم الناس إلى ما يقيمه من الإعجاز ، و منها أن يبلغ الناس بأنفسهم قبل الدعوة إلى الحق مرتبة من الكمال و العلم بحيث تجعل الجميع مستعدين لسماع دعوة الحق و الرشاد بقلوب صاغية لكل كمال و علم و عدل و إحسان .

و منها أن النفوس لمّا تيأس من كل داعية تدعوا الناس إلى العدل على اختلاف مذاهب الدعاة إلى العدل من موحدين إلهيين من اليهود و النصارى و المسلمين على اختلاف مذاهبهم سنة و شيعة ، لمّا يجد الناس أن الفعل يختلف عن القول و أن الجميع لا يخدمون إلاّ مقاصدهم الشخصية و أهوائـــهم الخاصة بعيدين عن روح الشرائـــع و كذا من بعد ما تلمس البشرية أن بقية الدعاة إلى العدل من العلمانيين و الشيوعيين و غيرهما لا يسعون أيضاً إلاّ إلى مقاصدهم الشخصية تحت غطاء العدل و أن الجامع لجميع الدعاة إلى الحق و العدل و إن اختلفت الأسماء هو الهوى و المكر و الخداع للوصول إلى المآرب الشخصية و من ناحية أخرى يتعب الناس من ضياع الحياة في الشهوات و الملذات فتستعد النفوس عند ذلك إلى الإصغاء إلى دعوة حق حقيقية يسبق فيها العمل بالعدل القول على أيدي داعية حق تنحدر من جوانبه سيول الرحمة و العدل و الإحسان و العلم .

و من المحتملات أيضاً أن الفرض الأخير الجامع هو ما دلت عليه بعض الأخبار يكون مع بعض المحتملات المتقدم ذكرها بالأخص الأخيرة منها فيكمّل بعضها بعضا فتكون جميعها كالمعد أو المقتضي لتحقيق و بسط العدل على وجه الأرض واستعداد النفوس لقبول شرائع النور و الرشاد.

و الأخير أقرب الوجوه في المقام و إن كانت بعض الوجوه أولى من بعضها في الإعداد لجعل النفوس أكثر إصغاء من غيرها .

لكن إقامة الحجة على الماضين و الباقين بواسطة الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه لا تناسب بعض المحتملات كإقامة الحجة بواسطة ولاية تكوينية أو سلطة تسلب النفوس اختيارها بل لابد أن تقام الحجة مع فرض بقاء الدنيا دار اختيار و اختبار لأنها سنة الله ﷻ في أرضه و في عباده لإثبات كون الرحمة و اللطف الإلهي كان منذ بعث الله تعالى آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم ثابتاً و أن المانع كان من قبل النفوس البشرية و إلاّ فلا نقص في المقنن و لا القانون و لا القيادة فالمقتضي و الشرط كان حاصلاً للسير نحو الكمال و تحقيق الحق و العدل و الإحسان لكن المانع هو السبب لكل ما عانت البشرية من الهوان و الجور و هو ما اكتسبته أيدي الناس من الفساد في البر و البحر اتباعاً للهوى و إلاّ فقد أخذ الله ﷻ على نفسه لطفاً بحال العباد أن يهديهم إلى الصراط المستقيم قائـــلاً : ﴿**و الذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا و إن الله لمع المحسنين**﴾[7] .

---

[7] : العنكبوت ٦٩

☆ طول عمره الشريف (عج)

من جملة أهم سنن الله ﷻ في عباده جعل الأوصياء بعد الأنبياء لتعيش الأمم بعد أنبيائـــها حضارة السلام و الإيمان على أيدي النقباء و ينتهي بذلك ما يكون من رواسب الجاهلية على شتى أشكالها و مذاهبها طيلة تربية تستمر إلى اثني عشر عقب و جيل.

و قد أراد الله ﷻ ذلك أيضاً في شريعة محمد ﷺ بواسطة اثني عشر نقيب دلت على ذلك أخبار العامة و الخاصة حتى لا تندرس معالم الحق وسبل الرشاد كما اندرست في ربوع الماضين و بقيت الأديان هيكلاً صورياً و جسداً لا حراك فيه، كل ذلك لو أحبت الأمة الحياة و العز و الكرامة .

ثم خصص الله ﷻ هذه الأمة المرحومة و هي أمة محمد ﷺ بأن جعل بين ظهرانيهم ولياً من أعاظم أوليائـــه الكرام مستوراً عن الأنظار لكي تلبّي دعوة الأمة لو رجعت يوماً إلى الصواب و طلبت من ربها تحقيق العدل، لتكون الإجابة من الله ﷻ للرشاد بنفس يوم صفاء القلوب و بعدها عن الهوى و الجهل و الضلالة لطفاً من الله ﷻ بحال العباد ليكون بقائـــه حجة من الله ﷻ على الأمم يوم يقوم الناس للحساب في يوم الدين و يكون حجة على الماضين و الباقين بأن عدم التطبيق لشرائـــع السماء كان من جهة بعد الناس عن الحق و الصراط المستقيم .

لكن قد يورد بعض الناس هاهنا شبهة بالنسبة إلى طول عمره الشريف يحتمل أن يكون منشأها أحد أمور نذكر بعض المحتملات في المقام :

منها أنه قد يكون منشأ الشك راجعاً لعدم معرفة الشخص عموم القدرة الإلهية بالنسبة لكل ممكن بعد كون طول العمر من الممكنات لا من المستحيلات

فيكون البحث عند ذلك بحثاً توحيدياً راجعاً لإثبات عموم القدرة الإلهية مع المتردد في ذلك الأمر.

و منها أن يكون الشك ناشئاً بسبب الجهل بمسائل العلم و كون الخلايا قابلة للبقاء الطويل لو لا حدوث العارض من الإفراط و التفريط في مستلزمات الصحة أو للجهل بها و ما شاكل هذه العوائـــق التي تعرقل مسيرة الحياة الصحية من أمور مادية أو نفسية و كون هذا بعيداً عن ساحة أولياء الله ﷻ الذين يريد الله ﷻ إبقائـــهم لأغراض هو أعرف بها من غيره من الخلق.

و منها أن يكون الشك ناشئـــاً من جهة البعد عن معرفة مسلكية المذاهب الإسلامية حيث ذهب الكثير من أعلام المذاهب سنة و شيعة إلى الاعتقاد ببقاء الخضر و عيسى عليهما السلام و كذا بقاء أصحاب الكهف أيضاً حيث لا يكون القول بعد ذلك ببقاء مهدي هذه الأمة بدعاً من القول في مناهج المسلمين .

و منها أن يكون الشك ناشئـــاً من جهة البعد عن معاشرة الكتاب المجيد حيث راح يتحدث عن حياة بعض الأولياء قائلاً: ﴿**و لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً** ﴾[8] و لعلها كانت أيام دعوته فقط و عليه يكون على الناقد قبل النقد أن يعيش بعض الشيء مع القران المجيد .

و منها أنه قد يكون الشك ناشئاً من جهة بُعد الشخص عن أحاديث المسلمين أو عن فهم دلالتها حيث كان من جملة ما اتفق عليه الفريقان سنة و شيعة قول الرسول صلى الله عليه و آله و سلم: ﴿**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**﴾ حيث يقع التسائـــل في مصداقية هذا الحديث الشريف طيلة هذه القرون بغض النظر عما يمكن أن يكون من مصاديقه في فترة قصيرة من الزمن ،لكن لا أظن

---

[8] : العنكبوت ١٤

أحداً من المسلمين أنصف من نفسه يقول بأن من مات و لم يعرف الكثير من حكام بني أمية أو بني العباس أو العثمانيين أو الكثير من حكام المسلمين المعاصرين مات ميتة جاهلية و على هذا لم يبق لهذا الحديث من مصداقية في أغلب السنين منذ وفات الرسول ليومنا هذا إلاّ على مسلك الشيعة حيث لم يخلو زمان من الأزمنة كان خالياً من إمام من أئـــمتهم عليهم السلام ،فعدم التأمل في دلالة مثل هذه الأخبار قد يكون هو المنشأ للإنكار.

و منها ما يحصل من لزوم تعيين خلفاء الرسول تبعا للرغبات و الأهواء كمن جاء ليعين خلفاء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الذين دلت عليهم الكثير من الأحاديث من السنة و الشيعة على أنهم اثنا عشر نقيباً كلهم من قريش حيث راح ليختار الأربعة الأول بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم سار ليتخطى الآخرين حتى وصل إلى عمر بن عبد العزيز ثم منه إلى هارون الرشيد و هكذا يحاول بذلك تكملة العدد الذي دلت عليه الأخبار فمثل هذه التوجيهات أيضاً قد تكون منشئاً للإنكار .

و منها البعد عن روح الأحاديث الدالة على أن طول العمر ليس أمراً عجبا كما يشاهد ذلك حينما قيل للإمام الصادق عليه السلام عجبا من طول عمر مهديكم فأجاب: ﴿ ليس العجب من طول عمره و إنما العجب من قصر أعماركم﴾ .

و منها البعد عن روح الحكمة المستفاد من أحاديث أهل البيت أيضا : إنه ليس من الحكمة و العدل أن يبقي الله عز وجل الشيطان الذي يضل الناس و لا يبقي معه إماما يهديهم إلى الصراط المستقيم.

و منها أنه أي مانع في كون طول عمره الشريف على سبيل الإعجاز و الخرق لنواميس الطبيعة بما لها من جريان عادي لو دلت الأحاديث على ذلك لغاية و مصلحة لا يعرفها إلا الله عز وجل .

و منها أنه لِمَ لا تكون الأولوية لأحاديثنا المثبتة لغيبته (عج) على أحاديث غيرنا الساكتة عن هذا الأمر المتفقة معنا على أصل منقذ من آل محمد ﷺ حيث أن أئمة الشيعة باتفاق الفريقين هم من أعاظم علماء المسلمين و هم من آل بيت الرسول ﷺ فلتكن أحاديثهم شارحة أو مخصصة للأحاديث المطلقة الدالة على مجيء منقذ للبشرية من آل محمد ﷺ.

علائم الظهور

الحمد لله محفوفا بمزيد من الشكر على نعمائه حين يغرق قلم الوالهين في حب أولياءه في بحور من الثناء ثم يلمس عجزه فيجري متصاغرا في ركاب محمد وآله الطاهرين الميامين المعصومين المنتجبين جريا في سبل الهدى بين يدي غاية بعثة الأنبياء ووارث الأوصياء ذلك العلَم الذي لا يجحده عقلا عند شهود الغايات بموازين الفطرة ولا ينكره شرعا طالب حق في مواطن متابعة الآيات والروايات إلا من حجبته حجب الغفلات، ألا وهو منقذ البشرية من الضلال والدمار ناموس الله ﷻ في أرضه الحجة على الماضين والباقين إلى قيام يوم الدين خلف سيد المرسلين الإمام بالحق محمد بن الحسن العسكري عجل الله تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره والمستشهدين تحت لواءه إنه مجيب الدعوات بواسع فيضه وكرمه .

ثـــم أتقـــدم بتحية الدين والسلام لإخواني الذين قطعوا الطريق مشياً على الأقـــدام أحقابا ليلا ينزفون تحت مطارق الجائرين والجهلة المقلدين لم تأخذهم في الله لومـــة لائـــم حتى صاروا لنا منار هدى نقتبس منهم سبل الرشاد، فأودعونا ما كـــانوا يحملون من أثقال الأمانة لنقف اليوم معلنين معالم الحق في ديار الظالمين علـــى ربوة بعيدين من مقاص الرقاب للفراعنة باسم الدين لنقول: ما يحلو لنا قوله مـــن موازين صدق هي من صميم روح السلام التي إتفقت عليها رسالات السماء لمـــن أنصـــف من نفسه بعيدا عن دواعي الشقاق بدوافع رواسب وعاظ السلاطين النابع من قطر ندى الجبارين وإن حصل الخلاف في بعض التفاصيل مما لا ينال

أسس المعتقد الذي تواترت فيه الكلمات حتى قيل إن منكر المنقذ البشري الذي هو غايـــة بعثة الأنبياء ينكر ضرورة من ضروريات الدين فهو كافر بعد الالتفات إلى مـــنابع الأخـــبار ليخرج عن ظلمات شقوة الجهال المستضعفين حيث اتفقت آراء الفريقيـــن على مجيء منقذ من آل محمد ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لأطال الله ﷻ ذلـــك الـــيوم ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد ما ملئت ظلما وجورا كما عن الرسول الأعظم محمد ﷺ.

ولـــيس الكـــلام في هذه المقدمة عن اليوم الموعود لمهدي آل محمد ﷺ المـــنقذ للبشرية من الضلال والدمار لتتميم مقادير الله ﷻ في خلقه إتماما للحجة وتحقـــيقا للعدالـــة بـــل إنمـــا الكلام في علائم الظهور على اختلافها سندا ودلالة وتشـــخيص محـــالّ صدقها اجتهادا تبعاً لقرائن الحال والمقال وإن المدونات وإن راحـــت لتسرد الكثير من الأحاديث وتكللها بباقات من التأويل و شذى الاستحسان المدعوم بغور الآمال من لئالئ بحور العاشقين مشاهدة تجليات الحق تعالى لتشرق الأرض بـــنور ربها بعد ظلمات ليالي الجبارين والجاهلين لكن قضاءه تعالى فوق الرغبات وإن كانت من الوالهين المتطلعين إلى سماء ربهم .

أجل راحت لتتناقل العديد من الكتب كثيرا من الأحاديث حيث صيغت بنحو كـــاد أن يظهر البعض منها بمظاهر القوة بعد كونها في أصولها ليست قادرة على الصمود أمام المتوغلين في أعماق بطون الأسانيد وأحوال الرجال وطيّات القرون إلا مـــن أغمض الطرف عن سلسلة من مواطن الضعف والإصغاء إلى كثير من ملابســـات دعوى الإتفاق وجبر المستندات بأمور لا تروي الغليل كما هو المشاهد لـــدى طائفة من الكتب بالنسبة إلى بعض مشاهير الأخبار لمن تابع في سيره بعيدا عـــن تقاليد أعطاها عظمُ الرجال معالم أمة فصارت من أسس مذهب أو دين وبعد الإعراض بالوجه عن كثير من الثغرات، سوف يجد الباحث المتأمل أن الكثير منها

بعــد تجــاوز الصــعاب فــي مقامات الاعتبار والدلالات شبه كبريات تشخيص مصاديقها من أشكل الأمور لولا أن تحفّ برغبات المتفائلين واجتهادات الراغبين تحقيقها في زمانهم وفي ربوع ديارهم وهذا ما جعل مشاهد تجليها رافعة أعلامها في كل عصر وزمان باعتقاد شريحة كبيرة من أبناء الطائفة.

وكــيف لا يكــون ذلك ومن حق المؤمنين في كل بقعة من بقاع الأرض حيــنما تتوالى صنوف البلايا والمحن أن يجدوا أنفسهم هم المعنيين بعلائم الظهور وأن زمــانهم أجلى الأزمنة لصدقها وهل من خرق للموازين ومحق للقيم أشد وقعا في النفوس مما شاهده المضطهدون والبائسون والصالحون في ديار نسبت لأمراء المؤمنيــن وخلفاء النبيين من أمثال بني أمية وبني العباس والعثمانيين والعديد من المنتسبين لمذهب أهل البيت عليهم السلام أو م عاشته الأمة في ظل غزو المغول والتتار وغيرهما سواء كانوا من المحتلين المتوحشين في مظاهرهم أو كانوا من المثقفين المتنحورين المتفلسفين الساهرين ليالي خلدهم يذرفون الدموع دما على المحرومين ويعلو شهيق صراخهم على طفلة يتيمة في كوخ في جوار عجوز عفى عنها تغريد رصاص زفّ حماتها إلى أعماق مقابر الأحرار المستشهدين والمظلومين المعذبين.

كمــا راح ليجد معالم الظهور متجلية من عاش مأساة الحربين العالميتين الأولــى و الثانية ليقول بجزم و يقين: هل من طغيان وظلم ورعب هو أقسى مما تعيشــه البشــرية فــي ظل هذه العصور ، فلا ندري من هم أحق بالجزم وأجدر بصواب الرأي بشهود معالم الظهور لرايات منقذ البشرية ، هل هم من عاشوا في ظــل المتقمصين حلل الأنبياء والأوصياء يقتلون و ينهبون ويفترون و يتجاوزون كــل الحــدود والقيم باسم الله عز وجل وشريعة السماء أو من يرتكبون ذلك بما يناسب الزمــن تحــت غطــاء بريق الألفاظ و لئالئ الكلمات وأكداس من المجوزات ثم

يطلونهـــا فـــي ربـــوع الأرض ذهبـــية العـــرى فضية الكأس خمرية المذاق بعد المؤتمرات المهدئات والبكاء حتى على حقوق العجماوات .

نعـــم إن انـــتظار الفرج وتمنيه والاعتقاد الجازم بالمنقذ البشري من أجلى صفات المؤمنين لأن به تحقيق الغاية من بعثة الأنبياء والمرسلين لكن ينبغي أن لا يدفـــع بنا ذلك إلى اجتهادات تدفعها الرغبات لتحديد معالم الظهور على عصرنا ثم الاندفاع من خلال ذلك إلى تحديد زمن الظهور أو دعوى الشهود بما يتحمله الأمر مـــن توالي سقيمة أقل ما يفرض فيها أنها تكون مدعاة لأهل المطامع والأغراض والنفوس المريضة .

وإن مـــن جملة العلائم التي ذكرت في المقام هي **(إنحـــراف أهل الزمان وظهـــور الفســـاد والظـــلم)** فـــإن مثل هذه العلامة وإن كانت بموازين العقل قبل إرشـــاد الشـــرع إليها من أهم العلائم التي لا بد أن تحدث قبل الظهور بل هي من شـــرائط الظهـــور أيضا إلا أن تحديدها في زمان خاص لا يكون إلا اجتهادا لأن الظلـــم و الجور ليس شيئا جديدا على وجه الأرض ولا من الأمر المستغرب على أهلها حتى تموج منه البحار و تتفجر منه براكين الجبال وتشقق منه السماء غيظا وسخطا ولا هو كذلك في أمة محمد ﷺ التي ما احتاجت إلى أربعين يوما لتنقلب علـــى الأعقاب بعد رحيل قائدها الأعظم سيد الكائنات محمد بن عبد الله ﷺ كما حدث ذلك في أمة موسى عليه السلام.

فهاهي راحت لترمي من لا ينطق عن الهوى بالهجر و الهذيان واعتدت علـــى وصـــيه وجمعـــت الحطـــب على دار من شيد الدين وقتلت أعداء الخلافة بمســـرحية قـــتل الجن لأعداء الله ﷻ وزنت بالمحصنات في نفس الليلة التي قتلت الأزواج بعـــد ما أعطتهم الأمان ودافع قائد الأمة الأسلامية غير مختشٍ ولا مبال عـــن الغدرة الزناة بأنهم سيوف الله التي لا يجوز لولاة الأمر غمدها وبايعت بيعة

الفلـــتات و قسّمت الأموال بالرغبات واعتدت تحت غطاء الجهاد و فتحت أسواق الرقيق تحت شعار الفتح وتهاونت عن شربة الخمور المتجاهرين بالفسق الشاربين لـــه فـــي بيوت اللهﷻ ومئات المثالب الأخرى المعلنة غير التي رمم صدعها قوة السلطان والناس على دين ملوكها حتى احترق الأخضر و اليابس بواسطة بني أمية وبني العباس وغيرهم.

فصارت البدع سنة والدعوة إلى تقوية السلطان على حساب الدين شريعة يدعوا فيها وعاظ السلاطين تحت وابل من التوجيهات والذرايع والاجتهادات حتى عـــبّر عن هذه الأمة في القرن الثاني والثالث الهجري بأنها قطيع غنم حينما راح أهـــل الحـــل والعقـــد مرضاة للحكام الظالمين يطلقون شعارات مضللة باسم الدين قائليـــن : إن وجدتـــم آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر يخالف السلطان فاسندوا إمامكم واقتلوا مخالفيه وإن كان الحاكم من الجائرين الظالمين .

كـــل ذلـــك فـــي ظل قطر ندى السلطان ناسين أو متناسين أن لا طاعة لمخلـــوق في معصية الخالق حتى قال بعد تمهيد الأمر له من قبل وعاظ السلاطين عـــبد الملك بن مروان: لا يأمرني أحد منكم بتقوى اللهﷻ إلا ضربت عنقه بسيفي ولا أريـــد أن أحمّل جميع المأساة للحكام وأرقائهم من وعاظ السلاطين وأنا أعيش عرفانا لقول رسول الله ﷺ: **﴿ كيفما تكونوا يولّى عليكم ﴾**.

أجـــل إنـــه مـــنذ عزل وصي رسول الله علي عليه السلام ضرب الظلم والجهل أركانـــه في ربوع الديار الإسلامية فلا تجد غريبا من الأمر بعد ذلك إلا بحسب ما يناسب الزمان تألقا من الظلم و العدوان.

ولســـت فـــي هذه العجالة وهذا المختصر أريد سبر التأريخ المظلم لحكام المســـلمين الذي قام طيلة القرون يرفع شعارات الحق للتسلق إلى مآربه الشخصية حتى فتح الأبواب أمام المعتدين وربما وجد المسلم فساد اليوم بكل أبعاده وشعاراته

الفارغـــة مـــن الديمقراطية والوحدة والاشتراكية أهون وطئا من العدوان باسم الله ورسوله حيث تكون الأيدي مطلقة لارتكاب أي جور وعدوان مادام الله ﷻ والسماء معهـــم حيـــث تتجسد الازدواجية والنفاق بكل أبعادها باسم الدين لخدمة الطواغيت والمجرمين حينما يأخذ وعاظ السلاطين معاولهم لهدم الشريعة خدمة للسلطان حيث تصـــبح الأمـــة فريسة لكل من هب ودب باسم أمير المؤمنين وخليفة رسول رب العالمين .

أمـــا خـــروج الـــرايات السود من خراسان فقد يعتبر حدثا يسبق الظهور وإخبارا بالغيب ولو كان بمئات السنين قبل الظهور فيكون من جملة المغيبات التي أخـــبر عـــنها الصـــادقون عليهم السلام وإن أمكن أن تدخل تحت عنوان شرائط الظهور والمعدات له لأنها من جملة المحن والبلايا في سجل التاريخ البشري أو الإسلامي بالخصـــوص ولكـــن الباحث المتأمل في هذا الخبر وغيره من الأخبار الواردة في الحديـــث عن خراسان ورياتها بعد غمض الطرف عن الأسانيد وكونها متعارضة من حيث المضمون ومتضادة من حيث المدح والذم وإن أريد بها رايات أهل زمان واحد.

فقد ينظر إليها بمنظار آخر اكثر دقة وتأملاً بعد إلقاء الأضواء عليها فإنه قـــد يجد المتأمل عليها بصمات أهل المصالح وتجار الدنيا باسم الدين بادية سواء كـــانوا مـــن السياسيين أو القوميين المتعنصرين وسواء كانت البصمات من حيث التأسيس أو من حيث الدعم والإسناد وذلك مما يورث عند يقظة الضمير الكثير من الهواجس في القلوب لتلقي بمثل هذه الأخبار في مظان التهمة في عصر راح أهله كـــل بحسبه ليصعّد من إنتاج شركاته الخبرية القائمة على قدم وساق لدعم بعض التـــيارات المتصارعة على صعيد السياسة كبني أمية وبني العباس أو على صعيد القومـــية كالإصالة العربية والداعين إلى تشييد أركانها والساعين في مقابلهم على

الحصـــول علـــى موضع قدم من الكرامة في زمن لا يمكن الإعداد للقيم إلا على حساب الدين.

فلابـــد حينها من إسناد على لسان رسول الله ﷺأو أحد أهل بيته الكرام للحصـــول علـــى مكانـــة تـــنافس المدّ القومي الأموي العربي ولقد كان هذا المدُ الإعلامـــي لمـــثل هـــذه الروايات بعد تحقق ضرورة إسلامية أجمع عليها العامة والخاصـــة إلا من شذ ممن عصفت بقيمه الفطرية والإسلامية عواصف الشقاق و حجبـــته عن شهود الحق حجب الظلمات عناداً واعوجاجاً ولعدم معرفة غاية بعثة الأنبياء تحت ضغوط رواسب الأحقاد التي تعمي القلوب من أنه لا تنتهي الدنيا ولو بقـــي منها يوم واحد لأطال اللهﷻ ذلك اليوم حتى يخرج رجل من آل محمدﷺ يمـــلأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلماً وجوراً كما عن النبي ﷺ،ليلقي مثل هـــؤلاء بأنفســـهم فـــي هوة إنكار الضروريات في مسألة مهدي هذه الأمة والمنقذ البشري ولذا راحت الروايات تمشياً مع هذه الضرورة المسلّمة إسلامياً لتصاغ بما يخدم أغراض بعض الفئات المتخاصمة على المصالح في الساحة الإسلامية .

أجـــل هاهـــي أخبار الرايات السود تتجلى فيها صياغة أصحاب المصالح السياسيين والقوميين حيث تقول على لسان رسول الله ﷺ: **«إذا رأيـتم الرايات السود قد خرجت من خراسان فأتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهـدي»** ولعلهـــا لو صيغت لتخدم أهل الحجاز أو اليمن لكان المناسب عندها أن يقال : ولو مشياً على الجمر فإنه يكون أشد وقعا في النفوس حيث تكون أفضل الأعمال أحمزها لكن ماذا يمكن أن يصنع الأخصائيون في صناعة الحديث وهـــم يـــريدون الكـــلام عن بلاد يعلوها البرد لا الحر وتكون الرمية فيها حجرا لعصفورين يستأنس بها الساسة من بني العباس والقادة من أهل خراسان، فيالها من

صـــياغة حسنة طالما مارسها أهل الخبرة من وعاظ السلاطين ونالوا عليها أحسن جزاء المحسنين.

وأمـــا ما كان من علائم الظهور كقتل النفس الزكية فبعد اعتبار السند يجد الباحث أنه في كل زمان حصل فيه قتل للصالحين على أيدي الظالمين والجبارين يأتـــي السواد الأعظم بدوافع الحب لبعض الرجال المدعوم بشيء من البساطة في الـــرأي واجـــتهادات مستندة إلي كثير من الاستحسان ليشاهد تجليات النفس الزكية مـــتحققة في بعض الرجال ثم يأخذ الأمر بالتصعيد حينما تفسّر عشرات المقارنات والمؤيدات لتعيين فرد معين من بين المستشهدين لكنها بعد فترة من الزمن سرعان مـــا تنخفض موجة التصعيد لتصبح بعد حين موضوعة في سلة المهملات ومنشأ ذلك كله أن العنوان قابل للإنطباق على مئات من المصاديق طيلة القرون .

ولا تـــبعد عن مثل هذه العلائم القابلة للإنطباق على العديد من المصاديق طـــيلة القـــرون بعـــض العلائم الأخرى نظير النجم المذنب أو الخسف بالبيداء أو الـــزوراء أو اختلاف أهل المشرق والمغرب أو اختلاف صنفين من العجم وسفك دمـــاء كثيرة فيما بينهم أو قتل الحسني بناء على أنه غير صاحب النفس الزكية أو خروج العبيد عن طاعة ساداتهم وقتلهم لمواليهم سواء أخذت بما تحمل من الظهور أو أخذت مع شيء من التأويل أو التفسير للموالي والعبيد أو ذبح رجل هاشمي بين الركن والمقام أو نزول الترك الجزيرة والروم الرملة.

بـــل قـــد يدخل تحت مثل هذا العنوان بعض العلائم الأخرى مثل الدجال والســـفياني حيـــث اندفـــع البعض ليرى تحقق مصداقهما في بعض مكرة العصر وجـــناتها وإن كانت هذه العلائم أقل مصداقية بحسب القرائن من غيرها وإن كان مـــن الممكـــن اعتبار هذه العلائم وغيرها مع صعوبة تشخيص المصداق فيها من جملـــة ما يقع طيلة القرون قبل الظهور لتكون بتمامها بعد اجتماعها للمتأمل فيها

بشفافية فراسة المؤمن علائم تعطي القلوب سكينة وبعداً في التمييز إن بدرت بوادر الحــق برايات منقذ البشرية لكي لا يقع أهل الله في شك وترديد في مواقفهم بازاء موكب طلعة الإيمان والنور .

و أما مثل روايات بزوغ الشمس من المغرب فهي علامة لم تحدث ليومنا هذا إن أريد بها المعنى الظاهر من التغيير في المجرى الكوني، لكن من المستبعد أن يغــير الله ﷻسـنن الكون بل و من المستبعد أيضا أن يغير سنن الدعوة إلى الرسالات السماوية و سبل الحق و ذلك ليبقي تعالى دار الدنيا دار اختبار و اختيار ليتهافــت فــيها إلــى النور و حجة الحق (عج) أصحاب البصائر بمستوى سلامة فطــرتهم و قوة عقولهم ثم ليلتحق به في المرتبة الثانية أصحاب المدارك الحسية ببعض مراتب العلم بما يقيم من المعاجز و خوارق العادات .

و أما تحقق بعض مراتب الدعم الإلهي الظاهرة المكشوفة بمستواها الحسي المحض فإنما تكون في آخر المطاف و المرتبة الأخيرة ليميز الله ﷻالناس بحسب اخــتلاف مراتــبهم و إلا فلو أراد الله ﷻ أن يهدي الخلائق إلى الحق و الصواب بمحض ما يكون من المدركات الحسية لما اختلف إثنان في توحيد أو نبوة أو إمامة أو عــدل أو معــاد و ذلك بكشفه لهم نيرانه و جنانه و ملائكته الكرام لكن ذلك لا يتناســب و الجهــاد في سبيل الله ﷻ لبلوغ مراتب العلم و اليقين لأشرف مخلوق مــيزه بالعقل عن العجماوات حين يسير جهاده الأكبر في ميادين العروج و زكاة النفس و هو الإنسان.

و لكــن قد يراد بهذه العلامة بزوغ شمس الحقيقة من المغرب و هي نفسه المقدســة (عــج) بجعل بداية الدعوة بمراتبها السرّية قبل الإعلان جارية في تلك الديــار لما فيها من أرضية العلم الخصبة وبعض الانفتاح لقبول الرأي المخالف و الــبعد عن روح الجدل المذهبي المقيت المبني على أسس الأحقاد بإسم الدين و إن

كـــان بعد ذلك تستقر الدعوة في ديار الشرق لمصلحة لا يعرفها إلا الله ﷻحينما أراد أن تكون عاصمة السلام هي مدينة الولاء الكوفة عاصمة علي عليه السلام.

و إمـــا أن يراد من بزوغ الشمس من المغرب الإرشاد إلى أرضية القبول لدعوة الحق في تلك الديار لبعدها عن روح الحقد و الشقاق بإسم الدين و الإصغاء لسماع الرأي الآخر المفقود عند الكثير من المنتسبين إلى الشرع القويم الذين منهم الديـــن براء أصحاب العقول المتحجرة الذين بنوا أسس دعوتهم على تكفير غالبية المسلمين بعد إقرارهم بالشهادتين فراحوا ليتظاهروا مكرا و خداعا على أنهم أغير على دين الله من اللهﷻ و أنبيائه و رسله و عباده الصالحين فهم مصداق قول علي عليه السلام: **﴿قصم ظهري شخصان عالم متهتك و جاهل متنسك﴾** و هم خلف خوارج النهروان .

و أمـــا مـــا ورد من كون الدجال أعور وأن ربكم ليس بأعور فهو مما لا يمكـــن حملـــه علـــى ظاهـــره،و لعل المناسب في المقام أن يكون من الرموز و الإشارات إلى منهج النقص و الانحراف في مقابل منهج التمام و الحق.

و أمـــا أن بين عينيه مكتوبا أنه كافر و يقرؤه كل مؤمن كاتبا كان أو غير كاتـــب فيمكـــن أن يراد منه الإشارة إلى فراسة المؤمن التي بها يصبح قادرا على تشخيص الدجال بأفكاره و أعماله لا بادعاءاته و مظاهره.

و أمـــا أنـــه يقول أنا ربكم أو ينادي إليّ يا أوليائي أنا الذي خلق فسوى و الـــذي قـــدر فهدى أنا ربكم الأعلى و أنه يأمر السماوات أن تمطر فتمطر ويأمر الأرض أن تنبـــت فتنبت،فهو يناسب التقنية و ما وصل إليه البشر من العلم الذي أبهر أعين الناس فأنساهم ذكر الله العظيم فراحوا ليعبدوا أهل الدنيا.

فالدجال قد يكون من أصحاب العلم الذين يستعملون علمهم في الضلال و المكر و إلا فما معنى أنه أعور و أنه مكتوب بين عينيه أنه كافر و أن ربكم ليس بأعور.

و قــد حاول البعض أن يعطي جميع الروايات تأويلا أو تفسيرا بما يراها مناســبا في المقام ففسّر الدجال بالرمز للتيار الكافر المادي الذي يهيمن على وجه الأرض في آخر الزمان و فسّر السفياني بالتيار الديني المنحرف القائم على العنف و سفك الدماء المدعي من الديانة و الإيمان ما لم تدعه الأنبياء و ذلك لاعوجاج في فهــم لمعالم الرسالة و راح ليفسر الخسف بغضب الله ﷻ و إنتقامه من المجرمين وإنــتهاء ألاعيبهم و يفسر بزوغ الشمس بعد مغيبها بظهور نفس الإمام(عج) بعد غيبته الكبرى و يفسر اليماني بالتيار الصالح المؤمن لأنه رمز الإيمان و السلام و يفسر الخسوف و الكسوف بإنكدار معالم الدين و إندارسها و يفسر النار التي تخرج مــن الحجــاز و تضيئ لها أعناق الإبل في بصرى بنور المهدي حيث لا يحجبه حجــاب الــباطل و يفســر الصيحة من السماء بنداء الحق الذي يهيمن على وجه الأرض فــيوقظ أهل الدنيا من نومهم ويفسر كون الصيحة في شهر رمضان بأن الســلطان الإلهي إنما يكون متجليا في الأيام الربوبية لأن له تعالى أياما يوقظ بها النائميــن و يفسر النداء من السماء باسم المهدي و النداء من الأرض باسم ابليس بصــراع الحــق و الباطل و أن نداء الحق يأتي بعظم و سمو في آخر أيام الدنيا ليدحض نداء الأرض الذي طالما حكم ظلما وزورا فيكون كل من الحق و الباطل مكشوفا لم يقع بينهما التباس و اختلاط إلى غير ذلك من التفاسير لكثير من علائم الظهور.

فـنقول : لا مـانع مـن كـل ذلك مادام يراد منه الاحتمال و الترجيح و الإفـتراض و إن كانت بعض المحتملات راجحة يستذوقها و يستحسنها الطبع لكن هذه المحتملات لا يمكنها أن ترقى إلى صعيد القطع وتتصدر صدارة العلم.

و هاهنا لابد من الإلتفات إلى أمر و هو أن الدجال لو كان مكشوفا بدجله لعامـة الناس لما كان دجالا بل لابد و أن يكون يحمل الدجل بأبعاده بواقع نفسه و إن كـان بحسـب الظاهر يتردى رداء الصالحين فيستميل قلوب العامة لأنه يمزج الحـق بالـباطل و الـباطل بالحق فلا يلمس دجله و مكره إلا أهل البصائر الذين إمتحن الله ﷻقلوبهم بالإيمان.

فهو على دين أبناء الدنيا و هم السواد الأعظم في كل عصر و زمان و إن أمكـن أن يكـون الدجال على صعيد عالمي يتبعه عامة الناس و يرون فيه معالم الخير جياشة.

و قـد يراد من الدجال تجلي سبل المكر و الخداع باسم السلام و العدل و مـن السـفياني تجلي سبل العنف و القسوة باسم الدين و أنهما يبلغان قممهما قبل الظهـور أو حيـنه فيستسلم لهما أكثر أبناء الأرض و ذلك لما عليه أهل الدنيا من الإستسـلام لمواقع الهيمنة و السلطان أو المكر و الخداع حيث أن هذه سنن أبناء الدنيا ذلا بأزاء الجبارين و انخداعا بأزاء الدجالين.

و بالجملة إن بعض روايات علائم الظهور قابلة للنقاش السندي أو الدلالي أو المصداقي وإن ورد بالنسبة إلى بعضها كمجيء السفياني أو اليماني أو الصيحة من السماء أو قتل النفس الزكية أو الخسف بالبيداء أنه من المحتوم لكن ورود كلمة المحـتوم فـي بعض الروايات لا يجعل الشيء محتوما ما لم يكن السند قطعيا بل متواترا لأن الكلام عن مواطن اليقين لا عن محال الإعتبار تعبدا.

و أمــا كون البعض منها قطعي السند و الدلالة كمسألة الدجال أو غيرها فــإن ذلك لا يعني أن تشخيص المصداق يكون واضحا لدى العامة بل لعل الكثير مــن هذه العلائم سوف تمر عند الظهور على أغلب الناس مرور الكرام لما هم فيه مــن حجب الغفلة و عليه فمن الأجدر في المقام أن يقال: إن أكثر هذه العلائم إنما هي منبهات لأهل البصائر من عباد الله المخلصين ليعدوا العدة بصفاء نفوسهم و شهودهم للحق في مواطنه ليوم الظهور.

نعم قد يحصل قبل الظهور أمر يكون من قبيل الإلهام بالنسبة إلى عامة البشــرية إعــدادا للنفوس ليوم الظهور حتى بالنسبة إلى غير المسلمين كما حصل ذلك بالنسبة إلى محمد ﷺ قبل ولادته و حين دعوته.

و أما مثل الروايات التي تقول: أول من يقبّل يده جبرائيل عليه السلام و يبايعه ثم يصبح رِجلا على بيت الله الحرام و رِجلا على بيت المقدس وينادي بصوت طلق زلــق تســمعه الخلائــق ﴿ **أتــى أمــر الله فلا تستعجلوه** ﴾[1] ثم يصيح صائح بــالخلائق من عين الشمس بلسان عربي يسمعه من في السماوات و الأراضين: يا معشر الخلائق هذا مهدي آل محمد و يسميه باسم جده رسول الله ﷺ و ينسبه إلى أبيه الحسن العسكري قائلا بايعوه ولا تخالفوا أمره.

فمــثل هذه المنهجية في الدعوة إلى الحق في الوضوح لو أريد منها ظاهر المقال لناسب أشراط الساعة لا علائم الظهور حيث أنها تنهي النزاع بين الحق و الــباطل على وجه الأرض وتلجئ الناس إلى الاستسلام للحق كما لو أظهر الله سبحانه و تعالى جــنانه و نيرانه ولكن الله سبحانه و تعالى يريد الأبواب حتى عند الظهور مفتّحة لكل من سبل الحــق و الباطل و إن كان عندئذ تبدو معالم الحق الإلهي أكثر وضوحا من سائر الأزمنة .

---

[1] : نحل ١

أجل قد يراد من هذه العلائم التأييد الباطني الخفي الذي لا يراه و لا يسمع نداءه إلا الصالحون من أولياء الله ﷻ.

و اللهﷻ المسدد للصواب و هو العالم بحقائق الأمور اللهم ثبتنا على دينك و عجل فرج وليك الأعظم فقد ضاقت بنا المسالك و تشبهت علينا الأمور و تكاثرت الرايات و أنت أرحم الراحمين .

العقل في مسألة المنقذ

١ : يحكـــم العقل أو يرشد أنه لابد من خروج الأديان من مرحلة الإدعاء أو الفرضـــية للمـــثل أو المعجـــزات و سائر العلوم المدّعاة في الكتاب المجيد إلى مرحلة التطبيق بواسطة المنقذ البشري.

٢ : لخـــروج الـــبطون و الأبعاد السبع و السبعين بعد دعوى كون القرآن تبيانا لكل شيء إلى مرحلة الواقع.

٣ : لإقامة الحجة على الماضين و الباقين إلى قيام يوم الدين.

٤ : لإثبات أن الله ﷻ إذا كان قد خلق الواحد من الناس فقد ضمن له من الحياة الكريمة بما يكفي الثلاث مما أودع في الأرض من قابليات للحياة من الزرع و المعادن و غيرهما.

٥ : لإثـــبات أن السبب الرئيس لتدهور البشر كان رهين سوء إختيارهم و إلا فالمقتضـــي لإقامـــة الحـــق و العدل كان موجودا بسنن الله ﷻالتي جاءت بها الأنبياء بمعنى تمامية اللطف الإلهي في جميع القرون على العباد و إن المانع كان من قبل البشر.

☆ فكرة الانتقام

فكـــرة الانتقام لا تجتمع مع مناهج الأنبياء القائمة على العفو و الإحسان و الصـــفح فضلا عن العدل الذي لا يتناسب أن يزر الإنسان وازرة وزر أخرى كما أشار الكتاب المجيد و سنن اللهﷻ لا تبديل و لا تغيير لها فهي ثابتة في جميع أيام الدنيا التي منها أيام الظهور و كون الشعار أيام الظهور (يا لثارات الحسين عليه السلام) لـــيس معـــناه زرع روح الانتقام بل معناه قيام دولة الحق على ما قام به الحسين عليه السلام مـــن إقامة الحق بأزاء الباطل و أنها دولة الشيم و الكرامة و الجهاد في سبيل الله ﷻ لإنهاء دول الظلم و النفاق و الباطل.

فهي دولة أخذ بثأر الحسين الذي هو رمز الشرف و الكرامة و الشمم من الظالميـــن و الماكرين ، فراعنة الأرض إلا أن يتبرّوا و يتركوا تعديهم أو تطّهر منهم الأرض كما و أن الجبر و القهر الديني لا يتناسب مع دينٍ شعاره ﴿ **لا إكراه في الدين**[1] ﴾ .

و قد قلنا لا يكون الظهور إلا بعد ما تختبر البشرية كافة السبل و المذاهب و تـــيأس مـــن كل مدع يدعي الحق و الحرية وتلمس الضياع في نفق الشهوات و تدرك عدم كونها غاية بعد ما تعيش إشباع الرغبات حتى إذا ظهر داعية الحق لا تقول أمة من الأمم لو حكمنا لعدلنا.

عـــندها تلبّـــي البشرية ببواطن القلوب نداء الحق و العدل و العلم و يكون الضـــامن لإقامـــة دولة العدل هي نفوس البشرية بسوادها الأعظم و إن لزم بحكم

---

[1] : البقرة ٢٥٦

العقـــل أن تـــزول السدود أمام دولة الحق كما أزالها تعالى عند دولة كل نبي من أنبياء أولي العزم لتضرب مناهج الإنسانية أركانها على وجه الأرض .

و أما في الحقوق الخاصة الفردية فلا داعي للانتقام فيها فإن ولي الدم هو أولـــى بها عفوا أو دية أو قصاصا و إن كانت الدولة الإسلامية تبعا لسنن الأنبياء تدعوا الناس و ترغبهم لإحياء حياة العفو و الصفح.

☆ شبه و ردود

و أمـــا مـــا راح يردده بعض المتفلسفين من المنتسبين إلى الثقافة من أن إدعـــاء المهدويـــة في بعض العصور دليل على بطلان الاعتقاد بالمهدي و المنقذ البشري.

فـــأول دلـــيل على رد هذه الشبه أنها شبهة في مقابل النص و هو ما عليه المسلمون سنة و شيعة تبعا للنصوص الواردة من أنه لابد من مجيء منقذ بشري و لو بقي يوم واحد من أيام الدنيا لأطال الله ﷻ ذلك اليوم كما عن النبي ﷺ .

و ثانـــيا إن دل هـــذا فهو يدل على الأحقاد التي قد تدفع إلى الإنكار عند العناد و لو لمسلّمات الشريعة أو يحكي مدى مبلغ علم صاحبها و أنه صفر اليدين من فهم الكتاب المجيد و أحاديث السنة النبوية .

و ثالـــثا قـــد أجاب عن هذه الشبهة بعض الأعلام بأن دعوة المهدوية في عصور مختلفة لا يكون دليلا على بطلان مسألة المهدي بل هو دليل على الصحة لأن المدعـــي لا يدعي أمرا مشكوكا أو متنازعا فيه بل يحاول دائما أن يتشبث بما هو من المسلّمات كما حاول الكثير إدعاء الربوبية أو النبوة أو الإمامة.

☆ الإمامة للأفضل

قد ورد أن عيسى عليه السلام باتفاق المسلمين إلا من جعل العناد شعارا لحياته يصـــلي خلـــف المهدي فيكون المهدي أعلى منه مكانة لأن الإمامة للأفضل دون المفضـــول و المهـــدي عصـــارة غاية بعثة الأنبياء صاحب الولاية المطلقة لبيان رسالات السماء و بسطها على وجه الأرض فلا معجز أو أمر حكاه الكتاب المجيد إلا و هو آت به و بما جاء به الأنبياء إثباتا لكل دعوى وردت في رسالات السماء.

☆ علماء السوء

عاشت الأمة تقديس الرجال بدلا من تقديس الرجال بالشرع وراحت تريد ســـحب الشـــريعة وراء خطى الرجال و النساء و لو نبحتهن كلاب الحوئب ببذل قصارى الجهد و لو كلف الأمر من التأويل و التفسير ما تنسف به الشريعة ناسية قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ﴿ **إعرفوا الحق تعرفوا أهله**﴾.

و قـــد قال تعالى في حق علماء السوء الذين لا تخلوا منهم أمة أو مذهب ﴿**و أتـل علـيهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين**﴾[2] و قال تعالى﴿**و لو شئنا لرفعناه بها و لكنه أخلد إلى الأرض و اتـبع هـواه فمـثله كمـثل الكلـب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث**

---

[2] : الأعراف ١٧٥

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتذكرون ﴾[3]، و المشار إليه في هذه الآية الشريفة هو أحد أعلام بني إسرائيل و هو بلعم باعورة ليكون عبرة و تحذيرا للأمة من علماء السوء الذين لا يخلو منهم مذهب و لا دين.

و قـــال تعالى:﴿ **مثل الذين حمِلوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله** ...﴾[4] يقص علينا القرآن المجيد قصة من قصص بني إسرائيل ليجعل موازين القسط حكما تقام بهـــا الحجج على الأمة و ذلك بأن العلم وحده لا يكفي لمسيرة الحق و الكمال كما ظـــن ذلـــك الكثـــير من أتباع الأديان الإلهية بالنسبة إلى علمائهم يهودا كانوا أو نصـــارى أو مسلمين سنة أو شيعة و عليه فلابد من إحراز قيود و شروط أخرى وراء العلـــم بعد كون هذه الأمة أيضا تتبع من كان قبلها من الأمم و أنه تقع فيما وقعت فيه اليهود و النصارى من تقديس الرجال بعيدا عن معارف الشرع .

و من كتاب كمال الدين و تمام النعمة (للشيخ الصدوق)

ص١٦ الخلـــيفة قـــبل الخلقة قال تعالى: ﴿**و إذ قـال ربك للملائكة إني جـاعل في الأرض خلـيفة** ﴾ بدأ بالخليفة قبل الخليقة ، فمن زعم أن الدنيا تخلو ســـاعة من إمام لزمه أن يصحح مذهب البراهمة في إبطال الرسالات و لا يكون خليفة العدل الحكيم إلا معصوما .

و قـــال تعـــالى : ﴿**وعـد الله الذيـن آمـنوا و عملـوا الصـالحات ليسـتخلفنهم في الأرض كمـا اسـتخلف الذيـن مـن قبلهم و ليمكنن لهم**

---

[3] : الأعراف١٧٦

[4] : الجمعة ٥

دينهم الذي إرتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا﴾[5] .

و قال الشيخ رحمه الله ص ٢٨: و لقد كلمني رجل بمدينة السلام (بغداد) فقال لي إن الغيبة قد طالت و الحيرة قد إشتدت و قد رجع كثير عن القول بالإمامة لطول الأمد فكيف هذا ؟

فقلت له : إن سنة الأولين في هذه الأمة جارية حذو النعل بالنعل كما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في غير خبر و أن موسى عليه السلام ذهب إلى ميقات ربه على أن يرجع إلى قومه بعد ثلاثين ليلة فأتمها الله عز وجل بعشرة ، فتم ميقات ربه أربعين ليلة و لتأخره عنهم عشرة أيام على ما واعدهم إستطالوا المدة القصيرة و قست قلوبهم و فسقوا عن أمر ربهم و عن أمر موسى عليه السلام و عصوا خليفته و إستضعفوه و كادوا يقتلونه و عبدوا عجلا جسدا له خوار من دون الله عز وجل و قال لهم السامري: هذا إلهكم و إله موسى و كان هارون يعظهم و ينهاهم عن عبادة العجل و يقول: ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به و إن ربكم الرحمن فاتبعوني و أطيعوا أمري ، قالوا : لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ، و لما رجع موسى إلى قومه غضبان أسفا قال : بئس ما خلفتموني من بعدي أعجلتم أمر ربكم و ألقى الألواح و أخذ برأس أخيه يجره** ﴾.

فليس بعجيب أن يستطيل الجهال من هذه الأمة غيبة صاحب زماننا و يرجع كثير منهم عما كانوا دخلوا فيه بغير أصل و بصيرة .

و قال ص٣٧ : إن الرسل الذين تقدموا قبل عصر نبينا صلى الله عليه وآله وسلم كان أوصيائهم أنبياء فوصي آدم كان شيث إبنه و وصي نوح كان سام إبنه و وصي

---

[5] : النور ٥٥

إبراهيم كان إسماعيل إبنه و وصي موسى كان يوشع بن نون و وصي عيسى كان شمعون الصفا و وصي داود كان سليمان إبنه .

أقــول : فيا عجبا لمحمد سيد الكائنات ﷺ لِمَ خرق سنن الأنبياء و منهج الحق تعالى في أمته تاركا إياهم يتصارعون فيما بينهم سلطانه كما يزعمون غير متحسس لعظيم المسؤولية بالنسبة إلى الرسالة حفظا من الشطط و النزاع و ضياع العــدل و هـــي الرســـالة الخاتمية على الرغم من عظيم المسؤولية التي أحس بها الخلــيفة الأول من بعده و كذا الثاني إلى نهاية عهد الخلافة الإسلامية و يحس بها إلى قيام يوم الدين كل ذي مسؤولية .

هكذا يا إلهي و سيدي و مولاي و ربي نسب القوم إلى حبيبك محمد ﷺ نبـــي الـــرحمة و الكمـــال الذي شيّبته آية في سورة هود و هي ﴿ **إســتقم كما أمــرت**﴾[6] و الذي أنقض ظهره ثقل الرسالة ناسيا هؤلاء المنكرين وصاية رسول الله ﷺ لتعييـــن أمر الرسالة لعلي عليه السلام و هم يروون أنه ﷺ قال : لزعيم بني عامـــر حيـــنما اشترط الدخول في الإسلام أن يرجع إليه الأمر أن الأمر لله يضعه حيث يشاء .

فأمـــر الخلافة مشيئة إلهية و ليس تراثا يتنازعه المهاجرون و الأنصار للتســـلق إلى الكراسي ، لكنها سنة الله ﷻ في الأمم لا مفر منها حيث يشير إليها الحبيب محمد ﷺ لتتبعن سنن من كان قبلكم ... .

و قـــد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عن رسول الله ﷺ أنه قال :

﴿ إن الله ﷻ إخـــتار مـن الأيـام الجمعـة و من الشهور شهر رمضان و من الليـالي لـيلة القـدر و إخـتارني عـلى جمـيع الانبياء و اختار مني عليا و

---

[6] : هود ١١٢

فضله على جميع الأوصياء و إختار من علي الحسن و الحسين و إختار من الحسين الأوصياء من ولده ينفون عن التنزيل تحريف الغالين و إنتحال المبطلين و تأويل المظلين تاسعهم قائمهم و هو ظاهرهم و هو باطنهم ﴾.

☆ المسيح الدجال

قال الأعلام : إن الدجال فعّال من الدجل و التغطية و الخلط و اللبس و الخداع و سمي دجالا لأنه يغطي الحق بباطله و يسمى أيضا المسيح الدجال و مسيح الضلالة في مقابل مسيح الحق عيسى عليه السلام كما سماه النبي ﷺ، أي سيحا في الأرض لإحقاق الحق و سيحا في الأرض لتحقيق الباطل .

قال إبن الأثير : سمي الدجال مسيحا لأن عينه الواحدة ممسوحة و المسيح هو الذي أحد شقّي وجهه ممسوحا لا عين له و لا حاجب و الدجل الكذب .

و أما عيسى فيسمى بالمسيح إما لأنه يسيح في الأرض أو لأنه كان يمسح ذوي العاهات بيده فيبرئهم الله عز وجل.

و فتنة الدجال تقع في آخر الزمان و هي أعظم الفتن التي تمر على البشرية ، فهو منبع الكفر و الضلال و ينبوع الفتن و قد أنذرت به و حذرت منه الأنبياء أقوامها و حذّر منه النبي ﷺ أمته .

و قد قال رسول الله ﷺ:﴿ **إن بين يدي الساعة ثلاثين دجالا كذابا** ﴾، رواه أحمد في مسنده .

أقــول المنقلــبون على الأعقاب و الغافلون عن منهج الحق و من سلكوا مســالك الــباطل لا يحــتاجون إلى دجال ليخرجهم عن منهج الحق لأنه تحصيل حاصل و إن كان الباطل له أبعاد كثيرة .

فالمفهوم بحسب ما يترآى من تحذير الأنبياء و بالأخص الرسول ﷺ من فتنة الدجال إنما هو تحذير المؤمنين خوفا من إنزلاقهم في الباطل .

و علــيه فمــن الــلازم علــى المؤمنين الحذر كل الحذر ممن يتظاهرون بمظاهر القديسين و الزهاد الناسكين فإن في أعتابهم مزالق الأقدام .

☆ بقاء الدجال

مع الشك ببقاء المهدي (عج)

عن فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس أنها سمعت منادي رسول الله ﷺ يــنادي : الصلاة جامعة ، فخرجت إلى المسجد ، قالت : فصليت مع رسول الله ﷺ فكنــت في صف النساء ، فلما قضى رسول الله ﷺ جلس على المنبر و هو يضحك فقال : ليلزم كل إنسان مصلاه ثم قال : أتدرون لم جمعتكم ؟ قالوا الله و رسوله أعلم ، قال : جمعتكم لأن تميما الداري كان رجلا نصرانيا فجاء و بايع و أســلم و حدثنــي حديثا وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال ، حدثني أنه ركــب سفينة بحرية مع ثلاثين رجل من لحم و جذام ، فلعب بهم الموج شهرا في الــبحر ثــم أرفــؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا في أقرب الســفينة فدخلوا الجزيرة فوجدوا فيها ديرا فإذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقا و أشــد وثاقا مجموعة يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد قلنا ويحك من

أنـــت ؟ قال : أخبروني عن نخل بيسان قلنا عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عـــن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم قال: يوشك أن لا يثمر ، قال : أخبروني عن بحيرة طبرية ؟ قلنا عن أي شأنها تستخبر؟ قال : هل فيها ماء ؟ قالوا ؟ هي كثيرة الماء ، قال : أما أن ماءها يوشك أن يذهب ، قال أخبروني عن عين زُعر ، قالوا : عـــن أي شـــأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماء ؟ و هل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا له : نعم هي كثيرة الماء و أهلها يزرعون من ماءها ، قال : أخبروني عـــن نبـــي الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة و نزل يثرب ، قال : أقاتله العـــرب ؟ قلنا نعم ، قال : كيف صنع به ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب و أطاعوه ، قال لهم : قد كان ذلك ؟ قلنا : نعم . قال: أما إذا ذاك خير لهم أن يطيعوه .

وإني مخبركم عني إني أنا المسيح و إني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأسير في الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة و طيبة فهما محرمـــتان علي كلتاهما كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدا منهما إستقبلني ملك بيده السيف .

أقـــول : يا لله و بصيرة العناد التي قد توصل الإنسان إلى التصديق بوجود الدجال في مثل هذه البحيرة و بقائه القرون من قبل زمن الرسول ﷺ إلى عصر الظهـــور بقصص سمعنا الكثير من أمثالها بنسيج الوهم والخيال من العجائز حينما كنا أطفالا .

أجـــل هو تصديق لإمراة لم يقم حتى على ما يمكن أن يكون مستندا روائيا تدعى هالة من أمور غير مترابطة حتى في صياغة المعاني و الكلمات وهو يتردد في بقاء منقذ البشرية من آل محمد ﷺ.

☆ إنتظار الفرج

ورد أفضل الأعمال إنتظار الفرج أي تهيئة النفس للظهور و عدم اليأس من رحمة الله تعالى و تقوية النفس أملا بقيام حكم الله ﷻ في الأرض .

و قد قال الإمام علي عليه السلام:﴿ **اللهم بلى لا تخلوا الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهرا مشهورا و إما خائفا مغمورا لئلا تبطل حجج الله و بيناته**﴾ .

و فائدة وجوده عند غيبته كفائدة الشمس إذا حجبتها الغيوم و لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها .

☆ الولادة

قد قال صلى الله عليه وآله وسلم:﴿ **لن تنقضي الأيام و الليالي حتى يبعث الله رجلا من أهل بيتي يواطيء إسمه إسمي و كنيته كنيتي يملأ الأرض قسطا و عدلا بعدما ملئت ظلما و جورا** ﴾و قد كانت ولادته عجل الله تعالى فرجه الشريف سنة ٢٥٥ في سامراء ١٥ شعبان و إسمه محمد و أبوه الإمام الحسن العسكري و أمه نرجس أو مليكة تنسب إلى شمعون وصي عيسى عليه السلام و كنيته أبو القاسم و من ألقابه القائم و المهدي و المنتظر و صاحب الزمان و الحجة و صاحب الأمر و

صفته ناصع اللون واضح الجبين أبلج الحاجب مسنون الخد أقنى الأنف أشم أروع بخده الأيمن خال و قد إستمرت غيبته الصغرى ٦٩سنة و قيل ٧٠ و قيل ٧٤.

و نقش خاتمه : أنا الحجة و محل ظهوره مكة المكرمة و عاصمته الكوفة و خلّـص أصحابه ٣١٣ و هم أصحاب الرايات و الألوية و نخبة أنصاره الأوائل عشرة آلاف و علائم الظهور الكثير منها حتمي الوقوع و منها ما قد يكون مشمولا ليثبـت الله و يمحـو و عنده أم الكتاب و ظهوره أمر محتوم شاء أعداء آل محمد ﷺو الكفار و المشركون أم أبوا ذلك و ذلك باتفاق المسلمين سنة وشيعة .

و قد قال الشيخ محيي الدين بن العربي في الفتوحات المكية : إعلموا أنه لابد من خروج المهدي لكن لا يخرج حتى تملأ الأرض جورا و ظلما فيملئها قسطا و عدلا و هو من عترة رسول الله ﷺو من ولد فاطمة رضي الله عنها جده الحسين بن علي بن أبي طالب و والده الإمام الحسن العسكري بن الإمام علي النقي بن الإمام محمد التقي بن الإمام علي الرضا بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب يواطيء إسمه إسم رسول الله ﷺيشبهه في الخَلق و ينزل عنه في الخُلُق إذ لا يكون أحد مثل رسول الله ﷺ، أسعد الناس به أهل الكوفة ، يقّسم المال بالسوية و يعدل في الرعية.

و قال:

إذا دار الزمـــان على حـــروف بســـم الله فالمهـــدي قاما

ويخرج بالحطيـــم عقيب صـوم ألا فقـــرأه من عنـــدي السـلاما

و قـــد ورد فـــي الأحاديث أيضا عن النبي ﷺ :﴿ **إن الحجة من ولدي إسمه إسمي كنيته كنيتي و شمائله شمائلي و سنته سنتي يقيم الناس على ملتي و شريعتي من أطاعه فقد أطاعني و من عصاه فقد عصاني و من أنكره في غيبته فقد أنكرني و من كذبه فقد كذبني ومن صدقه فقد صدقني**﴾ ثم قال ﷺ :﴿ **إلى الله أشكو المكذبين لي في أمره و الجاحدين لي في شأنه و المضلين لأمتي عن طريقته و سيعلم الذين كفروا أي منقلب ينقلبون** ﴾.

و قـــد ورد عن النبي ﷺ في حديث طويل في مسألة المعراج يقول فيه تعالى : ﴿ **و بالقائم منكم (أهل البيت) أعمر أرضي بتسبيحي و تقديسي و تهليلي و به أطهر الأرض من أعدائي و أورثها أوليائي و به أجعل كلمة الذين كفروا بي السفلى و كلمتي هي العليا**﴾

☆ الروايات الشيعية

قـــد ورد فـــي الروايات عن عميرة بن نفيل قال : سمعت الحسن بن علي يقـــول : ﴿**لا يكون هذا الأمر الذي تنتظرون حتى يبرأ بعضكم من بعض و يلعن بعضكم بعضا و حتى يشهد بعضكم بالكفر على بعض ، قلت : ما في ذلك خير ، قال : الخير كله في ذلك عند ذلك يقوم قائمنا فيرفع ذلك كله**﴾

و روي عـن رسول الله ﷺ﴿**طوبـى لمن أدرك قائم أهل بيتي و هو معتد به قبل قيامه يتولى وليه و يتبرأ من عدوه** ...﴾

و عن أبي عبد الله عليه السلام:﴿ **إن قائمنا إذا قام أشرقت الارض بنور ربها و استغنى الناس و أخرجت الأرض كنوزها و أنزلت السماء بركاتها** ﴾.

و عـن النبـي ﷺ:﴿ **لـو لم يبق من الدنيا إلا يوم لأطال الله ذلك اليوم حتى يظهر من يملأ الأرض قسطا و عدلا بعدما ملئت ظلما و جورا**﴾.

و عـن أبـي جعفر عليه السلام أنه قال : ﴿**دولتنا آخر الدول و لن يبق أهل بيت لهم دولة إلا ملكوا قبلنا لئلا يقولوا إذا رأوا سيرتنا لو ملكنا سرنا مثل سيرة هؤلاء**﴾ .

الروايات السنية

من كتاب الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة

الواردة في المهدي لفضيلة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد

أصدر فضيلة الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر رسالة سماها لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر.

أقول (و الكلام للشيخ عبد المحسن) : إن القول بخروج المهدي في آخر الزمان هو الذي تدل عليه الأحاديث الصحيحة و هو ما عليه العلماء من أهل السنة و الأثر في القديم و الحديث إلا من شذ.

ثم قال : أولا : هذه التسمية و هي قوله : لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر فيها اطلاق يدخل فيه إنكار خروج المهدي في آخر الزمان و يفهم من جملة "بعد الرسول خير البشر" إنكار نزول عيسى عليه الصلاة و السلام في آخر الزمان و لو كانت هذه العبارات فيها تقييد لا يفهم منه احتمال انكار نزول عيسى عليه الصلاة و السلام لكان بعض الشر أهون من بعض .

و قال الشيخ عبدالله بن محمود في ص ٣ و إن فكرة المهدي ليست في أصلها من عقائد القدماء فلم يقع لها ذكر بين الصحابة في القرن الأول و لا بين التابعين انتهى .

و الجواب أن الأحاديث الكثيرة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و في خروج المهدي في آخر الزمان قد تلقاها عنه الصحابة رضي الله عنهم و تلقاها عنهم التابعون فكيف يقال أنه لم يكن لذلك ذكر بين الصحابه في القرن الأول و لا

بيـــن التابعين و قد قال الشوكاني في كتابه التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي و الدجال و المسيح كما في كتاب الإذاعة لصديق حسن خان : و الأحاديث الواردة في المهـــدي التـــي أمكـــن الوقوف عليها منها خمسون حديثا فيها الصحيح و الحسن و الضعيف المنجبر و هي متواترة بلا شك و لا شبهة بل يصدق وصف المتواتر على مـــا هـــو دونهـــا فـــي جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول و أما الآثار عن الصـــحابة المصرحةبالمهدي فهي كثيرة جدا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك.

و الجواب أن هناك فرقا كبيرا و شاسعا بين الشيعة و أهل السنة فالمهدي عند أهـــل الســـنة لا يعدو كونه إماما من أئمة المسلمين الذين ينشرون العدل و يطبقون شريعة الإسلام يولد في آخر الزمان ويتولى أمرة المسلمين و يكون خروج الدجال و نـــزول عيســـى بـــن مريم عليه الصلاة و السلام من السماء في زمانه و هو غير معصـــوم و مســـتندهم في ذلك أحاديث ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه و سلم مدونة في دواوين أهل السنة قال بصحتها و ثبوتها جهابذة أهل العلم المعتد بهم مثل البيهقي و العقيلي و الذهبي و ابن تيمية و ابن القيم و ابن كثير و غيرهم .

أما المهدي عند الشيعة فهو محمد بن الحسن العسكري ولد في منتصف القرن الثالث تقريبا ودخل سردابا في سامراء و هو صغير لا يزال في ذلك السرداب و هو الإمـــام الثاني عشر من أئمتهم الإثنى عشر الذين يعتقدون فيهم أنهم معصومون و يصفونهم بصفات تجاوزوا فيها الحدود و أذكر منها على سبيل المثال كلام شخصين كبيريـــن مـــنهم أولهما الكليني مؤلف كتاب الكافي و هو أجل كتاب عندهم إذاً هو بمـــنزلة صحيح البخاري عند أهل السنة فقد عقد عدة أبواب في كتابه أصول الكافي أورد فيها أحاديث من أحاديثهم أكتفي هنا بذكر أسماء بعض هذه الأبواب و هي باب أن الأئمة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة و الأنبياء و الرسل و باب

أن الأئمـة عـندهم جميع الكتب التي أنزلت من عند الله عزو جل و أنهم يعرفونها على اختلاف ألسنتها .

قـال الشـيخ ابن محمود في ص ٥ و من المعلوم أن اعتقاد المهدي و القول بصحة خروجه يترتب عليه من المضار و المفاسد الكبار و من إثارة الفتن و سفك دماء الأبرياء ما يشهد بعظمته التأريخ المدروس و الواقع المحوس و من كل ما يبرأ النبي صلى الله عليه و سلم عن الإتيان به إذ الدين كامل بدونه.

و قـال في ص ٣٧ أما إعتقاد بطلانه و عدم التصديق به فإنه يعطي القلوب الراحة و الفرح و الأمان و الإطمئنان و السلامة من الزعازع و الإفتتان .

و الجواب على ذلك من وجوه :

الأول : أن خـروج المهـدي في آخر الزمان من الأمور الغيبية التي يتوقف التصديق بها على ثبوت النص فيها عن رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد ثبتت النصوص في خروج المهدي عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في آخر الزمان و أن عيسـى بن مريم عليه الصلاة و السلام يصلي خلفه و الذين قالوا بثبوتها هم العلماء المحققون و جهابذة النقاد من أهل الحديث و الواجب تصديق الرسول صلى الله عليه و سلم فيما يخبر به من أخبار سواء كانت عن أمور ماضية أو مستقبلة أو موجودة غائبة عنا.

ذكـر الشـيخ ابـن محمود في الصفحات ٦و٨و٢٦و٣١و٣٩ أن من أسباب ضـعف الأحاديث الواردة في المهدي عدم ورودها في صحيح البخاري و صحيح مسـلم و أن عدم إيرادها في الصحيحين يدل على ضعفها عند الشيخين البخاري و مسلم .

و الجواب أن يقال :

أولا لـــيس عدم إيراد الحديث في الصحيحين دليلا على ضعفه عند الشيخين الـــبخاري و مســـلم رحمهمـــا الله لأنـــه لم ينقل عنهما أنهما إستوعبا الصحيح في صـــحيحيهما أو قصـــدا اســـتيعابه حتى يمكن أن يقال بضعف ما لم يخرجاه فيهما عندهما .

و ممـــا يوضح عدم استيعاب البخاري الصحيح و عدم التزامه بذلك أيضا أنه جاء عن البخاري أنه قال : إحفظ مائة ألف حديث صحيح و مائتي ألف حديث غير صحيح مع ان جملة ما في صحيحه من الأحاديث المسندة إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم بما في ذلك الأحاديث المعلقة لا تبلغ عشرة آلاف حديث .

و قد قال الشوكاني بعد أن أشار إلى كثرة الأحاديث الواردة في صحة خروج المهدي آخر الزمان و بلوغها حد التواتر قال : و أما الآثار عن الصحابه المصرحة بالمهدي فهي كثيرة جدا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك.

ذكـــر الشـــيخ ابن محمود في ص ١٩و٣٤ أن ابن خلدون تصدى في مقدمته لتدقيق التحقيق فيها ـــ يعني أحاديث المهدي ـــ و حكم عليها بالضعف .

و الجواب أولا أن ابن خلدون اعترف بسلامة بعضها من النقد حيث قال بعد إيـــراد الأحاديـــث فـــي المهدي : فهذه جملة الأحاديث التي خرجها الأئمة في شأن المهدي و خروجه آخر الزمان و هي كما رأيت لم يخلص منها من النقد إلا القليل و الأقل منها...انتهى ... على أن ابن خلدون فاته الشيء الكثير من الأحاديث .

و ثانـــيا : ان ابـــن خلدون مؤرخ و ليس من رجال الحديث فلا يعتمد به في التصـــحيح و التضـــعيف و إنما الاعتداد بذلك بمثل البيهقي و العقيلي و الخطابي و الذهبـــي و ابـــن تيمـــية و ابن القيم و غيرهم من أهل الرواية و الدراية الذين قالوا بصحة الكثير من أحاديث المهدي فالذي يرجع في ذلك إلى ابن خلدون كالذي يقصد

السـاقية و يترك البحور الزاخرة وعمل ابن خلدون في نقد الأحاديث أشبه ما يكون بعمل المتطبب إذا خالف الأطباء الحذاق المهرة.

و قـد أحسن الشيخ أحمد شاكر في تخريجه أحاديث مسند الإمام أحمد حيث قال : أما ابن خلدون فقد قفا ما ليس له به علم و اقتحم قحما لم يكن من رجالها ... و قـال أنـه تهافـت في الفصل الذي عقده في مقدمته للمهدي تهافتا عجيبا و غلط أغلاطا واضحة .

و قـد صحح الذهبي جملة من الاحاديث الواردة في المهدي و ذلك في كتابه تلخيص المستدرك و كذا شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه منهاج السنة النبوية و ابن القيم في كتابه المنار المنيف في الحديث الصحيح و الضعيف و ابن كثير في النهاية و في كتابه التفسير و نقل ابن حجر في كتابه فتح الباري جملة من أقوال أهل العلم فـي ذلـك و سـكت علـيها و من ذلك كلام أبي الحسين الأبري في تواتر أحاديث المهدي.

و نجزم بخروج رجل من أهل البيت آخر الزمان اسمه محمد بن عبدالله يملأ الأرض قسطا و عدلا كما ملئت ظلما و جورا .

كـون أحاديث المهدي لم ترد في الصحيحين لا يؤثر ذلك في قبولها فما صح مـن الأحاديـث عـن الرسـول صـلى الله عليه و سلم فهو مقبول سواء كان في الصحيحين أم لم يكن فيهما .

و قـد قـال السفاريني في عقيدته : فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم و مدون في عقائد أهل السنة و الجماعةـ انتهى.

و مـا ادعاه ابن خلدون من أن الأحاديث في المهدي كلها منقولة عن الشيعة مـردود بأن أحاديث المهدي عند أهل السنة مدونة في كثير من الكتب المعتمدة في

السـنن و المسانيد و غيرها بأسانيد تنتهي إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم عن طريق صحابته الكرام رضي الله عنهم .

ذكر الشيخ ابن محمود في صفحة ٢٠

أن محمـد فـريد وجدي صاحب دائرة معارف القرن العشرين ممن ضعف أحاديـث المهـدي و نقل كلامه في ذلك و أحب أن يضيف الشيخ ابن محمود إلى معلوماتـه أن محمـد فـريد وجدي في كتابه المذكور ج ٨ ص ٧٨٨ إعتبر جميع الأحاديث الواردة في الدجال موضوعة بناء على شبه عقلية و أكثر أحاديث الدجال فـي الصـحيحين للبخاري و مسلم كما هو معلوم و ما دام أن أحاديث الدجال على كـثرتها في الصحيحين و في غيرهما حظها من محمد فريد وجدي أن يبطلها بجرة قلم و يحكم عليها جميعا بأنها موضوعة ملفقة فمن باب أولى إبطال أحاديث المهدي لأنها دونها في الكثرة و الصحة و قد يكون من المناسب هنا أن أناقش بإيجاز محمد فـريد وجدي في شبهه العقلية الأربع التي اعتمد عليها في توهي أحاديث الدجال و قال عنها أنها لا تقبل المناقشة.

قوله لماذا لم يذكر في القرآن عن هذا المسيح الدجال شيئا مع خطورة أمره و عظم فتنته كما تدل عليه الأحاديث الموضوعة فهل يعقل أن القران يذكر ظهور دابة الأرض و لا يذكر ظهور ذلك الدجال الذي معه جنة و نار يفتتن به الناس .

و الجـواب عـن هذه الشبهة أن الله تعالى قال في كتابه العزيز : و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا و قال صلى الله عليه و سلم : ألا أني أوتيت القرآن و مثله معه يعني السنة و السنة و القرآن متلازمان لا يفترقان و من لم يؤمن بالسـنة لم يؤمن بالقرآن و من زعم فصل السنة عن القرآن يقال له أين وجدت في القـرآن أعـداد الصـلوات و أعـداد ركعاتها و كيفيتها و غير ذلك مما لا يعرف توضـيحه و بيانه إلا في السنة التي هي شقيقة القرآن و الموضحة و المبينة له ، و

لــم تعــدم السنة منذ أزمان أعداء لها هم في الحقيقة أعداء للقرآن يشككون فيها و يحــاولون فصلها عن القرآن و قد هيأ الله من العلماء من يذب عنها و يدحض شبه أعدائهــا و مــنهم الحــافظ السيوطي فقد ألف رسالة لطيفة سماها مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة افتتحها بعد حمد الله بقوله : اعلموا يرحمكم الله إن من العلم كهيئة الــدواء و مــن الآراء كهيئة الخلاء لا تذكر إلا عند داعية الضرورة و إن مما فاح ريحــه فــي الزمان و كان دارسا بحمد الله منذ زمان و هو أن قائلا رافضيا زنديقا أكثر في كلامه أن السنة النبوية و الأحاديث المروية زادها الله علوا و شرفا لا يحتج بهــا و أن الحجــة في القرآن خاصة إلى أن قال : فاعلموا رحمكم الله أن من أنكر كــون حديــث النبي صلى الله عليه و سلم قولا كان أو فعلا بشرطه المعروف في الأصول حجة كفر و خرج عن دائرة الإسلام و حشر مع اليهود و النصارى أو مع مــن شاء الله من فرق الكفرة روى الإمام الشافعي رضي الله عنه يوما حديثا و قال إنــه صحيح فقال له قائل : أتقول به يا أبا عبدالله فاضطرب و قال : يا هذا أرأيتني نصــرانيا ؟ أرأيتني خارجا من كنيسة ؟ أرأيت في وسطي زنار ؟ أروي حديثا عن رسول الله و لا أقول به].

قــال الشيخ ابن محمود ص ٣٧ : إن فكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية و اجتماعــية و دينية و كلها نبعت من عقائد الشيعة و كانوا هم البادئين باختراعها و ذلــك بعد خروج الخلافة من آل البيت و استغلت الشيعة أفكار الجمهور الساذجة و تحمسهم للدين و الدعوة الإسلامية فأتوهم من هذه الناحية الطيبة الظاهرة و وضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله صلى الله عليه و سلم في ذلك و أحكموا أسانيدها و أذاعوها عن طرق مختلفة فصدقها الجمهور الطيب لبساطته و سكت رجال الشيعة لأنهــا في مصلحتهم و كانت بذلك مؤامرة شنيعة أفسدت بها عقول الناس و امتلأت بأحاديــث تــروى و قصص تقص نسبوا بعضها إلى النبي صلى الله عليه و سلم و

بعضـــها إلى أئمة أهل البيت و بعضها إلى كعب الأحبار و كان لكل ذلك أثر سيء فـــي تضـــليل عقـــول الناس و خضوعهم للأوهام كما كان من أثر ذلك الثورات و الحـــركات المتتالية في تأريخ المسلمين ففي كل عصر يخرج داع أو دعاة يزعم أنه المهدي المنتظر و يلتف حوله طائفة من الناس و يتسببون في إثارة الكثير من الفتن و هذا كله من جراء نظرية خرافية هي نظرية المهدي و هي نظرية لا تتفق مع سنة الله في خلقه و لا تتفق مع العقل الصحيح انتهى كلام الشيخ ابن محمود.

قال الأستاذ أحمد أمين في كتاب ضحى الإسلام ج ٣ / ٢٤١ و فكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية و اجتماعية و دينية ففي نظري أنها نبعت من الشيعة و كانوا هم البادئين باختراعها و ذلك بعد خروج الخلافة من أيديهم و قال : في ج٣ / ٢٤٣ و اســـتغل هـــؤلاء القادة المهرة أفكار الجمهور الساذجة المتحمسة للدين و الدعوة الإسلامية فأتوهم من هذه الناحية الطاهرة و وضعوا الأحاديث يروونها عن رسول الله صـــلى الله عليه و سلم في ذلك و أحكموا اسانيدها و أذاعوها من طرق مختلفة فصـــدقها الجمهور الطيب لبساطته و سكت رجال الشيعة لأنها في مصلحتهم و قال في ص ٢٤٣ أيضا حديث المهدي هذا حديث خرافة و قد ترتب عليه نتائج خطيرة فـــي حياة المسلمين و قال في ص ٢٤٤ : فامتلأت عقول الناس بأحاديث تروى و قصص تقص و نشأ باب كبير في كتب المسلمين اسمه الملاحم فيه أخبار الوقائع من كل لون فأخبار العرب و الروم و أخبار في قتال الترك إلى أن قال : و جعلت هذه الأشـــياء كلها أحاديث بعضها نسبوه إلى النبي صلى الله عليه و سلم و بعضها إلى أئمة أهل البيت و بعضها إلى كعب الأحبار و وهب بن منبه و هكذا و كان لكل ذلك أثـــر ســـيء فـــي تضـــليل عقول الناس و خضوعهم للأوهام كما كان من أثر ذلك الثورات المتتالية في تأريخ المسلمين ففي كل عصر يخرج داع أو دعاة كلهم يزعم أنـــه المهـــدي المنتظر و يلتف حوله طائفة من الناس إلى أن قال . و هذا كله من

جراء نظرية خرافية هي نظرية المهدية و هي نظرية لا تتفق و سنة الله في خلقه و لا تتفق و العقل الصحيح انتهى .

و ما قالاه من أن نظرية المهدي نظرية لا تتفق و سنة الله في خلقه و لا تتفق و العقـل الصحيح يجاب عنه بأن مثل ذلك لا يصلح أن يطلق عليه نظرية لأنه من الأمـور الغيبية التي هي ليست محلا للرأي و النظر و إنما يتوقف قبول ذلك على صحة الحديث به عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وقد صحت الأحاديث بخروج المهـدي في آخر الزمان والعقل السليم لا يختلف مع النقل الصحيح بل يتفق معه إذ أن العقل تابع للنقل و هو معه كالعامي المقلد مع المجتهد كما قال ذلك بعض العلماء و خـروج المهدي في آخر الزمان متفق مع سنة الله في خلقه فإن سنة الله تعالى أن الحـق فـي صراع دائما مع الباطل و الله تعالى يهيء لهذا الدين في كل زمان من يقـوم بنصرته و لا تخلو الأرض في أي وقت من قائم لله بحجته و المهدي فرد من أمة محمد صلى الله عليه و سلم ينصر الله به دينه في الزمن الذي يخرج فيه الدجال و يـنزل فيه عيسى بن مريم عليه الصلاة و السلام من السماء كما صحت الأخبار بذلك عن الذي لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه و سلم .

و الأحاديـث الـواردة في المهدي كما قال العلماء فيها الصحيح و الحسن و الضـعيف و الموضـوع فكـيف يجرأ أحد على ادعاء أن كل ما ورد في المهدي موضوع .

و قال الشيخ ابن محمود ص ٣٩ :

و إنـنا بمقتضـى الاستقراء و التتبع لم نجد عن النبي صلى الله عليه و سلم حديثا صحيحا صريحا يعتمد عليه في تسمية المهدي و أن الرسول صلى الله عليه و سلم تكلم فيه باسمه .

و الجـــواب أنـــه ورد فيه أحاديث كثيرة صحيحة قال بصحتها و ثبوتها أهل الصناعة الحديثة قديما مثل الترمذي و أبي الحسين الأجري و أبي جعفر العقيلي و ابـــن حـــبان البستي و ابي سليمان الخطابي و الامام البيهقي و القاضي عياض و القرطبـــي صـــاحب التفسير المشهور و الحافظ الذهبي و شيخ الإسلام ابن تيمية و الإمـــام ابن القيم و الحافظ عماد الدين ابن كثير و غيرهم و حديثا بعد القرن العاشر مثل الشيخ علي القاريء و الشيخ عبد الرؤوف المناوي و الشيخ محمد بن اسماعيل الصنعاني و الشيخ صديث حسن خان و غيرهم و ممن استقراها و تتبعها و هو من المحدثيـــن القاضي محمد بن علي الشوكاني مؤلف كتاب نيل الأوطاء قال في كتابه التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي و الدجال و المسيح ، و الأحاديث الواردة في المهـــدي التـــي أمكـــن الوقوف عليها منها خمسون حديثا فيها الصحيح و الحسن و الضعيف المنجبر و هي متواترة بلا شك و لا شبهة بل يصدق وصف المتواتر على مـــا هـــو أقـــل منها في جميع الإصطلاحات المقررة في الأصول و أما الآثار عن الصـــحابه المصرحة بالمهدي فهي كثيرة جدالها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك انتهى .

و مـــن أوضح الأحاديث في ذلك الحديث الذي أخرجه الحارث بن أبي أسامة فـــي مسنده عن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي تعال صل بنا فيقول لا إن بعضهم أمير بعض تكرمة الله لهذه الامة .

و نـــزول عيسى عليه الصلاة و السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق و قتله الدجال بباب لد و صلاته خلف امام المسلمين في ذلك الزمان ثابت في صحيح مســـلم و غيره و كون ذلك الإمام الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه يقال له المهدي ثابت في مسند الحارث بن أبي أسامة .

و من أراد أن يقف على التحقيق المعتبر بشأن المهدي المنتظر فيمكنه ذلك بالاطلاع على الرسالة التي أعدها الشيخ عبد العظيم الهندي و نال بها درجة الماجستير من قسم الدراسات العليا بجامعة الملك عبد العزيز بمكة و التي زادت صفحاتها على ستمائة صفحة و هي بعنوان " الأحاديث الواردة في المهدي في ميزان الجرح و التعديل " و التي مكث في إعدادها مدة تزيد على أربع سنوات جمع فيها ما ورد في الموضوع من الأحاديث و الآثار ودرس أسانيدها و بين ما قاله المحدثون عن أحوال رجالها و ما قاله أهل العلم في صحتها أو ضعفها و نقل فيها الكثير من أقوال العلماء في تواترها و في ثبوتها و الاحتجاج بها و تكلم فيها في موضوع المهدي من مختلف الجوانب مما جعلها بحق أفضل و أوسع مرجع يرجع إليه في هذه المسألة .

على أن وجود رجل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا يحتمل أن يكون من المحال فقد خلق الله الدنيا و خلق فيها المسلم و الكافر و البر و الفاجر كما قال تعالى : ﴿ **هو الذي خلقكم فمنكم كافر و منكم مؤمن و الله بما تعملون بصير**﴾ لكون الدنيا دار ابتلاء و امتحان ... و المصارعة لا تزال قائمة بين الحق و الباطل و بين المسلمين و الكفار .

جوابه أن الله على كل شيء قدير و لا يستحيل على قدرة الله شيء هذا أولا و ثانيا أنه لا يلزم من قوله يملأها عدلا انقراض الشر فالشر موجود في زمن المهدي و الصراع بين الحق و الباطل قائم في زمانه و أعظم فتنة في الحياة الدنيا هي فتنة الدجال و خروجه على الناس يكون في ذلك الزمان يوضح ذلك أن قوله : ﴿ **كما ملئت جورا** ﴾ لا يدل على انقراض الشر إنما سنة الله في خلقه أن يكون الصراع بين الحق و الباطل في هذه الحياة الدنيا ففي بعض الأزمان يقوى جانب الخير على جانب الشر و أحيانا يقوى جانب الشر و لا تخلو الأرض من أهل الخير

إلا في الذين تقوم عليهم الساعة و في زمان المهدي يكون جانب الحق قويا و الخير منتشرا .

الرد على من كذب

بالأحاديث الصحيحةالواردة في المهدي

لفضيلة الشيخ عبد المحسن العبّاد

إن الجهابذة النقاد من العلماء مثل العقيلي و البيهقي و الخطابي و القرطبي و الذهبـــي و ابن تيمية و ابن القيم و ابن كثير و السخاوي و غيرهم من المتقدمين و المتأخرين قالوا بصحة كثير من الأحاديث الواردة في المهدي و منهم من قال بأنها متواترة و هم أهل الخبرة في الحديث و الاختصاص فيه و إليهم المرجع في معرفة صحيحه و ضعيفه .

و الـــذي اشتهر عنه في القرون الماضية محاولة تضعيف أحاديث المهدي و هـــو لـــيس من أهل الاختصاص ابن خلدون و مع ذلك اعترف بسلامة بعضها من النقد.

و إن أهـــل السنة و الجماعة يقولون بتصديق الأحاديث الصحيحة الواردة في المهـــدي لثبوتها عن الرسول صلى الله عليه و سلم و هو عندهم غير معصوم و ما هو إلا رجل كأحد أفراد الناس إلا إنه عادل يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا.

و قد قال الإمام أبو الحسين محمد بن الحسين الأبري المتوفى سنة ٣٦٣ هـــ في كتابه مناقب الشافعي و قد تواترت الاخبار و استفاضت عن رسول الله صلى الله علـــيه و ســـلم بذكـــر المهدي و أنه من أهل بيته و أنه يملك سبع سنين و أنه يملأ الأرض عـــدلا و أن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال و أنه يؤم هذه الأمة و

يصلي عيسى خلفه و كلام أبي الحسين الأبري هذا نقله عن الإمام ابن القيم في كتابه المنار المنيف في الصحيح و الضعيف و نقله عنه قبله القرطبي في التذكره في أحوال الموتى و أمور الآخرة و أبو الحجاج المزى في كتابه تهذيب الكمال و نقله بعدهم الحافظ ابن حجر المقلاني في كتابيه تهذيب التهذيب و فتح الباري و نقله السيوطي في العرف الوردي في أخبار المهدي و نقله غير هؤلاء من الأئمة .

و بينت أن نزول عيسى عليه الصلاة و السلام عند المنارة البيضاء شرقي دمشق و قتله الدجال بباب لد و صلاته خلف إمام المسلمين في ذلك الزمان ثابت في صحيح مسلم و غيره و كون ذلك الإمام الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه يقال له المهدي ثابت في مسند الحارث ابن أبي أسامة .

و أما قول القائل فكرة المهدي و سيرته و صفته لا تتفق مع سيرة رسول الله صلى الله عليه و سلم و سنته بحال فقد أثبت التأريخ الصحيح حياة رسول الله صلى الله عليه و سلم من بداية مولده إلى حين وفاته كما أثبتها القرآن و ليس فيها شيء من ذكر المهدي كما لا يوجد في القرآن شيء من ذلك فكيف يسوغ لمسلم أن يصدق به و القرائن و الشواهد تكذب به .

معلوم أن حد الحديث النبوي الشريف عند أهل الحديث ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه و سلم من قول أو فعل أو تقرير او وصف خلقي أو خلقي و كتب الحديث الشريف مليئة بالنصوص الواردة في المهدي و فيها كما قال أهل العلم بالحديث الصحيح و الحسن و الضعيف و الموضوع.

و إن المسلم الناصح لنفسه لا يصدق و يكذب تبعا للهوى و إنما يكون تصديقه أو تكذيبه متمشيا مع النصوص الشرعية فيجعل النقل حكما على العقل لا أن يجعل العقول محكمة في القول فيقع في فضول القول و رديء الكلام .

و أمـــا قولهـــم إن القـــول بخروج المهدي على فرض صحته أي من حيث الاخـــبار لـــيس من عقائد المسلمين فقال في ص ٥٦ و أنه على فرض صحة هذه الأحاديـــث أو بعضها أو تواترها بالمعنى حسب ما يدعون فإنها لا تعلق لها بالعقيدة الدينية و لم يدخلها علماء السنة في عقائدهم .

و الجواب عن ذلك من وجوه :

الأول : أن مذهـــب أهل السنة و الجماعة التصديق بكل ما صح عن رسو ل الله صلى الله عليه و سلم من أخبار و سواء في ذلك ما عقلناه و جهلناه و لم نطلع علـــى حقـــيقة معناه مثل حديث الاسراء و المعراج و من ذلك أشراط الساعة مثل خروج الدجال و نزول عيسىبن مريم عليه السلام فيقتله و خروج يأجوج و مأجوج و خروج الدابة و طلوع الشمس من مغربها و أشباه ذلك مما صح به النقل .

و إن قـــال الـــبعض دعـــوى المهدي في مبدئها و منتهاها مبنية على الكذب الصريح و الاعتقاد القبيح .

و ممن صحح بعض الأحاديث الواردة في المهدي الامام الترمذي في جامعه و مـــنهم الحاكم في المستدرك و وافقه الحافظ الذهبي في تلخيصه في تصحيح جملة مـــنها و منهم الامام محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي صاحب التفسير المشهور المتوفى سنة ٦٧١ ه فقد قال في كتابه التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة بعد ذكـــر حديـــث و لا مهدي إلا عيسى بن مريم و بيان ضعفه قال : و الأحاديث عن النبـــي صلى الله عليه و سلم في التنصيص على خروج المهدي من عترته من ولد فاطمة ثابتة أصح من هذا الحديث فالحكم بها دونه و منهم الامام ابن تيمية المتوفى ســـنة ٧٢٨ ه فقد صحح بعض الأحاديث الواردة في المهدي و ذلك في كتابه منهاج السنة و منهم الامام ابن القيم المتوفى سنة ٧٥١ ه فقد صحح في كتابه المنار المنيف جملة من الأحاديث الواردة في المهدي و أشار إلى ضعف بعض ما ورد في ذلك و

مـــنهم الامام ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤ ه فقد تكلم في كتابه النهاية عن كثير من الأحاديث الواردة في المهدي مبينا الصحيح و الضعيف في ذلك .

عدد من علماء السنة الذين قالوا بلزوم الاعتقاد بالمهدي في آخر الزمان :

١. الإمام أبو داود صاحب السنن المتوفى سنة ٢٧٥ه
٢. الإمام أبو عيسى الترمذي صاحب الجامع المتوفى سنة ٢٧٩ ه
٣. الحافظ أبو جعفر العقيلي صاحب كتاب الضعفاء المتوفى سنة ٢٣٣ ه
٤. الإمام ابن حبان البستي صاحب الصحيح المتوفى سنة ٣٥٤ ه
٥. الحافظ أبو الحسين محمد بن الحسين الآبري السجري صاحب كتاب مناقب الشافعي المتوفى سنة ٣٦٣ ه
٦. الإمام أبو سليمان الخطابي صاحب معالم السنن و غيره المتوفى سنة ٣٨٨ ه و اثـــباته لخـــروج المهدي في آخر الزمان ذكره ، صاحب تحفة الأحوزي في شرح جامع الترمذي في شرح حديث أنس رضي الله عـــنه قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان و تكون السنة كالشهر و الشهر كالجمعة ... الحديث.
٧. الامام البيهقي صاحب السنن الكبرى و غيره المتوفى سنة ٤٥٨ ه و قد مر حكاية كلامه و كلام غيره في تصحيح بعض احاديث المهدي في رقم ٣٥ .
٨. القاضي عياض صاحب كتاب الشفاء المتوفى سنة ٥٤٤ ه
٩. الامـــام القرطبي المفسر المشهور و صاحب كتاب التذكرة في أحوال الموتى و أمور الآخرة المتوفى سنة ٦٧١ ه

١٠. الامام ابن تيمية صاحب الكتب الكثيرة الشهيرة المتوفى سنة ٧٢٨ ه و كتابه الذي صحح فيه بعض الأحاديث في المهدي منهاج السنة النبوية .

١١. الامام أبو الحجاج المزى صاحب كتاب تهذيب الكمال المتوفى سنة ٧٤٢ ه

١٢. الامام الذهبي صاحب الكتب الكثيرة المتوفى سنة ٧٤٨ ه و الكتاب الذي صحح فيه بعض الأحاديث في المهدي تلخيص المستدرك .

١٣. الامام ابن القيم صاحب الكتب الكثيرة المتوفى سنة ٧٥١ ه و الكتاب الذي صحح فيه بعض الأحاديث في المهدي ، المنار المنيف في الصحيح و الضعيف .

١٤. الامام عماد الدين ابن كثير صاحب الكتب الكثيرة المتوفى سنة ٧٧٤ ه و قد صحح بعض الأحاديث في المهدي في كتابه النهاية .

١٥. الحافظ ابن حجر العسقلاني صاحب فتح الباري و تهذيب التهذيب و غيرهما المتوفى سنة ٨٥٢ ه

١٦. الحافظ السخاوي صاحب كتاب فتح المغيث في شرح الفية الحديث المتوفى سنة ٩٠٢ ه

١٧. الحافظ السيوطي صاحب الكتب الكثيرة و كتابه المهدي العرف الوردي في اخبار المهدي و كانت وفاته سنة ٩١١ ه

١٨. الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني صاحب كتاب سيل السلام و غيره المتوفى سنة ١١٨٢ هـ و كلامه في المهدي و خروجه في آخر الزمان ذكره صديق حسن في كتابه الاذاعة .

١٩. القاضي محمد علي الشوكاني صاحب التفسير و كتاب نيل الأوطار و غيرهما المتوفى سنة ١٢٥٠ ه و كلامه في المهدي في رسالة سماها : التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي و الدجال و المسيح نقل الشيخ صديق في كتابه الاذاعة عن هذا الكتاب .

٢٠. الشيخ محمد بشير السهواني صاحب كتاب صيانة الانسان عن وسوسة دحلان المتوفى سنة ١٣٢٦ ه

٢١. الشيخ شمس الحق العظيم آبادي صاحب عون المعبود شرح سنن أبي داود المتوفى سنة ١٣٢٩ ه

٢٢. الشيخ عبد الرحمن المبار كفوري صاحب كتاب تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي المتوفى سنة ١٣٥٣ ه

ثم يقول الشيخ عبد المحسن و هؤلاء الذين ذكرتهم قطرة من بحر من علماء أهل السنة القائلين بخروج المهدي في آخر الزمان استنادا إلى الأحاديث الصحيحة في ذلك و هم الرواية و الدراية و هم أهل الخبرة و الاختصاص و هم العلماء المحققون الذين يعول على حكمهم و هم أهل الجرح و التعديل و التصحيح و التضعيف و هم أهل العلم و الدين و هم أهل الكمية و الكيفية ...

تعليقة المؤلف
على روايات أهل السنة

أحببت أن أكتب تعليقة على كتاب الرد على من كذب بالأحاديث الصحيحة و هو كتاب لأحد علماء السنة و الجماعة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد يرد فيه على الشيخ عبد الله بن زيد المحمود رئيس المحاكم الشرعية في دولة قطر سماها لا مهدي ينتظر بعد الرسول خير البشر.

فـــأقول أولا :كفى الشيخ محمود ما أورد عليه الشيخ عبد المحسن في كثير من المواطن و كفاه أيضا مخالفته لجمهور السنة و الشيعة و هو مما يعتبر خروجا عن منهج و معتقد المسلمين كافة بتحكيم عقله في شرع الله ﷻ.

و لكن أقول ثانيا إن من المؤسف أن تدفع رواسب الأحقاد الطائفية أو الجهل بالتراث الإسلامي بالبعض إلى إنكار المسلمات الشرعية بعيدا عن مراجعة الأخبار المعتـــبرة عـــند علمـــاء السنة والجماعة أنفسهم حتى راح ليأخذ مثل هذا التطرف الصـــريح بأمثال الشيخ عبد المحسن و هو من علماء العامة أيضا للرد على الشيخ محمود حينما وجد أن إنكاره لمهدي آل محمد ﷺ ليس ردا لمذهب الشيعة بل إنما هو إنكار للصحاح من أحاديث السنة ينبئ عن جهل صاحبه بالأحاديث النبوية سواء فـــي حـــق مهدي آل محمد ﷺ أو عيسى عليه السلام حيث يمكن إطلاق صفة المهدي علـــيه أيضـــا حتى و لو حاول البعض بدافع اللجاج إنكار مهدي آل محمد ﷺ لوجود مثل هذه الأحاديث في الصحاح حتى قال البعض من أبناء العامة أنها متواترة

بـــلا شـــك و قـــال آخـــرون إن فكرة المهدي و الاعتقاد بها من ضروريات الدين الإسلامي و إن منكرها كافر.

أجل من أنكرها بعد العلم بأحاديثها كافر و إلا فهو جاهل من المستضعفين و ما أكثر المستضعفين حضاريا و إسلاميا على وجه الأرض و يا ليتهم لم يدّعوا العلم و لم يتصدروا مجالس الإفتاء و لعله بلغهم أن من أفتى بغير علم فاليتبوء مقعده من النار .

و قـــد قال الشيخ عبد المحسن في مطاوي كلماته إن هناك فرقا كبيرا بين الشـــيعة و أهل السنة ، فالمهدي عند أهل السنة لا يعدو كونه من أئمة المسلمين إلى آخر كلماته كما شاهدتم في ضمن كلامه .

فـــأقول : إتفـــق المســـلمون سنة و شيعة إلا من شذ منهم أن عيسى عليه السلام يصـــلي خلف المهدي و أن المهدي هو الذي يملأ الأرض قسطا و عدلا بعدما ملئت ظلمـــا و جورا كما هو المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فالسيادة لإقامة العدل العالمي تجري على يد المهدي (عج) لا على يد عيسى عليه السلام.

فـــلا أدري هل تقدّم المهدي للصلاة و الإصلاح العالمي على عيسى عليه السلام مـــع وجوده إنما يكون للقاعدة التي علّمنا إياها الكثير من علماء السنة و الجماعة و هـــي قاعدة عقلية توصل إليها هؤلاء الأعلام حينما قال قائلهم : الحمد لله الذي قدّم المفضول على الفاضل ، يقصدون بذلك تقديم المشايخ الثلاث على علي عليه السلام ناســـبين هذا النحو من التقديم لله تعالى ثم حامدين الله سبحانه وتعالى على هذا الفضل العظيم الذي أنعم به على أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد رحيل رائد السلام .

أم أن تقدمة المهدي للصلاة و إقامة العدل العالمي مع وجود نبي من أنبياء أولي العزم كعيسى عليه السلام دليل على أفضلية المهدي و عصمته علما و عملا لتطبيق معالم شرع الله سبحانه وتعالى لتحفظ الشريعة من الزيادة و النقصان و الخطأ .

أم أن عمل المهدي مع وجود عيسى عليه السلام ينبئ أن هناك طريقين و مسلكين يبقى العمل بهما فيكون المهدي لتطبيق العدل الإلهي الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم و يكون عيسى عليه السلام لتطبيق الدين المسيحي على وجه الأرض على الرغم من أن الخاتمية و الدين كله و أن الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم هو الذي لا يقبل من أحد غيره .

إفتونا أيها المنصفون الذين طالما حاولتم لدعوى صلاة بالناس في آخر أيام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن تجعلوها دليلا على أحقية أبي بكر فكيف لا تكون الصلاة و ما أضيف إليها من إقامة العدل العالمي في الأرض كلها، دليلا على أحقية مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم و أنه أفضل من عيسى عليه السلام أم أن الله سبحانه وتعالى في آخر الزمان يقبل من النصارى دينهم و من المسلمين دينهم و ينهي الأرض بديانتين عالميتين ليقوم بإقامة إحداهما مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم و بالأخرى عيسى عليه السلام.

و هل القول بعصمة يحتاج إليها الإنسان لتطبيق شرع الله سبحانه وتعالى علما و عملا بدعا من القول و لا يكون إقامة العدل العالمي على يد من ليس معصوما من الخطأ بدعا من القول و كيف يعقل أن يقيم العدل العالمي من ليس معصوما كمهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم و يترك المعصوم من أنبياء أولي العزم كعيسى عليه السلام ليقوم بشأن النصارى تاركا أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم يقيم عدلها غير معصوم من الخطأ أم لكم في ذلك قاعدة عقلية أو شرعية جديدة بعد حمدكم لله تعالى على تقديم المفضول على الفاضل.

أم تنكرون مجيء المهدي و عيسى عليهما السلام في آخر الزمان مع وجود الروايات المتواترة كالشيخ المحمود تحقيقا لقاعدة استمرت أكثر من أربعة عشر قرنا و هي قاعدة الخلاف مع الشيعة قربة إلى الله سبحانه وتعالى .

أم لأن القــول بعصـــمة مهدي آل محمد ﷺ الذي هو أحد أئمة آل البيت يكون ضربا لأسس السقيفة التي بني عليها المذهب السني و عليه فلابد من إنكارها و لـــو علم الإنسان أن إقامة العدل العالمي مع وجود عيسى عليه السلام النبي المعصوم أمـــر ضروري عقلا و شرعا بل و هو دليل على أفضلية المهدي حتى على عيسى عليه السلام فضلا عن عصمته عجل الله تعالى فرجه الشريف.

فلست أدري أللجهل بمعنى العصمة يكون الإصرار على عدم كونه معصوما أم لخوف على هدم مسلك السلف .

ثم يتعرض الشيخ عبد المحسن بمنهجية أسلافه ساخرا من الغيبة و السرداب و ولاية صغير و لو لا إني أجبت عن مثل هذا و قد ملئت منه كتب الشيعة لأجبته فـــي هـــذه التعليقة لكن لا أريد أن أحرمه الضحك فأدعه يضحك مع الضاحكين و يسخر مع الساخرين .

و لا أريـــد له أن يبـــتعد عن منهج السخرية و الاستهزاء فإنه منهج طالما إتخذه الكثير مسلكا لأنفسهم على وجه الأرض فبورك له و لأمثاله سبل الرشاد و لا حرم الله ﷻ الأمة من فيوضات علمه التي تحكي معاشرته للكتاب و السنة النبوية.

و أمـــا مقارنـــة الكافـــي عنده بصحيح البخاري فيحكي ذلك مدى معرفته بموازيـــن علـــم الحديث و اعتبار الكتب عند الشيعة حيث لم يميز الرجل بين كون الكـــتاب مهمـــا و مصدرا من أمهات المصادر عند الشيعة و المجتهدين للبحث عن الأخـــبار و كونها صحيحة أو حسنة أو موثقة أو ضعيفة و بناء على الصحة يأتي دور التعارض و ما هو الحكم عندئذ و بين ما يرونه من كون البخاري صحيحا.

و أما استهزاءه بأن الأئمة عند الشيعة يعلمون جميع العلوم التي خرجت إلى الملائكة و الأنبياء و الرسل فلا أدري أين مواطن السخرية و إن كانت ليست بعيدة عـــن أمـــة ترى أن سيد الكائنات محمد ﷺ حينما نزل عليه الوحي اضطرب و

امتزجـــت عليه المقاييس و لم يتمكن من تمييز أن ما يسمع من النداء هل هو نداء حـــق أو بـــاطل و هو صوت رحمان أو شيطان فراح يستعين بخديجة و ابن عمها ورقة بن نوفل حتى جاءته خديجة تطمئنه بأن ابن عمها يقول : قولي لمحمد هذا هو الـــناموس الـــذي كان ينزل على موسى و أعانته أيضا خديجة أيضا حينما قالت له ﷺ : إن جاءك ما رأيت فإني سأرفع الخمار من رأسي فإن بقي ينظر فهو شيطان و إن ذهب فهو سفير الرحمن .

و بهذه العملية والاستعانة بورقة بن نوفل تمكن الرسول ﷺ أن يعرف أنه يوحى إليه و أن ما يسمع ليس بصوت الشيطان .

فإن كان هذا سيد الكائنات عند القوم فعجبهم من كون خلفاء الرسول ﷺ يعلمون ما في رسالات السماء و ما نزل على الأنبياء و المرسلين يكون أعجب.

أجـــل عجبهم في محله بعد كون الرسول ﷺ إذا تأخر عليه الوحي ظنه نـــازلا في آل أبي الخطاب و هو يحب الطرب و تغني إلى جنبه المغنيات و عائشة جالسة ثم يضطرب حين قدوم الفاروق.

و أما بناء على أن رسالته خاتمية و أنه سيد الكائنات و أن لكل نبي وصي كما ثبت ذلك بالمصادر المعتبرة عند جميع الموحدين فكون أوصيائه يعرفون جميع مـــا جاءت به الأنبياء لأنه جميعا موجود في رسالة سيد الكائنات و أكثر فلا عجب في معرفتهم لذلك جميعا.

و لـــيس مـــن العجب إذا كان آدم عليه السلام يعلّم الملائكة الأسماء كلها و تسجد الملائكة و لم يسجد لها لرفيع مقام الإنسان الكامل و عندها فلا يكون من العجب و السخرية أن تكون علوم الأولين و الآخرين عند رسول الله ﷺ و هو أشرف من آدم عليه السلام و يكون لإيصال البشرية والخلائق إلى الكمال و لعظيم مقام أوصيائه قد علّمهم جميع تلك العلوم .

و إذا كـــان من عنده علم من الكتاب يحضر عرش بلقيس قبل أن يرتد إلى سليمان طرفه و سليمان يعرف منطق الطير و ما أشار إليه الكتاب المجيد من عظيم المعـــارف فـــلا أدري أيـــن موضع العجب لو كان سيد الكائنات العالم بالكتاب كله عارفـــا بجميع العلوم و قد علمها أوصيائه إن لم نقل أن الأدلة دالة على أن وصي سليمان عنده علم من الكتاب و أن عليا وصي رسول الله عنده علم الكتاب و الفرق بيـــن المقامين و بين وصي سليمان و محمد عليهم أفضل الصلاة و السلام من أبده البديهيات إلا عند من أصيبوا بمرض العناد و اللجاج و اختاروا لأنفسهم السخرية و الضحك منهجا فإنهم ليسوا بأول ساخر من المؤمنين.

و لســـت أدري إذا كان الإنسان قادرا أن يعرف منطق الطير لمصلحة إلهية و لـــيس هذا مدعاة للسخرية فلماذا لو كان إنسان آخر يعرف جميع الألسنة البشرية يكـــون مدعاة للسخرية و هو أهون مقالا من معرفة منطق الطير و قد يتمكن إنسان عـــادي بلا أي مشيئة خاصة إلهية من معرفة أكثر من عشرة لغات في العالم فكيف يكون الأمر لو كان وصيا من أوصياء محمد ﷺ يراد منه هداية البشرية كافة و بالأخص عند الظهور لإقامة دولة العدل و الحق العالمية .

و قـــد قال الشيخ ابن محمود : و من المعلوم أن اعتقاد المهدي يترتب عليه من المضار و المفاسد الكبار إلى آخر كلامه .

أقـــول : قد قالت بلزوم منقذ بشرية جميع الأديان و اعتقد بذلك حتى من لم يؤمن بالأنبياء لمجرد اعتقاده بالخالق فلا أدري كيف يصبح ما تسالمت عليه عقول البشرية و الدين الإسلامي سنة وشيعة من مجيء مهدي آل محمد ﷺ سواء كان مولودا أو سوف يولد سخرية لأن مجيئه تترتب عليه المفاسد بدلا من المصالح فأي مشـــيخة إسلامية هذه التي توصل الإنسان المسلم إلى هذا المنحدر من الفهم لشرايع

الســـماء و كيف تصبح هذه العقليات التي تنكر ضروريات الدين و العقل من الدعاة إلى شرع الله ﷻ .

ولكـــن إن تعجـــب فلا عجب من عقول ترعرعت على العناد والأحقاد أن تعتـــبر القول بمجيء منقذ بشري من آل محمد ﷺ مما يدعوا إلى السخرية لأنه بحســـب عقولهـــم منكر من القول عقلا وشرعا و لو جاءت هذه العقول لتسمع بأن الشيعة يقولون بعدم تجسيم الله ﷻ و وجوب الصلاة قبل أن ترجع إلى مصادر السنة لقالت أن القول بهذه الأباطيل من خرافات الشيعة فإنه لا يمكن القول برب لا يشاهد و كـــيف يعقل أن يأمر الله ﷻ الناس بالسجود و هو يتنافى و كريم مقام الإنسان ، فإن هيئة الساجد مدعاة للضحك و السخرية لعن الله ﷻ الشيعة كيف يدعون أن الله ﷻ يأمر بذلك.

ثـــم يقـــول العلامة المحمود : أما إعتقاد بطلانه (أي بطلان القول بمجيء المنقذ البشري) فإنه يعطي القلوب الراحة .

أقول : البشرية جميعا للأمل برحمة الله ﷻ و الخلاص يوما من الأيام من الظلم و الجور تعيش الأمل و أمثال علّامتنا يرى أن عدم الاعتقاد بذلك هو الأمن و الاطمئـــنان و الـــراحة كـــل ذلك لأن الشيعة قالوا به و هو اندفع لردهم جهلا منه بمصـــادر الســـنة بذلك التي اعتبرت الأمر من ضروريات الدين و أن الأخبار فيه تجـــاوزت حـــد التواتر ثم يأتي فريد وجدي صاحب دائرة معارف القرن العشرين فـــيرد أحاديث المهدي و الدجال و يقول : لماذا لم يذكر في القرآن عن هذا المسيح الدجال شيئا مع خطورة أمره ؟

فيجيبه الشيخ عبد المحسن مستغربا منه ذلك قائلا : إن الله ﷻ قال في كتابه العزيز ﴿ **و ما آتاكم الرسول فخذوه و ما نهاكم عنه فانتهوا** ﴾[1] و قال الرسول ﷺ: ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه يعني السنة و السنة و القرآن متلازمان لا يفترقان و من لم يؤمن بالسنة لم يؤمن بالقرآن و من زعم فصل السنة عن القرآن يقال له : أين وجدت في القرآن إعداد الصلوات و إعداد ركعاتها و كيفيتها و غير ذلك مما لا يعرف توضيحه و بيانه إلا في السنة ثم يقول و أعداء السنة هم أعداء القرآن ثم استشهد الشيخ عبد المحسن بمقاله الحافظ السيوطي لتأييد لزوم الأخذ بالسنة حيث قال السيوطي :و إن مما فاح ريحه في الزمان و كان دارسا بحمد الله منذ زمان و هو أن قائلاً رافضيا زنديقا أكثر في كلامه أن السنة النبوية و الأحاديث لا يحتج بها و إن الحجة في القرآن خاصة فقد كفر و خرج عن دائرة الإسلام و حشر مع اليهود و النصارى أو مع من شاء من فرق الكفرة.

أقول : كم سخر الساخرون و ترنّموا في أحاديثهم قائلين : لو كان ما يدعيه الشيعة حقا لما ترك الله ﷻ ذكر أئمتهم مع أهمية شأن الإمامة في القرآن فهؤلاء الروافض الكفرة كم لهم من مثل هذه الافتراءات لكن حينما يأتي السني إلى مسألة الدجال و عدد ركعات الصلاة و غيرها من أمهات العقائد و الفروع التي لم تذكر في الكتاب أو ذكرت فقط بنحو الأصل لتكون السنة شارحة لها يقول إن ذلك هو منهج القرآن الكريم فقد يذكر الأصل ويترك التفريع و قد يحيل الأمر مع أهميته إلى السنة النبوية لأنها عدل القرآن و من أنكر ذلك كان إما منكرا لمنهج إسلامي أو جاهلا بسنن الله ﷻ.

---

[1] : حشر ٧

لكـــن حينما يقول بمثله الشيعة بالنسبة إلى عدد أئمتهم و أسمائهم بعد ثبوت أصل الإمامة في الكتاب و تحققها في مسلمات بين الشيعة و السنة كقول رسول الله علـــيه أفضل الصلاة و السلام من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية و إن الأئمـــة كلهم من قريش أو هم إثنا عشر و إن التفصيل يكون بالأحاديث النبوية يســـخر الساخرون ما هذا الهراء و ما هذه الأباطيل و الافتراءات لو كانت الإمامة أمرا مسلماً لذكر الله ﷻ أسماء الأئمة في كتابه المجيد.

فلست أدري لم هذا الكيل بمكيالين و لِمَ الإصرار على الاستمرار في الخطأ بعد أكثر من أربعة عشر قرنا مرضاة للسلف بسخط الله ﷻ.

و لســـت أدري كيف و متى أنكر الشيعة الروافض السنة و من منع تدوين السنة و تداولها بحجة أنها قد تختلط بالكتاب المجيد أشهر من نار على علم ، و من قـــال حسبنا كتاب الله و ألفت كتب في أين ذهبت السنة و ماذا صنعوا بها لم يكتبها مؤلفوهـــا علـــى المتآمرين على السنة النبوية من علماء الشيعة و حكامهم بل كتبها على حكام السنة و علماءهم حينما خافوا من السنة أن تفضح مؤامراتهم ثم خططوا لفتح أبواب نقل الأحاديث في زمن معاوية لتصبح السنة حكرا على عدد خاص من أتـــباع السلاطين كأبي هريرة بإغفال عام عن المهاجرين و الأنصار الذين ما كان أمثال أبي هريرة يعد حتى من أصاغرهم أو من قدمائهم .

و مـــع ذلـــك كلـــه لم يتسائل المسلمون ليومنا هذا أين صحابة رسول الله ﷺ مـــع كثرتهم من المهاجرين و الأنصار حتى يصبح مثل أبي هريرة الفارس المغوار المطلق لبيان شرع الله ﷻ حتى تصاب الأمة الإسلامية برواية حديث يجمع وعائين يخفي أحدهما خوفا على بلعومه من أن يضرب بالسيف و يبدي وعاء واحدا و يكـــون مـــع ذلـــك لـــيس عاملا بالتقية أيضا التي طالما حاول أعداء أهل البيت عليهم السلام بعد تحريف المراد منها أن يجعلوها مستمسكا للشتم و التشنيع .

فأين رجال المسلمون مضوا حتى لا يكون الراوية عن رسول الله تعالى إلا أمـــثال أبـــي هريـــرة تحـــت ظل سلطان معاوية ابن أبي سفيان و يمنع بقية أكابر المسلمين من المهاجرين و الأنصار من نقل السنة النبوية .

قـــال الشيخ ابن محمود ص ٣٧: إن فكرة المهدي هذه لها أسباب سياسية و اجتماعية و دينية و كلها نبعت من عقائد الشيعة .

و يقول أحمد أمين في كتاب ضحى الإسلام ج ٣ / ٢٤١ نفس المقالة :

أقـــول : و هـــذا يظهـــر أمرا و هو أن هناك عقولا يوحي بعضها لبعض تشـــابهت فـــي أصـــول فهمها لأسس الشرع فراحت تريد شريعة تابعة لا متبوعة ترضي أذواقهم و تهدئ من أحقادهم و إلا فسروها بأهوائهم أو أنكروها إجتهادا في مقـــابل النص و ما أكثر المجتهدين في مقابل النص في مدرسة السقيفة و إلا فكيف يكـــون مـــن الخرافة ما وردت فيه الصحاح و كان من المتواتر بل من ضروريات الديـــن باتفاق المسلمين سنة و شيعة لو لا اعوجاج في الذوق و خروج عن موازين العقل و الفطرة كما نشاهد لذلك الكثير من الأشباه في مسألة الخلافة و الإمامة و في مســـألة التقية التي هي منهج شرعي عقلي و إنما وقع الخلاف فيه هل أن التقية في مقابل كل ما كان من الأخطار و الأنظمة أو المجتمعات الظالمة الجائرة أو لا يكون بازاء المسلم و لو كان من أشر الجبابرة والمجرمين أشباه الحجاج بن يوسف الثقفي.

و لكـــن مع كل شرعية التقية يأتي قوم بدواعي الجهل بالشريعة أو بدوافع الأحقـــاد التي تعمي و تصم ليقول : كيف تكون التقية من منهج التشيع و هي ليست إلا الدجـــل و الـــنفاق و كـــتمان المعـــتقد ناسيا ظلم الظالمين ، مستغربا من أنين المظلومين و المضطهدين كيف يأنون أو كيف يفرون بدينهم من الفراعنة المستبدين أو كيف يسكتون عن معتقداتهم في ظل أنظمة السفاحين.

ثـــم يحمـــل هؤلاء الأمة الإسلامية التي أذعنت بكافة مذاهبها و علمائها و مثقفيها لمسألة المنقذ البشري و أنه من آل محمد ﷺ تبعا لما ورد من الأحاديث المتواترة على السذاجة و عدم الفهم بجعل الأمة أداة بأيدي الشيعة يلعبون بهم بحسب دعوى هؤلاء و إن الشيعة هم الذين أحكموا أسانيد هذه الأخبار المتواترة المسلّم بها من طريق الأسانيد السنية و التي قال الكثير من علماء السنة في حقها لقوة الأسانيد فيها أن المنكر لمسألة المهدي ينكر ضرورة من ضروريات الدين .

فـــإذا كانت الشريعة تخترق من قبل الروافض على هذا الصعيد الذي يجعل الخرق بالغا مرتبة أحاديث متواترة فكيف يمكن أن تأمن الأمة في بقية ميادين دينها من أصحاب الأغراض و المصالح كوعاظ السلاطين و الحكام الذين بيدهم القرار و هـــم بمعـــتقد الأمة ولاة الأمر في حين أنه لا ريب أن بعضهم لا دين عنده كبعض حكـــام بني أمية و بني العباس فقد يكون هناك خرق آخر على صعيد المسلمات و المـــتواترات فـــي شؤون العقائد أو الفروع و الأحكام الشرعية و ذلك لأنه إذا كان الشيعة الروافض لهم هذه المقدرة فهؤلاء لو دعت المصلحة أقدر من العدو الرافضي من تحقيق هذه الخروقات .

فبمعـــتقد هـــؤلاء إن المذهـــب الســـني مخترق على صعيد المتواترات و الضـــروريات فـــلا أدري مـــا يكون حال هذا المذهب على معتقدهم فيما هو دون المتواترات و الضروريات؟!

ثـــم يقـــول هؤلاء المجتهدون في مقابل النص و الناسبين قبول الأوهام إلى الأمة الإسلامية جمعا أن نظرية المهدي نظرية لا تتفق و سنة الله ﷻ في خلقه و لا تتفق و العقل الصحيح .

أقـــول: لا أدري عن أي سنن إلهية يتكلمون ؟ فهل القول بطول عمر إنسان أكثر من المتعارف قول يخالف السنن و قد حكى القرآن بنص صريح عن نبي من

أنبيائه بقائه في قومه أيام دعوته قائلا ﴿ **فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما** ﴾[٢] و يقال أن أيام حياته و بقائه بعد الطوفان و الغرق العام البشري أكثر من ألفي عام.

و قد أخبر تعالى عن إبليس بأنه كان قبل آدم عليه السلام و هو باق إلى يوم يبعثون حتى و إن لم نقل ببقاء عيسى و الخضر و غيرهما من أولياء الله ﷻ و قد أبقى الله ﷻ أصحاب الكهف .

فإن كانت عدم المعقولية للسنن الإلهية من جهة طول العمر فها هي السنن الإلهية تثبت ذلك إلا أن يرى هؤلاء الأعاظم ذلك غير معقول و من الأباطيل و لو قال به الله ﷻ فعليهم أن يبعثوا رسالة إلى الله تعالى عبر الإنترنت أو غيرها إن كانت لهم سبل في إيصال رسائلهم إلى الله ﷻ فلعله يصلح ما أخطأ فيه من السنن شاكرا لهم تنبيههم إياه لأنه لا يضيع عمل المحسنين .

و إن كانت المشكلة كامنة لا في البقاء الطويل لأنها من سنن الله ﷻ التي أخبر بها و الشيعة لم يأتوا ببدع من القول في ذلك فعليهم أن يراجعوا الأخصائيين في الطب النفسي ليعالجوا أمراض نفوسهم إن كانت الأمراض قابلة للعلاج و هي أمراض الحقد و العناد و النصب لآل بيت رسول الله ﷻ التي طالما تأصلت في نفوسهم .

اللهم لا تحرمهم جوار من أحبوا من أمراء المؤمنين و الولاة كأمير المؤمنين يزيد بن معاوية و الحجاج بن يوسف الثقفي فإن الله ﷻ يحشر كل أمة مع إمامها و قد رضيت الروافض إن تلطف الله ﷻ عليها بواسع رحمته و لطفه أن يحشرهم خدما يوم القيامة و بعدها في ظل أسيادهم علي بن أبي طالب و الحسن و

---

[2] العنكبوت ١٤

الحســين و بقــية الأعاظم من علماء أهل البيت الأئمة الميامين إلى الحجة المنتظر الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف .

و إن كــان مرادهم من مخالفة السنن والعقل هو مجيء المنقذ البشري الذي يقــيم العــدل و ينهي الظلم فهذا ما أذعنت به البشرية و بالأخص الأديان السماوية يهودية و نصرانية و إسلامية فلست أدري من هو الخارج عن السنن و العقل الشاذ عــن منهج البشرية أهم ؟ أمّن اتفق قوله مع القرآن و السنة و جميع الشرائع كافة كالشيعة.

المحاضرات

المحاضرة الأولى

بيان إجمالي لكافة المطالب

إمام العصر و الزمان ،خليفة الرحمن ، خاتم الولاية المطلقة المحمدية ﷺو قد ورد في المأثور ﴿**و نوّر أبصار قلوبنا بضياء النظر إليك ، حتى يحرق أبصار القلوب حجب النور فيصل إلى معدن العظمة ، فتصير أرواحنا متعلقة بعز قدسك**﴾ فمن بلغ إدراك حقائق الأمور شاهد مراتب الولاية بمنظار القلوب في حجب النور. فمن جملة أهم البحوث العقائدية مسألة المهدي (عج) و هذه المسألة قد يبحث عنها من نواح شتى ، حيث أنه ربما راح لينظر إليها الناظر متسائلاً :هل هي مسألة شيعية مختصة بالمسلك و المذهب الإمامي؟ أو هي مسألة إسلامية أو هي مسألة بشرية عامة ، هذا هو **البحث الأول** فيها .

و البحث الثاني الذي يمكن أن يتطرق إليه الإنسان هو مسألة طول العمر من أنه هل من الممكن أو المعقول ما تقول به الشيعة من بقاء إنسان ما قد يستمر في الحياة آلاف السنين؟

والبحث الثالث :الذي يمكن أن يتطرق إليه الإنسان في المقام هو أنه قد يقال : إن البشرية منذ خلق الله ﷻآدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه و آله إلى الأئمة المعصومين بعد رحيل الرسول ﷺمرت بعظماء كثيرين و يقينا ما مرت البشرية و لن تمر بمثل رسول اللهﷺسيد الأولين و الآخرين ، سيد الكائنات طرا و هو إمام الأئمة ، سيد الأنبياء ، المعلم لكافة الممكنات في عالم الإمكان من الجن و الإنس بل حتى الملائكة الكرام و ذلك لأنه إذا كان آدم عليه السلام

علّم الملائكة الأسماء كلها فرسول الله أولى بأن يكون معلما لكافة الخلائق و عندها فيقال: إذا كانت البشرية مرت بمثل رسول الله ﷺوعلي عليه السلام كيف يعقل أن يقول قائل أن الشريعة ما طبقت و ما شرحت جميع بطونها في زمان رسول الله ﷺو ستطبق في عصر و حكومة المهدي(عج)؟ فهل يعقل أن لا تطبق الشريعة على يد سيد الكائنات محمد ﷺو تطبق على يد المهدي (عج) ؟ وكيف يمكن أن تطبق البشرية قانون العدل و هي قد خالفت سيد الكائنات و خالفت نفس الرسول ﷺو هو علي عليه السلامو عانى منها ما عانى من نفاق و من رياء و أذى ؟ فكيف يكون من المعقول تصور تطبيق الشريعة بأبعادها العلمية و بطونها السبع و السبعين و حكومتها الإسلامية على أيدي المهدي المنتظر(عج) ؟و هي لم تشرح ببطونها و لم تطبق بنظامها بنحو التمام على عهد رسول الله ﷺ.

والبحث الرابع : أنه إذا كانت الشريعة سوف تطبق على أيدي منقذ البشرية فهل تطبق بقهر و هيمنة ربانية ؟ أو تطبق بواسطة سلطان إلهي يسلب الناس إختيارهم حتى تستسلم البشرية قهراً إلى المهدي الموعود أو تنقاد إليه ملتجئة؟ أو تطبق بواسطة سلطان سليماني على وجه الأرض ؟ أو تطبق بواسطة إظهار الجنان و النيران أو بواسطة إظهار الملائكة و آيات الله الكبرى حتى لا يبقى متردد يتردد و لا يبقى مفّر لإنسان يتمكن بواسطته أن يفر من الحق؟

هناك محتملات نذكرها في المقام إن شاء الله و على كل إنسان بعقله ومعاشرته للشريعة و السنن الإلهية التي أجراها الله ﷻ على وجه الأرض مع كون الدنيا دار اختبار و اختيار أن ينظر في هذه المحتملات ليرى أياً منها هي أقرب إلى الواقع و الصواب و العلم عند الله ﷻ.

فنقول أولا: مرت البشرية بقادة مختلفين و بمسالك مختلفة دينية و غير دينية فاليهودية مثلاً تدّعي أن الحق في جانبها و النصرانية تدعي ذلك أيضاً و إن

كان الموحدون طرا بداية بآدم عليه السلام و نهاية برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع كافة الأوصياء و الأولياء ما دعوا إلا إلى شريعة واحدة هي الإسلام ، فللموحدين مسلكهم و منهجهم و ما دعوا إليه من الحق كما و أن هناك في مقابل الموحدين مسالك كثيرة للطبيعيين و العلمانيين و غيرهم و ما يدّعون من الحرية و الإخاء و القيم الإنسانية.

فإذاً قد جاءت البشرية على إختلاف مسالكها ليدعي كل صاحب مسلك و دين أنه صاحب الحق الفريد و أنه الذي يريد تطبيق العدل على وجه الأرض حتى وصلنا في هذه العصور المتأخرة بما تحمل من العلم و التقنية لنسمع دعاة العصر بصياغة جديدة ما تدعيه من الحرية و الديمقراطية و الدفاع حتى عن حقوق الحيوانات فضلا عن الحق الإنساني .

فنتسائل عندها : أين الحق المتنازع فيه ؟و من هو الصادق و من هو الكاذب و من هو المصيب و من هو المخطئ في دعواه كما و أنه لقائل أن يقول ما ادعته الأديان على اختلاف مسالكها وكذا ما ادعاه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعله كان فرضية و احتمالا عقليا لأنه لم يطبّق و لم تشرح بطونه بعد ،فهلا يمكن أن تكون هذه الدعوة أيضا كأخواتها فرضية لا مصداقية لها في الخارج ؟ أو لابد لها يوما من الأيام من مصداقية لكي تخرج الأديان من الفرضية والمثالية و الإدعاء إلى مرحلة التطبيق و العمل ؟

فنقول إن الله تعالى أبى أن يبقي الشرائع فرضا و تقديرا بل لابد أن تخرج الشرائع بواسطة منقذ بشري يخرج البشرية من ظلماتها و دمارها و شتاتها بواسطة العدل الواقعي الإلهي البعيد عن النزعات و الشهوات و المصالح الشخصية.

فإذن الغاية من بعثة الأنبياء أن يقوم الناس بالقسط و العدل و ما لم تتحقق هذه الحقيقة بتطبيق قانون العدل تطبيقا عاما على كافة أرجاء الأرض ستبقى الشريعة كبقية المذاهب فرضاً و تقديرا و عليه فلابد أن يخرج الله ﷻ الدين من مرحلة الفرضية و المثالية التي بدأت بآدم عليه السلام و انتهت بالخاتم ﷺ ولم تحكم الأرض حكما عاما بمنقذ بشري حتى تقام الحجة كما ورد في الأدلة ﴿ **أشهد أنك الحجة على الماضين أو الحجة على من مضى و من بقى** ﴾

فكيف يكون (عج) حجة على الماضين؟

نقول: الله ﷻ لابد أن يخرج الشرائع من الفرض و التقدير في كافة مراحلها العلمية و العملية إلى مرحلة التطبيق و العمل، فإذا خرجت الشريعة بواسطة المنقذ من الفرض و التقدير و طبقت على وجه الأرض و أخرجت الأرض بركاتها و كنوزها و ما تحمل من الخيرات و النعم و عاشت البشرية عدلا حقيقيا فإنه بذلك تقام الحجة على الماضين و على الباقين من البشر بأن الله ﷻ لطفا بحال العباد ما كان من جانبه قد حققه بيوم خلق البشرية يوم خلق آدم عليه السلام حيث أنه تعالى لم يجعله إنسانا عاديا بل بدء البشرية بنبي و شريعة وأنهى الأمر بسيد الكائنات محمد ﷺ .

حتى لا تبقى لأحد حجة و لا كلمة يمكن أن تقال بأنه يا إلهي و سيدي و مولاي إن الشرائع كانت مثالية و فرضية معنوية لم تثبت مصداقيتها في الخارج ،فإنه إذا خرج المنقذ و طبق الشريعة تطبيقا حقيقيا سد الأبواب على كل متكلم و أثبت أن الشرائع ما كانت فرضا و تقديرا و مثالية خيالية و وهما من الأوهام ،ليثبت بذلك أن المانع كان من قبل المجتمع البشري و أن الناس ما كانوا على صراط مستقيم و أنهم ما كانوا يريدون الهداية و الحقيقة و الحق و أنهم لمّا عبدوا

الهوى و تشتتت بهم الأهواء و الأغراض و المصالح جنوا على أنفسهم و توصلوا إلى ما ساروا إليه من الغايات حيث الدمار و الشتات.

فإذاً لابد و أن تخرج الشرائع بواسطة منقذ بشري من مرحلة الفرضية إلى مرحلة التطبيق في كافة أنحائها علما و عملا حتى يكون حجة على الماضين و الباقين من البشر، بأن الله سبحانه قد تمم في حق البشرية منذ أن خلق آدم عليه السلام لطفه و هدايته بالأنبياء و العقل و بكل ما يمكن أن يأخذ بالبشرية إلى الكمال و لكن المانع كان من قبل الناس و أنهم لما انحرفوا عن الطريق حصدوا و جنوا ما اكتسبته أيديهم.

هذا أمر مسلم بحكم العقل و دلت عليه الأدلة و الآيات وعليه فنقول إن مسألة المنقذ هل هي مسألة شيعية تفرّد بها الشيعة في المقام أم هي مسألة إسلامية ، فهناك الروايات الكثيرة حتى قال البعض أنها تجاوزت ثلاثة آلاف حديث كلها متفقة على أنه لابد من منقذ و هو من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم يخرج البشرية من دمارها و ظلماتها إلى العدل و القسط .

نعم إختلفت ألسنة الأحاديث فبعض الأحاديث تقول بنحو مطلق أنه من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم و بعضها تقول من ذرية فاطمة عليها السلام و بعضها تقول أنه من ذرية فاطمة و علي عليهما السلام و بعضها تقول أنه من ذرية الحسين عليه السلام أو من ذرية علي بن الحسين عليه السلام أو....

فنقول إن المسألة من جهة أصل الموضوع من أنه لابد من منقذ من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليس بيننا و بين القوم من خلاف و أي خلاف يمكن أن يقال في المقام و قد دلت الكتب من العامة فضلا عن الخاصة جميعا على أن المنقذ من آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم و إن فرض هناك خلاف بيننا و بين القوم ففي مسألة واحدة و هي أهو مولود أو سيولد؟

هذا هو غاية ما يمكن أن يدّعى من الخلاف بيننا و بين أبناء العامة و الجماعة و إلا فليس هناك من خلاف في أصل المنقذ و أنه من آل محمد ﷺ و من الواضح أنه يعد الخبر متواترا يقينيا إذا دل عليه ثلاثون أو أربعون حديثا فكيف بأمر قد دلت عليه مئات الأحاديث بل آلافها من العامة و الخاصة حتى قال إبن حجر و قال الكثير من أبناء السنة و الجماعة أن المنكر للمهدي كافر خارج من دين الإسلام لأنه يكون منكرا لضرورة و من أنكر ضرورة من ضروريات الدين الإسلامي يكون كافرا.

فالقائل بإنكار المهدي و المنقذ من آل محمد ﷺ باتفاق المسلمين كافر خارج عن دين الإسلام و ليست مسألة اختصصنا بها أو ابتدعناها في المقام إلا أن يكون المنكر لها جاهلا مستضعفاً لم يقرأ كتب المسلمين و أحاديثهم من العامة و الخاصة.

فمسألة المنقذ قبل أن تكون إسلامية هي مسألة بشرية اتفقت عليها الآراء حتى من البوذيين و الزرادشة و كافة الأديان و المذاهب من أنه لابد من منقذ بشري يخرج البشرية من دمارها لتصل إلى الغاية التي خلقت من أجلها و هي الكمال و العدل و إن حاول البعض أن يتهم الشيعة قائلا : بأن كل مضطهد وعاجز يحاول أن يخلق لنفسه ما يرضيها و يسكّن من روعها ببعض المهدءات كمنقذ يخرجها من إضطهادها و حرمانها و بؤسها،لكن إتفاق المذاهب عليها حتى من اليهود و النصارى و العامة و حكم العقل بأنها غاية بعثة الأنبياء ينفي عنها مثل هذه المحاولات الناشئة من الأحقاد أو الجهل بالمصادر و قد ورد بإتفاق الجميع أنه قال رسول الله ﷺ: ﴿ **لو لم يبق من أيام الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله تعالى رجلا من أهل بيتي يملأ الأرض قسطا و عدلا من بعد ما ملئت ظلما و جورا** ﴾ .

☆ إمامة الصبي

الشبهة الثانية التي أوردها القوم علينا : أنكم تدعون إمامة و زعامة لصبي كان في الخامسة من عمره و كيف يمكن أن يدعي إنسان عاقل إمامة و زعامة لإنسان يكون صبيا و كأن القوم ما قرؤوا كتاب الله المجيد حيث يقول ﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوة و آتيناه الحكم صبيا**﴾ و كأنهم ما قرؤوا القران الكريم حينما تكلم عن عيسى عليه السلام: ﴿**فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا**﴾[1] ، فإن كانت هذه من الممتنعات أو كانت هذه من الأمور التي لا تعقل و تدعو إلى السخرية فالإشكال أولا و بالذات يجب أن يتوجه على القرآن المجيد و ليس على أتباع آل محمد ﷺ أتباع الكتاب و السنة حقا و لكن ماذا نصنع مع سنن الأحقاد الناشئة من سنن الجاهلية فالإعراض عنهم أجدر بالعقل و الدين حيث الإصرار على الباطل بعد تمامية الآيات و الروايات المتفق عليها بين الفريقين و نحن نعيش القرن الخامس عشر الهجري و هم لا يزالون يصرون على العناد و قد نصحت الكثير من إخواني المؤمنين أن يبتعدوا عن قادة اللجاج و العناد و لا اقصد بذلك أبناء المذاهب الإسلامية بل المكفرة الذين أخذوا من ربهم الصكوك على أنهم على نهج السلف الصالح الذي هو نهج رسول الله ﷺ و إن بقية المسلمين كفرة و أهل بدع و ضلال لأنهم مستعدون أن يناقشوا الله سبحانه و

---

[1] مريم ٢٩

رسوله في آياته و سننه و يثبتون الخطأ في حقهما سعيا وراء تقديس الرجال بدلا من تقديس موازين الشرع القويم . .

☆ ما هي ثمرة الغيبة ؟

لعل قائلا يقول ما هي الثمرة من وجود إمام غائب لا يستفاد منه ؟ فإن أردنا أن نبحث عنها بحثا عرفانيا لكان للبحث مجال واسع حيث تقول الروايات **«لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها»** و الولاية إسم إلهي لابد له من ظهور لأن الله ﷻ هو الولي الحميد، فإذن وجود الحجة على مسالك الشريعة بل و على مسالك العرفاء ضرورة من ضرورات الأرض و بدون الحجة لا يمكن أن تبقى الأرض لأنه قوام عدلها و إعتدالها سواءً كانت الولاية و الحجة خاصة أو مطلقة لها تمام مظاهر الأسماء الحسنى لكن لقائل أن يقول: إن وجود حجة مستورا لا ظاهرا ما هي الثمرة من وجوده ؟

أضرب مثالا أولا ثم أتي إلى محل البحث فأقول:نحن لا نتردد أن الكتاب المجيد هو تبيان لكل شيء و العبارة مطلقة لا يمكن أن نخصصها بحكم كصلاة أو صوم ، وإذا كان القران المجيد تبيانا لكل شيء و بيانا لكل الحقائق و الأسباب و العلل و المصالح و المفاسد و أنه الكتاب الذي جاء ليوصل البشرية إلى كمالها المطلوب و قد تجاوز الإنسان الكامل الملائكة المقربين بعروجه حينما سار سبل الحق و منهج الكتاب المجيد .

فنقول عندها فهلا من حقنا أن نتساءل من أنفسنا ماذا فهمنا من هذا الكتاب الذي هو تبيان لكل شيء و الذي به تجاوز الإنسان الكامل مقام الملائكة العظام فسجدت له و لم يسجد لهاو رسول الله أحق بهذا المقام من آدم عليه السلام و في هذا الكتاب من الأسرار والمعاني والحكم ما لم تتكشف لحد اليوم و قد مرت البشرية منذ نزل هذا الكتاب المجيد إلى يومنا هذا بمتاهات و خلط بين الحق و الباطل و ها هي تتنازع في حقانية علي و معاوية .

فالأمة التي تعيش هذا الحضيض يقينا لم تعرف من مفردات الكتاب المجيد حرفين ، الأمة التي تخلط بين الظلمة و النور و صراحة الحق و الباطل ليست أمة تعيش نقاءً إسلاميا ، الأمة التي لم تعرف ليومنا هذا الكثير من سننها البدائية و أخذت تستفيدها من الغرب و من بعض العلوم العصرية الأخرى فمثل هذه الأمة ليست تلك الأمة التي أرادها الله سبحانه وتعالى أن تكون خير أمة أخرجت للناس في واقعها الخارجي لا بحسب قانون الله سبحانه وتعالى لتقود الخلائق طراً للخير و الصلاح.

أجل نحن نعتقد أنه لابد و أن يكون هذا الكتاب المجيد مفتاحا و وسيلة لكل عالم بعلمه و لابد أن يتوصل الحكيم بحكمته من طريق الكتاب المجيد إلى قمة الحكمة و لابد أن يتوصل العارف بعرفانه من طريق الكتاب المجيد إلى قمة العرفان و لابد أن يتوصل الفلكي من طريق الكتاب المجيد إلى قمة التوحيد لفهم أسس عالم الإمكان و لابد أن يتوصل كل عالم و كل طالب لحقيقة عن طريق القران المجيد إلى أسرار و علوم مختلفة و إلى حقائق مودوعة في هذا الكتاب المجيد.

و ها نحن نمرّ عليها غافلين مرور الكرام، و لابد أن يكون القرآن المجيد هو الوسيلة و الطريقة و العلم الذي لو سار أهل البادية ببدائياتهم لوجدوا سبل الحق

فيه و لو سار أهل الفلسفة و أهل الطب و أهل الفلك و أهل كل علم من العلوم من طريقتهم لوجدوه نورا و وسيلة للعروج إلى الحق سبحانه و تعالى.

مرت القرون و البشرية تعيش الغفلة فلقائل أن يقول ما هي ثمرة كتاب لا يستفاد منه؟ فإن كان وجود الشيء الذي لا يستفاد منه نقدا و إشكالا و لو كان المانع من قبل نفس البشر فأول النقد و الإشكال يجب أن يتوجه على الله ﷻ بالنسبة إلى كتابه المجيد الذي هو تبيان لكل شيء .

فإنه الكتاب الذي قال في حقه الإمام الصادق عليه السلام: ﴿ **إنا عرفنا ما كان و ما يكون من كتاب الله** ﴾ هذا الكتاب الذي هو بمنظار العارفين حقيقة الحقائق التي تكشف ما كان و ما يكون بكل أبعاده و قد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو أحد المعصومين عليهم السلام ﴿ **أن للقرآن سبعا وسبعين بطنا**﴾ و السبع و السبعون كما تعلمون إشارة في اللغة العربية إلى الشيء اللامتناهي أو إلى الشيء القابل للإزدياد اللامتناهي كما و أن العدد قابل للإزدياد بما لا حد له.

فالكتاب المجيد حامل للمعاني التي لا تتناهى، لأن الله ﷻ ليس متناهيا في وجوده فلا يكون متناهيا في عطائه و جوده و فضله على البرية و هو الغاية المطلوبة التي لو سارت الخلائق طرا بما لا يمكن أن يفرض من الأزمنة و الدهور لما تمكنت أن تصل إلى هذه الغاية و هي الله ﷻ، فجعل الله ﷻ القرآن وسيلة للعروج إلى غاية لا حد لها فهو يحمل أسرارا لا حد لها أيضا تختلف باختلاف منظار الناظرين.

فالإشكال من بعض أبناء العامة و الجماعة بالنسبة إلى غيبة الإمام (عج) لمانع من قبل الخلق و عدم إستفادة الأمة التي إنقلبت على الأعقاب من بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كما لم تستفد من أوصياء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من بعد وفاته هو ليس إلا كبطون الكتاب المجيد الغائب عن أنظار الخلق و الأمة لمانع و هو حجب الغفلات و

الظلمات و عليه فيجب أن يرد هذا الإشكال أولا و بالذات على القرآن المجيد الذي هو تبيان لكل شيء أو يرد على الله ﷻ من أنه كيف ينزل كتابا يحمل من البطون و الأسرار ما لا يتناهى و هي لحد الآن لم يستفد منها السواد الأعظم إلا ظهورا أو بعض مراتب البطون و قد مرت عليه القرون فما استفاد منه إلا نوادر البشر و كاد أن يكون مهجورا عند أغلب المسلمين من العامة و الخاصة.

فكتاب موجود بكل أبعاده ما استفادت منه البشرية و إن كان الله ﷻ قد تمم لطفه على العباد بأن جعل لهم كتابا عظيما بأبعاد لا متناهية لو عاشوا واقع الحياة و ابتعدوا عن الغفلة و الهوى لوجدوا كل حقيقة مودوعة فيه، فمع كونه وسيلة للعروج اللامتناهي إلى الحق سبحانه و تعالى و هو بين أيدينا ما إستفدنا منه شيئا إلا القليل النادر.

فلقائل أن يقول هذا الكتاب المجيد الذي ما إستفاد منه في ضمن أربعة عشر أو خمسة عشر قرناً إلا أفراد نوادر من البشر ما هي الثمرة منه كما يقال ما هي الثمرة من وجود إمام غائب لا يستفيد منه المجتمع ؟

فنقول ما هو من جانب الحق من اللطف الإلهي قد تممه بحق العباد بأن جعل لهم أنبياء و أرسل لهم رسلا هادين و بعث محمدا بكتاب كان تبيانا لكل شيء أما أن البشرية تعيش العمى، تعيش الهوى،تعيش شركا و ضلالة فهذا ليس نقصا في جانب الحق لأن ما هو على الحق تعالى لطفا بحال العباد تممه بجعل كتاب بين أيديهم لو عاشوا الطهارة للمسوا هذه الحقيقة حيث تلمس عند ذهاب الغفلة كما أشار تعالى : ﴿**كنت في غفلة عن هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد**﴾[2].

---

[2] : ق ٢٢

فإذاً البصيرة بالفطرة و العقل السليم تامة في دار الدنيا لو لا حجاب الغفلة و هذه المسألة و هي ما تكلمنا عنه بالنسبة إلى الكتاب المجيد نأتي بها و نطبقها على ما نحن فيه من عدم استفادة الأمة من إمام مستور كما و أنها ما استفادت من أحد عشر إماماً كانوا ظاهرين و ذلك للإنقلاب على الاعقاب الذي حصل بعد رحيل الرسول ﷺ قال تعالى : ﴿ **و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا و سيجزي الله الشاكرين**﴾[3] .

و لا أظن أن منصفا لم يصب بمرض اللجاج و العناد و قد قرأ صحاح العامة من البخاري و مسلم و غيرهما و كذا تتبع كتب الخاصة لم يحصل له الجزم و اليقين بإنحراف هذه الأمة كبقية الأمم عن مسلك الأنبياء و إن إختلفت مراتب الإنحراف شدة و ضعفا .

فنقول بعث الله ﷻ نبيا وجعل بعده إثني عشر نقيبا هادين مهديين إلى الصراط المستقيم فامتحن البشرية بأحد عشر نقيب فما وجدهم يحبون حقيقة و لا يريدون واقعية و لا رشادا بل وجدهم يصرون على الإنقلاب على الأعقاب ، فما كانت فلتة كما قال الثاني بل إنها فلتات لأن الفلتة يتراجع عنها الإنسان بعد لحظات أو أيام و ما جرى بعد وفاة رسول ﷺ من الإنقلاب على الأعقاب كان إصرارا على الإبتعاد عن الصراط المستقيم ليومنا هذا ،حيث راحت الأمة لتفسر الكتاب و السنة بالرأى و تطبق الشريعة و النظام الإسلامي تبعا لرغبات الحكام و لما تمم الله ﷻ الحجة على العباد بأحد عشر نقيب أخفى آخر نقيب من النقباء لتستمر

---

[3] : آل عمران ١٤٤

الحجة على الخلق ليثبت أن المانع من الإستفادة من النقباء و خلفاء الرسول ﷺ كان من قبل الأمة.

كما و أن المانع من عدم فهم الكتاب و السنة كان من قبلهم أيضا لأنهم عبدوا الرجال و قدسوهم من دون الله ﷻ و لو أن الناس إهتدوا حقا عامة و خاصة في هذه الليلة هداية حقيقية فصاروا يحبون الحقيقة بقلوب سليمة لا بألسنة فارغة لأظهر الله ﷻوليه الحجة المنتظر (عج) في هذه الليلة فهو موجود رحمة من الله ﷻ بحال العباد و بالأخص بالنسبة إلى أمة محمد المرحومة التي خصصها الله ﷻ ببعض خصائص الرحمة لكنها أبت إلا أن تسير على ما سارت عليه الأمم كاليهود و النصارى من بعد أنبيائها كما أشارت إلى ذلك الأحاديث المتواترة عند الفريقين سنة و شيعة.

و بالجملة فكما و أن البيان في الكتاب المجيد متحقق بالنسبة لكل شيء و لكن للحجاب لا نرى النور الإلهي في ذلك الكتاب العظيم فكذلك ولي الله ﷻ موجود بين ظهرانينا بعد ما إختبرنا الله ﷻبواسطة النقباء الأحد عشر بعد الرسول ﷺلكن للحجاب أيضا لم يتحقق الظهور و إذا كان المانع من قبل أنفسنا لا يمكن أن يقول قائل ما هي ثمرة إمام غائب لا تستفيد منه البشرية و كأنها حينما جاءت لتورد مثل هذا النقد كانت مستفيدة من علي عليه السلام حينما كان بين ظهرانيهم أو بقية الأئمة الهداة المعصومين عليهم أفضل الصلاة و السلام .

فجعل الله ﷻ لهذه الأمة المرحومة و هي أمة محمد ﷺوليا من أعاظم أوليائه بين ظهرانيهم موجودا لو طلبوه بقلوب سليمة و صفاء من الضمائر لوجدوه حاضرا بينهم لكنهم أصروا على الغي و العناد و لا يتصور متصور أن القوم فقط انقلبوا على الأعقاب فنحن أيضا إنما نعيش حبا لأهل البيت لا مشايعة لعلي عليه السلام كما وردت الكثير من الروايات بهذا المضمون من قبل الأئمة عليهم السلام.

فلا نخدع النفس بالعبائر و المصطلحات و ذلك لأنا ولدنا في مجتمع يحب و يوالي أهل البيت فعشنا محبة لهم لا مشايعة و فرق بين الشيعي و بين المحب فالشيعي عمار وأبوذر و سلمان و المقداد و مالك و ما أدراك ما مالك، فهؤلاء شايعوا الأئمة حقا أما نحن فالكثير منا لسنا بشيعة مشايعين للنقباء بعد الرسول ﷺو قول القائل أنه ما ثمرة إمام غائب؟ نقول له كان بعد وفاة رسول الله أئمة ما استفادت الأمة منهم مع كونهم كانوا ظاهرين موجودين و ما كانوا مستورين وقد أبقى الله ﷻ آخر نقيب حجة على الخلائق كما جعل القران حجة و ما استفدنا من هذه الحجة بما لها من العلوم و البطون.

فالقرآن حجة و الحجة المنتظر حجة حتى يكون كما قالت الروايات **﴿أشهد أنك حجة على الماضين و على الباقين ﴾** و إذا ظهر الحجة المنتظر (عج) يحتج الله ﷻعلى البشرية به منذ خلق آدم عليه السلام قائلا: إني أتممت في حقكم الألطاف و بعثت إليكم الأنبياء بكتبهم و بما تحمل تلك الكتب لكنكم عشتم الضلالة و البعد عن الصراط المستقيم فما كان الأمر من قبل الحق قاصرا و إنما كان المانع من قبل أنفسكم .

فهذا إذاً لا يكون إشكالاً و إنما هو ثمرة الحجة البالغة من الله ﷻ على العباد وأما إن تكلمنا بمنطق العرفان فقد قال العرفاء إن الله لابد له من ولي و بدون الولي لا يمكن أن تستقيم الأرض و هو ظهور اسم الولي على وجه الأرض و إن نظرنا إلى الروايات فإنها تقول لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها.

فالقضية الأولى التي نريد أن نتكلم عنها قلنا أولا وردت الأحاديث بثلاثة آلاف أو بستة آلاف حديث تثبت و تتكلم جميعا عن مسألة المنقذ البشري من آل محمد ﷺو هناك الكثير من الآيات فسرت بيوم الظهور أيضا عند العامة و

الخاصة فمن الآيات التي وردت في المقام قوله تعالى:﴿ **و نريد أن نمن على الذين إستضعفوا في الأرض و نجعلهم أئمة و نجعلهم الوارثين**﴾ [4].

و قد فسرت عند الأكثر على أنها تشير إلى يوم الظهور في حين أن الله ﷻ ما جعل الأولياء متسلطين على وجه الأرض إلا أيام تسلط رسول الله ﷺ على مكة و المدينة و ما كان انتشارا عاما على وجه الأرض فلابد إذاً من أن تتحقق هذه الآيات بسلطان عالمي يحقق العدل لتكون مصداقا لقول الله ﷻ و حاشاه من أن يخلف الوعد و قد قال تعالى في الوعد الإلهي ﴿**وعد الله الذين آمنوا منكم و عملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا**﴾ [5] و قال تعالى ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون** ﴾[6] و قال تعالى ﴿**و لقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون**﴾[7] ، فإذن من جهة الآيات اتفقت كلمات المسلمين على أن بعض الآيات تدل بصراحة من القول أن البشرية لابد لها من منقذ يحقق العدل الإلهي على وجه الأرض هذا من جهة الآيات .

وقد تقدم الكلام عن الأخبار ، و الأخبار وردت في صحيح البخاري و الترمذي و سنن أبي داود و سنن ابن ماجة و مسند الإمام أحمد بن حنبل و ذخائر

---

[4] : القصص ٥

[5] :نور ٥٥

[6] : توبة ٣٢ و وردت أيضا نفس الآية في صف ٩

[7] : الأنبياء ١٠٥

العقبى و الشعراني و فتوحات ابن العربي و الطبراني و...وقد قلنا أن الروايات تجاوزت ثلاثة أو ستة آلاف حديث عند الفريقين .

☆ الإجماع

الأمـر الثالـث:كـــل قضية تتفق عليها آراء المسلمين قاطبة تسمى مسألة ضرورية و تسمى ما قام عليه الإجماع و كل ما قام عليه الإجماع من الأمور التي لا يمكـــن لمنازع أن ينازع فيه يكون إنكاره إنكاراً للضرورة و منها مسألة المنقذ البشري و أنه من آل محمد ﷺ، فمنكره إما جاهل من المستضعفين أو معاند من أهل الكفر و الشقاق الذين لو جاءهم محمد بن عبد الله ﷺلجادلوه في فهمه لدين الإســـلام فالإعـــراض عنهم أجدر بسلامة العقل و الدين و ليس لهم إلا أن نقول : **﴿فإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾**[8] .

☆ العقل

الأمر الرابع: هو العقل و ما يمكن أن يستفاد منه في المقام؟

---

[8] : فرقان ٦٣

قلـــنا إن الله ﷻ منذ خلق آدم عليه السلام كانت الغاية من بعثة الأنبياء ﴿ **ليقوم الـناس بالقسط** ﴾[9] لـــتخرج البشرية من الجهل و الغواية إلى الحق و الصراط المستقيم.

فنتسأل عندها هل تحققت هذه الغاية على وجه الأرض أم لم تتحقق ؟ يقينا ما تحققت و لا يعقل أن يترك الله ﷻ الغاية التي بعث من أجلها جميع الأنبياء من دون تحقـــيق، فالغاية من بعثة الأنبياء أن يخرج الناس من الضلالة إلى الكمال و الرشاد كمالا بعد كمال و هذه الغاية التي هي غاية بعثة الأنبياء جميعا ما وجدناها تحققت على وجه الأرض يوما من الأيام.

فـــالعقل حاكم بأنه لابد من تحقيق هذه الغاية على وجه الأرض ببعدها العلمي و العملي حتى تتمكن البشرية أن تعيش رشدها و كمالها المطلوب ليثبت الله ﷻ يوم القـــيامة أنـــه قد تمم نعمته على البشر منذ خلق آدم عليه السلام و إنما البشر لانحراف و عـــبادة الهـــوى لمـــا ابـــتعدوا عـــن الصواب أرادوا هذا الدمار لأنفسهم فعاشوا الاضطهاد و البؤس و الحرمان .

و إن العقـــل حـــاكم أيضا بلزوم مجيء منقذ بشري ليثبت الله ﷻ بواسطته للخلائق طرا أنما عاشوه طيلة القرون من البؤس و الحرمان كان لسوء التدبير و عدم الأيدي الأمينة التي جعلت الخيرات تذهب هدرا و إلا فإن كان الله ﷻ قد خلق عشـــرة من الناس فقد تكفل لهم بعيش يكون كفيلا بمؤنة ما يتجاوز الثلاثين و ذلك لجـــوده و كـــرمه في حين أن المشاهد على وجه الأرض هو القصور و الحرمان بالنسبة إلى كثير مما تحتاجه البشر.

---

[9] : الحديد ٢٥

إن الله ﷻ أحكـــم الحاكمين و العقل حاكم على لزوم مجيء منقذ بشري يثبـــت للخلائق طراً عدل الله ﷻ في خلقه بتكافيء بين الخلق و النعم بل بكون الخيرات الإلهية أكثر بكثير مما تحتاجه البشر و العقل حاكم أيضا أن هناك الكثير من النقد يتوجه في المقام من أنه كيف اللهﷻ خلق البشرية بما لها من العدد و هي تعيش الحرمان و الجوع و الفقر .

فـــنقول إنـــه إذا أظهـــر الله ﷻ المنقذ العالمي تقول الروايات الخير يعم و الـــبركات تنزل و كل ما هو من الكنوز في قلب الأرض يكون ظاهرا مستفادا منه و أن الأموال تقسم فلا تجد لها سائلا و طالبا .

يـــريد أن يقـــول الله ﷻ بذلك إني ما خلقت خلقا وجعلت أمرا على وجه الأرض بـــدون أن أجعـــل في مقابل الخلق نعما و خيرات تزيد على البشرية فإذا خلقـــت بشـــرا يحـــتاج إلى عشر درجات من النعم جعلت النعم بثلاثين أو أربعين درجـــة و إنمـــا العدوان و الاضطهاد و الجهل البشري كان سببا لعدم نزول هذه البركات و سببا لضياعها بأيدي الظالمين و الجاهلين و الغافلين.

فالله ﷻ لابد و أن يحقق الغاية التي من أجلها بعث الأنبياء و لابد و أن يثبـــت للبشرية أن ما عاشوه من الفقر و العناء و ما شاكل هذه الأمور ما كان من الله ﷻ بـــل كان بسبب ما اكتسبته أيديهم من الفساد في البر و البحر قال تعالى: **﴿ظهـر الفسـاد في الـبر و الـبحر بمـا كسـبت أيدي النـاس ليذيقهم بعض الـذي عملـوا لعـلهم يـرجعون﴾**[10] ، فعدوانهـــم سبب بؤسهم و خروجهم من الاعـــتدال سبب ما عاشوه من الاضطهاد و لا خروج من ذلك إلا بالمنقذ البشري

---

[10] : الروم ٤١

الإلهـــي و ذلك كما قلنا ليثبت به الله ﷻ أن سبب هذا البؤس كان بما كسبته أيدي الناس.

إذا العقـــل حـــاكم أو مدرك بأنه لا يعقل أن يخلق الله ﷻ خلقا بدون أن يضـــمن لهـــم كافة شؤون حياتهم حياة كريمة و لكننا نرى في الخارج أكثر الأمم تعـــيش الفقر و الحرمان و كاد أن يتوهم البعض عدم التناسب بين الخلق بملايين البشـــر و بين ما جعل الله ﷻ من الخيرات فنقول ليس الأمر كذلك و لابد من يوم يقـــام فيه العدل الإلهي بواسطة المنقذ البشري ليثبت الله ﷻ أن الناس لو إستقاموا علـــى الطـــريقة لأنزل الله ﷻ عليهم بركاته من السماء و أخرج كنوز الأرض و الروايات دالة على ذلك.

ولكـــن قد يتساءل البعض هاهنا من أنه هل يحقق الله ﷻحكومة إسلامية بهيمنة و ولاية إلهية تسلب الناس إختيارهم أو أنه يحقق ذلك بمعجز يقوم به أو أن البشـــرية تطحـــن طحنا تاما بواسطة حروب تسبق الدعوة و لمّا تعجز البشرية و تعيش المذلة تلبي دعوة الحق بعد ذلك أو أنه لا يكون ذلك إلا بعدما تصل البشرية إلـــى كمالها المطلوب في العلم و الفهم و الإدراك حتى تصبح مستعدة لفهم الكتاب المجيد و بطونه التي ما شرحت لحد اليوم ؟

فنقول لا يعقل أن يأتي المنقذ الأعظم لكي يطبق عدلا على وجه الأرض على أناس دمرتهم و ذلتهم الحروب، بل لابد أن يأتي و الناس على قمة العلم فإنه جاء كل عظيم على قمة أمر من الأمور فقد جاء موسى عليه السلام في قمة السحر و قوة ســـلطان فرعون و جاء عيسى عليه السلام في قمة الطب و جاء إبراهيم في قمة سلطان الـــنمرود و لابد أن يأتي المنقذ لكي يكون معجزا للبشرية في كل جوانبها بشرحه لـــبطون الكـــتاب المجيد فالمعجز الأخير هو شرح الكتاب المجيد بأبعاده العلمية و

العملـــية و لذلك نقول ستستسلم البشرية لأبعاد العلم و سنتكلم عن هذا إن شاء الله ﷻ.

نغم

لسكينة النفس

صباح العدل

صـباح لا يدانيـه الظـلام ... وجسـم لا يعانقـه السـقام

وصرح قد تجـلى فوق عـرش ... لآفـاق المـنى فهـو النـظام

فذاك النـور في أفـق رفيع ... بعيـد الغـور إن رُفـع اللثـام

له يـوم به الأكـوان طـرا ... ستـلقى مجـدها فهـو التـمام

فيا حسناء كفي اللـوم عني ... إذا مـا هب للعـود الغـرام

فإني هائـم لكـنّ وجدي ... فريـد لا يخالـطه المـدام

فكـم قد عشت من ليل طويل ... طروبـا والـهوى عـرش يقام

فناغيـت الثـريا في عـلاها ... وناغتـني بمـا فيـه المـرام

فأسهرت العيـون رهين شوق ... عقـودا والسـرى تعـبوا فناموا

فيا لله كـم قد بات قلـبي ... حزينـا وهو صـب مسـتهام

يطوف الكون في سفر المعالي ... بحـورا ما بهـا ورق حـرام

فقد شاهدت في أطياف خلد شموسا لا يحاكيها الكلام

ستبدو ليلة المعراج حقا بصبح العدل إن حكم الكرام

بطلعة قائم من آل طه سديد الرأي سيف لا يضام

فذاك بن البتولة خير فخر سمي المصطفى فهو السلام

محمد كاظم الخاقاني

المحاضرة الثانية

العقل و منهج العرفان

وصل بنا البحث إلى ما يمكن أن يستدل به على ضرورة منقذ بشري من طريق العقل و قد تقدم أن مسألة المنقذ ليست مسألة شيعية بل و ليست مسألة إسلامية و إنما هي مسألة اتفقت عليها البشرية كافة فقال بها من كان من الموحدين التابعين لرسالات السماء و غيرهم أيضا و قد دلت الأخبار و تجاوزت الآلاف حتى أنه قيل أحصاها بعض العلماء فوجدها متجاوزة ستة آلاف حديث و أي ضرورة تثبت بأكثر من هذا وقد تقدم الكلام عن الأخبار و الأحاديث كما تقدم الكلام عن الإجماع الإسلامي في المسألة و بقي شيء من أمر العقل نفصله ثم ننتقل إلى ما استدل به العرفاء في المقام .

فمن جملة ما استدل به الفلاسفة في المقام عن طريق العقل على أن الأدلة دلت أن القران له سبع و سبعون بطنا فإذا كانت البطون سبعا و سبعين و أن المراد من السبعين مالا نهاية له في الازدياد و التكامل و إن ما ورد في الكتاب المجيد من سبع سماوات إشارة إلى مالا نهاية له من الخلق الإلهي في عالم الإمكان أو قابلية تزايده إلى مالا يحصى فنتسائل هاهنا هل هذه البطون المتعددة شرحت بأبعادها السبع و السبعين أو لم تشرح ليومنا هذا؟ فإن من كان منصفا وجد بضرورة حكم العقل أن ما جاء به الرسول الأعظم بكتابه العظيم بما له من البطون التي لا تعد و لا تحصى من المعاني التي هي كتاب تدويني يحكي جميع أبعاد عالم

الإمكان التكويني بما لله تعالى من الفيض المستمر الذي لا يحد بحد لم تشرح لحد الآن.

و بالجملة إذا كان هذا الكتاب كتابا تدوينيا ببطونه اللامتناهية فهل فهمه الناس في عصر رسول الله ﷺ مع كونه كان الرسول ﷺ يعيش مع المنافقين و الكثير من الجهال و أعراب البادية و كان يعيش مع الكثير من الذين لم يفهموا حتى بطنا من بطون هذا الكتاب العظيم و هل شرح هذا الكتاب و توصلت البشرية إلى أبعاده اللامتناهية في زمن النقباء المعصومين من بعد الرسول الأعظم ﷺ أم أن الحديث مع أغلب الأفراد كان حديثا مع جهال لا يفهمون بعدا واحدا فضلا عن الأبعاد اللامتناهية .

و من أهم الشواهد على ذلك مضافا إلى إنقلاب الأمة على الأعقاب و إنها تتبع سنن الماضين كما ورد في صحيح البخاري و مسلم و غيرهما من كتب العامة و الخاصة ، ما جاء في الأحاديث حينما قال رسول الله ﷺ **﴿سلوني عما بدا لكم إلى ما قبل الساعة ...﴾** و كذا علي عليه السلام حينما قال : **﴿ سلوني قبل أن تفقدوني﴾** حيث راح ليسأل البعض عن نسبه و آخر يطلب عدم الفضيحة و ثالث يسأل عن عدد شعر لحيته و السواد الأعظم يبكي و كأن الرسول يقرأ على مسامعهم ما يدعوا إلىٰ الضجيج و البكاء و إن وجد بعض النوادر من البشر في عصره ﷺ و من بعده في عصر النقباء عليهم السلام حيث أنهم كانوا من خزانة الأسرار.

فمن تحرر في المقام وابتعد عن العصبيات و تقديس الرجال فهم أن هذا الكتاب الذي هو شارح للبطون اللامتناهية العلمية لم يشرح منه إلا القليل لأن الأمة اشتغلت بالانقلاب على الأعقاب فأين المنقلبون على الأعقاب عن بعد الرسالة أو

أبعاد الرسالة اللامتناهية و أين هم من فهم الحقيقة المحمدية و من فهم الحقيقة العلوية و أبعاد الولاية و الحكمة بأبعادها العلمية و العملية.

أجل أين هؤلاء من هذه المراتب العظمى، فإن نظرنا إلى بطون القرآن عقلا وجدناها إنها لم تشرح بعد و لابد للكتاب من شرح على وجه الأرض تتم به الغاية من بعثة الأنبياء و هي التكامل الذي دعا إليه الله ﷻو دعت إليه الأنبياء كافة و هذا التكامل و شرح البطون بما للكتاب من كونه تبيانا لكل شيء ما تحقق على وجه الأرض منذ بعث الله آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم إلى الأئمة المعصومين عليهم السلام بل و إلى يومنا هذا .

فهذه كلمات القوم تبدي معارفهم إذ يقول قائلهم من ينازعنا سلطان محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فالقوم الذين جاءوا يتصارعون سلطانا لقريش، و يريدون التقدم على البشرية من طريق القبلية فهؤلاء بمعزل عن الشريعة وعن فهم أبعادها الظاهرية فضلا عن بطونها اللامتناهية.

فإذن الشريعة ما شرحت بأبعادها و لذا تقول الروايات إذا ظهر(عج)يسأله السائل يبن رسول الله أجئت بشريعة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أم جئت بشريعة أخرى و هذا يحكي بعد المسلمين عن الرسالة بعد رحيل الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بكافة طبقاتهم و مذاهبهم و وجود أفراد نوادر من البشر أرادهم الله حججا على خلقه كعمار و مالك و أبي ذر و حجر ابن عدي و سلمان و المقداد و غيرهم من حجج الله ﷻعلى أرضه إلى ظهور القائم (عج)لم يحققوا يوما من الأيام عنوان الأمة الإسلامية حتى يقال بأن الرسالة شرحت بأبعادها و بسطت على وجه الأرض.

أجل هؤلاء حجج الله على البرية بعد الأنبياء و الأوصياء تقام بهم الحجة عليَّ و عليك يوم القيامة فإذا قال القائل منا يوم القيامة يا إلهي و سيدي و مولاي الشريعة ما كان يمكن أن تطبق على وجه الأرض يؤتى بأمثال هؤلاء الأعاظم و

يقال لنا أنها كانت مطبقة و لو لم يمكن أن تطبق لما طبقها عمار وسلمان و مالك، فإذن أنتم أحببتم الدنيا و سايرتم الحكام من أجل العيش الهنيء و إلا فالشريعة كانت واقعية و مطبقة و لو على صعيد فردي و يكون تطبيقها على صعيد عالمي بكل أبعادها العلمية و العملية على يد منقذ البشرية مهدي آل محمد(عج) **فهذا أوّلا.**

و **أما الأمر العقلي الثاني** في المقام فنقول :كل من مرّ من الدعاة للإصلاح على التاريخ البشري صادقا كان أو كاذبا رفع راية العدل و دعا إلى تطبيق الحق على وجه الأرض سواء كان باسم الدين أو بغير ذلك من العلمانيين و الشيوعيين و الاشتراكيين و البوذيين و غيرهم .

أجل ما دعى داع منهم إلا باسم الحق والعدل و العلم وما خدعت البشرية على طول التاريخ إلا باسم الحق و ما استرقت و استعبدت يوما من الأيام باسم الظلم و الدمار ، فهذا يسمي نفسه خليفة لرسول الله و ذاك يسمي نفسه ظلا لله على وجه الأرض و هذا يسمي نفسه باسم آخر و لكن الكل مشتركون في الخداع و المكر و إن اختلفت الأسماء و ابتعدت الأماكن و الأزمان.

و عليه فلابد من أن يميز الله ﷻ رسالات السماء الحقة التي جاء بها الأنبياء بدءاً بآدم عليه السلام و ختاما بسيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وسلم حتى تخرج من الإدعاء و الفرضية إلى مرحلة التطبيق العملي بواسطة قائد و ولي أعظم يحقق العدل على وجه الأرض و ينشر معالم العلم و سبل الرقي و الكمال .

حتى لا يقول قائل يوم القيامة : يا إلهي و سيدي و مولاي كم من راية رفعت باسم الحق فوجدناها خداعا و فخا و وسيلة للمآرب الشخصية للوصول إلى المقاصد الخاصة و ما وجدنا تطبيقا للشرائع، فلعل دعوة الأنبياء كانت كغيرها من الادعاءات فرضية لا مصداقية لعدلها كما شاهدنا الكثير من الادعاءات التي منّت

الأمم بكل خير و رفاه و وعدتهم بفردوس راحت لتجلس القصور و تستَرق الناس باسم الاشتراكية و الشيوعية و العلمانية أو باسم الدفاع عن حقوق الإنسان و كم شاهدنا من داعية باسم النصرانية أو اليهودية أو الإسلام استرق الناس.

و عندها فلقائل أن يقول يا إلهي ظننت دعاة الشرائع كذلك كأغلب الدعاة الذين دعوا إلى العدل و الحرية و ما كانت دعوتهم إلا إفتراضا و ما كان مرادهم إلا خدمة لمصالحهم الشخصية و عليه فلابد بحكم العقل من مجيء منقذ يكون حجة على جميع البشرية إلى قيام الساعة يحقق به الله ﷻ الحق على وجه الأرض حتى لا يقول قائل يا إلهي ظننا الشرائع فرضية و وهما و ادعاءا كما ادعى المدعون و لكي لا تبقى لأحد حجة يوم القيامة على الله ﷻو تكون الحجة البالغة لله وحده ﷻ .

و عندها فينادي المنادي يوم القيامة قد تمم اللهﷻ لطفه عليكم ببعثة الأنبياء و رسالات السماء و بالمعصومين و الحجج من بعد الأنبياء، فكان المانع من قبل أنفسكم و ما خلقت خلقا ليعيش الحرمان و الدمار و الحقد و البغضاء و المذلة و الاستضعاف .

أجل قد ساق الأمم إلى كل ذلك سكوت الكثير منهم عن الحق و تمادي آخرين في الغي و لم تكن العلة التامة لضياع البشرية و هلاكها ما ارتكبه الحكام فقط و ذلك لأنهم ما كانوا ليرتكبوا ما ارتكبوا من عظيم الجرائم و الظلم إلا بواسطة ممهدات و تحقيق شرائط هي من عمل الأمم وما كانوا ليتجاوزوا كافة موازين الحق و القيم الإنسانية إلا بجنود و سلطان قوامه السواد الأعظم لأنه من المعلوم أن الحاكم الظالم ما كان ليخرج يوما من الأيام لاسترقاق الناس و إذلالهم أبنائه و أقربائه و إنما يذل الأمة بواسطة الأمة نفسها قال تعالى : ﴿**و ما**

ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾[1] و قال ﷺ: **﴿ كيفما تكونوا يولى عليكم ﴾**.

و بقيام راية الحق و نشرها على وجه الأرض تكون لله الحجة البالغة على الأولين و الآخرين إلى قيام يوم الدين لبيان أن المقتضي كان محققا وكذا الشرط و لكن المانع كان سببا لعدم تحقق العدل على وجه الأرض و هو ابتعاد الأمم عن الصراط المستقيم وذلك لبداهة الأمر لدى كل موحد على أنه لا قصور في المرسل و لا الرسل و لا الرسالات السماوية.

فهذا أيضا من الأدلة التي يمكن أن نستدل بها بحكم العقل على وجوب مجيء منقذ بشري يخرج البشرية من دمارها حتى تخرج الأديان طرا من زمن آدم إلى زمن الرسول ﷺ إلى يومنا هذا من الفرضية إلى مرحلة التطبيق كما قلنا لكي لا يبقى لأحد حجة على الله ﷻ.

---

[1] : النحل ١١٨

☆ مسلك العرفاء و الفلاسفة

و أما مسلك العرفاء و الفلاسفة فقد تقدم بيانه على أنه لابد من ولي أعظم و قطب على مصطلحهم تحفظ به موازين العدل على وجه الأرض و دليلهم على ذلـــك علـــى أن الله ﷻعرف بأسمائه و صفاته فوجدنا مخلوقا دلنا على خالق و وجدنا مرزوقا دلنا على رازق، فالمعلول يدل على علة و الحادث يدل على محدث و الممكن يدل على واجب و المدبّر يدل على مدبِرو المحكم يدل على حكيم.

فلو كنا نفكر و نتأمل في الحقائق لوجدنا العالم بكله دليلا و برهانا و لذا ســـمي العالم عالما و قيل رب العالمين أي المربي للعوالم، فالعالم من العلامة فكل مـــا فـــي العالم علامة على الحق و كل ما في العالم آية و دليل على الله ﷻو لذا قالوا أن الأدلة على الحق على قدر أنفاس الخلائق .

فـــبعد هـــذه المقدمة جاء العرفاء ليقيموا دليلهم على وجود ولي على وجه الأرض فـــي كـــل عصر و زمان على اختلاف مراتب الأولياء من كون الولاية مطلقة أو مقيدة و سواء كان الوليْ ظاهرا أو مستورا كالخضر ومحمد ابن الحسن العسكري (عج) و غيرهما.

فقالوا: كما و أن الحكيم دل على حكمته بعض مظاهر خلقه و الخالق دل خلقـــه عليه و كان كل اسم للحق تعالى له آية و علامة تدل على الحق تعالى فقد أبـــى الله ﷻ أن يجعل الناس لا يتمكنون من الوصول إليه و أن يحجب العقول من التوصل إليه و من جملة أسماء الحق ﷻ أنه الولي الحميد.

فالولـــي مـــن أسماء الله ﷻكما وأن الحكيم و الخالق و الرازق أيضا و علـــيه فلابد من ولي يكون مظهرا للولاية و الهيمنة و السلطان الإلهي على وجه

الأرض لتـــتحقق الولايـــة و يتحقق الاسم الإلهي على وجه الأرض ببسط الولاية لـــيكون مظهـــرا للولاية المطلقة على وجه الأرض تحقيقا لأسمائه تعالى في عالم الشهادة قبل عالم الغيب و إن كان الظهور في عالم الغيب أجلى .

فالمـــتقدمون مـــن الأنبياء و الأوصياء و إن كانوا أولياء و مظاهر لإسم الولي لكنهم ما كانوا مظاهر للولاية ببسطها و نشرها وبيان عظمها و هيمنتها على وجـــه الأرض و عليه فلابد من ولي أعظم يكون مظهرا لهذا الاسم الإلهي و هو اســـم الولي حتى يظهر الله ﷻ باسم الولي على وجه الأرض و تظهر ولايته بآية كبرى و هو الحجة (عج).

و يكون الحجة وليا أي مظهرا من مظاهر اسم الولي بولاية مطلقة عامة مهيمـــنة على العالم تماما لتتم مظاهر الأسماء الإلهية على وجه الأرض كما و أنه لابـــد لبقية الأسماء أيضا من ظهور كالملك و المربي و السلام و المهيمن و هي ستتم جميعا بذلك الولي الأعظم كما و أنها تظهر يوم القيامة بظهورها التام المطلق لتكون هذه الأسماء بعظمها ظاهرة لكافة الخلائق بارها و فاجرها.

و بالجملة فالله ﷻ هو السلام و المهيمن و الملك و هذه الأسماء لابد لها مـــن مظهـــر يكون آية و علامة دالة عليها بنحو إطلاقي و ما مر من الأنبياء و الأوصـــياء مـــا جعلهم الله ﷻ لحكمة ، مظاهر تمام هذه الأسماء لأن الحكمة من ظهورها بنحو الإطلاق إنما هي في أواخر أيام الدنيا لتتميم مقاديره تعالى و تحقيق الغايـــة التي من أجلها خلق الله ﷻ الجن و الإنس على وجه الأرض و هي أنه تعالى جعل الدنيا دار اختبار و اختيار و إن كان الرسول ﷺ هو الولي بإطلاق الكلمـــة لكن لحكمة و مصلحة أراد الله ﷻ أن يكون كل ولي مظهرا من مظاهره على وجه الأرض فرسول الله ﷺ هو مظهر النور و العلم الإلهي بإطلاق الكلمة

و إذا قـــيل لابـــد مـــن ظهور هذه الأسماء فظهورها لابد و أن يكون بوجود عدل مظهرا للعدل الإلهي لأن الله ﷻهو العدل لتعتدل به موازين الأمور.

فـــإذاً المـــنقذ البشري يكون مظهرا لهذه الأسماء أي يكون مظهرا لاسم الولي و السلام و المهيمن و العدل كما و أن هذا الشيء المعيّن كالحجر مثلا كان آية على الخالق و المدبر ...

فلابد من اسم يكون مظهرا تاما جامعا للأسماء و الصفات الإلهية لتكون بـــه مظهرية الأسماء و الصفات الإلهية على وجه الأرض لتتم الأسماء على وجه الأرض جمـــالا و جـــلالا ثم تتم في عالم البرزخ بمظهر أشد و في عالم القيامة بمظهرية هي أشد منهما ويكون المجلى لها هو رسول الله ﷺ .

هكذا يتمم الله ﷻمظاهر أسمائه لخلقه في جميع العوالم في مسيرة الكمال بعد القيامة بما يناسب كل عالم من العوالم وهذا الأمر من ضروريات العرفان بل مـــن ضـــروريات العقل و الدين لذوي الألباب و البصيرة و إن كان بتمام الخفاء للمحجوبيـــن بحجـــب العناد و حضارات الجاهلية ، طهرنا الله و إياكم من حجب الظلمات .

فـــإذاً العرفاء متفقون جميعا على أنه لابد من ولي و أن عدم القول بالولي تعطـــيل للأسماء الإلهية و لا يعقل أن تعطل الأسماء الإلهية بدون مظاهرها على وجـــه الأرض لـــيكون الآيـــة الكبرى للرشاد و الهداية و لتتم به مظاهر الأسماء كالولي و السلام و المهيمن و ما شاكل هذه الأسماء جمالا و جلالا .

و قد قال العرفاء في حق الرسول الأعظم ﷺ أنه المظهر الجامع للأسماء بقممهـــا في عالم الإمكان، فمن أراد أن يرى ظهور العلم الإلهي في عالم الإمكان وجـــده فـــي رسول الله ﷺفالرسول هو مظهر الأسماء و الصفات الإلهية جميعا فهـــو مظهـــر العلـــم و القدرة و العدل و مظهر جميع ما هو من شأن الأسماء و

الصفات الإلهية في عالم الإمكان طرا فهو إمام الأئمة و الشفيع الأعظم فهو معجزة عـــالم الإمكان و الحجة المنتظر الذي يطبّق العدل على وجه الأرض أيضا مظهر للأســـماء و الصفات لأنها لابد و أن تظهر بما يناسب الأرض و لابد و أن تظهر بما يناسب عالم البرزخ و القيامة و الجنان .

☆ إنتظار الفرج

هـــناك كـــلام بالنسبة إلى مسألة إنتظار الفرج و قد أورد علينا الكثير من أبناء العامة و الجماعة على أن الاعتقاد بإمام مستور غائب عن الأنظار و إنتظار العـــدل بواسطته يسوقكم إلى الذل و الهوان لأنكم دائما تنتظرون من يدافع عنكم و مـــن يخـــرجكم من هوانكم و ذُلكم إلى العز و الكمال و في الحقيقة اعتقادكم هذا يعطـــل الكثـــير من نواميس الشريعة فلا يدفعكم إلى أمر بمعروف و لا نهي عن مـــنكر و لا يدفعكم إلى مقابلة الظالمين لأنكم تعتقدون أنه لا مقيم للحق و لا مقيم للعـــدل إلا هـــو فأنتم تعيشون اليأس والكآبة و تعيشون السلبيات في حياتكم و ما جاءت الشريعة بمثل هذه السلبيات.

فإنـــتظار الفرج استسلام للمذلة فهو مجموعة سلبيات ساقتكم إلى الذل و الهوان على طول التاريخ و لذا تقدم عليكم الناس و تسلّط عليكم الكثير من الأمم و أنـــتم بعد باقون تنتظرون الفرج فلا ناهي عن منكر و لا آمر بمعروف و لا مقدم

على إزالة ظلم و ما شاكل هذه الأمور، فكل هذا نشأ من إنتظاركم للفرج الذي نشأ من اعتقادكم بالمنقذ.

أرجـــو الـــتوجه إلى أمر هام فإن كل إنسان بما له من النفسية و العقلية و العلمـــية يـــتعامل مع الأشياء طبقا لتلك النفسية والعقلية ، فرب إنسان يتعامل مع الحية السامة معاملة إيجابية فيستفيد من سمها لعلاج أو غير ذلك و آخر ربما راح ليتضـــرر مـــن العسل المفيد أو من الصلاة التي هي قوام الدين لأنها كانت صلاة نفـــاق أو ريـــاء و هـــذا هو الفارق بين المقامين لاختلاف النفوس بما تحمل من الجوانـــب الإيجابية و السلبية فالماء الذي به قوام الحياة ربما راح ليتجاوز إنسان الحدود في شربه فيصبح من الأمور الضارة في حقه.

و بعد هذه المقدمة نتكلم مع القوم فنقول: الشيعي يحس بمراقبة مستمرة من اللهﷻ و ملائكته و إمام يشاهد و يطالع الأمور فإن هذا يدفعه إلى الجد و الصواب فـــيرى مراقـــبة من الحق تعالى و يرى مراقبة من الملائكة و من إمام معصوم يعايشـــه و لعله يعيش معه لحظات و هو لا يعرفه فهذه ليست بسلبيات و إنما هي إيجابـــيات تدفـــع الإنســـان إلى الثبات و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الإبتعاد عن الظلمة و السلاطين .

لكن لعل ساخرا يقول كما هو ديدن البعض بأن مراقبة الله ﷻ كافية و لا يحـــتاج الإنســـان إلـــى الإحساس بمراقبة وراء مراقبة الحق تعالى فنقول لولا أن مراقبة غير الحق حين الاعتقاد بها أو شهودها تؤثر في النفوس لما أخبرنا الله ﷻ بمراقـــبة الملائكة بل و بشهود أيدينا و أرجلنا يوم القيامة و لما كان الإنسان أكثر إتزانا و حذرا حين يعيش مع من يحترمه من الأباء و المؤمنين و إن كان في نفسه هو من المؤمنين المعتقدين بالله و بيوم الحساب.

ثانـــيا أقول: إنما اختلفت الأمة الإسلامية في مسألة المنقذ البشري في أمر واحد و هو أنه مولود كما تقول الشيعة أو أنه سيولد كما تقول العامة و ما أنكر من العامـــة أصل مسألة المنقذ إلا جاهل لم يعرف من كتب علمائه موضع سطرين أو عـــالم بمواطـــن النصوص و أنها متواترة لا محل لإنكارها لكن العناد يسوقه إلى الإنكـــار لأنه من النواصب لآل محمد ﷺ و الأول يعتبر من المستضعفين و ما أكثرهم بين السواد الأعظم.

فـــبعد هـــذا نعود إلى صلب الموضوع فنقول :لا ندري لم لا يكون مهزلة إنـــتظار الفرج الإلهي بواسطة منقذ بشري سيولد و هو ما اتفقت عليه آراء العامة إلا مـــن الشـــذاذ من أهل العصبية و العناد ولم لا يدعو ذلك إلى ما تقدم ذكره من الســـلبيات و لكـــن إذا كان مولودا يدعوا إلى مثل هذه الأمور و إن كان الجواب واضـــحا لـــدى كـــل بعيد عن روح العصبيات ،اللهم أبعدنا عن النظر إلى حقائق الأمور من وراء مثل هذه الحجب.

و ثالـــثا: أكبر دليل على أن إنتظار الفرج ما ساق الشيعة إلى المذلة ،فإنه مـــن الواضح لدى كل من له بعض الخبرة في التاريخ أن الرجال الذين ثبتوا ضد الظلـــم و الجور في مقابل كل ماكر و كل مخادع و كان يعبر عنهم طيلة القرون بكفة المعارضة للسلاطين و الحكام هم الشيعة في مقابل من وصلت بهم الحالة إلى أن قـــال قائلهم إذا دعى الإنسان العادل إلى الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ضد إمام جائر فاسق ظالم كان ذلك العادل باغيا و على الناس أن ينصروا إمامهم الجائر ضد ذلك العادل الآمر بالمعروف .

و بمـــثل هذه التعابير الداعية إلى الذل و الهوان و فتح الأبواب أمام كل جـــريمة يرتكبها الحكام باسم الدين قد ملئت كتب القوم ،أجل هكذا وصلت الأمور

مـــن قـــبل بعـــض علماء العامة خدمة للسلاطين جاعلين الأمة تقاد كالغنم بأيدي رعاتها.

أقـــول:إن تركنا الإمامة و العصمة و جئنا نساير القوم لا نتمكن أن نجعل الجهـــال أو الجـــناة الجائرين خلفاء للأنبياء و قد قبل العامة هؤلاء طيلة القرون خلفاء لرسول الله ﷺو سموهم بولاة الأمر و دعوا الناس إلى طاعتهم فلا أدري أي الفريقيـــن أولى بالدعوة إلى الذل و الهوان و لم يسألوا يوما من الأيام هل أن خليفـــتهم عالم أو جاهل بالشريعة ليكون مطبقا لها و ما سألوا يوما من الأيام أن المتسلط باسم الدين أهو عادل أم لا.

فنحن إن قلنا بعصمة بعد الأنبياء لولاة الأمر لتحفظ الشريعة من الزيادة و النقصـــان علـــى أيدي أثني عشر نقيب لتصبح عندها حضارة للأمة ثم يأتي دور العلمـــاء بعد ذلك بشرائط الورع و التقوى لكن من المؤسف أن يقبل العامة ولاية كـــل من هب و دب حتى وصل أمر الخلافة إلى أمثال يزيد بن معاوية والمتوكل العباســـي تاركين حتى اشتراط العلم و التقوى فنسوا كل المقاييس و أنه لا طاعة لمخلـــوق فـــي معصية الخالق فدعوا الناس إلى الاستسلام إلى كل ظالم جائر تبعا لهدي وعاظ السلاطين و قبلوا أن يكون شربة الخمور ولاة بل و أمراء للمؤمنين.

فإذن قولهم إن إنتظار الفرج يسوق الإنسان إلى المهانة و المذلة كلام ليس في محله لأن الشيعة على طول التاريخ هم الذين قاوموا الظلم و الإجرام و قدموا سيلا من الشهداء في دروب الحرية و الجهاد كأمثال الحسين ابن علي عليه السلام وحجر بن عدي الكندي و غيرهما من عظماء العلم و الدين كثير.

ومـــا وجدنا إنتظار الفرج كان مذلة واستسلاما للطغاة و الجبابرة بل كان الأمر بالعكس و ذلك مشهود لمن أنصف من نفسه وراجع فتاوى الكثير من علماء العامـــة الداعية إلى الاستسلام إلى كل حاكم و نحن بعد الأئمة المعصومين عليهم السلام

إشترطنا علما و فقاهة و عدالة للقيادة الإسلامية و أن يكون الحاكم بعد ذلك لا يبت بأمر إلا بعد مشورة أهل الخبرة و بمجرد أن يخرج عن موازين العدل أو لم يكن عالما لا قيمة لكلامه و تسقط ولايته .

☆ مسألة طول العمر

من الشبه التي أوردها القوم في المقام مسألة طول العمر حتى قال قائلهم أن الشـــيعة أو الـــروافض يـــتكلمون ما يخالف العقل فأخذ المتكلم منهم يتكلم بلهجة الســـخرية على الشيعة قائلا: إنهم ينتظرون أوهاما و يدّعون أمرا يوجب الهزل و الضحك حيث يقول الشيعة بوجود إمام تجاوز عمره القرون و هذا مما ينافي العقل فهو باطل وإنه لو وجد مثل ذلك في الشريعة لوجب تأويله كما لو ورد أن الله ﷻ يـــوم القـــيامة يُرى لوجب علينا أن نؤول ذلك بالرؤية المعنوية لا بالرؤية الحسية بالعينيين فهكذا قالوا في حقنا لو نفرض أن الشيعة لهم أدلة تدل على وجود إمام و حجـــة موجـــود فمعناه أنه سيوجد بعد ذلك و سيولد أما القول بوجوده و أن عمره طويـــل و يستمر فهذا كلام يخالف العقل و ما خالف العقل كان باطلاً إن صدقناهم في دعواهم بوجود أحاديث على ذلك لأنها تخالف العقل.

أرجو التوجه أيها الأخوة الكرام حتى إذا تكلمنا نتكلم بموازين العلم و العقل فـــإن الكثير من أبناء العامة و الجماعة جاءوا ليوردا على الشيعة نقدا اعتقدوا أنه مـــن أهـــم الإشكالات العقلية التي ترد على مذهب التشيع و راحوا ليشنعوا على الإمامية أنهم خرجوا عن مسلك العقل.

لكـــن نريد أن نتساءل هاهنا هل أن دعوى استمرار العمر و كون الإنسان يعيش طويلا هي من الأمور المخالفة للعقل أم ليست مخالفة للعقل ، فمثلا إجتماع النقيضـــين خـــلاف العقـــل فالنقيضـــان كالوجود و العدم ، كالسلب و الإيجاب لا يجتمعان و لا يرتفعان و ما كان مناقضا للعقل لا يجوز لعاقل أن يتكلم به لأنه لا يعقل و لا يقبل التخصيص و التقييد لأن التخصيص يأتي في ما كان أمرا شرعيا أو أمرا اعتباريا.

فيمكن أن يقول القائل يجب على الإنسان أن يصوم إلا إذا كان مسافرا ، و يجـــب على الإنسان أن يصلي من قيام إلا إذا كان مريضا أما أحكام العقل فليست قابلـــة للتخصـــيص فنسأل القوم هاهنا هل أن القول بطول العمر مئات السنين أو آلاف السنين هو من هذا القبيل ؟أي هل هو كاجتماع النقيضين و الضدين و الدور و التسلســـل أو هو كما ورد من القول بمشاهدة الله ﷻ يوم القيامة الذي يستدعي التجســـيم حتى يحتاج إلى تأويل الظاهر بما يناسب العقل ليكون القول بطول عمر إمام غائب من هذا القبيل حتى يكون مخالفا للعقل ؟

فكـــأن المـــتكلم فـــي المقـــام و هو يدعي ما يدعي من العلم و المعرفة و الشـــهادات العالية لم يقرأ سطرين من الفلسفة حينما قال ما تقوله الشيعة في طول عمر إمامهم يخالف العقل .

أجـــل كأنه ما عرف العقل و لا عرف مقاييسه فلا ندري أي عقل يريد أن يـــتكلم عـــنه ؟ أهـــو عقل فلسفي كعدم اجتماع النقيضين و الضدين و عدم إمكان مشاهدة الحق تعالى بالبصر حتى و لو دل دليل بظهوره على أن الناس تنظر إلى الله ﷻ يـــوم القـــيامة لوجب أن نفسره بما يمكن أن يكون متطابقا مع العقل لأنه يستلزم التجسيم بالنسبة إلى الله ﷻ.

فهل نحن تكلمنا هكذا حتى يورد علينا فضيلة الأستاذ بمخالفة العقل ؟ لكن لعـــل الـــرجل لم يقرأ من الفلسفة و الحكمة حتى سطرين و عندها فيجب عليه أن يتتلمذ على يد العلماء في محاضر العلم و الفلسفة أو عند العقلاء حتى يتكلم بأدب بعد المعرفة و يطرح البحوث العقلية و يرد المخالف لها و إن كان ليس أهلا كيف جوز لنفسه أن ينقد بالعقل ما ليس بأمر عقلي و لا أظن أن عارفا يقول: إن القول بطـــول عمـــر إنسان من مناقضات العقل فإن كان لا يعرف موازين العقل نسأله ســـؤالا ثانـــيا لعلك أيها الأستاذ المكرم ما أردت مناقضة العقل بمعنى كون القول هاهـــنا كاجتماع النقيضين و الضدين و مشاهدة الحق تعالى بالبصر الذي يستدعي التجسيم بل أردت أمرا آخر.

فنسألك هل تريد أن تقول إن الله ﷻ لا يمكن أن يبقي إنسانا آلاف السنين؟ فإن أردت ذلك عندئذ نسألك سؤالين آخرين السؤال الأول :إن كنت لم تعرف معنى عمـــوم القـــدرة الإلهـــية بالنسبة إلى كل ممكن طلبنا منك أن تذهب لتعرف معنى الإمكـــان و معـــنى عموم القدرة الإلهية بالحضور فترة من الزمن عند الأساتذة الإلهيين لتعرف التوحيد و مستلزماته حتى تتكلم بأدب عرفان الموحدين.

فإن عرفت معنى عموم القدرة الإلهية أي أن الله ﷻ قادر على كل ممكن و طـــول العمر من الممكنات أرشدك أهل المعرفة في ميادين التوحيد لأمر آخر و هـــو مـــا لو كنت تخلط بين الممكنات و الممتنعات ليعطوك موازين التمييز بينهما حتى تستريح و تريح لكي لا تدخل في ميادين العلم و أنت حاسر أعزل لأن طول العمـــر مـــن الممكـــنات و ليس من الممتنعات فأي مانع لو شاءت الإرادة الإلهية لمصـــلحة أن تبقي إنسانا آلاف السنين و قد دلت الأدلة على إبقاء عدو الله تعالى و هـــو إبليس فضلا عن أولياءه إن لم تدل على طول عمر الخضر و عيسى عليهما السلام أيضا.

و بالجملة إن تكلمت من حيث الإمكان لترددك في معنى الإمكان و موارد انطباقه لقلنا لك أن المسألة من الممكنات و ليست من الممتنعات إن كنت تخلط بين الممكـــن و الممتـــنع و كان عليك أن تبذل الجهد لتعرف مواطن الامتناع كاجتماع النقيضـــين و مواطـــن الإمكـــان حتى لا يقع عندك الخلط بين الممكن و الممتنع فتتصـــور أن القول بطول عمر إنسان من الممتنعات و لعلك عرفته من الممكنات لكنك ترددت في عموم القدرة الإلهية فيكون البحث معك بحثا توحيديا و نطلب منك رفقـــا بحـــالك في هذا الحال أن ترجع قبل أن تأتي إلى الفروع لتجادل فيها لفتل العضلات بدوافع الأحقاد أن تتوجه إلى أهل المعرفة في المسائل التوحيدية فإنهم لم يبخلوا عليك و لا على غيرك من الجهال في مثل هذه الأمور ببعض فيض علومهم قربة لله تعالى .

و إن كانـــت مسألة طول العمر لها العديد من النظائر في خلق الله ﷻ و ما وقع خارجا لا يجري فيه بحث الإمكان و قد وقع بالنسبة لعباد الله الصالحين كنوح عليه السلام و بالنسبة إلى عدو الله إبليس أيضا حتى تعرف الحق ﷻ بعموم قدرته ومن بعـــد أن تكون موحدا على سبيل الرسالة السماوية لرسول الله ﷺ و تعرف عموم القدرة و تعرف التوحيد نتكلم معك بعد ذلك.

فنقول لك بأن طول العمر من الممكنات و أن عموم القدرة الإلهية نافذة في كل ممكن و ليس هذا من الممتنعات لكنك قد تقول ليس كل ممكن واقع بمعنى أن طـــول العمر و إن كان من الممكنات و عموم القدرة تكون شاملة لكل ممكن لكن لـــيس كل ممكن متحققا في الخارج فعندها تمشينا معك تمشيا رساليا في كتاب الله

المجيد لأنك قد لا تكون مرت عليك آية تتكلم عن نوح عليه السلام حيث قال تعالى ﴿ **و لقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما**﴾[2] .

فهـــذا القران إن كنت تعايش القران يصرح بكل صراحة من القول أن أيام دعوتـــه كانت ألف سنة إلا خمسين عاما و أما ما هو عمره الشريف قبل الدعوة و مـــا هو بقائه بعد الطوفان فمسألة مسكوت عنها فلعلها كانت آلاف السنين أو لعلها مـــئات السنين فكيف تعجبت من مقالتنا حينما قلنا على أن هناك إماما لمصلحة من المصـــالح ســـتره الله ﷻ عن الخلائق فهم لا يعرفونه حتى و لو شاهدوه لوجود المـــانع من قبل المجتمع لا يظهر حتى تستعد الأرضية للظهور و تلبي المجتمعات البشرية بقلوب صادقة حقيقة الإسلام عندما تهتدي إلى الصراط المستقيم.

فـــإن كنـــت تظن أن مثل هذه المقالة منا تتنافى مع الشريعة فهذا كتاب الله ﷻ موجـــود يـــدل و يتكلم بصراحة من القول بطول عمر نبي من الأنبياء إلا أن تنفي للعناد حتى كتاب الله المجيد و تقول : ما قاله الله ﷻ من طول العمر لا يعقل و عندها فالإعراض عنك في المقال أجدر بالعقل و العقلاء .

و أما إن كنت مؤرخا تكلمنا معك كلام المؤرخين فها هي الكتب موجودة و مملـــوءة تـــتحدث عن كثير من الناس الذين عاشوا عمرا طويلا حيث تقول فلان عاش ٧٠٠سنة و فلان عاش ٩٠٠سنة و فلان عاش ٣٠٠سنة و قد مر عليك أيضا إن كنت متتبعا للأحاديث أن الكثير من الأخبار دلت على المعمرين من الناس و إذا كان من الممكن أن يعمر فلان ٧٠٠سنة و الآخر ٨٠٠سنة و القران دل على ذلك فلـــو قلـــنا: إن إمامنا موجود و عمره كذا سنة فلا أدري لم يكون ذلك من مواطن الســـخرية؟ فاليكن أمرا معقولا في المقام ما دام لا يناقض العقل و ما دامت الكتب

---

[2] : العنكبوت ١٤

السماوية قد دلت على العمر الطويل لنوح عليه السلام و ما دامت الأخبار دلت على طول عمر الكثير من المتقدمين.

و إن جئـــت لتتكلم معنا كلاما عصريا لقلنا لك أنه قد دل العلم على قابلية بقاء الخلايا آلاف السنين لو لا عروض العارض و المانع من البقاء لخروج الخلايا من الاعتدال بإفراط أو تفريط و عدم إنتظام لشؤون الصحة من قبل أنفسنا أو بما يحمّلـــنا الآخرون عليه من الأمور و عندها فأي مانع أن يكون ولي من أولياء الله سبحانه و تعالى عرّفه مواطن الاعتدال و الصحة فراح يعيش العمر الطويل لمعارفه الإلهية و لما يمتلك من الابتعاد عن الإفراط و التفريط لاعتدال في جسم و عقل و سلامة في نفس.

ثـــم نسألك أيها الأستاذ الكريم و من شاكلك من الحاقدين لآل محمد صلى الله عليه و آله و سلم حينما جئت تهاجم الشيعة ساخرا يا ليتك تكلمت ناقدا أو مستفهما لنقول لك لا ندري أن القول بطول العمر بما هو كان مهزلة و سخرية أم لأن الشيعة تكلموا به صار سخرية و هذه كتبكم مملوءة بطول عمر البعض كالخضر و عيسى عليهما السلام و الكثير من أعاظم الخلق و هذه النصرانية تنتظر عيسى عليه السلام أو تنتظر منقذا و المسلمون أكـــثرهم يعتقدون ببقاء الخضر عليه السلام و بقاء عيسى عليه السلام فلماذا لم تسخر من هؤلاء الذين قالوا بمقالتنا و اختلفوا بالمصداق معنا فقط.

و إذا كـــان ذلك هزلا و خروجا عن موازين الشرع و العقل فلم نكن نحن الشـــيعة متوحديـــن متفردين في هذا المقال بعد قول الكثير من أكابر علماء السنة بذلـــك في بعض الأفراد و لو في مثل الخضر عليه السلام أو بعض الصلحاء لمصالح لا نعلمهـــا ، فلِـــم لا تنقد أيها الأستاذ الكريم القوم و لم تسخر منهم حينما قالوا بهذه المقالة .

هذا في أولياء الله و هناك من هو من أعداء الله أيضا كإبليس كان قبل آدم و هو باق ليومنا هذا و إلى يوم يبعثون فلماذا لم تر هذا سخرية و تخاطب الحق ﷻ قائلا يا إلهي لمَ أصبحت تتكلم على خلاف المعقول.

لكـــن ليس هؤلاء الساخرون أول من سخر من المؤمنين طيلة القرون فقد اعتادت ساحة المؤمنين على أمثالهم من الساخرين .

فـــنقول لأمـــثالهم في المقام إن تنازعنا معكم في حقانية علي لم نتنازع في كونـــه عالما أو ليس بعالم و لم نتنازع في كونه عادلا أو ليس بعادل فإنه لم يتردد مـــنكم متردد في كونه من أعاظم المسلمين و من أكابر علماء الدين قد رجع إليه الأول و الثاني في كثير من أمورهم.

و لـــم نتـــنازع معكم في علم علي أو في تقواه أو في عدالته و إنما النزاع معكم في كونه خليفة لرسول الله و أن القوم تجاوزوا الحدود فاغتصبوا الخلافة و كانوا من المنقلبين على الأعقاب حينما تركوا وصي رسول الله ﷺ.

و لـــم نتنازع معكم يوما في غير هذه الموارد إلا مع من كان خارجا عن كـــل الموازيـــن ســـاحقا كل القيم تحت قدميه حيث راح ليقول إن عليا كان يدخل المسجد جُنُبا و نحن لا نتكلم مع من خرج عن الموازين لأنّا نستقبح على أنفسنا أن ننتزل إلى هذا الحضيض حيث الخروج من مقاييس الشرع و أدلته .

و كذلـــك ما تنازعنا يوما معكم أن الحسين أو الباقر أو الصادق هل هم من علماء المسلمين أو ليسوا من علماء المسلمين فأنا و أنتم متفقون على أن هؤلاء من أعـــاظم العلماء ولا يتمكن أحد أن يتكلم و يقول على أن الحسن عليه السلام كان عالما أو لـــيس بعـــالم كـــان عادلا أو ليس بعادل و قد أصبح الآن الإمام الصادق مفخرة إسلامية تفتخر به البشرية كافة و أنتم تفتخرون به اليوم من بعد ما كشفته لكم كتب الغرب.

فـــإن كان بعض المتقدمين مستضعفا أو متعصبا ما شاهد الحقائق لتراكم الحجـــب و تقديـــس الـــرجال بدلا من تقديس شرع رسول الله ﷺلكن اليوم هذه المســـائل تجاوزناها مع بعض المثقفين المتطلعين إلى الواقع بدلا من الموروث و بقي النزاع في العصمة أو في النيابة عن رسول الله ﷺ.

و لـــم نتنازع في كون هؤلاء الأجلاء من آل بيت رسول الله ﷺعلماء أو ليسوا بعلماء ، و أنهم عدول و أخيار أو ليسوا بعدول و أخيار ، فنسألكم بعد ذلك إن كانت الكلمات تقبل من أمثال أبي هريرة و تقبل من فلان اليهودي و الذي دخل إلـــى الإسلام و أصبح من مقربي أمراء المؤمنين و من أهل مشورته و إن كانت الكلمـــات تقبل من زيد و عمرو فلم لا تقبل من أعاظم علماء المسلمين و قد دلت أخبارهم و كلماتهم على وجود منقذ بشري من آل محمد و أنه موجود .

و أنـــتم إتفقتم معنا في أمرين الأمر الأول ما دلت عليه الأخبار بثلاثة آلاف حديـــث بـــل قيل بستة آلاف حديث على مجيء منقذ من آل محمد ﷺو أنه من ذريـــة فاطمة عليها السلامأو علي عليه السلامأو أنه من ذرية محمد ﷺأو أنه من ذرية الإمام زيـــن العابدين على اختلاف الروايات لكن الروايات تجاوزت الحدود حتى أصبح ضرورة إسلامية في أصل مضمونها حتى قال بن حجر من أنكرها كان كافرا فهذه الـــنقطة الأولى اتفقنا معكم عليها و رواياتكم تقول أن المنقذ و المنتظر و المهدي الذي يهدي به الله ﷻ البشرية طرا هو من آل محمد ﷺ.

و أمـــا الـــنقطة الثانية التي اتفقنا معكم عليها فهي أن عليا من أكابر علماء المسلمين و عظمائهم و إن هذا ليس محلا لنزاع كما و أنه لم نتنازع مع منصفكم أيضا في بقية آل محمد من الحسن و الحسين و ...من أن هؤلاء من أعاظم علماء المســـلمين الذين يفتخر أبو حنيفة أنه تلميذ لأحدهم كالإمام الصادق عليه السلامو يفتخر الأول و الثاني بسؤالهما و أخذهما الأحكام و المعارف من علي عليه السلام.

و هـــناك قـــاعدة أصولية شرعية متفق عليها في المقام و هي أن كل خبر مطلـــق إن جاء المخصص كان مقيدا له و عندها أرجو التوجه إلى مواطن تطبيق القاعدة الأصولية في المقام فنقول هناك أخبار تقول على أن الإنسان إذا أفطر في شهر رمضان يجب عليه أن يعتق رقبة ثم تأتي أخبار أخر تقول رقبة مؤمنة فنقول إن الخـــبر الثاني يكون مقيدا للخبر الأول فنحمل الرقبة بما هي رقبة على الرقبة المؤمـــنة و إن أخبار المسلمين و أغلبها منكم تقول على أن المنقذ البشري من آل محمد ﷺ وهذا لم نختلف فيه.

و الأمر الثاني الذي لم نختلف فيه أيضا هو أن الأئمة من أهل البيت عليهم السلام و إن لـــم تقولوا بعصمتهم لكنكم قلتم بعدلهم و علمهم قد وردت عنهم الأخبار على أن المـــنقذ البشـــري مولود حجبه الله ﷻ عن الناس لحكمة لا يعرفها إلا الله ﷻ فـــتكون هـــذه الأخـــبار مقـــيدة أو مخصصة للأخبار المطلقة أو العامة فلِمَ قبلتم تخصيصـــا من أبي هريرة و قبلتم تخصيصا و تقييدا حتى من بعض اليهود الذين دخلوا في الإسلام و لم تقبلوا من أكابر المسلين تقييدا و لا تخصيصا أعصبية في المقام أم جهلا بالموازين ؟ و الحمد لله رب العالمين .

نغم

لسكينة النفس

مولد الأمير عليه السلام

يا مولد الفجر قد هبت تناغينا لذكر مجدك اطياف و تعلينا

نبيت من طرب نصبوا إلى قمم لولا سناءك ما كانت تدانينا

نُغرد اليوم من ذكراك يا علما عمَّ البرية أنغاماً براهينا

لولا ولائك أضحت دارنا ضنكا صفراً من الحق أوهاما عناوينا

فأنت يا كعبة الأبرار معجزة تهدي إلى الرشد إن غامت لياليـنا

في كفك المجد يا رمز العُلى قدما وفي سناءك ما يعشي الشياطينا

إنا سنبقى على عهدِ الولاء وإن طال الزمان وبات الجور يتفينا

لم نخش يوما دعاة المكر قاطبة وإن توالت سهام الغدر ترمينا

إنا عجِنّا بحب المرتضىٰ ومن يرقى إلى المجد لا يبغي المضلينا

إنا عجِنّا بحب الحق حيدرة مَن حُبُّه نغم في الحشر ينجينا

يا ساقيا أممـا يوم الرشاد غدا اعطف على سفط العشاق وارونا

يا ساقيا كأس خلد لا يُباح به ... إلا لمغترب عاش النوى دينا

فذاق من وله طعم الصبا ألما ... يعالج النفس بالآهات تسكينا

يخاله المرء من وجد ألمَّ به ... من عصبة للهوى باتوا مجانينا

قد جُنّ من حُبّ طود لا يقاس به ... في العالمين نبي غير هادينا

إنّا علقنا بسوح الغيب منعطفا ... للشمس ينشرُنا طورا ويطوينا

وراح في نغم العشاق يجمعنا ... وجد الصبابة عشاقا لساقينا

فكيف ينكر من لولاه ما كملت ... للحق آيٌ وما كانت موازينا

يا كعبة طافت الألباب حائرة ... تسعى لتسجد في أعتابها حينا

نالت لقرب من الأعتاب منزلة ... صارت لمجد العلى فيها سلاطينا

فأنقذت أمما من تيه مهزلة ... حيكت لتُصبح أبواباً دكاكينا

* * *

يا مولد الفجر قد أمرست مراسينا ... في قرب من إن عفو كانوا شياطينا

عشنا نردد مجدا في ظلام دجى ... وهل سيسعد من رجواه تنينا

لم ندر ماذا جرى أوبات منحدرا ... في مربع الحي يا لله ما فينا

إنا أناس أضـــعنا سرّ منهجـــنا فبات فيـــنا الهـــوى يروي أمانيـــنا
قســـنا بديـــنك حتـــى قال قائلنا إن لم نجـــد فقياس الصحب يكفينا
ومراح يعـــبد أربابا مقدســـة من الرجـــال عـديد من مضـــلينا
لا نعرف الحـــق إلا عن سماســـرة باعـوا الحقيقة زهـــادا وباكـــينا
كأنما الحـــق لا آي تبـــوح به ولا هـــداة له من آل ياسيـــنا
إن القداســـة في حق وفي سـور لا في مقـــالة وعـــاظٍ ومغـــوينا
قد بات ديـــنك يا خير الورى غرضا للطـــامعين بغـــاةً أو مداجيـــنا

* * *

يا مولد الفجـــر قد دامت لياليـــنا وجـــفّ دمـــع تجـــارى من مآقينا
بتـــنا نحدث عن مجـــد نصـــول به في مـــربع الوهـــم أبطالا ميامينا
في كل يوم لنا من دهرنا خطـــر يصـــارع النفس من حـــينٍ إلى حينا
نـــخادع النفـــس فيما كان منقصة بأنـــه قـــد تـــوالى من أعاديـــنا
مشتـــتين كأن الجهـــل مسلكنا والنقـــد مطعـــمنا والتيـــه يروينا
أنرى بنا الدهـــر أم ضاعت لنا قيـم بكـــف طاغيـــة قد بات يهـــدينا

فراح طيش الهوى والبغي يحكمنا ونحن في دارنا بتنا مساكينا

* * *

يا مولد الفجر قد طاشت مرامينا وبات يحكم فينا من يعادينا

سالت على سفح الأعتاب أنفسنا من بعد ما هجرت ما كان يؤوينا

مثل الجراد إذا ما طار طائرنا يحطّ بالصين طوراً أو بصفينا

لم ندر ماذا يحاك اليوم من شرر ندنوا إليه بجهل أو يدانينا

عودي أيا أمة الهادي إلى رشد قد ضاع في وجه جهال مصلينا

أو ضيعته أناشيد لمرتزق في أعين الناس أسفاراً براهينا

واستخلصي الدين من أيد تعوث به ترعى المصالح لا ترعى الموازينا

قد فسرت لهوى ما كان من حكم تبغي الضلالة في حالٍ وماضينا

أضحت على مهج الأوطان تخلفنا كواسرٌ للردى تُهدي القرابينا

هم للأباعد مرق في مساكنهم وعند أهليهموا باتوا سراحينا

إني تركت ديارا أصبحت وطنا للبؤس من بعد ما كانت تحيينا

تركت فيها الأيامى عند مقبرة تحن باكية فقد المحبينا

* * *

يا مولد الفجـــر قد طابت قوافيـــنا في مدح خائنـــة كـــــذبا تغنينا
تبدي مظـــاهر حسن في مضاجعها حتى إذا ما طرنا السُـــم تســـقينا
وإن تحـــدّر فوق الخـــد مدمعـــنا راحـــت تشاطـــرنا دمعا لتغوينا
يا دمعة قد جرت من عين ماكرة كفي عن الغدر قد جفّت مراعينا
كـــفي أيا دمعـــة التمساح من دنس أباد من أمـــــة الهـــــادي ملايينـــا
كفي فما بات في داري ولا وطني نجـــم يؤانـــسني من بعد أهليـــــنا
كـــم قد سحقتي بنار الحقد من عمد كانت مـــحافله امنا و تسكينا
كـــنا إذا ما قضينا الليل في سهر أنغـــام ودٍ له تطـــفي براكينا
كنّا نعيش غرام الوصل في كنف مرُشـــت مقاعـــده عطرا مرياحينا
كفي أيا نفـــس من عتب على زمن أعلامه صحف في كـــف هاوينا
يســـعون من أجل أن ترضـــى جبابرة نحـــو الدنيـــة مركـــبانا و ماشينا
إن قال ذو الكـــرم المأمـــول قولتـــه قالـــوا له قلت حـــقا في نواديـــنا
وإن صغـــى لـحديث عندهـــم طربا صاغـــوا له من عظيـــم القول تلحينا

محـــمد كاظـــم الخاقاني

المحاضرة الثالثة

لا ظهور إلا بعد اليأس من كل داعية عدل

كذب الوقاتون ، لكن إنتظار الفرج من الإيمان و التفاؤل بالخير خير و علائم الظهور كثيرة ربما رآها المؤمنون في كل زمان و عصر متجلية لسلطان الظلم و الجور على وجه الأرض طيلة القرون و بالأخص باسم الدين منذ قبض الله ﷻ نبيه الأكرم إلى يومنا هذا حتى من كان من مظاهر تجليات الحق تعالى كعلي و الحسن عليهما السلام ما تمكنا من بسط شرع الله علما و عملا لرسوخ رواسب الجاهلية في أذهان الأمة الإسلامية و الأسماء لا تحقق المسميات و لو قيل لشخص خليفة أو عالم نحرير.

و من أهم هذه العلائم إن لم تكن أهمها على الإطلاق هي أنه لابد أن تحكم جميع الأمم على اختلاف مذاهبها و مسالكها دينية كانت أو غير دينية حتى لا تقول طائفة من الطوائف لو حكمنا لعدلنا كما تقول الروايات.

إذا لابد من مجيء منقذ بشري تقام به الحجة و تطبق بواسطته شرائع السماء و تخرج الأديان من الفرضية إلى واقع التطبيق من بعد ما تملأ الأرض جورا و ظلما و هذا مما اتفقت عليه كلمات المسلمين و ما أنكره إلا شرذمة من الجهال من أبناء العامة الذين لم يحيطوا علما بمصادر الأحاديث في مذاهبهم و لذا قال بعض أكابر علماء العامة : (**منكر المنقذ من آل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كافر لأنه ينكر ضرورة من ضروريات الدين)** .

نعـــم إذا ســـقطت جميع الأقنعة و انكشفت الوجوه لدى كافة الناس بواقع معالمها بلا أي حجاب و ستر بعد ما يحكم الجميع على اختلاف المذاهب يهودية و نصـــرانية و مســـلمة ســـنية و شـــيعية و يعيثوا في الأرض الفساد باسم الشرائع الســـماوية و يحكـــم أيضا من يدعي العدل و الحرية و الديمقراطية كالعلمانيين و غيرهم و من قد سقطت أنظمتهم و ثبت زيفهم من دعاة الاشتراكية و الشيوعية و ظهـــر أنهـــم جميعا لا يريدون إلا الوصول إلى مآربهم جاعلين الحرية شعارا و جســـرا للتســـلق إلـــى الكراسي و العروش فإنه من بعد ذلك يأتي زمن الظهور و تطهـــير الأرض بواقـــع العـــدل و الحق من دعاة الإصلاح الكاذبين حينما تيأس البشرية من كل منقذ و مدعي حق .

أجل نحن في زمن سقطت فيه الأقنعة لدى ذوي الرأي و ستسقط يوما بعد يـــوم أكثر فأكثر حتى و لو بقي لحد اليوم بعض الملثمين فإن أقنعتهم ستسقط عن قريب بمشيئة الله ﷻ و ستظهر أنياب قوم ظنهم البسطاء من الأبرار و كيف يبقى الذئب راعيا و الليل حاكما و النفاق باسم الله و رسوله رائدا .

و لـــيس الصلاح و الوعي و الحق و الرشاد بإحكام قراءة كتاب الله ﷻ و قـــد أحكمـــه مـــن ذي قبل الخوارج أصحاب الجباه السود و لكن ما كان ليتجاوز حناجرهم.

فندعو الله ﷻ بأن يكون الفرج قريبا و أن يوفقنا لنعد العدة طهرا و زكاة للـــنفوس بالعلم و العمل الصالح لنصبح عند الظهور من أهل الولاية حقا السائرين في ركب قائد السلام و المستشهدين تحت رايته الغراء إنه تعالى ولي التوفيق و إلا فعند الظهور قد يكون وقت الندم قد فات .

و لكـــن هـــناك رواية تخوفني و هي التي تشير إلى أن الشمس ستبزغ و تشـــرق مـــن المغرب فإنها لو لم يرد منها تغيير نواميس الكون و هو ما قد يكون

مســـتبعدا ،فإني لا أظن أن الرواية تشير إلى تغيير النواميس و السنن الكونية بل لعلهـــا تشـــير إلـــى أنه تعالى سيبدل هذه الأمة المسلمة العربية و غيرها بأمم من الغرب يكونون أكثر وعيا لشرع الله ﷻ القائم على العلم و الدليل و البرهان حيث تكـــون تلك الأمم بعيدة عن روح المجادلة و المشاكسة و العناد و الأحقاد الدينية و تقديس الرجال من الصحابة و العلماء بدلا من تقديس شرع الله القويم و نحن نعيش هذا الواقع المرير المؤسف بعد مرور أكثر من أربعة عشر قرنا على وفاة رسول الله ﷺ .

المطلـــب الآخـــر في المقام هو ما تشير إليه الروايات من إنه لولا الحجة لســـاخت الأرض بأهلها فهناك أمر يجزم به كل موحد عارف أن الحجة لله تعالى على عباده و لا يجعل لأحد حجة على نفسه فله الحجة البالغة على عباده في الدنيا و الآخـــرة و لابـــد من الالتفات في المقام إلى قصة موسى و الخضر عليهما السلام و إن القرآن لا يأتي بالقصص إلا بما له دخالة بالعبر أو العقيدة و الشأن الرسالي و بما يدخل في واقع الحياة .

فإن مثل هذه القصص تشير أن هناك من يحكم من الأولياء بواطن الأمور و يصلح قوام الدنيا و هناك من يحكم الظاهر من الأولياء كأكثر أصحاب الرسالات الســـماوية و إن الدنـــيا لا يستقيم أمرها إلا برجال الإصلاح في ميادين الباطن و الظاهر .

فحاجة الأرض دائما إلى مصلح يصلح بواطن الأمور و يكون قوامها مما تشـــير إليه قضية موسى و الخضر عليهما السلام، فالخضر أحد القادة المصلحين لما يختل من بواطن الأمور و الحجة المنتظر هو الولي المطلق للإصلاح لشأن الدنيا باطنا و ظاهرا عند الظهور لإقامة العدل الإلهي على وجه الأرض و إلا لساخت الأرض بأهلهـــا و لا أريد أن أقول هذا هو تمام المراد من لساخت الأرض بأهلها بل من

جملـــة المـــراد إصـــلاح بواطن الأمور التي لا تقام إلا بأولياء الله الذين أرادهم لإصـــلاح البواطن كما و أن الخضر كذلك بقدر و الولاية المطلقة في زمن الغيبة للمهـــدي عجـــل الله تعالى فرجه الشريف و لا ندري كم أصلح من أمر و أقام من ركـــن و أزال من فساد أمر كما صنع العبد الصالح من قتل غلام و إقامة جدار و خـــرق ســـفينة و لا نـــدري كم من قضية أرشد إليها أصحاب البصائر و العلماء الأبـــرار سواء كانوا ملتفتين أو غير ملتفتين إلى أنفاس قدسه على اختلاف مراتب الأولياء و الصالحين .

فـــإذاً من جملة ما يمكن أن يراد من لساخت الأرض بأهلها أنه عجل الله تعـــالى فرجه الشريف من أعاظم مصلحي بواطن الأمور في الأرض و أن قضية موســـى و العـــبد الصالح لإلفات نظر الصاغين بإمعان إلى أن هناك مصلحين لا تخلو الأرض منهم و إن هذه القصص لإلفات الأنظار إلى واقع يحكم الأرض طيلة القـــرون و لا يخـــتص بـــزمان دون زمان و لا بعصر موسى عليه السلام بل الإصلاح الباطني من لوازم دار الدنيا .

و قـــد قلنا إن الروايات تؤكد أنه لو لا الحجة لساخت الأرض بأهلها و لا نـــريد أن نتكلم عن هذه الروايات من منطلق الولاية فللبحث فيها من هذا المنظار باب واسع على اختلاف المسالك فيها عرفانا و فلسفة و شرعا بما يمكن أن يستفاد من الكتاب و السنة.

و لكن البحث عن هذه الروايات هاهنا من حيث الولاية الباطنية فنقول :قد تجلـــى الله سبحانه و تعالى لموســـى عليه السلام بلا واسطة فخر صعقا و قد تجلى لمحمد صلى الله عليه و آله و سلم ليلة المعـــراج أو ليالي المعراج بلا واسطة في ميادين النور بعد تجاوزه سدرة المنتهى فكان كما قال تعالى :﴿ **دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى**﴾[1] و قال:

---

[1] : النجم ٨_٩

﴿**ما زاغ البصر و ما طغى * و ما كذب الفؤاد ما رأى**﴾[2] فهو قرب كان ظهورا لموازين الاعتدال لشهود مراتب الشهادة و الغيب بالبصر و الفؤاد و هاهنا تظهر معاني الولاية و القرب و قد أشار الإمام الصادق حينما سأله السائل لماذا عرج برسول الله ﷺ قال : ﴿ **ليكشف الله له سبعين ألف حجاب من النور و ليتشرف به سكان السماوات** ﴾ .

و سأشير إلى مسألة الولاية و المعراج إن شاء الله في الأجزاء الأخر و لكن قضية الخضر عليه السلام إنما هي مثال لذوي الألباب لثبوت الولاية الباطنية و إنها من سنن الله ﷻ على وجه الأرض و إن الأرض لا تخلو من هذه الولاية و الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف هو الولي المطلق منذ زمن الغيبة ليومنا هذا لإصلاح بواطن الأمور و أما أن هناك عقولا لو جيء لها بألف دليل و دليل لا تصغي للسماع فضلا عن القبول لأنها ترعرعت على الأحقاد و إلغاء الآخرين لحضارة الجاهلية المبنية على القهر و الاستبداد و العناد.

فلا أظن من العقل و الدين بعد ألف و أكثر من أربعمائة سنة أن نبقى مصرين على هديهم و قد أراد الله لهم العمى فهؤلاء قد تجاوزهم الزمن و عدهم من أحاديث الغابرين ناصحا إياهم أن يصلحوا مستقبلهم قبل الظهور لمهدي آل محمد ﷺ فإن زمن التكفير و التهريج و استغلال عقول بسطاء الخلق قد تولى و لو أصبحوا جميعا انتحاريين و عاشوا جحيم الدنيا قبل الآخرة .

و لسنا بصدد محاجتهم و قد أعمى الله ﷻ قلوب أسلافهم عن شهود معالم الكتاب المجيد الذي جعل تعالى معالمه بينه واضحة جلية لذوي البصائر و الألباب

---

[2] : النجم ١٧ _ ١٨

لا لأهـل العمـى و العـناد حينما قال علي عليه السلام لعبد الله بن عباس :لا تحاجوهم بالقرآن فإنه حمّال أوجه .

نعم إنه حمّال أوجه ببصيرة المحجوبين المعاندين الذين يبحثون عن الشبه و أبواب الجدل و الهروب عن الحق .

فـنقول بعـد الإعـراض عـن هؤلاء: إن القرآن تكلم عن أمور كخلق السـماوات السـبع في ستة أيام و انفلاق البحر و إحياء الموتى و النفخ في طين ليصبح طيرا كما ورد ﴿**أخلـق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طـيرا بـإذن الله تعالى و أبريء الأكمه و الأبرص و أحيـي الموتى بإذن الله و أنبئكم بما تأكلون و ما تدخرون في بيوتكم** ﴾[3] و عن إحضار عرش بلقيس و شفاء المرضى و عن إسراء و معراج يتحدث فيه عن سفر كوني في جميع العوالم من عالم الشهادة إلى مراتب الغيب حتى بحور عالم النور الذي كشفه الله ﷻ لنبيه و ربمـا اسـتخدمت في بعض المواطن كلمة كن الوجودية متجاوزا الحق تعالى موازيـن العلـل و الأسـباب فمثل هذه الحقائق بمراتبها العلمية ما كان لها محل يفترض في زمن يخاطب فيه سيد الكائنات محمد صلى الله عليه وآله وسلم الأمة قائلا سلوني عما قبل الساعة فيسأله سائل :هل أنا ابن أبي و يقول له آخر و هو من أكابر المهاجرين لا تفضحنا يا رسول الله فيما ارتكبنا أيام الجاهلية ظانا على قدر علمه و مبلغ طهارة نفسه أن محمد صلى الله عليه وآله وسلم يريد بقوله سلوني أن يفضح الناس و يكشف سرائرهم أو يهتك أستارهم بما فعلوا من قبيح أمر في ظلمات ليالي الجاهلية .

---

[3] : آل عمران ٤٩

و كذا استمرت هذه الأمة في تدهورها و عدم وعيها و خلدها إلى الأرض حيـــنما خاطبها علي عليه السلام قائلا سلوني قبل أن تفقدوني يقوم له أحد المسلمين قائلا: كم شعرة في لحيتي يا على .

فإذا لا بد من يوم يتحقق فيه كلما ورد من واسع علم أشار إليه الله سبحانه و تعالى في كتابه المجيد لكي لا تصبح ادعاءات في زمن العلم و المعرفة و لكي يعلم من ظنوا أنهـــم بلغـــوا الرقي في العلم أنهم يعيشون البداوة بالقياس إلى ما اخبر به القرآن المجيد حاكيا طيا لجميع الكائنات ليلة المعراج في أقل من لحظة و اللحظة كثيرة.

فمـــاذا يشـــرح محمد صلى الله عليه و آله و سلم أو علي عليه السلام من بطون و أسرار لهذا الكتاب المجيد إذا كان بعض أكابر الصحابة يتخوف من فضيحة و عامة الناس يبكون فهذا الكتاب الذي هو تبيان لكل شيء لم يشرح بعد و لابد أن تشرح بطونه اللامتناهية و يـــتحقق كل ما ادعي فيه من أمر في زمن أهله يصغون إلى محافل العلم كما و أنه لابد أن تطبق الشريعة لتخرج من الفرض إلى مقام التطبيق في ميادين العدل و مكـــارم الأخـــلاق و كيف تستخدم الأسباب في إحياء الموتى و ما تقدم من أمور وردت فـــي هذا الكتاب و كيف يتحقق تجاوز عالم الإمكان في لحظة واحدة بكلمة كن الوجودية.

المصدر للحديث الوارد عن الرسول و ما ورد عن أنس بن مالك في موسوعة الحديث النبوي الشريف [4] المطبوع في دمشق حيث يشير الحديث أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم في أواخر أيامه جمع الناس و خاطبهم : ﴿ **سلوني عما قبل الساعة**﴾ فراح الناس يبكون و بعضهم يسأل هل أنه ابن أبيه و صحابي يسأل الرسول أن لا يفضحهم بما ارتكبوه في الجاهلية و كأنه صلى الله عليه و آله و سلم يقرأ على مسامع المسلمين استشهاد

---

[4] ج١ ص٢٩٢ و ص٢٩٣

الحسين عليه السلام ليكون داعيا للبكاء و النحيب بدلا من أن يكون داعيا إياهم لطلب المزيد من العلم.

نغم

لسكينة النفس

عيد الغدير

فكم سرى الليل في ركب الهوى لضمي وسامرت أنجم العلياء ذا سقمي
وعانقت شهب قلبا لذي شغف فبات مصطحبا للبؤس والوصم
وكم روى الواله المشتاق من ألم وجد الصبابة حتى صار كالرمم
أيرتوي من حديث الوجد ذو شجن والقلب منه بسهم الناعسات رمي
عُدي جوابا لدى الرحمن إن سئلت ريم الفلا عن قتيل في ربى الأجم
ملكت نفسا فجودي بالوصال على من ظنّ جودا وصال الطرف للعصم
أفديك بالمال بل بالنفس يا حلما طاف الخيال فأضحى غاية الهمم
يا ناعس الطرف لي يوم الحساب غدا عتب على من يداوي الجرح بالضرم
فلست من حب عذراء أتوب ولا أخاف من لهب النيران والحمم
خادعت نفسي إذا ما قلت عن غضب إني أتوب عن الحسناء في الخيم
أحبها حب من لا يبتغي عوضا ولا وصالا إذا جفت يد الكرم
يا لائمي لا تلم عبد الهوى أبدا فالقلب في شغل والسمع في صمم
دعني أهيم بوادي العاشقين ولا تعتب عليّ فما في النور من ظلم

ما كان ذنبا هيام المرء في نغم والحق حقا بنى ذا الكون بالرُّحم

بالحب سارت سماوات الإله معا وحقق الحق ما في الكون من عظم

فالحب خير سبيل خطه قدر لو أنصف العقل في رأي وفي كلم

لو كنت أعلم أن الحب منقصة ما كنت أطرب من حسن لذي نغم

طربت من طيف من أهواه مبتسما صباً أهبّ إلى العلياء والقمم

طربت حتى رمتني الناس من طربي بالجهل والهزل والأوهام والحلم

وكيف لا تطرب الألباب من عظم لولاه ما تمّ نور الله في النُظُم

طربت من ذكر خير الناس كلهم من بعد طه سمي المجد والسيم

علقت طيفا سرى من أنجم بدمي مددت طرفا له من ساحة القدم

علقته فجرى ينمو بلا قدم والنفس في حجب والفلك في عدم

حتى إذا ما أتى يوم الغدير ضحى تناغمت نبرات الوجد والشيم

يوم به تمم الرحمن منهجه ونزّه الشرع من أوهام ذي الوصم

علقت خير نجي للأمين ومن أرجوه في كرب الأهوال والندم

سنائه من سناء الحق طلعته وقوله قول طه سيد الأمم

هامت إلى قمم العلياء أنفسنا وما استكانت إلى دان من الحشم

تسعى إلى كل مجد في سماء علىً ... يهدي إلى الرشد تواقا إلى الحكم

يا عصمة لذوي الألباب منزلها ... عند الإله قريب العهد والعصم

ذاك الوصي الذي لولا ولايته ... لأصبح الدين جسما غير ذي نسم

وصاحب الحوض في يوم الصراط غدا ... يسقي الهداة كؤوس الخلد والنعم

وقاسم النار والجنات إن جمعت ... طرّ الخلائق من عُربٍ ومن عجم

فحيدر ما له في الخلق من شبه ... غير البشير حبيب الله ذي الهمم

فحيدر المرتضى نار على علم ... يضيء كالشمس في الإصباح والغسم

إن عدّ أهل التقى كانت إمامته ... للمتقين سبيلا واضح السيم

نمو إليه جميعا فهو قائدهم ... إلى الجنان بعزم ثابت القدم

وإنّ عندي مَن وجد الفؤاد جوى ... بثثته لأمين الله في الأمم

ذاك ابن طه سمي المصطفى علم ... للمكرمات حباه الله للقيم

بن البتولة ضاق الصدر من ألم ... يحز بالنفس حزّ السيف بالعظم

بن البتولة إن الحق مهتضم ... والصالحون أسارى البغي والتهم

بن البتولة أرض الله قد ملئت ... بالجور والظلم والعدوان والقتم

بن البتولة كم من ظالم نصبت ... له الأسنة في حل وفي حرم

وراح يضرب أركان الهدى قزم ... يبغي الغواية في عرب وفي عجم

بن البتولة ضاع الحق في شبه ... من الدعاة باسم الحق والقلم

بن البتولة ساد الناكثون ومن ... للقاسطين بأيام الفخار نمي

بن البتولة قل الآمرون بما ... جاءت به الرُسل من حسن ومن شيم

بن البتولة كم من ناسك لعبت ... به العتاة باسم السِلم والسلم

بن البتولة طال الإنتظار فما ... عاد التصبر يجدي في لظى الدُهم

بن البتولة لا كهف نلوذ به ... ولا عماد ولا عهد لذي ذمم

بن البتولة قم واسعف لنا أمماً ... ضاعت بتيه من الأوهام والسأم

بن البتولة إن جاورت في قدري ... حد العتاب فذا عطب من اللمم

أو كان شقشقة من جاهل هدرت ... يضيق ذرعاً من الأقدار والنظم

لله تجري مقادير الأمور وما ... في الكون من شطط في نظرة الحكم

محمد كاظم الخاقاني

المحاضرة الرابعة

قال ﷺ ﴿**من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية**﴾.

أقــول : كان الكلام عما أورده البعض عن طول عمر المهدي (عج) و قد تقدمت بعض الكلمات في ذلك و بقي بعض الحديث نتكلم عنه في هذه الليلة .

فقد ورد حديث متفق عليه بين السنة و الشيعة عن رسول الله ﷺ أنه قال :

﴿من مات و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية ﴾

فلا ندري لو جئنا لنسأل من أهل الإنصاف و الوجدان هل أن من مات و لم يعرف معاوية بن أبي سفيان أو ابنه يزيد بن معاوية يكون قد مات ميتة جاهلية ؟

و هكذا الأمر بالنسبة إلى أكثر حكام بني أمية و بني العباس و العثمانيين و أغلــب حكام المسلمين في العصر الحاضر فهل يرى المسلم المثقف اليوم أن من مات و لم يعرف هؤلاء يكون قد مات ميتة جاهلية ؟!

و إن كنــت أعلــم علم اليقين أن هناك الكثير من المنتسبين إلى التوحيد و شرع رسول الله ﷺ بدوافع الأحقاد الطائفية يرى يزيد بن معاوية أمير المؤمنين و الحجاج بن يوسف الثقفي أميرا صالحا مفترى عليه ، فلا أقول في حق هؤلاء إلا أن يحشــرهم الله ﷻ مع الحجاج و يزيد بن معاوية فإنهم ضالون مضلون أم هم كالأنعــام بل أضل سبيلا أو لعلهم ممن يقول : قتل سيدنا يزيد سيدنا الحسين عليه السلام فالقاتل و المقتول و الظالم و المظلوم و سيد شباب أهل الجنة و ريحانة رسول الله ﷺ و مــن قــتل ريحانــة رســول الله و هدم الكعبة و قتل الصحابة و استباح

أعراضهم و أخذ الخلافة بالوراثة عندهم بمقاييس دينهم سيدان من سادات المسلمين فلهم يوم القيامة هذا القدر من الإدراك إن جمع الله ﷻ الخلائق للحساب .

فهذا النحو من الفهم و النبوغ العقلي و الفهم الشرعي ليس غريبا على أتباع وعاظ السلاطين ، فكم لهم من نظير كما يحدثنا التأريخ أن أصحاب معاوية جاءوا يوما لمعاوية معترضين عليه بأنه كيف نقاتل عليا و قد بلغنا عن رسول الله ﷺ أنه قال لعمار : **﴿يا عمار تقتلك الفئة الباغية﴾** و ها هو عمار يقاتل أهل الشام في صف علي ، فنحن إذن الفئة الباغية .

فقال لهم معاوية : لا تعجلوا فإن الرجل مغرر به و سيرجع إلى الحق و يستبصر و سترونه بعد أيام يترك عليا و يأتي و يقاتل معكم أهل العراق ، لكن حبل الكذب قصير فما مرت الأيام و الليالي حتى وقع عمار صريعا و هو يقاتل في صفوف أهل العراق مع علي عليه السلام.

فوقعت ضجة في صفوف أهل الشام و كاد قتل عمار أن يوقع فتنة فيما بينهم فتدارك الأمر ماكر آخر و هو عمرو بن العاص فقال لمعاوية هوّن عليك فإني أجيب هؤلاء القوم .

فجمعهم و خطب فيهم قائلا: أيها الناس أنشدكم الله ﷻ فأجيبوني هل نحن قتلنا عمارا أم قتله من غرر به و خدعه و جاء به ليجعله عرضة للسيوف فقاتل عمار هو علي لا أنتم .

فاستبصر عندها أهل الشام و عادوا إلى المعركة عندما تنوروا بنور هذا الصحابي الجليل .

فلا كلام لنا مع من كان أو يكون مبلغه من العلم و الإيمان و العقل هذا القدر فإن الخطاب معه لا يناسب شرف العقل فضلا عمن يرى نفسه مهتديا بهدى رسالة سيد الكائنات محمد بن عبد الله عليه أفضل الصلاة و السلام .

و لـــيس لـــنا إلا أن نقـــول : اللهم إن كان هؤلاء جهالا فاهدهم فأنت أرحم الراحمين و إن كان الحقد على آل محمد ﷺ أعمى أبصارهم و أصم آذانهم فطهر الأرض مـــن دنســـهم ليرى عبادك المستضعفون نور الهداية و معالم الشريعة و مـــناهج العقـــل فـــإن هؤلاء الضالون قد أضلوا كثيرا من عبادك فأضاعوا عليهم مقاييس الشرع و العقل معا .

فـــأعود و أقول ثانية لا أظن أن منصفا أنصف من نفسه و نظر بكنه عقله إلى الشريعة يرى أمثال يزيد و المتوكل العباسي مصداقا لقول رسول الله ﷺ من مـــات و لـــم يعـــرف إمـــام زمانه مات ميتة جاهلية و كيف من لم يعرف هؤلاء الطواغيت الجهال يموت ميتة جاهلية و هم رأس الجهل و الضلال .

و عندها فأقول : أين المصداق لحديث رسول الله ﷺ طيلة القرون و أين الأئمة الذين من مات و لم يعرفهم مات ميتة جاهلية في كل زمان ؟

أمّـــا نحـــن الشيعة الإمامية الإثناعشرية ففي غنى عن تفسير هذا الحديث و البحـــث عن مصاديقه في كل زمان لأنه من بعد رحيل رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا ما خلي المذهب الشيعي من إمام زمان و لكن على بقية المذاهب الإسلامية أن يبحثوا ليجدوا تفسيرا لحديث رسول الله ﷺ أو يستسلموا إلى الواقع بعد أكثر من أربعـــة عشر قرنا أو يغالطوا أنفسهم عصبية كما فعلوا ذلك في كثير من المواطن بالنسبة إلى الآيات و الروايات .

☆ إرشاد و حكمة

قد ورد في كثير من الأحاديث عن الأئمة المعصومين عليهم أفضل الصلاة و السلام أنه ﴿ **ليس من الحكمة و العقل أن يبقي الله ﷻ الشيطان الذي يضل الناس و لا يبقي معه إماما يهديهم إلى الصراط المستقيم** ﴾ أي كيف بحكمة الله ﷻ أن يبقى الشيطان مضلا للناس و يتركهم بلا ملجأ و إمام هدى يهتدون به للفرار من الظلمات و الضلالات إلى النور و الهداية .

☆ تنبيه غافل

و قد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام حينما قيل له عجبا من طول عمر مهديكم بن رسول الله ﷺ أنه أجاب قائلا :﴿ **ليس العجب من طول عمره و إنما العجب من قصر أعماركم** ﴾ حيث يشير بذلك إلى أن الناس لو عاشوا المعارف و اعتدلوا في مأكلهم و مشربهم و نومهم و يقظتهم و ابتعدوا عن مسالك الإفراط و التفريط باعتدال نفسي و بدني لعاشوا طويلا .

☆ تساؤل بعد إجلاء ظلمة

إن تركنا الكلام عن كل ما تقدم البحث عنه بالأمس أو اليوم لكان لنا أيضا أن نتسائل بعدما أصبحنا بعيدين عن محافل مقاص الرقاب قائلين بأن الإسلام دين

الحـــرية و قـــد نادى بأعلى صوته مخاطبا البشرية فضلا عن المسلمين أنه ﴿ **لا إكـراه في الدين** ﴾[1] فكيف جاز لمن يسمي نفسه مسلما طيلة هذه القرون أن يكره الـــناس على مذهب ارتآه صحيحا و لو كان على الفرض هو عند الله ﷻ كذلك و الحال أن الإسلام منعه من إكراه اليهود و النصارى إن لم نقل منعه من إكراه أي إنسان من قبول دين الإسلام .

و نقول أيضا بأي منطق و شرع يكون لأتباع الإمام أبي حنيفة أو مالك أو غيرهما حرية الرأي و يكون الإمام أبو حنيفة صاحب مذهب من مذاهب المسلمين و لا يكون الإمام علي عليه السلام أو غيره من بقية علماء آل محمد ﷺ صاحب مذهب و يكون المتبع لعلي عليه السلام كافرا رافضيا ، يكون المتبع لأحمد أو مالك تقيا نقيا ؟!

فالتكن بمنطق الحرية هذه كلها مذاهب إسلامية توصل إليها علماء المسلمين باجتهادهم و اتبعتهم العامة .

فلمـــاذا يجوز اجتهاد أبي حنيفة و لا يجوز اجتهاد علي و الحسن و الحسين أو الصادق و الباقر و غيرهم من علماء آل محمد ﷺ .

فيا عجبا لمنطق السيف و أتباع بيعة الفلتات كيف وجدوا من إتبع عليا و آل البيـــت كافرا رافضيا ضالا و وجدوا من إتبع غيرهم هاديا مهديا متبعا لمذهب من المذاهـــب الإسلامية أو مؤسسا لمذهب و هي كلها مذاهب حدثت بعد عقود طويلة بعد وفاة رسول الله ﷺ .

فمع غض الطرف عن جميع الآيات و الروايات الدالة على كون علي عليه السلام وصـــيا لرســـول الله ﷺ نقـــول : لماذا لا تكون مذاهب متعددة في الإسلام كما أقـــررتم بالمذاهب الأربعة فيكون المذهب الخامس هو مذهب أهل البيت عليهم السلام، و

---

[1] : بقرة ٢٥٦

لماذا يكون الشيعي كافرا رافضيا طيلة القرون ثم بعد تجاوز زمن الإستبداد يحاول البعض في هذا العصر أن يلطف الجو ببعض التعابير فلماذا عاشت الأمة الإسلامية طيلة هذه القرون هذا التعتيم الإعلامي و لم تع حتى أمرا بسيطا بأن الحرية في الرأي و الاجتهاد لعلماء المسلمين يفسح المجال لأكابر علماء المسلمين و من أهمهم أهل البيت فيجعل لهم و لأتباعهم الحق بأن يكونوا أحد المذاهب الإسلامية كما فسح المجال لغيرهم فتكون مذاهب مختلفة توصل إليها علماء المسلمين باجتهاداتهم .

فإن زمن قطع الرقاب باسم الإسلام قد تولى الذي أسس عليه حكام المسلمين وعاظ السلاطين قوام مذهبهم و لتكن الأمة حرة لاختيارها أي مذهب من المذاهب الإسلامية و سوف يكون الحكم الله ﷻيوم القيامة ، من هو المصيب أو المخطئ و من هو المحق و من هو المبطل ، حرية إن لم يتعلمها القوم من الإسلام و رفيع قيمه فلعلهم يتعلمونها من حضارة العصر إن وجودها أولى بالتبعية من حضارة الإسلام و سيرة رسول الله ﷺبعد أكثر من ألف و أربع مائة سنة و لكن لا أظن المكفرة أهلا لفهم أمر من أي أحد لأنهم لا يفهمون إلا منطق السيف و العصا و ليعلموا أن قانون الغابات أوشك أن يأكل عليه الدهر و يشرب حيث قد ولّى زمن إبادة الشعوب و خنق الحريات و لن يعود و على المكفرة أن يفيقوا من سباتهم فإن الزمن قد تجاوزهم و نحن نعيش أملا قويا بأن بوادر الحق بمشهد الطلعة البهية راح ليطل على ربوع الأرض لتشرق الأرض بنور ربها و يطوى سجل الظلمات و إن أجلسه الجهل على منابر النبيين و أعطاه سمعة الأبرار و الصالحين .

☆ تشبّث رخيص

هجمـــة راحت لتستمر القرون يحاول البعض من خلالها التشنيع و التطبيل علـــى أن الشـــيعة مـــن شعارهم التقية و هي دجل و نفاق و لا أدري كيف تنقلب المقاييس في منطق الجهل أو القوة .

لكـــن نقول لا لهؤلاء بل لمن أراد أن يعرف الحق أولا أن هذه ملومة و نقد يـــتوجه علـــى من دفعوا بالمسلمين أن يعيشوا حياة التقية التي لا محل لها إلا في ظروف الإستبداد و الفتك فكان على هؤلاء أن يسألوا أسيادهم من الحكام بأي كتاب أم بأية سنة جعلتم أتباع آل محمد ﷺ يعيشون التقية حتى بلغ بهم الأمر أن تصبح التقية شعارا لهم ؟

و عـــندها يكون الجواب واضحا بأنكم لو كنتم بعلمائكم و قادتكم قد أعطيتم الناس و المسلمين حرية في مجال العقل و المذهب طيلة هذه القرون من بعد وفاة رســـول الله ﷺ ليومـــنا هـــذا و ما عشتم في نفق الإستبداد كل هذه العصور لما انساقت الأمة إلى اتخاذ مسالك التقية .

فعـــيش المســـلمين حياة التقية من ظلمات تأريخكم و لعمري لا أدري كيف تعجـــبون من أنين المظلوم و لا تتشاهدون سيوف الفراعنة الجبارين و لا تعجبون من فتكهم و طغيانهم الذي مارسوه على المسلمين باسم الدين .

فجعـــل المسلمين يعيشون التقية من قبل وعاظ السلاطين و حكامهم وصمة عار تندى لها جبين الإنسانية سيبقى على جبين المستبدين الذين جعلوا الأمة تعيش الخـــوف و الإضـــطهاد طيلة القرون باسم الله و شرعه و ليست وصمة عار على

أتـــباع آل محمد ﷺ الذين كانوا أقلية يقتلون و يفترى عليهم و تألّب عليهم الأمة تحت شعار الروافض و الكفار.

و مـــن المؤســـف فـــي هذا الزمان أن نسمع ممن يعتبر نفسه متحضراً من مثقفـــي العامة أن ينطق بما كان ينطق به وعاظ السلاطين و أن يورد على الشيعة ما تمليه عليه أقلام هؤلاء بدلا من أن يتقدم معتذرا من جرائم أسلافه و من سماهم من الطواغيت بخلفاء النبيين .

و يـــا عجبا من أمثال هؤلاء المتسارعين إلى النقد و التشنيع الذين أغمضوا الطرف بدافع الجهل أو الأحقاد عن ولاة أمرهم المستبدين الذين فرضوا حياة التقية علـــى المســـلمين بجورهـــم و ظلمهم و راحوا ليوردوا اللائمة على مظلوم دفعه الاستبداد إلى حياة التقية .

أجـــل هكـــذا تتبدل المقاييس و هكذا يحاول المغالطون أن يتركوا الظالم و يـــنقدوا المظلـــوم علـــى أنيـــنه أو صمته أو سكناه في الكهوف حينما يهرب من الجبارين.

فالذي ساق الشيعة إلى حياة التقية هو ما ساق أصحاب رسول الله ﷺ إلى حياة التقية كعمار بن ياسر و غيره و هو الذي ساق من قبل ذلك الأنبياء و أتباعهم تحت ظل سطوة الجبارين كفرعون و النمرود و هامان إلى حياة التقية .

فـــيا لله و منطق القوة منطق أبناء الدنيا و لست أدري كيف في هذا العصر من بعد ما وعى الكثير من مثقفي هذا العصر إلى ما كان عليه حكام المسلمين من الاســـتبداد و العنف و القسوة تحت شعار الدين يخرج البعض على بعض القنوات الفضـــائية متـــبجحا تعلوه البسمة و هو يقول : لا أدري كيف قبل الشيعة لأنفسهم مسلك التقية .

فأقول له و لأمثاله ما قاله الإمام الحسين عليه السلام لأصحاب عمر بن سعد ﴿ **إن لم يكن لكم دين فكونوا أحراراً في دنياكم** ﴾ و لتكن لكم الشجاعة التي تدفع بصاحبها و لو كان عمرو بن ود للاعتذار من فعلة أسلافه المستبدين.

و ها نحن اليوم لما انتهى زمن السيف و العدوان في بعض الديار الإسلامية جئنا نتكلم بملء الفم عن معتقدنا و نطلب من أصحاب العلم الحوار على أسس الشرع القويم .

و أما من يريدها عصبية عمياء بجعل السلف مقياسا للشريعة بدلا من جعل الشريعة مقياسا للسلف فلا كلام لنا معه و قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ﴿ **اعرفوا الحق تعرفوا أهله** ﴾ .

فالحق لا ينزل إلى أعتاب الرجال و رغباتهم و لا إلى منازل الأكثرية أو عروش السلاطين و لا أدري في أي زمان أو موضع مدح كتاب الله سبحانه وتعالى الأكثرية ليصبحوا ملاكا يقاس به الحق و يميز به عن الباطل.

و لو أن الشيعة قالوا ببطلان بقية المذاهب بعد اعتقادهم بالأوصياء لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و لزوم القضاء عليها لو أغمضنا الطرف عن لا إكراه في الدين و لزوم إحترام آراء الآخرين و حرية الفكر لكان لمقالتهم ما يمكن توجيهه و تأويله و لكن لا أدري كيف جاز لمذهب كالمذهب السني الذي لا يرى بعد النبي إمامة من قبل الله سبحانه وتعالى و إنما هي إجتهادات علماء المسلمين و المذاهب تابعة لهذه الإجتهادات ما هو مستنده لصحة المذاهب الأربعة و بطلان مذهب يرجع إلى أهل بيت النبوة و يمكن أن يكون اجتهادا لعلماء آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبقية الإجتهادات التي أدت إلى تحقيق هذه المذاهب الأربعة .

و كيف جاز لأبناء هذه المذاهب تكفير الآخرين و هم ينتمون إلى مذهب كل علمائه من آل بيت الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يا ليتهم توقفوا أيضا عند التكفير و لم يصدروا

أحكامهم طيلة القرون بلزوم قتل من خرج عن هذه المذاهب الأربعة و ارتداده عن الإسلام و أنه رافضي كافر .

و كيف نعجب من التكفير و هي الدنيا و أحكام أبناءها التي نسبت يوما من الأيام الجنون و السحر و الكذب إلى سيد الكائنات محمد ﷺو حكمت عليه بالقتل حيـــنما كـــان ضعيفا و جاءت لتتبرك بتراب أقدامه الشريفة و بماء وضوئه حينما أصبح فاتحا لمكة المكرمة .

و بالجملة فأي مانع أن يفهم كل ذي علم من الإسلام أمرا فتكون إجتهادات و مذاهـــب و كل يحترم الآخر ، فلماذا هذا الضيق في التفكير و كبت الحريات و روح الاســـتبداد و حضـــارة الجاهلـــية بعد صريح قوله تعالى : ﴿ **لا إكراه في الدين** [٢] ﴾.

و لماذا يخرج بعض أبناء الأمة الإسلامية على بعض القنوات الفضائية بدلا من الحوار البنّاء مندفعين بروح الأحقاد إلى الشتم و السباب بعيدين حتى عن روح أدب الإســـلام فضـــلا عـــن مثله العليا و قيمه الرفيعة التي جعلت الإختلاف سببا للتعارف و الحركة نحو الأحسن لا وسيلة للتشنيع و السباب .

فَلِم الخروج بمظاهر السخرية و هي خلاف الأدب و حرية الرأي و كرامة الإنســـانية و لـــم يعجب البعض منا أو يسخرون إن قلنا إنّا أتباع آل محمد ﷺو على رأسهم علي بن أبي طالب الذي لا ينكر فضله و سابقته و عدله حتى أعدائه و هو و بقية من نتبع من آل محمد ﷺمن العرب جميعا و لا يكون من حقنا أن نعجب من قوم نسبوا لنا أن مذهبنا من صنيعة الفرس في حين أنهم أتباع من ليسوا

---

[2] : البقرة ٢٥٦

مـــن العرب أئمة بحسب الغالب و رواة حتى أصبح أصحاب نيسابور و بخارى و بقية المدن الأعجمية من أعاظم رجالات دينهم .

و كـــيف يعجب منا قوم ويسخرون إن قلنا روى فلان عن فلان عن جعفر عن محمد عن علي عن الحسن أو الحسين عن علي بن أبي طالب عن رسول الله عليهم جميعا أفضل الصلاة و السلام .

و لا يحـــق لـــنا أن نعجب من قوم تركوا الصحابة أنصارا و مهاجرين و راحـــوا لـــيجعلوا راوية الإسلام أبا هريرة و هو القائل كما في الصحاح عند أهل السنة و الجماعة : (**جمعت من رسول الله ﷺ وعائين فأما أحدهما فبثثته و أما الآخر فلو بحت به لقطع هذا البلعوم**) فترك نصف دين رسول الله ﷺ الـــذي حمّـــل إياه بحسب مدعاه خوفا على بلعومه و لم لا يكون هذا الراوية متهما بالعمل بالتقية لحفظ نفسه كما يتهم القوم أتباع آل محمد بالتقية المفسرة طبقا لأهوائهم و رغباتهم .

و موقـــف هذا الراوية مع الخليفة الثاني و الرابع واضح فكان غير مرضي به عندهما و إنما قرّبه و جعله من أكابر الرواة معاوية بن أبي سفيان و لا ندري متى طرأ هذا الخوف على بلعومه فدفعه إلى عدم بث نصف ما حمّل من الشريعة فهل كان هذا الخوف و الخطر الحاكي عن الإستبداد في زمن الخلفاء الأربع أو في زمـــن معاوية فإن كان في زمن الأربعة الأول فهو إتهام منه لهم بالإستبداد و أن هناك من الشريعة ما يخالف مصالحهم و لذا دعى راوية الإسلام إلى الكتمان و إن كان في زمن معاوية و هو من مقربيه فلماذا ترك شرع الله ﷻ حتى تولى معاوية مقاليد الأمور ؟!!!...

و أمـــا استهزاء البعض منّا بطول العمر لصاحب الزمان فإنه لو كان أمرا مخالفا لنواميس الطبيعة فكم من خارق لنواميسها صرحت به الآيات كقوله تعالى : ﴿**يا نار كوني بردا و سلاما على إبراهيم** ﴾ [3].

فالنار التي هي محرقة بإرادة الحق تعالى و مشيئة ربانية أصبحت لمصلحة بردا و سلاما و هما صفتان لا تتناسبان مع النار بل بينهما كل التضاد .

و كـــذا ما حدّث به الكتاب المجيد مما صدر على يد عيسى عليه السلام فإنه أيضا كان مخالفا لنواميس الطبيعة كأن يأتي بالطين و ينفخ فيه فيصبح طيرا باذن الله و هكـــذا إحياء الموتى و تكلمه في المهد و الكثير من مخالفات نواميس الطبيعة التي أشـــارت إلـــيها الآيـــات و الروايات في مجالات مختلفة هي أشد مخالفة لنواميس الطبـــيعة مما تقول الشيعة به في طول عمر الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف .

فلـــم يكون القول بهذا المخالف لنواميس الطبيعة الظاهرية مهزلة و سخرية عند قوم من أبناء العامة و الجماعة و إن كان كل مخالف مهزلة فليبدؤوا بالسخرية بالكتاب و السنة المتحدثة عن هذه الخوارق ثم يثلثوا بأتباع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

و بالجملة : أي مانع بعد ورود الأحاديث في أن تكون هناك مصلحة ربانية فـــي غيبة ولي الله الأعظم و كم تعبدنا في كثير من أمور لا نعرف المصلحة منها كمـــا هـــو الشـــأن في أغلب العبادات من أنه لماذا كانت صلاة الصبح ركعتين و المغرب ثلاثا و البقية أربعة .

فإنـــا لمـــا جزمنا أنها صادرة عن صادق أمين قبلناها فلماذا لا نقبل طول العمر الذي دلت عليه الأخبار و أشارت إلى ذلك الآيات في حق نوح عليه السلام و غيره من الأولياء و غيرهم .

---

[3] : الأنبياء ٦٩

فـــإذن لـــم يـــبق ســـبب للنقاش في مسألة طول عمر المهدي سوى الأحقاد المذهبية.

نعم غاية ما يمكن أن يقال : إنّ ما نعتقده من ولادته و طول عمره الشريف دلـــت علـــيه أحاديث الشيعة و إن من حق السنة أن يقولوا لم يرد ذلك في صحاح أحاديثـــنا فلســـنا مكلفين بالإعتقاد به و لكن ذلك لا يكون مدعاة للسخرية من أمر معقول و قد دلت عليه السنن الإلهية حتى في حق غير أولياء الله ﷻ .

فنحن بما نعتقد بما لدينا من الأدلة و هم على ما هم عليه و الأدب يستدعي عدم التخلق بخلق المستهزئين .

☆ الإختفاء

قال بعض الأعلام : لو كان الإختفاء مخالفا للعقل كما يزعم البعض لما جاز أن يقـــع فـــيه تخصيص أو تقييد كما هو شأن الأمور العقلية فلا يصح أن يقال لا يجوز اجتماع النقيضين أو الضدين إلا في كذا مورد .

فلـــو كـــان الاخـــتفاء من مخالفات العقل لما اختلف فيه الأمر بين الاختفاء القصير و الطويل و قد إختفى موسى عليه السلام عن قومه أربعين ليلة و هو حي يرزق و قد اختفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم عن قومه أيام الغار إلى وصوله إلى المدينة المنورة إن لم نجعـــل أيام الإنعزال في شعب أبي طالب من الاختفاء أيضا حيث كانت الإستفادة مـــنه لكثير من المسلمين صعبة و بالأخص بعد هجرة المسلمين إلى الحبشة و كم من نبي عاش حياة طويلة في السجون منعزلا عن قومه و المؤمنين و هكذا الكثير مـــن الأولياء و الصلحاء قضوا حياتهم في ظلمات السجون و عليه فلقائل أن يقول

كما يزعم هؤلاء ما هي ثمرة إنسان يبقى في السجون عدة سنوات و قد يموت بعد ذلك فيها .

فلهـــم أن يوردوا على ربهم أن هذا الاستتار و الاختفاء أمر غير صحيح فكيف صدرت منك يا إلهي هذه الأمور .

فلـــو كـــان الإنسان الموجود الذي لا نتمكن أن نستفيد منه فترة من الزمن مخالفـــا للعقل و لو كان خفائه لغاية إلهية لا نعرفها أو لوجود مانع من قبل البشر أنفسهم فليكن مثل هذه الموارد التي أشرنا إليها من مخالفات العقل أيضا و لا نظن القوم تطرقوا لمثل هذه الموارد سوى ما تكلمت به الشيعة في المقام لنفس ما تقدم من دوافع الأحقاد الطائفية .

و قـــال بعض الأعلام أيضا من الممكن أن نقول في مقابل من جاء ليدعي كلاما عقليا من أن الإختفاء غير معقول لأنه لا ثمرة فيه : بأن المنقذ البشري لغاية إلهـــية إضـــافة على كون اختفائه لمانع بشري و عند إرتفاع المانع حين إصلاح الـــنفوس سيظهر ، إن الإختفاء كان أيضا لأجل أن يعيش المهدي حياة الأمم حتى يكـــون قريـــبا مـــن حضاراتهم على اختلاف الحضارات و الآداب و العقليات و المسالك و الأديان ليصبح عند الظهور قريبا كل القرب من سبل تحقيق الإنقاذ العام و الإصلاح العالمي فإن من عايش كل هذه الحقائق كان عند الظهور أعرف الناس بما يصلح الناس .

☆ مقدمات يجب الإلتفات إليها

المقدمـــة الأولى : إن اللامتناهي على نحوين : اللامتناهي بالفعل و هو الله ﷻ و هو الوجود الصرف الذي لا يحد بحد و لا يكيف بكيفية و لا يصور بصورة و لا يمكـــن أن يـــدرك بالمدارك لأي ممكن من الممكنات و لو كان الممكن سيد الكائـــنات محمـــدا ﷺ و لـــم يدع موحد اللاتناهي الفعلي في حق أي ممكن من الممكـــنات لأنه من المحالات الأولية و النحو الثاني من اللامتناهي هو: اللاتناهي بحســـب القابلية و الاستعداد أو العروج و الحركة نحو الغاية اللامتناهية و هي الله ﷻ.

و أضـــرب لذلـــك أمـــثلة للتقريب الذهني فمثلا يقال : العدد قابل للإزدياد اللامتناهـــي فالواحد يمكن أن يضاف إليه واحد آخر فيصبح العدد إثنين و يضاف على المائة مائة أخرى و هكذا إلى ما لا نهاية له، فالعدد يقبل الإزدياد اللامتناهي.

و كذلـــك الممكـــنات على اختلاف مراتبها و عوالمها من عالم الشهادة أو الغيب لما كانت مرتبطة بالمبدأ اللامتناهي فيضا و هي تسير نحو الغاية اللامتناهية أي نحـــو الحق تعالى كما تشير إلى ذلك الأدلة العقلية و الشرعية ﴿ **إنـا لله و إنا إليه راجعون** ﴾[4] فيكون سيرها نحو الغايات غير المتناهية بلا تناهي الغاية .

و عـــندها نقول : لما كان الحق تعالى وجودا لا حد له ذاتا و صفة و فيضا لأن الفيض تابع للمفيض ، لكن كل غاية في عالم الإمكان لابد و أن تكون محدودة متناهـــية حســـية كانت أو معنوية من أي مرتبة من مراتب عالم الغيب و ما دعى

---

[4] : البقرة ١٥٦

إمـــام المتقيـــن عليا عليه السلام أن يتأوه من قلة الزاد هو زاد المتقين في سلوكهم إلى لا نهاية الحق لأنه هو المطلوب بالذات للأولياء و عباد الله المخلصين .

و إذا كانـــت الغايـــة الحقيقـــية هي الله سبحانه وتعالى اللامتناهي فلو سارت الكائنات باخـــتلاف مراتب عروجها مليارات السنين أو الدهور لا يمكن أن تصل إلى تلك الغاية بل تبقى سالكة سبل ربها ، عارجة إليه .

و قـــد أشارت الأحاديث و دلت الآيات على أن القرآن المجيد يحمل بطونا ســـبعة و سبعين و هو تبيان لكل شيء ، لم يغادر صغيرة و لا كبيرة إلا أحصاها فهـــو الكتاب التدويني الذي يروي أحاديث الكتاب التكويني الإلهي اللامتناهي بلا تناهي فيض الله سبحانه وتعالى و عروجه نحو الغاية اللامتناهية كما تقدم الآن .

و علـــى رأس جمـــيع الممكنات الذي هو كتاب الله الناطق و الكلمة التامة الإلهـــية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم فهو يساير الأيام الربوبية في كافة العوالم عروجا متواصلا و قد قال تعالى : ﴿ **يسأله من في السماوات و الأرض كل يوم هو في شـأن** ﴾[5] فلـــله تعالى الأيام الربوبية في كافة العوالم ، فللأرض يومها كما و أن للمـــنظومة الشمسية يومها و لكل مجرة أو عالم من عالم الشهادة إلى عالم الغيب مـــثالا و عقـــلا و نورا حتى قال الإمام الصادق عليه السلام بالنسبة إلى معراج الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ﴿كشـــف الله سبحانه وتعالى لنبيه سبعين ألف حجاب من النور ﴾من عالم العلم اللدني و هذه الحقيقة و هي الرسالة الخاتمية بما لها من البطون اللامتناهية قرآنا تشريعيا و تكوينيا لم تشرح ليومنا هذا لانقلاب الأمة على أعقابها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم .

و لا يمكن أن يترك الله سبحانه وتعالى رسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بما تحمل من لا تناهي العلم و الرشاد بلا مبين يشرح أبعادها و يثبّت مصداقية ما ورد فيها من خبر أو إدعاء

---

[5] : الرحمن ٢٩

و شـــرحها لابـــد أن يكـــون على يد منقذ البشرية ليتم العدل الإلهي بحكومة عدل تناســـب كافـــة الطـــبقات عـــدلا على صعيد النظام الإسلامي و عدلا على صعيد المعـــارف و العلـــم اللامتناهـــي لأصحاب المعارف و طلاب العلم على اختلاف مراتـــبهم و مدارج عقولهم حتى تتحقق الغاية من بعثة الأنبياء عدلا عمليا و علميا لكـــل طالب عدل و يثبت ليوم المعاد أن حياة الظلمات و الجور كان مستندا طيلة القرون لإعراض الناس عن رسالات السماء.

و بالجملة شرح البطون اللامتناهية و إقامة العدل الإلهي على وجه الأرض لابـــد من تحقيقه على يد منقذ البشرية مهدي آل محمد ﷺ لتتجلى بذلك الغاية من بعثة الأنبياء من آدم عليه السلام إلى الخاتم ﷺ.

نغم

لسكينة النفس

غدير خم

أمن لهيب الهـــوى يـفي عتـــمة الظلـم سهرت ليـــلك والآفاق كالضرم

فرحـــت تســـعى لإخفاء الهوى ولها تســـامر الأنجـم العلياء يـفي الغســم

تعيـــش عـــزلة عشـــاق على طـــلل تقـــادم العهـــد منه فهـــو كالرمـم

ظننـــت ســـرك لا دمـــع يبـــوح بـــه ولا يُدل على الأشجـــان بالســـقـم

فكيف تخفي عن العشاق ما نطقت به السماوات والأرضون يـفي القدم

والحـــب نـــور من الرحـــمن أورثه قلبـــا تســـامى لوصلٍ فهو يـفي القمـم

ومراح يطـــرب من أنغـــامه نزمـــر من المـــلائك صـــفاً غـــير مخـــترم

وكيف لا والجوى طيف له نُصبت معـــالم الحق فوق العرش كالعلـم

كلا فإني لا أخـــفي شـــجون هوى للنفـــس عن فتـــية تصبو إلى السلـم

إني أبوح بـــما يـفي النفـــس من طـــرب للواهـــين ذوي الأفـهام والحكـــم

ولســـت أنكـــر ما تروي العيون وما قد بات متضـحا من شـــدة الألـــم

إني أعيش غراما لست أكتمه ولا أريد له عذرا لدى الأنم
وكيف يعتذر العشاق عن شجن والحب سلّم ذي الأنغام والهمم
إني أعوذ برب الكون من شطط يدعو لستر الهوى خوفا من التهم
دع من يلوذ بأوهام ملفقة يموت غيظا من العشاق للعظم
محضت حبي للأطياب من مضر آل الرسول ذوي الألباب والعصم
فرحت أطرب من ذكرى الوصي ومن هو الوليد ببيت الله ذي الحرم
إمامنا القائد الهادي إلى قمم هي السلام بيوم الحشر والندم
وهو الشفيع بيوم الدين إن نسفت مظاهر الشرك والطغيان والوصم
دعا إلى الحق في جهد وفي عظم حتى توارى الدجى من سطوة الخُدُم
وراح يزحف نحو الكفر في زمر من التقاة بيوم الكرب والصُوم
حتى أحال جيوش البغي في وضح من النهار إلى تل من الركم
فأشرق البيت بالآلاء مبتشرا بطلعة الوتر بعد الحق ذي النعم
وغرد الطير في أوكاره فرحا يكاد يُفصح لولا لُكنة العجم
واستبشر الوالهون الغُرُ من نبأ سِفر الوجود به قد تم للنسم

سـرى بطيف له فوق العروش علىً ... شـمسا بجنب غدير خير معتصـم

ذاك الغـدير بُخُـم والحجـيج به ... كالسيل منحدرا من قمة القمـم

لولم يُصَب بسفوح الأرض ما انكدرت ... منـه المعالم حتى صار كالفحـم

فأوقف المصطفى سيل الحجيج ومن ... قد جـاز ناداه للتـوديع والذمـم

وأنـزل الله [بلـغ ما أمـرت به] ... ولا تخـف دنس الأوغاد واللمـم

فأنـت في عاصـم فوق الدنا عظما ... لا يرتقـي لعـُلاه الطيش بالغسـم

فبات يصغي ذوو الألباب وانغمست ... عصـابة البغي في تيـه من الصمـم

كأنها من شـقاق في بواطنها ... تساق للموت من إشراقة الحكـم

لكـن طـه مضـى فيما دعاه له ... رب العـباد بعـزم ثابت القـدم

فقال يا قـوم هلا قد أتيت لكـم ... بكل خير من الرحمن ذي الكـرم

وكـنت خـير نبي قـاد أمتـه ... بصـالح الأمر في الدارين للسلـم

فمن رآنـي لنهـج الحـق أسـوته ... فذاك بعدي علـيّ الطهر ذي الهمـم

ومن رانـي له مـولى ومعتـمدا ... فحيدر الغر بعدي مرشـد القلـم

فانصـر أيا ربُ من كانت مودته ... فرضـا تلاه عظيـم الآي للأنـم

فليس من عجب إن بات في طرب ... كل الوجود لذكرى خير معتصم

من خطه الباريء الرحمن في حجب ... أنوار قدس سرت من ساحة القدم

و خصه بعظيم القرب فانحدرت ... منه المعالم كالأطياف للهمم

فاق الملائك قدسا في حضيرته ... وساد ما ساد بالعرفان و النظم

فكان للحق فرقانا يفصله ... و في التجلي هو القرآنُ للفهم

نفس الحبيب بنص الآي منزلة ... فالحسن نورا تجلى غير منقسم

وهو الخليل لخير الخلق إن سمعت ... أُذنُ الأنام بلا وقر ولا صمم

وهو الذي كان للألباب قاطبة ... باب النبيين للعرفان و الحكم

وهو الذي إن أتاه الصادقون غدا ... عادوا من الحوض بالتنسيم و السنم

لله ماذا أقول اليوم في عمد ... هو الغمام لبحر الجود و الكرم

لا يرتقي لعلاه الطير إن خفقت ... له الجناح لآفاق من العظم

وهو الامام الذي لولا ولايته ... كان السلام خيالا في دجى الظلم

وهو الذي قد تجلى بعد مهبطه ... حتى يُشرف ركن البيت و الحرم

فراح يفخر بيت الله مبتهجا ... بما تشرف من إطلالة الرُحم

قد كان كلمة حق لا مثيل لها ... إلا ابن آمـنة في قـمة القـمم

أخطأت إن قلت ذاك الطود معجزة ... وهو الوسيـط لأمـر الله في القـدم

صلى عليه مليك الكون في زمر ... من الملائـك في الإصباح والغسـم

قد تمـم الله في يـوم الغديـر به ... مناهج الرُسـل من عرب ومن عجـم

وهو الذي ورث الأمجاد قاطـبة ... من آدم الغـر حتـى سـيد الأنـم

إن جاء طه لتنزيل الكتاب فـما ... يكـون إلا بتـأويل من الفـهـم

العـالمون بأمـر الله أورثـهـم ... علـم الكتاب وما في اللوح والقلـم

سل عنه خيبر والأحزاب قاطـبة ... وسـل حنينا وبدرا عن لظى الحمـم

وسـل فراشا لطـه عند هجرته ... من بات درعا يقي المختار في الضرم

وسل كتاب الهدى فيما تلا صحفا ... من صاحب العرش في حق السنا العلـم

وسل أحاديث صدق كلها سور ... تروى بـحق أمـين الله ذي الشـمـم

وسل قلوبا لعشـاق لهـم سـمر ... حتى الصباح بذكر الآي والعصـم

قد جاوز الرسل في عز وفي عظـم ... فالكـون منه سـلام غير منقسـم

منـزه عن بلوغ العـقل منـزلة ... فكيف يهبط في واد لذي صمـم

وهو الذي قَـوّم الإسـلام حين أتى ... بالسيف يهدم عرش الكفر والدُهـم

وهو الذي تمـم الرحـمن منهـجه ... يوم الغـدير به في واضح الكلـم

لولاه ما أصبـحت آيـاته سـلما ... حيث الولايـة للتبـيين والنـظم

إن لم يكن كان دين الله في حجب ... من الظـلام بطـيات من العـدم

دع من يغـالط نفـسا سـولت شبها ... حتى يرأى الليل صبحا من شقى اللمـم

سرى بأنفـاق وهـم ظنـها قمما ... فـراح ينسـب صفو المُزن للصنـم

محـمد كاظـم الخاقاني

المحاضرة الخامسة

بحور العلم

وصـــل بنا البحث إلى مسألة العلم و إعجاز زمن الظهور و أنه إنما يكون بـــالعلم بـــإطلاق الكلمة في كافة الميادين بيانا و تطبيقا للعدل و قد بينا أن القرآن يحمـــل ســـبعا و سبعين بطنا و أن هذا العدد يرمز إلى اللانهاية في أبعاد العلم و المعـــرفة و مكـــارم الأخلاق التي هي التخلق بأخلاق الله ﷻ عروجا نحو المبدأ اللامتناهـــي و قـــد يكـــون هذا العدد رمزاً لقبول الإزدياد نحو اللانهاية كالعدد أو الفيض الإلهي و القرآن هو الكتاب التدويني التشريعي الحاكي عن الكتاب التكويني الإلهـــي و هـــو عالم الإمكان السالك بفيض الله ﷻ نحو مبدأ لا متناه حيث يكون الفيض مستمرا على هياكل الممكنات.

و لكـــن من الواضح الذي لا ريب فيه أن الأمة التي تسأل عن عدد شعر لحـــية أو نزاهة أم أو تطلب من نبيها عدم كشف ستر عن فضائح أيام الجاهلية أو تخـــاف عند قرب رحيل الرسول ﷺ من إشارة تفضح أمرا دبّر له بليل ظهرت مظاهـــره و الرسول بعد لم يجعل في مضجعه الشريف حينما قال قائل القوم : إنه لـــيهجر ، كل ذلك بدلا من أن تسأل هذه الأمة نبيها أو إمامها عن علوم القرآن و طرق السماوات و الأرض و حجب النور و عظيم مقام المعراج و ما حدث به من إعجاز كوني بكلمة كن الوجودية الإلهية أو بهيمنة عالم أعلى على عالم أسفل حيث إحاطة العوالم العلوية بأسبابها على العوالم السفلية بإذن الله ﷻ .

فراحت هذه الأمة تتنازع سلطان محمد ﷺ بمنظارها الجاهلي القبلي حيث لـــم تسترشـــد بهـــدي الولاية فشاهدت مجداً لرئيس قبيلة قريش و أن قريشا أحق بسلطانه من كل أحد حتى ممن نصروه كالأنصار غافلة عن أنها النبوة التي أرادها الله ﷻ رحمة للعالمين و أنه الكتاب الذي هو تبيان لكل شيء و أنها الخاتمية التي هي مظهر أسماء الحق تعالى علما و عملا .

أجـــل بمثل هذا المستوى من التفكير ما كانت الأمة مؤهلة لفهم أبعاد بطون هـــذا الكتاب المجيد حتى يقام لها العدل بأبعاد العلم ، فأين هذه البطون اللامتناهية للعـــروج إلـــى مبدأ لامتناه من أمة ما منحها الإسلام لقيود حضارة الجاهلية أمرا سوى وحدة تحت راية السيف لتفتح تحت ظلاله البلاد مسمية ذلك الفتح و النصر الـــذي قـــد يحصـــل مـــن أي موحـــد لأمة و لو تحت راية بعض القبائل البدوية الصحراوية كالمغول و التاتار بالجهاد و لكن الإسلام كان محتاجا لأمة تفتح بسنن العلـــم و العدل و المثل و مكارم الأخلاق بلاد الله الواسعة لا بسيوف تفتح أسواق الرقـــيق لتملأ القصور بالجواري الحسان ، فالفتح بالسيف ليس فخراً إنسانيا و إن كان فخرا قوميا للكثير من الأمم يخلّد الفرد الفاتح أو الأمة الفاتحة لا القيم و المثل الإنسانية .

و لم تنهض الأمة بعد ذلك أيضا لفتح العالم فتح علم و عدل ليومنا هذا و علـــيه فلابد من يوم يظهر الله ﷻ به أوليائه على الدين كله إعجازا لأبعاد العلم و العدل بإطلاق الكلمة في ميادين الحكمة و علم النفس و الإقتصاد و السياسة الحقة و قـــيم العرفان سبل العروج إلى الله ﷻ كما و أنه لابد من إعجاز علمي في مقام الســـرعة و الحركة و خرق أقطار السماوات كما أشار إلى ذلك الكتاب المجيد في مسألة المعراج لرسول الله ﷺ و بيان المراد من كون كل شيء يسبح لله أو يسبح فـــي فلـــك و كيف يعقل خرق عالم الإمكان طراً في لحظة و اللحظة كثيرة و ما

المـــراد مـــن حجب النور التي كشفها الله ﷻ بسبعين ألفها لرسوله ليلة المعراج حيـــنما أوحى إليه ما أوحى و غير ذلك من العلوم الكثيرة التي أشار الله ﷻإليها كأصول علمية أو عقائدية في كتابه أو أشارت إليها السنة النبوية الحقة.

أجـــل هناك ما تفخر به الأمة الإسلامية و هو تحدي القرآن المجيد العرب مع عظيم أدبهم أو في بعض الميادين الأخرى لكن الله ﷻ بعظيم كتابه المجيد ما جـــاء ليـــتحدى أمة جاهلية في جزيرة العرب فقط بل جاء ليتحدى الأمم كافة على إختلاف مراتب رقيها إلى قيام الساعة بكتاب هو تبيان لكل شيء إعجازا في كافة الميادين علمـــا و عملا و لا يتم ذلك إلا في زمن ظهور الحجة المنتظر صاحب الولاية المطلقة تشريعا و تكوينا .

فأيـــن تحـــدي الإسلام بما عليه المسلمون من فهم لرسالة السماء من التحدي للعالم في واسع مناهج العلم و الإزدهار الإقتصادي و العلوم المعنوية النفسيه للأخذ بـــالأمم إلى مدارج الكمال و الرقي دنيا و آخرة و المسلمون [و الكلام عن السواد الأعظـــم] يعيشـــون الـــتمزق و عقلية الاستبداد حيث يلغي بعضهم بعضا و يحقد بعضـــهم علـــى بعـــض حتى تسربت أمراض حضارة الجاهلية إلى أبناء الطائفة الواحـــدة أصـــولية إخبارية شيخية حتى كأن الواحد منهم يوحى إليه و ليس أمراً إجـــتهاديا قـــابلا للطرح و النقاش العلمي و قد يكون الشخص فيه في علم الله ﷻ مصيبا أو مخطئا و ربما كان مصيبا في جانب مخطئا من جانب آخر .

فـــراح الصـــراع بدلا من الطرح و النقاش و الحوار الحر العلمي لينهك قواهم و انساقت الأمة في بعدها عن واقع شرع يسع بصدره الواسع البشرية كافة إلـــى ضيق ينفر منه طلاب حوزة من أنفهسم في غرفة من غرف مدرسة واحدة يدعـــو كـــل واحد بروح النقد الهدام إلى مسلكية أو عَلَم من الأعلام ناسيا المقاسم المشـــتركة التي لا تعد لأبناء الطائفة الواحدة مضخما لبعض الجزئيات و الفروع

جاعلا منها علة تامة تبرر له تمزيق الأمة راجيا من الله ﷻ بذلك الأجر العظيم و جوار النبي الكريم ﷺ .

فضاعت المقاييس و أضيعت العامة و راح ليتلوا الضياع بعضه بعضا حتى في بدايات شؤون مسلّمات الفطرة ليصبح المسلم بعد ذلك لا يطمئن لأخيه المسلم في أبسط الأمور و لو في شراء سلعة يشتريها من سوق المسلمين لا تبلغ الدرهم أو الدينار و بالأخص إذا عرف المسلم من أخيه المسلم أنه غريب عن البلد لا يعرف الأسعار .

و قد أصبحت الغيبة فاكهة المجالس و أصبح المسلم إذا سمع بزلزال أو فقر أو ذل أو قتل و قمع لبعض أبناء الإسلام في بعض الديار الإسلامية بدلا من المبادرة إلى العون بقدر الإمكان أو التألم و الدعاء للباقين بالصبر يندفع قائلا : لو لا أنهم مستحقون لما نزل عليهم هذا الإنتقام الإلهي و لو أنه نظر بعقله لرأى أن الكثير مما يعانيه المسلمون معلول علل حدثت من جراء ممارسات لأنظمة مستبدة أو هو نتاج لمخططات المستعمرين و إن ساعدهم ببعض جوانبه غفلة الشعوب و عدم وعيهم لمفاهيم الإسلام و قيمه العليا أو كان بعضها من شؤون مجاري الكون التي لا ربط لها بغضب الله ﷻ و إن أمكن وقوع بعض البلايا و المحن تأديبا من الله ﷻ لعل الناس إلى ربهم يرجعون و إليه يتضرعون .

أجل راح المسلم تحت وابل من إيحاء بدع التفاسير و ضغوط الأحقاد و ضيق قيود الطائفية و القومية و القبلية التي أصبحت جزءً من عقلية المسلم لا يتمكن من التخلص من السير في مثل هذه الأنفاق المظلمة .

☆ ركائز الدعوة عند الظهور

ركائـــز دعـــوة الحق سوف تقوم على قوائم ثلاث : العدل و العلم و مكارم الأخلاق فها هي الأمم تدعو المسلمين هل من مبارز في ميادين العلم و الاقتصاد و الـــنظم و غـــيرها من الأمور حتى في مثل الخلق الكريم كالوفاء بالعهد و الالتزام بالمواقيت و الصدق في القول و الإحساس بالمسؤولية و التضامن الاجتماعي حيث أصبح الكثير من هذه الأمور مفقودا في الديار الإسلامية .

أجل ها هي الأمم تتحدى المسلمين حتى و إن لم يقل في هذا العصر أحد في ســـاحة القتال كعمرو بن ود العامري بحت من النداء بجنبكم هل من مبارز فاتلاً العضـــلات الجسدية و مسبلا الشوارب الغلاظ ،فإن التحدي في كافة الجوانب هو الحاكم و الثابت على أرض الواقع للأمة المسلمة من قبل بقية الأمم .

و علـــيه فمـــن أجل إثبات كون الإسلام دين الرقي و الكمال و الخير لسعادة الدارين لابد من إعجاز حقيقي في ميادين العلم و العدل و مكارم الأخلاق التي هي غاية بعثة الأنبياء التي لم تتحقق ليومنا هذا على وجه الأرض إلا في إطار محدود و لا تتحقق دولة الحق الكريمة إلا عندما يريد الله ﷻ إتمام حجته على الخلق في آخر أيام الدنيا ليثبت تعالى بعد الإمتحان للبشرية طيلة القرون أن التخلف و البؤس و الظلم كان نتاجا لسوء عمل المجتمع .

☆ عند الظهور لا عمل بالتقية

ورد عـــنهم عليهم السلام: التقية ديني و دين آبائي ، و إن فسرها الجاهلون بمنظار أحقـــادهم تفاســـير تروي مدى بُعد معارفهم الإسلامية أعاذنا الله سبحانه و تعالى و إياكم من ضـــيق مسالك الضالين المضلين في حين أن التقية أصل قرآني لا ريب فيه وهي مـــع ذلـــك من موازين العقل عند الخوف لكل ذي لب سليم و لينكر ذلك من كابر عقلـــه لان من الواضح أن من لا يتعامل مع الضرورات و الأخطار ما يناسبها لا يســـمى عـــاقلاً و هـــو ما دعى محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن يدعوا إلى الحق سراً و أن يرحب بعمار بن ياسر بعد مقتل أبويه و ذلك أيضا ما دعى مؤمناً من آل فرعون أن يكتم إيمانه.

فالتقـــية شرط العقل التي أرشد إليها كتاب الله سبحانه و تعالى و لا ينكر ذلك إلا مخادع ماكر يريد تحريك عقول البسطاء من الخلق على أتباع آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو جاهل لا يعرف شرع الله سبحانه و تعالى لكن الروايات تقول :﴿ **إذا ظهر مهدي آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم لا يعمـل بالتقـية**﴾ فهـــل يعقل ذلك إذا كانت التقية شرطا للعقل و أمرا مسلّما قرآنيا؟!

نقـــول : المراد من عدم العمل بها لأنها لا يبقى لها موضوعية و الحكم تابع لموضـــوعه فإذا إنتفى الموضوع و هو الخوف من الظالم الجائر و لو سمى نفسه مســـلما يســـقط حكم التقية أيضا و عند ظهور عدل الله تعالى على أيدي مهدي آل محمـــد صلى الله عليه وآله وسلم لا يبقى للظالمين محل على وجه الأرض حيث ينتهي حكم الفراعنة و الطواغيت كانوا متردين برداء الدين أو بأي رداء آخر.

أجـــل إذا ضربت دولة الحق أركانها على وجه الأرض انتهى العمل بالتقية لأنها حكم أيام الظلم و الاستبداد و حضارة الجاهلية التي فرضها الحكام المستبدون و فراعنة الديار الاسلامية باسم الله ﷻ و رسوله طيلة القرون و هنا قصة سمعتها مـــن الوالد رحمه الله حين عودته من إحدى أسفاره لبيت الله الحرام قال : دخلت إحدى المكاتـــب لشـــراء بعض الكتب في المدينة المنورة فوجدت جمعا من علماء العامة مجتمعيـــن يتحدثون فيما بينهم فسلّمت عليهم ثم أخذت أنظر إلى الكتب ، فخاطبني أحد المشايخ منهم قائلا : يا شيخ يبدو عليك أنك من علماء الشيعة فأجابه الوالد نعم أنا من أتباع أهل البيت و إني لفخور أن يكتبني الله ﷻ من شيعتهم و مواليهم فقال لـــه ذلك الشيخ : كيف تفخرون بمذهب من شعاره الدجل و الكذب و النفاق و ذلك بجعلكم التقية شعارا لأنفسكم و منهجا لدينكم .

فقـــال الوالـــد : لما وجدتهم بهذا القدر و المستوى من الفهم و سعة الإطلاع الشـــرعي و المعارف لمباني الشيعة و معتقداتهم و أنهم لا يعرفون البديهيات من رســـالات السماء و شريعة الإسلام حيث كانت التقية منهجا قرآنيا لا ريب فيه بعد كونهـــا من قيم العقل السليم و إنما النزاع بين العامة و الشيعة في كون التقية هل هـــي فـــي مقـــابل كل خطر و ظلم فيعم أمرها لو حصلت العلة و هي الخطر و الاضطهاد و الجور حتى و لو كانت من مسلم في مقابل مسلم آخر إذا كان ظالما جائرا متسلطا على رقاب المسلمين باسم الله ﷻ و شرعه القويم.

فقال الوالد رأيت من اللازم في مقابل هذا المستوى من علماء العامة أن أتكلم بما يناسب مبلغ علمهم و قدر إدراكهم لأنهم لا يستحقون البحث على صعيد الكتاب أو السنة النبوية .

فقلـــت لهـــم : أقسم عليكم بالله العظيم أن تصدقوني القول و نحن في جوار رسول الله ﷺ لو أخذت بأيديكم إلى بعض قرى الشيعة البعيدة عن المعارف على

الفــرض و الــتقدير كما لكم الكثير من عوامكم و جهالكم ينسبون إلينا فضلا عن أباطيل الكلمات و الافتراءات ما يستقبح الإنسان ذكره من كون الشيعة لهم ذَنَب أو هم إباحيون في مجالس تعازي الحسين عليه السلام و وجدتم أنفسكم بين قوم يرون السني كافــرا و ربمــا تجاوز البعض لجهله فرأى السني كلبا مبللا و كان يعتقد أن قتل السني من موجبات التقرب إلى الله سبحانه و تعالى و أنه مهدور الدم و مباح المال فهل تصلون فــي مــثل هــذه القرية مكتوفي الأيدي أو مسبليها و أنتم تعلمون علم اليقين أنكم ستقتلون و تستباح أعراضكم و تصادر أموالكم لو صليتم مكتوفي الأيدي؟

قال الوالد فسكتوا جميعا، فعاود الوالد يخاطبهم قائلا :أقسمت عليكم بالله الذي لا مفر من قضائه أن تصدقوني القول هل كنتم تصلون مكتوفي الأيدي أو مسبليها؟

قالوا نخاف على أنفسنا بعد الجزم بالقتل و التعدي على الأعراض و الأموال و نصــلي كمــا يصــلي هؤلاء مسبلي الأيدي فهو خير من أن نعرّض أنفسنا و أعراضنا و أموالنا لخطر بلا أي ثمرة في المقام.

فأجابهم الوالد قائلا : هذه هي التقية و هذا هو ما ارتكبه حكامكم و علمائكم طــيلة هــذه القرون في حق الشيعة لكنه من الغريب أن يكون ما تفعلونه عقلا و شرعا إسلاميا و يكون ما نفعله دجلا و نفاقا.

فهذه هي التقية و هذا هو الواقع الذي كنا نعيشه طيلة القرون في ظل فراعنة نســبوا أنفســهم إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لكن الآن لما أصبح الكثير من الشيعة في بعــض المدن لا يخافون سلطانكم و بطش حكامكم فلا تقية توجد في المقام إلا في الديــار التي يتسلط عليها بعض المستبدين باسم الله سبحانه و تعالى و رسوله الكريم صلى الله عليه و آله و سلم في هذا العصر.

☆ ما هي ثمرة الإمام الغائب و الولاية الباطنية ؟

أورد الكثير من أبناء العامة و الجماعة هجمات عشواء على الشيعة ساخرين تارة و شاتمين تارة أخرى قائلين ما هي ثمرة إمام غائب لا يستفاد منه و كأنهم ما قـرؤوا كتاب الله تعالى من كون الولاية لعباد الله الصالحين تارة تكون باطنية و تارة تكون ظاهرية .

فالظاهـرية هي ما قام بإعمالها أكثر الأنبياء فحكموا بالظاهر كما قال النبي ﷺ: ﴿**إنما أحكم بينكم بالبينات و الأيمان** ﴾ و لم يعامل أحدا بما هو عليه من بواطن نفسه نفاقا كان أو كفرا أو شركا.

و هناك من جعله الله ﷻ من عباده الصالحين لإصلاح بواطن الأمور كالعبد الصالح الخضر عليه السلام حيث راح ليخرق سفينة و يقتل غلاما و يقيم جدارا .

و عندها نقول : ما جاء القرآن لينقل قصصا لا ترتبط بجذور الشرع القويم و إنمـا كان ميزانا و أساسا لمقاييس الحق و إنّ ذكر قصة العبد الصالح مع موسى عليه السلام كانـت إشعارا لقلوب الواعين إلى وجود عظماء من الخلق يقومون بشؤون الباطن و الإصلاح الخفي لكن قبل الخوض في هذا المجال نتعرض من باب الدليل النقضي لأمر ثم نعود إلى ما وصلنا إليه من الولاية الباطنية في المقام .

فـنقول : إن كان وجود الشيء الذي لا يستفاد منه نقدا يستوجب السخرية و الشـتم فليكن القرآن المجيد بما يحمل من عظيم العلم و البطون السبع و السبعين التي بقيت طيلة هذه القرون لغفلة المسلمين عن واقع هذه الأبعاد الإسلامية مكتومة

مجهولـــة مستورة بعد كون القرآن تبيانا لكل شيء فيكون القرآن بلا ثمرة لأنه لم يستفد المسلمون من هذا الكتاب العظيم بما يحمل من مراتب العلم و موازين العدل و قـــيم مكارم الأخلاق و يكون الله ﷻ بواسع علمه الذي يعلم غفلة المسلمين عن هذا الكتاب العظيم فعل ما لا يستحسن من الإنزال غير السديد لأنه تعالى يعلم أنه لا يستفيد منه المسلمون بما هو يحمل من هذه القيم الرسالية .

فيكون توجيه نقد هؤلاء المتفلسفين على الله ﷻ في كتابه المجيد الذي أنزله و بقـــى طيلة هذه القرون لجهل المسلمين مهجورا لم تفهم أبعاده و لم يعمل بعظيم موازين عدله أولى من توجيه نقدهم على الشيعة في إمام مستور لم يستفد منه .

لأن إنزال كتاب بهذه الأبعاد لم تستفد منه البشرية و إلا لعاشت عزها فيصبح على مبلغ علم هؤلاء الكتاب المجيد كتابا بلا ثمرة و لو ببعض مراتبه أي من حق هـــؤلاء على مسلكهم أن يقولوا لله تعالى موردين عليه أي ثمرة لوجود هذا الكتاب الـــذي لـــم يســـتفد منه إلا بقدر من مراتب ظهوره فضلا عن بطونه أو أبعاد تلك البطون فكان عليك يا إلهي أن تنزل كتابا على قدر ما يستفيد منه البشر و يدركون أبعاده.

فالـــنقض قـــبل أن يتوجه على الشيعة لوجود إمام لا يستفاد منه يجب أن يتوجه على الله ﷻ من جهة إنزاله هذا الكتاب المجيد و هو يعلم أن المسلمين بدلا من السؤال عن أعماقه سيسألون عن عدد شعر لحاهم و الغالبية المثقفة و المتفقهة سوف لن تتجاوز بعض البطون أو حدود البحث عن آيات الأحكام .

لكـــن الإشكال يسقط عن الاعتبار لو كان المانع من قبل المجتمع و سوء أفعالهم و عدم التزامهم بالحق و تهاونهم في معرفة أبعاد هذا الكتاب المجيد و عليه فـــيكون الـــنقد علـــى البشر بعد إتمام اللطف من الله ﷻ على العباد بإنزال كتاب يضـــمن لهم الكمال و العز و كذلك بالنسبة إلى إمام مستور إذا كان المانع من قبل

الـــناس أنفســـهم فكأن الناقد الساخر قد بذل قصارى جهده ليستفيد من هذا الكتاب المجيد و سنة محمد ﷺ و سيرته في قمم مثلها العليا و أدرك أن بعد كل نبي لابد مـــن وصـــي حافظا للرسالة من الزيادة و النقصان شارحا لأبعاد بطونها و مطبقا لعظيم عدلها و مجسدا لقمم مثلها في مراتب مكارم الأخلاق حتى يقف تعلوه البهجة و الســـرور ساخرا بالآخرين قائلا ما هي ثمرة وجود إمام مستور لا يستفاد منه و قـــد نســـي أنه سمى الطلقاء أمراء المؤمنين و شربة الخمور خلفاء النبيين و تردد حين قام السيف حكما بين عبدالله بن الزبير و عبد الملك أو يزيد يسمي من منهما أمير المؤمنين.

ثم راح ليسمي المنتصر و لو كان ماكرا أمير المؤمنين و المنهزم بالباغي علـــى إمام زمانه أو بالمجتهد الذي له أجر، يتخبط في تمييز الموازين و المقاييس لما كان يريد معرفة الحق في وجوه الرجال ،يرى مستحقا لعرش الخلافة من كان يومـــا يـــراه باغـــيا كما حصل ذلك في عهد نزاع بني أمية و بني العباس فسمى الأمويـــن خلفـــاء رســـول الله ﷺ و كان بنظره المخالف باغيا كقادة الثورة من العباســـيين لكن سرعان ما أصبح الباغي الذي يجب قتاله و قتله لأنه خارج على إمام زمانه بعد الانتصار خليفة للمسلمين و المنهزم الذي كان يراه قبل ساعة أميرا للمؤمنين مجرما يستحق القتل .

هكذا راحت هذه الأمة لتتخبط في إعطاء الألقاب و تشخيص مقاييس الحق و الباطل ليكون الباغي بعد الانتصار أميرا للمؤمنين.

فيا عجبا من هذه العقول التي صنّمت الرجال و قد سمتهم بخلفاء النبيين بدلا مـــن أن تتقـــي الله في معرفة صراطه المستقيم لتدرك المراد من قول رسول الله ﷺ : **﴿من أصبح و لم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية﴾** و أن الحق

لا يعرف بالرجال و إن هذا لا ينطبق عقلا و شرعا على أمثال يزيد بن معاوية بل كما قال ﷺ **«اعرفوا الحق تعرفوا أهله»** .

كـــل هـــذا التخبط ثمار لحضارة الجاهلية و الاستبداد الذي رفعت معالمه في الســـقيفة حينما نزل عرش النبوة من قيم الإنسانية و الرحمة للعالمين إلى سلطان رئيس قبيلة قريش حتى قال قائل القوم من ينازعنا سلطان محمد بعد ما بث روح النزاع القبلي بين الأنصار لتمزيق صفوفهم .

ثـــم راحت الأمة لتعيش بعد تخبطها في حضارة الاستبداد باسم الدين لتلغي الآخريـــن لأنهم لم يستسلموا لمثل هذا الهذيان و لم يعيشوا تقديس الرجال بدلا من تقديـــس الكـــتاب و السنة و سيرة المعصومين من الرسول و آله الكرام ثم رمت الآخرين بدائها حينما قالت : إن التشيع أبدعته الفرس في حين أن أئمة الشيعة كلها مـــن آل الرسول ﷺ و إن جل رواتهم من العرب في حين أن مذهب التسنن قائم أئمـــة و فقهاء و رواة في غالبية رجالاته على الفرس و لا أريد التكلم من منطلق قومي لكن لكل مقال ما يناسبه .

☆ بيان علل التشريع

و مـــن جملة المطالب التي لابد من بيانها عند الظهور بيان حق و يقين هي علل التشريع بعد الاعتقاد بأن الأحكام تابعة للمصالح و المفاسد و أن الله ﷻ يأبى أن يـــترك شرعه بلا بيان و شرح في بعده التشريعي و علل صدور أحكامه ليعلم

الـــناس مثلا ما هي علل تشريع الصوم بأبعاد الصحة حينما يرد الحديث صوموا تصحوا ، حيث أن الصحة لا تتقيد بصحة جسدية فالصوم له بعد صحته النفسية و الاجتماعية و التربوية و الاقتصادية و غيرها من مواطن الصحة.

و كذا ما هي أبعاد المصالح في الحج أو الصلاة ، و مفاسد ما حرم الله ﷻ أو كـــرّه حتى يتبين للناس في زمن العلم مدى غايات الشرع القصوى التي تركها الناس و لو التزموا بها لتحققت تلك الغايات التي من أجلها شرعت هذه الأحكام بعد ســـقوط تعارض الأخبار و تراجيحها عند ظهور طلعة الحق منقذ البشرية القرآن الناطق الذي لا أثنينية بينه و بين الواقع لأنه ظهوره فهو مظهر تجليات الله ﷻ و من مظاهر تجليات إسمه الأعظم الذي لا بعقل معه الخطأ و النسيان .

فإنـــه عـــندها يأتي أيضا دور منازل الترجيح للأولويات في ميادين تزاحم المصـــالح للأولياء و أهل الخير الذين خلصوا لرب العالمين للأخذ بالأقوى ملاكا مـــنها فضلا عن السلوك في مسالك الخير في مقابل الشر و الباطل الذي هو سبيل العامة من المؤمنين و في هذا المجال أيضا عند الظهور و قيام دولة الحق لابد أن تتـــبلور الأمـــور ثـــم تســـقط الغايات الخاصة المتناهية لدى الأولياء لتبقى الغاية اللامتناهـــية التي لا ينتهي أمد السير إليها مقصودة وحدها و هي غاية الخلّص من عـــباد الله من أصحاب الرايات الثلاثمائة و ثلاثة عشر مهتدين في سبل عروجهم بمهـــدي آل محمـــد ﷺ إلى معبودهم و معشوقهم حيث الفناء في ميادين الحب و حضرة الأحدية بأنوار الحمد المحمدية فهو الحبيب و المحمود.

حيـــث تسقط الغايات المتناهية المحدودة و إن كانت هي في أنفسها حقا عند لحـــاظ غاية الغايات لدى العشاق الوالهين و سوف يجد الناس في صبح الحياة بعد اليقظة من ليالي الدهور أنهم كانوا يعيشون سباتا و إضاعة للحياة و لو في سيرهم نحو هذه الغايات الخاصة التي هي من سبل الحق فضلا عمن كانوا يعيشون الغفلة

عـــن صـــواب الغايات كما قال ﷺ:﴿ **الناس نيام إذا ماتوا إنتبهوا**﴾ و عند الصـــباح يحمد القوم السرى حيث كان الإنسان الكامل فوق الملائكة كيانا تسجد له الملائكـــة الكرام و تنهل من فيض جوده لبلوغ منازل الأسماء و الصفات، قد خلقه الله ﷻ في أحسن تقويم

أتحســـب أنك جـــرم صـــغير وقد إنطـــوى فيك العـــالم الأكـــبر

☆ لا بيعة لأحد في عنقه عليه السلام

تقول الروايات أنه عجل الله تعالى فرجه الشريف إذا ظهر لا تكون لأحد في عـــنقه بيعة لكن قد يتبادر إلى الذهن هاهنا سؤال و هو أن هذه الروايات عن أي بـــيعة تتكلم؟ إذا كانت البيعة التي أعطاها أهل السنة و الجماعة شرعية أخذت من أكابـــر الصـــحابة حينما كان الإسلام في بداية إنحرافه عن منهج الحق عند رحيل رســـول الله ﷺبالتوعيد و الضرب لسعد و هو من أكابر الأنصار ثم بحمد الله و المنة أراح الله ﷻ المسلمين من خطر هذا الإنسان الذي أصر على عدم البيعة هو و قومه حين قتله الجن!!!

ثـــم بـــايع قومه مرغمين و أخذت من سيد المهاجرين إن لم نقل من وصي رســـول رب العالمين بعد التهديد بالقتل و تعريض زوجته و أبناءه للقتل والحرق

حيـــنما قـــيل لزعـــيم القوم أتحرق الدار بمن فيها إذا لم يخرج علي للبيعة و بنت المصطفى فيها و ريحانتا رسول الله ، قال : نعم !!!

هـــذا هو النموذج الأعلى للبيعة التي حصلت لخليفة المسلمين من قبل أكابر الأنصـــار و المهاجرين و هذه القيم الرسالية و حرية الرأي و المثل التي تجسدت بعد وفاة رسول الله ﷺ باسم البيعة و الشورى و شرع الله ﷻ .

و إذا كان هذا هو حال علي عليه السلام و سعد و هما من أكابر الصحابة فأظن أن حـــال بقـــية المســـلمين يكون جليا لأصحاب اللب لا للفئة المعاندة التي لا تعرف الإسلام إلا حقدا و تكفيرا و إلغاء للآخرين و تقديسا لبعض الرجال فإن الإعراض عـــنهم أجـــدر بالديـــن و العقـــل و أمر مالك بن نويرة واضح جلي لغير الجهال الحاقدين.

و أما البيعة التي حصلت فيما بعد في زمن بني أمية و بني العباس فهي عار فـــي جبيـــن هذه الأمة التي تنسب نفسها لرائد السلام و الحق و الحرية محمد بن عبدالله ﷺ .

و عليه فيكون التساؤل جليا واضحا أن هذه الروايات عن أي بيعة تتكلم ؟! و هـــل البـــيعة تحت ظلال السيوف يمكن في حقها أن تسمى ببيعة حتى يقال أنه إذا ظهر ليس لأحد في عنقه بيعة لأن بقية الأئمة كانت في عنقهم بيعة لحكام زمانهم فهـــل البيعة بالقهر و الغلبة و التهديد تكون لها شرعية حتى يقال أنه لا بيعة لأحد في عنقه ؟!

نقول : هناك أمور لابد من الالتفات إليها مقدمة لتوضيح ما نحن بصدد بيانه و هي أنه لو أراد الله ﷻ أن يحقق العدل على وجه الأرض لسلّط أولياءه عليها و هو أقدر القادرين لكنه جعل الدنيا مختبرا للعقول لتكون دار إختيار و إختبار يقارع فـــيها الحـــق الباطل في غياهب الظلمات و مسالك الشبهات ، الذئب فيها راعيا و

الأعمى فيها دليلا و الباغي خليفة و المغتصب صدّيقا و القاسم بغير العدل فاروقا و المفضـــول إمامـــا و أنيـــن المعذب المظلوم كفراً و مئات الآلاف من المقاييس المغلوطـــة و الموازين المقلوبة التي لابد أن تتجلى على يد منقذ البشرية مهدي آل محمد ﷺ.

و قـــد بني الإسلام على أسس الحرية و أنه لا إكراه في الدين بإطلاق الكلمة ســـواء فـــي ميادينـــ العقيدة أو العمل و الأحكام الشرعية و إذا كان الإسلام يسع بصدره الرحب الإنسانية بكل أبعادها فالأجدر به أن يسع تكريما لحرية الرأي من تخـــتاره غالبـــية الأمـــة و لو كان إختيارا خاطئا باطلا لتقارب حضارة الحاكم و المحكوم و الراعي و الرعية حينما يكون رجل السلام و العلم و العرفان و الحق و العـــدل و القـــيم و المثل غريبا على حضارة أمة جاهلية لم تتمكن أن تتخلص من رواســـب ماضـــيها بموازين القبلية حيث راحت لتستأنس لنداء الصارخين بأعلى أصـــواتهم من ينازعنا سلطان محمد ﷺ فهو بأعينها سلطان و رئيس قبيلة قريش العربية ناسية أو متناسية أنها النبوة التي هي رحمة للعالمين .

و إذا كانـــت لحرية الرأي مكانة فوق كل القيم و لو أراد المخطئ البقاء على الـــيهودية أو النصرانية فإنه لا يجبر على قبول الحق الذي لا ريب فيه ، فبالأولى أن تلحـــظ الحرية و مكانة الرأيَ بالنسبة إلى مقام من كان مسلما و لو كان مخطئا فـــي اختياره بعد بيان الحق من كونه يجب تحقيقه على أيدي إثنى عشر نقيب بعد رسول الله ﷺ حينما تختار الأمة المسلمة من يناسبها حضارة و عقلا و ذوقا قبليا لـــبقاء رواســـب الجاهلية التي هي من سنن الله في خلقه لمن أمعن النظر في عبر القـــرآن عندما يعرض علينا حياة الأمم مع أنبياءها كبني إسرائيل الذين أرادوا من نبـــيهم موسى عليه السلام حينما مروا بقوم يعكفون على أصنام لهم طالبين منه أن يجعل لهم إلها كما لهؤلاء آلهة ثم راحوا ليعبدوا العجل بعد ذلك .

و قـــد بيّن هذه السنن الإلهية رسول الله ﷺ أيضا بقوله : **إنكم على سنن من كانوا قبلكم و لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه قيل يا رسول الله اليهود و النصارى قال : فمن !**

و بعـــد هـــذا البيان يكون الأمر جليا واضحا بأن كل نقيب من النقباء الإثنى عشـــر إن وجـــد الأمة راغبة في شخص و قد سمته خليفة لرسول الله ﷺ و قد بايعـــته ســـواء حكم بدعوى أن الأمر شورى و هو لقريش أو بايعه الناس لمجرد نصب من خليفة لآخر أو بويع لمجرد مظاهر شورى أو للوراثة أو للسيف فإنه بعد قـــبول الأمة ذلك شرعا إسلاميا لا يخالف الولي بالحق الأمة في اختيارها لأن الله ﷻ لا يـــريد الدين كرها و إذا بايع ذلك الولي و من فرض الله طاعته على الناس شخصا لمبايعة الأمة إياه فإنه لا ينقض بيعته بعد ذلك تكريما لحرية الرأي و لذا لم يـــنقض علـــي عليه السلام بيعته لمن سماه المسلمون خليفة لرسول الله ﷺ و لا الإمام الحسن و الحسين البيعة حتى لمثل معاوية بن أبي سفيان .

و إنما خالف الحسين عليه السلام و لم يبايع يزيد بن معاوية لدعوى أهل العراق إنهم لـــم يرتضـــوا به خليفة و إنهم يريدون من الحسين عليه السلام أن يقيم في ديارهم الحق وأنهـــم ناصـــروه على باطل تأصل في هذه الأمة باسم الله و شرعه القويم و لأن الحسين عليه السلام أصبح يعيش في دور جديد من نقض القيم لرسالة رسول الله ﷺ بعد ما حصلت الردة الأولى بضرب محتوى الرسالة و حذر علي عليه السلام الأمة من مغبة هـــذه الـــردة ، جاء الحسين في زمن يزيد بن معاوية ليحذر الأمة من مغبة نهاية الرســـالة فـــي ميادينـــ الباطن و المحتوى و في ميادين المظاهر و الصور حينما تعرضـــت الشـــريعة في زمن يزيد للإندراس في جميع أبعادها تفسيرا و تأويلا و تطبيقا في ميادين العدل و الحكومة الإسلامية و إن كان الله ﷻ قد أخذ على نفسه

لطفـــا بحـــال العباد أن يبقي الشريعة محفوظة لإقامة الحجة على الخلائق إلى يوم الدين قائلا ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون** ﴾[1].

و علـــيه فـــنقول عـــودا على بدء : إن الحجة المهدي عجل الله تعالى فرجه الشـــريف يأتي و لا بيعة لأحد في عنقه و هو زمن الضياع للأمة و اليأس من كل مـــنقذ و ســـقوط الأقـــنعة مـــن وجـــوه المتظاهرين بالعدل أو الحق أو الحرية و الديمقراطـــية أو فـــردوس الإشتراكية و الشيوعية أو العدل المطلق للعلمانية بعد سقوط أقنعة المتلبسين بألبسة الدين من علماء اليهود و النصارى و المسلمين.

البيعة إذن بما هي بيعة لا قيمة لها لأنها لم تتحقق بموازين الشرع بعد رسول الله ﷺ إلا لعلـــي عليه السلام و الإمام الحسن عليه السلام و ما يسمى بالبيعة التي ليست لأحد فـــي عـــنقه هي بيعة الرأي تكريما للحرية و لو كانت هي بيعة الفلتات التي هي المـــثال الأعلى لمن يدعي الشرعية للخلافة التي حدثت بعد الرسول ﷺ و إلا فما حصل بعدها و بالأخص لمثل حكام بني أمية و بني العباس و العثمانيين فهي من أظهر مظاهر الإستبداد التي لا يمكن دعوى شريعتها إلا من جاهل أو معاند يكابر عقله يرى تجلي رسالات السماء في أفعال الجبابرة و المجرمين من شربة الخمور و الطاغين.

و التســـائل الذي يطرح نفسه كما قلنا هو أنه هل يمكن أن نسمي ما وقع من الأئمـــة المعصـــومين تجاه هؤلاء المغتصبين للخلافة بيعة حتى يقال أنه عجل الله تعـــالى فـــرجه يأتي و لا بيعة لأحد في عنقه أو أن ما وقع هو من السالبة بانتفاء الموضوع أو أنه أمر لا قيمة له لأنه وقع تحت ظلال السيوف .

فقـــد إتضـــح من بياننا أن المراد به أن كل إمام إذا وجد الأمة تسمي شخصا خليفة و قد بايعته و اعتبرت له الولاية عليها لا ينقض ما رضيت به الأمة تكريما

---

[1] : حجر ٩

لحـــرية الرأي بعد إقرار الغالبية بذلك و لو كان قرارا خاطئا كما أقر الشارع أهل الكتاب على ما هم عليه و لو كان المعتقَد في نفسه غير سليم عملا بمبدأ الحرية و إنه لا إكراه في الدين و عليه يكون هذا التكريم لحرية الرأي بيعة في عنق من بايع من الأئمة من سمتهم الأمة بخلفاء رسول الله ﷺ طيلة القرون و لو كانوا كأمثال معاوية و المتوكل العباسي .

و إنـــه عجل الله تعالى فرجه الشريف يظهر في زمن لا بيعة في عنقه لحاكم ذلـــك الزمان كما و أنه يكون الظهور في زمن تعيش الأمة الإسلامية وعياً يمنعها من أن تسمي الجناة و الظلمة من الحكام بإسم خلفاء رسول الله ﷺ و تكون الأمة تعـــيش الســـخط على حكامها فلا ترى لهم شرعية تحت أي عنوان من العناوين الدينية أو غيرها .

و مخالفة علي عليه السلام للخليفة الأول و عدم مبايعته إياه في بداية الأمر إنما أراد بها أن يقيم الحجة على الأمة الإسلامية محذرا إياها من مغبة عواقب الأمور التي حصدت الأمة نتاجها طيلة القرون حينما دخلت في نفق الإستبداد .

و لكن ليس معنى البيعة التي قلنا أنها تكريم لحرية رأي الأمة هي الإستسلام لكـــل ما يجري باسم الدين أو العزلة بل يبقى الإمام شارحا لبطون الرسالة و آمرا بالمعـــروف و ناهـــيا عـــن المـــنكر و إن بقى بعيدا عن التخطيط للإطاحة بحكم الظالمين للقيام بثورة بعد البيعة لأناس سماهم المسلمون بخلفاء النبيين.

و هـــذه الوسطية بين العزلة و التخطيط لقبض أزمة الأمور هي وظيفة كل مؤمـــن عـــاش حـــياة الشـــريعة فـــي أبعادها الثلاث كتابا و سنة و سيرة لحياة المعصومين عليهم السلام لأنه لابد من بيان لشرع الله سبحانه و تعالى على كافة أصعدة الشريعة تقام بـــه الحجـــة علـــى الخلـــق و المسلمين و لا يمكن تحجيم البيان للشرع أو الأمر بالمعـــروف و النهـــي عن المنكر في مثل الصلاة و الصوم و الخمر و الغيبة و

الطهارة و النجاسة لأن الشريعة هي منهج الحياة و هي سلسلة منظومة مترابطة لا تحســن إلا بتمامها و لا يجوز لعاقل أن يفرض نفسه مؤمنا و هو لا يهتم بشؤون الأمــة في كافة ميادين الحياة و منها السكوت عن ظلم الأمة و ضياع حقها الذي أصــبح أمــرا مألوفا لدى كثير من علماء الدين بل صار المتكلم فيه المدافع عن المظلومين و حقوق الأمة سياسيا خارجا من الدين !

و بالجملــة كل إمام من أئمة الهدى بعد بيعة الناس لشخص و تسميته بخليفة رســول الله ﷺ إذا بــايع اعتبر البيعة لازمة في عنقه ما دامت الأمة ترى ذلك متوليا عليها بولاية شرعية رعاية لحرية الرأي الذي أسست الأنبياء شرائع السماء عليها و أشارت الأديان إلى أنه لا إكراه في الدين بكل أبعاد الكلمة علما و عملا و مــا حصل من الحروب و الغزو و القهر بعد الرسول ﷺ ما كان عملا شرعيا و إلا لم يسبق سابق إليه عليا عليه السلام و لا أحد الأئمة من بعده عليهم السلام.

نغم

لسكينة النفس

عمر الزمان

عمـــر الزمـــان دقـــائق و ثوان ... حلـــم يـــمر بها جـــس و امـــان

يطـوي صـحائف للحيـاة كـأنها ... وهـــم الخيـــال و لعبـــة الصبيـــان

فوقـفت أنظـر جاهـدا كيما أرى ... سبـــل القـــوافل في لظـــى الأزمان

فوجـدتها بحـــرا يمـوج بخـلد من ... وجـــد السـراب مشـــارب الظمآن

كـــم أيقـــنت يومـــا بعـــز غـنائها ... نفـس المتاهة في دجى الكفران

راحـــت لتبـــني صـــرحها بمفـــازة ... افـــنت منـــازله خطـــى النـسيان

يكفيك خُبرا أن تكـــون مع السرى ... متســـائلا عن صفـــحة الحـــدثان

كـــم قد طوت سفرا ببطن سطورها ... و تنـــاغمت ليـــلا مع الأشـــجان

يا ليـلة عصـــفت بأحـــلام الهـــوى ... و تطـــاولت شـــططا على الخـــلان

راحـــت تمـــزق ما علقت من الصبـا ... صـــلفا بخنـــجر حـــاقد و جـــبان

و حكـت مقالات الهـموم كأبحر ... تجـــري بهـــا ســـفن من الحيـــتان

و تواضـعت صمتا على رغـم الأسى ... لمـــا تعالـــت شـــقوة النيـــران

نيـــران غدر أوقـــدت لتصـــدني ... رغـــم التجلد عن سما الأكـــوان

فوقـــفت ما بيـــن الصـــخور لعـــلني ... من فوقـــها أصـــغي إلى التبـــيان

حتى إذا ما كـــدت أرجـــع يائسا ... نوديـــت لا تجـــزع من الهجـــران

ما أنـــت إلا نقـــطة أعجـــمتها ... لتكون ســـفرا في صدى الإيقان

وسعيـــت من أجل الحقيـــقة جاهدا ... أبقـــى بطي من دجـــى الكـــتمان

ففهـــمت أني في محاريـــب الدجى ... أمشـــي ســـويا والهـــوى يرعـــاني

فبكيت شوقا بعدما سكن الجوى ... وتقـــشعت حجـــب عن الأجـــفان

فطـــربت من بعد الصـــعاب ولم أعد ... أرعى خيالا كـــان في حســـباني

فوقفت أدعـــو حائرا نفـــسي على ... طـــلل تقـــادم من ربى الخـــلان

بمـــدامع كالســـيل أعتب قائلا ... يا نفـــس هذا من دجـــى الحـــدثان

لا تعتـــبي إن الدنـــية والدنـــا ... صـــرح على ســـفط من الأضغان

وتجـــوّلي برباوعـــها مـــن بعـــدما ... أضحـــت خـــلايا من سنا الإخوان

فكـــأنهم صـــاروا خيالا بعدما ... نســـف الزمان مساجد الركبان

وتريـــثي إن كـــنت سالكة إلى ... ركب القوافل في مدى الأزمان

أين الـذين بخيـلهم ورجالهـم كـانت تغـص مرابع الوديان
شربوا الكؤوس على الرفاة كأنهم ظنوا الخلـود بمركب الخذلان
وتجاوزوا بغيا على سبل الهدى بمتاهة تحكي خطى الصبيان
كم أهلكوا أمما لنزوة ساعة وتهكموا بصحائف الإيمان
راحوا ليبقى بعدهم حدث الثرى يروي حديث الوهم لليقظان
باعوا المكارم والمعارف للدنا طيشا لغاية مهبط الخسران
وتطلعي يا نفس في سر الشقى وضلالة هزت عرى الأركان
جاءت بكل جهالة قرشية تسعى لقلب مناهج الرحمن
تركت وصي المصطفى شرها على جيف لتروي عقدة الأضغان
يوم السقيفة يا له من كارث هز الوجود بطعنة الشيطان
من بعد ما طلع الصباح وأشرقت شمس الوجود برحمة الديان
وتناثرت أشلاء جند في الفلا كانت تخوض معارك التيجان
وتقهقرت من بعد طيش جنونها زمر تقدس عصبة الأوثان
وتباشرت جند الإله بأنه لا عود بعد اليوم للطغيان

محمد كاظم الخاقاني

رؤيته زمن الغيبة

مـــن جملـــة ما يطرح كثيرا على الساحة في المقام و بالأخص في الآونة الأخيرة مسألة رؤيته (عج) في زمن الغيبة لبعض الأوحديين من خلص الأولياء لا رؤيـــته بلا معرفة إياه فإنه لا مانع منها لأنه على الأرض يعيش و قد يراه الكثير من الناس.

فـــإن مسألة الرؤية إياه (عج) ورد فيها في المأثور: ﴿ **ألا و من ادعى رؤيـتي بعـد غيـبتي هـذه فكذبوه** ﴾ فكيف يمكن أن نصدق مدعي الرؤية بعد حديث وارد عنه عجل الله تعالى فرجه الشريف .

نقول : لابد من التأمل في ما يمكن أن يستفاد من الحديث الشريف فإنه لم يـــنف إمكـــان الـــرؤية و إنما نفى رؤية المدعين بمعنى أن مشاهدته لأولياء الله المخلصين لا مانع من وقوعها في حين أن الحجة المنتظر من الأولياء المصلحين لبواطـــن الأمـــور كالخضر عليه السلام فقد يصلح أمرا أو يهدي طالب حق إلى الصواب سواء كان ذلك الشخص عارفا به كالأوحدي من عباد الله أو غير عارف به كالسواد الأعظم .

و لكـــن المدعيـــن للـــرؤية يبدو منهم أنهم بذلك يريدون تكريما و إعزازا اجتماعـــيا أو تقديسا من السواد الأعظم و مثل هذه النفوس من أبناء الدنيا لا يمكن أن تكون صادقة في دعواها مشاهدة المهدي (عج) و ما ينسب لبعض الخدم لبعض الأعلام أو غيرهم لا يعوّل عليه ما لم يسمع من العالم المتقي نفسه و حاشا المتقين

من مثل هذه الكلمات التي تفتح الأبواب لكثير من الادعاءات بما تحمل من التوالي الفاسدة حيث تصبح مدعاة لكل من تسوّل له نفسه أن يدعي ذلك أو يحرّف البشرية بدعوى أنه شاهد الإمام و سمع منه كذا في حق الشريعة.

فهذه المسألة يجب أن ينظر إليها بنحو من التأمل ببيان مقدمة :

فـــنقول لابد من النظر إلى المسألة بما لها من صعيد خارجي واقعي بعيد عن نسيج الخيال و تقديس الرجال و إن الخير و الشر و الحق و الباطل و الايمان و الـــنفاق كمـــا يمكن مشاهدتها في الأزقة و الشوارع و الأسواق كذلك لها أجلى المصاديق في المدارس و رواد المساجد فيما بين رجالات العلم و الطلاب ، فالعلم لا يكفي عصمة تمنع أبناء الدنيا مما قد يؤدي إلى التكريم و التقديس و التعظيم إن وجـــد البعض لدعوى الرؤية و شهود المهدي لآل محمد ﷺ سبيلا لتسلق مدارج العـــز والكســـب الشعبي و عليه فلابد من الالتفات إلى أن النفوس في رغباتها و مواطن ضعفها تختلف فرب بايع لقصور الدنيا بما فيها هزيل النفس ضعيفا بأزاء المـــدح و الثـــناء فيعيش الأكواخ و يلبس الخشن لأجل أن يقال في حقه أنه الزاهد التقي أو من أجل أن يصدّق في دعوى رؤية الحجة المنتظر عجل الله تعالى فرجه لينال بها إجلالا و تقديسا .

فالـــنفوس تختلف في مجالها الإيماني و مواطن قوتها و ضعفها من حيث الرغبات فرب زاهد في مال أو جمال هو ضعيف يتهاوى في وديان حب السمعة و ســـماع التقديس و التكريم و لا يعرف بواطن النفوس إلا الله ﷻ و من أخذ بأيديهم إلى أعماق أسرار النفوس من أولياءه المقربين ، فإذا فتح الباب أمام إدعاء الرؤية فقـــد تتاح الفرصة لمن يراه السواد الأعظم في منازل الصديقين و المقربين ليدعي ما يدعي و هؤلاء أكثر من المؤمنين الحقيقيين .

فأنـــا لا أرى إلا ظاهرا من الناس و أنت لا ترى إلا ظاهرا منهم و قد لا نكـــون أهلا لمعرفة الناس بواقع موازين الحق فإن من هم مصداق قول رسول الله ﷺ **﴿اعرفوا الحق تعرفوا أهله ﴾** قلائل من البشر و ما تمتاز الخلائق بالحق و الباطل إلا عندما تبلى السرائر و تكشف البواطن حيث لا يبقى ظاهر يخالف باطنا ، لكـــن دار الدنيا دار تشابك و اختلاط و ازدواجية عيش و قد يكون الإنسان من زعمـــاء المنافقيـــن و المرائيـــن و هو بأعين الناس من القديسين و الصديقين و المقربيـــن لأنه يتقن التمثيل واللعبة التي تنطلي على السواد الأعظم فكيف مع ذلك تفـــتح الأبـــواب لادعاء الرؤية و لا أدري أي ثمرة لفتح باب دعوى الرؤية إن لم تحمـــل الكثير من السلبيات فهل هي لإصلاح أمر يرجع إلى الشريعة من حكم أو غير ذلك ؟

و نحـــن لـــم نسمع طيلة القرون أن أمرا أو حديثا إدعى عالم من أكابر العلماء أن الحجة جاءه و قال له أن هذا الحديث صحيح و ذاك ضعيف و لم يعهد من أحد أن جعل ذلك من جملة إصلاح الأحاديث أو منهجا لبيان الشريعة و إنه قد حصل عليه بواسطة مجيء الحجة (عج) إليه و أنه أخبر الطائفة بعد ذلك لإصلاح الأحاديث أو فهم الكتاب المجيد .

و إن كان المراد من دعوى الرؤية لإثبات أصل وجود الإمام الغائب عجل الله تعـــالى فرجه الشريف فيكون من قبيل من يريد إثبات التوحيد أو النبوة بشاهد من الكتاب المجيد.

فمسألة غيبة الحجة لا تثبتها أحاديث الرؤية و إن كان المراد أن من يأتيه المهـــدي (عـــج) دلـــيل علـــى عظمته و مكانته فحاشا أولياء الله تعالى أن يطلبوا الإعـــزاز و الـــتكريم من هذا الطريق الذي قد يفتح الأبواب أمام ضعاف النفوس الذين قد يكونوا من مظاهر القدس و الإيمان بمنظار السواد الأعظم .

و علـــيه فـــأقول : من يدعي الرؤية لا يصدق و من يرى من الأولياء لا يدعي لأنه لا يريد بها تكريما و تقديسا إجتماعيا.

و لا يتصـــور متصـــور أن مهتوك الستر معروف المظاهر في المكر من أكابر المنافقين والدجالين كأمثال معاوية و عمروبن العاص و المغيرة بن شعبة بل الأخصائيون في الدجل و النفاق من رآهم العامة من الناس مظاهر القدس و التقوى فانطلـــت ألاعيـــبهم على المستضعفين من الخلق و السواد الأعظم و إلا لما كانوا حقـــيقة من زعماء الدجالين و المنافقين فلا يكشفون إلا يوم تبلى السرائر أو بإذن مـــن الله تعالى عند ظهور دولة الحق على أيدي منقذ البشرية حتى تعرف البشرية الضـــائعة في نفق أوهامها و الغفلات من هم محرفوا الكلم عن مواضعه و من هم رؤساء المنقلبين على الأعقاب بعد أولي العزم من الرسل .

و مـــن يكشف نفاقه لأمثالي بجلسة أو مشاق تأمل بحث أو تأمل في سيرة لـــبعض الأيـــام لا يكـــون متعمقا في نفاق أو دجل ، فقادة الدجل و النفاق قد تمر الدهـــور و هم بأعين العامة من أعظم مظاهر خلفاء النبيين و أجلى تجليات أسماء الحـــق للعالميـــن و أبـــرز السلاك في ميادين الأولياء و خلفاء النبيين فتخدع بهم البشرية على اختلاف طبقاتها إلا من نظر إلى الرجال بواسطة الإيمان بأبعاد زكاة النفس .

و التلبس بلباس الدين لا يختص بمذهب دون مذهب ، فاولئك هم الضالون المضـــلون و الانحدار في الظلمات كالرقي في مدارج الكمال نحو الحق تعالى لا يحـــد بحـــد و لما كانت النفوس لا تعرف ببواطنها حسنا و خبثا فلا يعقل أن يفتح المعصوم عليه السلام بابا يكون مدعاة لدعوى المشاهدة التي قد يكون الصادق فيها واحدا و الكاذب المتظاهر بالتقوى الطامع في تكريم من السواد الأعظم عشرة و لذا ورد في الأحاديث عنه (عج) **﴿ألا و من إدعى رؤيتي بعد غيبتي هذه فكذبوه﴾** و

ليس من المعقول القول بأن العلم مع الكذب و الازدواجية لا يجتمعان بل قد يكون العالم أعرف بطرق النفاق من غيره و هلا كان المحرفون للأديان و قادة المنقلبين على الأعقاب من العلماء و أي مؤمّن لنا لو فتح باب إدعاء رؤية الحجة (عج) أن لا يأتي من يدعي الشهود و هو بمظاهر القديسين ليدعي ذلك لمصالحه الشخصية للحصـــول علـــى التكريم ليتمكن بواسطة ذلك من تحريف شريعة رب العالمين و الضـــحك على عقول بسطاء الخلق و المستضعفين من أمة ربما راح الحلم يحقق لـــبعض أفـــرادها مستندا شرعيا تترتب عليه الآثار كل واحد من هؤلاء المفسرين للأحلام ربما أصبح ظانا نفسه يوسف عليه السلام في فهمه لتعبير الرؤيا أو فهم من يرجع إليه .

فالإمام (عج) أراد بحديث : ﴿ **ألا و من إدعى رؤيتي بعد غيبتي هذه فكذبوه** ﴾ أن يســـد الباب أمام كل مدع من أصحاب المصالح الذين يتخذون من الدين سلّما للوصول إلى مآربهم الشخصية .

كمـــا و إنّـــا إن رجعنا إلى العقل بغض النظر عن الروايات لوجدنا العقل يحـــذّر بكـــل شـــدة من فتح هذه الأبواب خوفا من أن يكون الامر مدعاة لضعفاء النفوس ليصطادوا في الماء العكر .

و ما ينقل من قصص كثيرة في المقام عن خادم ينقل عن عالم فللتأمل فيها مجال واسع و أعاظم العلماء أجل من مثل هذه الإدعاءات التي تفتح الأبواب على شريعة رب العالمين حتى و لو كانوا في واقع الامر يشاهدون فالمدعي كاذب يريد ســـمعة و تكريما فهو من أبناء الدنيا و المشاهد لا يدعي لأنه لا يريد بذلك سوى القرب و المعرفة و الرضا الإلهي بما يستفيده من منقذ البشرية و هؤلاء حجج الله تعالى على خلقه بهم يهدي عباده المؤمنين و لا تخل الأرض من الحجج الأبرار و

مـــا ينسب لبعض الأعلام من أكابر علمائنا الأخيار من دعوى الرؤية لا صحة له فإنهم أجل من أن يدعوا ذلك .

☆ مراحل الظهور

كما و أن الدعوة للرسول ﷺ بدأت متدرجة من السرية التامة بعض السنين ثـــم منها إلى مرحلة دعوة الأقرب فالأقرب إلى الإسلام ثم الإعلان و كذا التدرج أيضا في أمر أحكامها كالخمر حتى حرم تماما و كالجهاد الذي شرعه الله ﷻ بعد عـــام فـــي المدينة المنورة ثم رحيل الرسول ﷺ و بقاء الأوصياء لمتابعة البيان حفظا للشريعة من الزيادة و النقصان و الاجتهادات و الرغبات ثم بلوغ الأمر إلى مـــرحلة الســـرية و الكتمان حفظا لموازين الشريعة من الضياع إلى أن جاء دور الإمامين العسكريين ليتحسس المؤمنون مدى خطورة الأمر لانعزالهم عن قادتهم ثم مجـــيء الغيـــبة الصغرى و جعل السفراء الأربع ما يقارب السبعين سنة لتحريك القابلـــيات و تفـــتح الأذهان للسؤال في زمن الفراغ و لمس الحاجة إلى الإمامة و القـــيادة ثـــم تحققت الغيبة الكبرى و استمر بقاء الإمام المنتظر لإصلاح الباطن و إرشاد الأوحدي من الخلق و لو بدون إلتفات إلى الأمر .

أظـــن أن السنن الإلهية واحدة في زمن الظهور كما كانت متدرجة في زمن الدعوة بمعنى أنه من المستبعد أن تقوم الدعوة إلى قيام دولة الحق دفعة واحدة كأن يقف بلا مقدمة و أرضية إيمانية عند البيت الحرام و ينادي هلم إليّ أيها المؤمنون فأنا مهدي هذه الأمة .

أو يقـــوم بعدد هو ثلاثمائة و ثلاثة عشر أعدهم الله ﷻ له يجمعهم في لحظة واحدة بدون سابقة إعداد و قاعدة إيمانية واسعة.

بـــل المناسب ما دامت المسألة تجري على مناهج سنن الله ﷻ التي أجراها علـــى وجه الأرض و لم تكن مسألة بموازين خاصة من مواطن الولاية الإلهية و هو الإعجاز الذي يخرج الدنيا عن حال كونها دار اختيار و اختبار بما قامت عليه مـــن سنن الله الطبيعية التي أجراها في زمن الأنبياء أن تبدأ مسألة الظهور أيضا متدرجة بالدعوة سرا إلى قيام دولة الحق و لعل هذا يستغرق بعض السنين بدعوة الأولـــياء الخلـــص إلـــى الإلـــتحاق إلى إقامة هذه الدولة و لعلهم هم المشار إليهم بثلاثمائة و ثلاثة عشر قادة الدعوة إلى عدل الله ﷻ على وجه الأرض.

ثـــم يؤمرون بدعوة من يثقون به إلى فترة من الزمن أيضا مع لحاظ شؤون الســـرية و الكتمان ثم يأمرون الاتباع بدعوة من يثقون بهم الأقرب فالأقرب حتى تســـتعد الأرض لدعوة الحق و قيام دولة العدل بعد تأهيل جماهيري لقاعدة إيمانية ثم تكون الدعوة جهارا فتخرج بعد سنين السرية إلى مرحلة الإعلان لتقاوم الباطل و النفاق ثم تنتصر على دول الباطل و تقيم دولة الحق و العدل العالمية على العالم لتتم بها الحجة على الماضين و الباقين إلى قيام يوم الدين .

و بالجملـــة الدعوة لقيام دولة الحق لا تكون ظهورا في لحظة واحدة في مكة المكـــرمة بـــلا قـــاعدة جماهيرية و عليه فالمناسب للسنن الإلهية أن تكون قضية الظهـــور متدرجة بدءا بتحصين القاعدة بواسطة تدعيم أسسها مع الأوتاد ثم صالح المؤمنيـــن و أن تبدأ سرا إلى فترة من الزمن قد يستدعي الأمر عدة سنين ثم تعلن فـــي مكـــة المكـــرمة بعـــد وجود الدعاة إليها المؤهلين في كافة أقطار العالم من المؤمنين الخلص ثم ينتقل أمرها إلى عاصمة الولاية الكوفة في العراق .

نعـــم عند الظهور تكون الأنظمة متخلخلة من الداخل و بالأخص بالنسبة إلى أرضية الدعوة كالديار الإسلامية و تكون الأقنعة مكشوفة عن المدعين الحق باسم شرائع السماء كاليهود و النصارى و المسلمين على إختلاف مذاهبهم و كذا بالنسبة إلى جميع المدعين للديمقراطية الحديثة على كافة أشكالها .

و هذه هي سنن الله ﷻ في خلقه حين بعثة الأنبياء و أخذهم بنشر الدعوة من حيث أصلها و مبانيها و أحكامها متدرجة ليستعد الناس إلى قبولها و تأمن من هجمـــة الكفـــار و المشـــركين و المنافقين و كذلك يكون أمر الظهور متدرجا من مرحلة إلى مرحلة حتى تتم القاعدة لإعلان الظهور و قيام دولة الحق الإلهية .

☆ القادة عند الظهور

مـــن المعلـــوم لدى الجميع أن تعامل الأنبياء و الأوصياء من حيث تعيين الولاة و القضاة و المسؤولين كان بحسب موازين الظاهر كما و أن الأحكام كانت تجـــري على هذا الصعيد أيضا كما قال ﷺ:﴿ **إنمـا أحكم بينكم بالبينات و الأيمان** ﴾ فقد بعث رسول الله ﷺخالد بن الوليد فارتكب مجزرة بدوافع القبلية و أحقاد الجاهلية حتى قال ﷺ :﴿ **اللهم اشهد إني بريء من فعلة خالد**﴾ أو قـــال ﴿**إنـي أبرأ إليك من فعلة خالد**﴾ و قد بعثه مع الجيش إلى مؤتة و هو يعلـــم أنـــه إن آلت إليه الأمور سينهزم خلافا لزيد و عبدالله و جعفر من أصحاب الهمـــم الثوابـــت و قد أحال علي عليه السلام بعض الأمور في البصرة إلى زياد بن أبيه

بمقاييس الظاهر و هو أعلم به من كل أحد و قد أمر الحسن عليه السلام عبيد الله بن عباس فحصل منه ما حصل من خيانة تندى لها جبين الإنسانية فضلا عن عظيم مكارم الإسلام .

لكن هاهنا قد يتبادر إلى الذهن سؤال و هو أنه هل يكون عند الظهور لإقامة نظام العدل الإلهي تعيين القادة و المسؤولين لإدارة دفة أمور الدولة بحسب المظاهر أيضا أم لابد من لحاظ باطني كما كان بالنسبة إلى تعيين السفراء الأربع في زمن الغيبة الصغرى ؟

المستفاد من ظاهر الأدلة أن أنصاره و المقربين لديه عجل الله تعالى فرجه الشريف من نخبة الأوتاد و أعاظم الأولياء و المخلصين و هؤلاء يختارهم بحسب موازين علم الغيب و سرائر العرفان و هو ما يتناسب مع إقامة دولة الحق و العدل و ليس المراد أن كل من يتصدى لأمر في دولته "عج" يجب أن يكون عدلا في واقع أمره عارفا بمنهج الحق بأبعاد الكلمة فإن على الصعيد العام قد تتحقق بعض المظالم لكنها بدولة العدل و رجال الإيمان المتابعين و المراقبين لكافة الأمور تحسم حسماً لا يدع للمبطلين و لمن تسوّل لهم أنفسهم العدوان و خرق القوانين مجالا للتلاعب و لكن ليس المراد من هذا الكلام أنه يعامل الناس بحسب بواطن النفوس لتهتك الستور و تخرج الدنيا عن واقع مجراها من كونها دارا للاختبار و الإختيار .

و إن شواهد الحال و السنن الإلهية تشير إلى أنه عند قرب الظهور يلقى في روع المجتمع و لو لم يكونوا من المسلمين أو المؤمنين أن زمن الظهور لاقامة العدل قريب كما ألقى الله ﷻ في روع الأمم قبل الدعوة النبوية أن هناك نبيا سيأتي عن قريب اسمه أحمد (محمد) لإحياء الأديان بعد اندراسها و لعل ما نعيشه اليوم من واقع الحياة في هذا الزمن و عالمنا الحالي ينبيء بذلك حتى لدى اليهود

و النصارى و غيرهما من الأمم داعين الله ﷻ أن يعجّل طلعته البهية لإقامة دولة الحق و العدل إنه ولي التوفيق .

فعلينا أن نصلح النفوس قبل فوات الأوان حتى لا تكون أماني الالتحاق بركبه الطاهر وهما و خيالا حينما تكون الرغبة في تحقيق معالم الحق و الالتحاق بها بلا أي إعـــداد و تحقـــيق أســـباب كمن يتمنى الإيمان و الطهر و هو لا يجاهد النفس لـــزكاتها أو كمـــن يتمنى الكمال و العلم و هو لا يسعى لهما بسهر الليالي و طلب المعالـــي و هـــو عجـــل الله تعالى فرجه لا يختار من أصلحوا المظاهر و أفسدوا البواطـــن رياء و نفاقا و لو كانوا لدى الناس و العامة من أكابر الزهاد و العلماء العظام كما وقع الاختيار منه (عج) للسفراء الأربع و لو كان منهم السمان و ترك مـــن يشار إليه بالبنان من أكابر العلماء أصحاب الألقاب و العناوين و ربما فسق بعضهم و حذر منه و طرده من منازل الكرام ملعونا رجيما .

اللهـــم اجعل زمن إظهاره (عج) على الدين كله قريبا فقد ضاقت النفوس من تلاعـــب المتلاعبين و مكر الماكرين و بالأخص ممن هم بمظاهر القديسين بلباس الدين و هم في بواطنهم من أعوان الشياطين إن لم يكونوا لهم من أكابر المعلمين و الأساتذة بعدما كانوا في بداية عملهم من الطلاب و التابعين.

و كون الحق تعالى يظهره على الدين كله بجعله قادرا على بيان جميع الأبعاد و مطـــبقا لكل مراتب العدل بلا مانع و لا تقية بنهاية زمن الظلم و العدوان حتى تبســـط شـــريعة الاسلام التي جاء بها آدم عليه السلام و ختمها محمد صلى الله عليه و آله و سلم تخرج من الفرضـــية فـــي ميادیـــن العلم و العمل إلى واقع التطبيق و البيان التام لكافة أبعاد الرســـالة فإن الله تعالى قد أبى إلا أن يظهره بجميع مظاهر أسماءه للتخلق بأخلاق الله تعالى التي هي مكارم الأخلاق و غاية بعثة الأنبياء .

فزمن الظهور زمن تجليات مظاهر الأسماء الإلهية و هو تعالى العالم العليم و الرحمـــن الرحـــيم و الحكم العدل الحكيم ، فلا يطوى سجل الأرض قبل ظهور معـــالم الحق علما و عدلا بجميع أسماء الله ﷻ ما لم تخرج الدنيا عن كونها دار اختـــيار و اختـــبار كمـــا لو تجلى الحق تعالى بجميع أسمائه الجلالية أي بمظاهر السلطان و القهر و الجبروت كالسلطان و المهيمن و العزيز القدير كما يتجلى بها يوم القيامة ﴿**لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**﴾[1] حيث لا يفيد الندم و لا تقبل من أحد توبة.

و من أعظم تجليات أسماءه عند الظهور بروز إسم الولي المتجلي بمهدي هذه الأمـــة محمد بن الحسن العسكري و هو من أعظم أسماء الجمال و اللطف الإلهية التـــي بها تستقيم الأرض و بها تشرق أنوار الملكوت على ديار الظلمات و الجور إعـــزازا لأوليائه و إذلالا لأعداءه إعدادا ليوم عظيم كما يقول تعالى ﴿**و أشرقت الأرض بـنور ربها و وضـع الكـتاب و جـاىء بالنبـيين و الشـهداء و قضـي بينهم بالحق و هم لا يظلمون**﴾[2].

---

[1] : غافر ١٦

[2] : زمر ٦٩

نغم

لسكينة النفس

الدنيـــا

عروشك وهم والبحار سراب وأهلك يا دنيا الغرور ذئاب

أقاموا على نقع القمام كأنهم ضيوف دعاهم للطعام غراب

يدبون سعيا لا انتهاش فريسة توالت عليها غبرة وذباب

فما فيك يا دنيا المتاهة والنوى سلام ولا عزّ فأنت عذاب

فأين بنوك المغرمون بعزفهم على وترٍ عود الزفاف رقاب

وأين الأولى ضجّت بخيل ركابهم ميادين أرض والجباه سقاب

يطلون من فوق القصور سفاهة على أمم منها النحور تُصاب

وأين الأولى شادوا على الجور صرحهم ليبقى شقاء بعدهم ويعابوا

كأن لم يروا ما شيّد البغي قبلهم كحُلمٍ تهاوى والقصور خراب

تعيش بها الديدان من بعد عزها ويقبع فيها البوم فهي خلاب

تعالي أيا سلمى نهب إلى العلى ونركب ما منه الرجال تهاب

كفانا من الجهل البغيض محافل أحاديثها طيش وهنّ يباب

أحـاديث وهـم تـترك اللب واهيا ... يطـوف بأوطـان الكـرى فيذاب

تعـالي نُطـل اليوم من فـوق سـبعة ... لنشـهد خلـدا خُـط فهو كتاب

كـتاب غـرام للصـبابة والهوى ... بحـق فمـا للصـالحـات ذهـاب

كـتاب عـروش للهوى بعد ما هوى ... خيـال ونزالـت عتـمة وشبـاب

لنسـعد في يوم الخـلود بجـنة ... مشـارقـها للعـارفين طـلاب

نسـامر فيها من ذوي الرأي والحجى ... عظـاما لهـم صفّوا الخطـاب جواب

جـنان بنـاها للتـقاة مليـكها ... فطـافت بها حـور وصُب شراب

وقد خـط فيـها للكـرام مقاعد ... تشـع لأهل القـرب فهـي عجـلب

تشـع لمـن والى عليـا وفاطـما ... وإن قـال فيـه القـائلون مصـاب

فيـا رب وفقـني لقـرب محـمد ... وآلِـه هـم للهـداة مآب

محـمد كاظـم الخاقاني

المحاضرة السابعة

إشـــراقة

يكـــاد المطـــل على مسالك أزقة الماضين من أبناء هذه الأمة المسلمة أن يموت حزنا حينما يقص آثارهم و هم كسواد أعظم يسيرون في نفق الأوهام أحقابا مـــن الزمـــن كلما حملت طائفة من أبناء الأمة راية لعنت أختها و هم جميعا في الظلمـــات غارقون إلا من عصم الله ﷻ يستبدلون الحق بالباطل و العلم بالجهل و العدل بالجور و الجد بالهزل و الفضيلة بالرذيلة و السلام بالبغي و الحياة بالموت و العز بالذل.

يســـمون المغتصبين تراث الأنبياء بخلفاء النبيين و المتقمصين ما ليسوا أهلا له بحملة لواء الصديقين و يفخرون بالغزو و لو كان على أيدي المجرمين من هـــم علـــى شاكلة جنكيز كالحجاج بن يوسف الثقفي و كم راحوا بمقاييس حضارة الجاهلية ليعتبروا الذئب راعيا و الخائن مؤتمنا و المنافق قدّيسا و المرائي زاهدا و تقديم المفضول على الفاضل محمدة يجب من أجل هذا التوفيق العظيم شكر المنعم و تقديس الرجال بسحق قيم الشريعة غيرة على دين الله ﷻ و الدفاع عن المظلوم لإقامـــة العـــدل سياســـة لا تناسب رفيع مقام رجال الدين و العزلة بعدم الاعتناء بشؤون الأمة زهدا.

و هكذا مئات المقاييس المغلوطة و المقلوبة و التفاسير التابعة للهوى التي أصـــبحت ضـــرورة من ضروريات الدين و المستفهم عن مدى صحتها ضعيف الإيمـــان يســـتحق أقصى التوبيخ أو التعزير و الحد قربة إلى الله تعالى و كيف لا يصل أمر الأمة المسلمة إلى هذا المنحدر و بمسمع و مشهد منها تسحق النصوص

و يتلاعب المتلاعبون بموازيين الشورى بأن يقال تارة الخلافة هي لقريش بمعزل عـــن الأنصار يوم السقيفة و تارة يقال أنها تكون لأهل الحل و العقد و تارة يقال لأهـــل المديـــنة و هكذا بتبع المصلحة تتغير موازين الشرع و يعتدى على أشرف الموجـــودات و سيد الكائنات محمد بن عبد الله ﷺ رائد السلام تارة بقول القائل إنه ليهجر و تارة بقوله من ينازعنا سلطان محمد.

فتكون رسالة الرحمة للعالمين ملكا لقريش و سلطانا لهم و قد تقدم الكلام عـــن مبلغ علم السواد الأعظم من هذه الأمة حين خاطبها نبيها **سلوني عمّا قبل الســـاعة** فـــي آخر أيام حياته فراح البعض بدافع عقل حضارة الجاهلية يسأل عن نفسه هل أنه ابن أبيه أم لا ؟ و آخر و هو من كبار الصحابة من المهاجرين ممن يدعى في حقه ما لا يدعى في حق الأنبياء الكرام يسأل الرسول ﷺأن لا يفضحه بكشـــف ستره أيام الجاهلية و كأنه خائف من كشف أمر طالما دبر له في ليل أن يكشفه رسول الله ﷺقبل وفاته و هو يودع الأمة الإسلامية .

و أمـــا الســـواد الأعظم فبدلا من طرح أسئلة عن دينهم أو دنياهم راحوا ليضجوا بالبكاء و النحيب و كأن الرسول ﷺيلقي على مسامعهم محاضرة تأبين و تعزية و هو يكرر عليهم سلوني أيها الناس .

و أعـــيد نفـــس المشـــهد ثانية بعد أكثر من ربع قرن حينما خاطب أمير المؤمنيـــن علـــي عليه السلام الأمـــة الإسلامية قائلا: **سلوني قبل أن تفقدوني فإني أعـرف بطـرق الســماوات** إلـــى آخر خطبته حيث يقوم له أحد الجلساء قائلا: كم شعرة في لحيتي يا أمير المؤمنين.

فـــيا لهـــا من نفوس رفيعة و مدارج علم راقية ، و الأمة هي الأمة حينما راح المـــأمون آمـــنا سخطها مقدما على قتل و استشهاد إمامها الرضا عليه السلام و هو يعـــيش بين ظهراني شيعته و حينما قال قائلها: يا جعفر جئت بنا إلى هاهنا لتقتلنا

عـــندما إدعى ذلك الوفد أن له في خراسان أكثر من مائة ألف مقاتل و هو ساكت عن حقه.

أو على رواية حينما أمر أحدهم بالدخول في التنور فلم يقم أحد منهم شاكا فـــي صحة أوامر إمامه حتى جاء قصاب من أهل المدينة فدخل فيه حيث يحكي هـــذا الواقـــع أبعاد الفهم و اليقين بالنسبة إلى إمام زمانهم فالأمة التي تعيش قرونا طويلـــة بهـــذا المستوى العلمي و العقلي و الإيماني بحسب سوادها الأعظم ليست مؤهلة لحمل راية الحق تحت راية إمام معصوم إلى أن يعدها الله ﷻعند الظهور مـــع بقـــية الأمـــم لحمل هذه الراية لإقامة العدل و إظهار العلم الإلهي على وجه الأرض.

و كيف يتمكن أن يرقى إلى فهم أبعاد الرسالة بأبعادها السبعة و السبعين و أن يحمـــل أثقال عدلها أيضا من كان يعيش التمزق و روح الاستبداد و التكفير و الحقـــد و هم خلف النهروان الجّهال المتنسكون الذين قال في حقهم و حق العلماء الماكريـــن علـــي عليه السلام : ﴿ **قصـم ظهـري شخصـان عـالم متهتك و جاهل متنسك** ﴾.

و مـــا كان هذا الواقع المؤسف لهذه الأمة على اختلاف مذاهبها و تفاوت مســـالكها قـــربا و بعدا عن الحق انحدارا في ظلمات الوديان تعالت عن حضيض مـــزالقه هـــذه الأمـــة بعد حين ، بل راح الخلف ليواصل السير على ما كان عليه السلف فخورا يتخبط في وديان الظلمات و قد عاشت الأمة عقودا من الزمن و هي تتصارع قدم القرآن أو حدوثه و كل حزب بما لديهم فرحون يكفر بعضها بعضا و يلغـــي بعضـــها بعضها الآخر ، تسمي جفاف الاستبداد الذي لم يبق محصورا في قصـــور الظالميـــن صـــلابة إيمان غيرة على الدين حتى تسرب هذا المرض إلى حجيرات مدارس الحوزات و زوايا قاعات المساجد و الحسينيات ليلغي باسم الغيرة

علـــى المذهب كل من الأصوليين و الإخباريين و الشيخيين بعضهم البعض الآخر بـــدلا من أن يكونوا دعاة حرية الرأي من بعد ما عانوا أكثر من أربعة عشر قرنا من الحكّام و علماء السوء أبشع مظاهر الاستبداد و العدوان باسم شرع رسول الله ﷺ .

لكن أبى الضعيف إلا أن يرث الكثير من مظاهر القوي و آدابه و سننه و لو كان لفعلة القوي من المستكرين و راح البعض باختلاف العناوين ليعيد ما كان علـــيه الخلفاء من العامة من تعيين مصير الأمة في كافة أبعاد حياتها بعقلية الفرد فـــي مذهب أهل البيت مذهب الحرية و العلم مدعيا هذا النمط من الاختيار المطلق للفـــرد الـــذي هو من أشد مسالك الاستبداد منهجا شرعيا يجسّد نيابة العلماء لأئمة الهدى عليهم أفضل الصلاة و السلام و هو يجعل من ميادين سلطان الحاكم المطلق ســـجنا مترامـــي الأطراف لأكابر العلماء فضلا عن سائر الناس حينما حسّنه في أعين أصحابه ما حسّن ذلك لولاة الأمر قبلهم و أمضاه على سائر الناس ما أمضاه على الشعوب المتقدمة عليهم .

أجل القوم أبناء القوم و سنن الله ﷻهي الحاكمة **و لا يغـير الله مـا بقوم حتـى يغيروا ما بأنفسهم** و الدنيا دار اختبار و عند الصباح يحمد القوم السرى و **إنا لله و إنا إليه راجعون.**

لكـــن زمن الظهور سيكون عدلا تحت ظلال العلم بعيدا عن ضيق عقول المســـتبدين و إن كـــانوا بـــرداء العلـــم و الزهد متجملين و لحناجر الأحرار بعد استعارتها سارقين و بها في محافل المستضعفين البسطاء الغافلين ناطقين.

أجـــل فـــي يـــوم ظهور العدل الذي تشرق فيه شموس العلم قبل الساعة بواسطة مهدي آل محمد ﷺستعرف البشرية ما هو المراد من السماوات السبع و الأيـــام الست و ما هي بطون رسالة السماء السبع و السبعين في أبعادها العلمية و

كيف بالعلم طاف رسول الله ﷺ عوالم الإمكان قبل لحظة ليلة المعراج و كيف و كيف مما حدّث به القرآن الكريم من إحياء للموتى و إحضار لعرش بلقيس و الأيام الربوبية و ستجد البشرية مكارم الأخلاق متجلية.

فأين هذه الأمة المسلمة عن المثل العليا ، فهل تجسدت في يوم السقيفة حين ضرب الطامعون في الحكم أحد أكبر الأنصار أو يوم الهجوم على دار من لولاهم ما شيدت أركان الدين أو يوم قتل رضيع في ساحة كربلاء ؟!

و علـــيه فلابد أن يحقق الله ﷻ ما جاءت به الأنبياء من القسط و العدل و المثل و بطون العلم و كنوز الأسرار الإلهية.

و هـــل من المعقول أن تطوى الأرض بسجلها ليقف الناس يوم الحساب و هم يسألون عن رسالات سماوية أريد تطبيقها منهم لم تطبق يوما من الأيام من قبل الأولياء من الأنبياء و الأوصياء و هل يمكن أن تكون لله تعالى على الناس الحجة الـــبالغة في دعوى مراتب العلم التي تحمله هذه الرسالات و العدل الذي وعدت به بـــدون تحقـــيق و تجســـيد لهذه الحقائق على أيدي الصالحين من عباده على وجه الأرض.

نقـــول لـــيس من المعقول أن تطوى الأرض بدون شهود فردوس العلم و العـــدل و إلا لكان لقائل أن يقول يوم القيامة يا إلهي إن ما دعت إليه الأنبياء كان فرضـــية إلـــى الخيال أقرب منها إلى التطبيق و عليه فلابد من يوم و لو كان ذلك اليوم في آخر أيام الدنيا يظهر الله ﷻ به على يد منقذ البشرية بأن رسالات السماء مـــا كانـــت فرضية لا مصداقية لها على أرض الواقع و إن ما عاشته البشرية من الـــذل و الهـــوان و الجهـــل و الظلـــم و الجور كان نتاج سلوكها و عدم التزامها بموازين الحق و السلام الذي هو منهج الفطرة و هذا هو ما أكدته الروايات الواردة عن الرسول ﷺ عند العامة و الخاصة.

ولـــيس مـــن المستبعد أن يحيي الله ﷻ الكثير من العظماء و الأبرار من أتباع آدم إلى الخاتم إلى ما بعد ذلك من الذين عاشروا الأوصياء المعصومين إلى هذه العصور تحقيقا لما أشار إليه تعالى من إحياء الموتى ليكون هؤلاء الأبرار مع نخـــبة من أهل زمن الظهور هم قوام دعوة الحق إلى إقامة نظام القسط و العدل و إنهـــاء عهود الظلم و الجور لأن الحق لا يقام إلا بفتية صدقوا ما عاهدوا الله عليه كأصحاب الكهف.

كما و أنه لا يبعد أن يحيي الله ﷻ بعض الجناة و الظالمين و من حرفوا شـــرائع الأنبـــياء و كانوا سببا لانقلاب الأمم على الأعقاب بعد محمد و موسى و عيسى عليهم أفضل الصلاة و السلام حيث أن لكل أمة عجل و سامري و قد ورد في الحديث الشريف المتفق عليه بين الفريقين سنة و شيعة أن أمة محمد تدخل فيما دخلـــت فيه الأمم السابقة كاليهود و النصارى و أنهم لو دخلوا جحر ضب لدخلت هـــذه الأمة فيه و قد ورد أنه يطاف بقوم يؤخذ بهم إلى النار فأقول و الحديث عن رســـول الله ﷺ ﴿ **أصـحابي أصـحابي فـيقال لـي لا تـدري ما ارتكبوا من بعـدك**﴾ و كيف كانوا سببا لانقلاب الأمم بعد أنبيائها على الأعقاب تحقيقا لإتمام الحجة بإحياء الموتى و إقرارهم بما فعلوا من تحريف باسم الأديان.

و لعل الله ﷻ يظهر الكثير من أعمال المتقدمين بما لا نعلم كيفية إظهاره و إن أمكن أن نقرّبه اليوم إلى الأذهان بأنه كشهود الحقائق على شاشة الإنترنت و التلفاز ليثبت علما متقدما و يكشف مكرا و تآمرا على رسالات السماء بعد الأنبياء بواســـطة قـــادة المنقلبين على الأعقاب بعد كل نبي و بالأخص بعد سيد الكائنات محمـــد ﷺ بما حدث من إغتصاب لمواريث النبوة بواسطة الطامعين بالحكم و الرئاســـة باســـم الدين و قد يكشف الله ﷻ جلسات تآمرهم التي كانوا يدبرون فيها الأمـــر مصورة يشاهدها كل أحد و بالأخص الذين قدسوا الرجال بدلا من تقديس

شـــريعة رسول الله ﷺو الأنبياء الكرام و إذا كان زيد أو عمرو قادرا على رسم مجريات الأمور و الأحداث على شاشة ببعض أبعادها فالله ﷻأقدر القادرين على كشـــفها بجمـــيع أعماقها حيث تتجسم الأعمال و تلقي الأرض ما فيها من كنوز و أسرار.

ليرتدع بذلك المستضعفون من الخلق بسطاء العقول عن نهج : ﴿ **وجدنـا آباءنـا علـى ملـة و إنا علـى آثارهم مهتدون** ﴾[1] و إن سمي ذلك حضاريا بما يناسب الزمن بمتابعة الخلفاء أو السلف أو الأئمة أو العلماء أو الحجج و الآيات و قطـــارات من الألقاب بعد ذلك لا ندري بما يناسب التطور الحضاري إلى أي مبلغ ستبلغ في كمالها الاسمي زخرفة و جمالا ، كل حزب بما لديهم فرحون.

نعـــم إن عشـــت أراك الدهـــر عجبا في زمن كثر فيه الإدعاء و تألقت العناوين و تكثرّت الألقاب و ازداد المتحدثون فيه كل يدعي الوصل بليلى.

و بالجملـــة لابـــد بحكـــم العقول عند الظهور أن تشرح بطون الشريعة و تتجلى جميع الحقائق التي ورد ذكرها في الكتاب المجيد من راجمات جوية كطير الأبابـــيل و سرعة تحيط بعالم الإمكان بلحظة كما وردت في مسألة المعراج و ما هي حجب النور و كيف يكون النور حجابا و إحياء الموتى و غير ذلك من أمور كثيرة تحدث عنها القرآن المجيد و الروايات الشريفة الصحاح.

---

[1] : زخرف ٢٢

نغم

لسكينة النفس

كؤوس الخلد

كـؤوس الخلـد أبلاهـا النـفاق ... ومركـب الحـق أعـياه الشقاق

فصـال المرجـفون بكـل حـي ... ليـال حالكـات لا تطـاق

وأضحى الزاهـدون بوسط كهف ... أسـارى عـزلة وهـم السُماق

وقـال الكـاذبون بأن وحيـا ... يراودهـم فهـم للكون ساقوا

فشـاهدت الثريا كـيف خرت ... وكيـف الشـمس غابت والبراق

وكـيف تواصـلت فلتـات قوم ... ظـواهرها التـقى وهي المـحاق

وشـاهدت القـوافل كيف باتت ... بجـح الليـل يوقـظها الطـراق

فضـجت بعـدما صـارت رفاة ... ممـزقة يعـانقـها الـرقاق

تريد اليـوم بعـد الـذل عـزا ... وهـل عـز سيـهدى أم زناق

عـروش المجـد لا تبـنى بوهـم ... ولا ذو النـطع يرهـبه النطـاق

فكن حذرا إذا ما كـنت تمشي ... بدرب قـد هـوى فيـه الحـراق

وباتـت في نواديـه الأيـامى ... تضـج الدهر والحكـم الوثاق

فأبكاني صراخ لليتامى ... يلاطفها القنا بدم يراق

وفي الأطراف منهم ناعسات ... لهن البؤس بعل أو صداق

باسم الدين قد بيعت جهاري ... ونرفت كي يعانقها الرفاق

ويشرب فوق أطلال كؤوسا ... ولاة الأمر إن ثمل الرماق

وشاهدت الأسود بوسط غاب ... كناعسة يداعبها الزواق

وشاهدت الأباعر كيف طارت ... مع الغزلان يصحبها الرواق

فيا لله من عجب عجاب ... تطير المعز والبغا تعاق

فقل لي أيها السقف المعلى ... متى تصحو المعالم والفواق

وتروى في ليالي القدر آي ... بها الأنغام تُهدى والعُراق

ويسعد بعد أسر كل حر ... بناعسة يجاذبها العناق

ويطوي الدهر عن غسق الليالي ... لتشرق شمسه وهي العِراق

بأرض من سماء الحق تبنى ... عروش المجد إن هرب النفاق

ومراح العدل يعلو كل ركن ... ليخرق ما تجليبه الشقاق

أعيدي لي أيا نغم الليالي ... أناشيد الهوى فهي المذاق

لنقـضي ما تبـقّى من ليـال بها حُلُـم الصبـابة والخـلاق

بجـمع تحـت رايـات كـرام يشـع الحـق منـها والوفـاق

فيـزهو الكـون بالإيمان طرا بما رحـبت به السـبع الطـباق

محـمد كاظـم الخاقاني

المحاضرة الثامنة

محتملات في كيفية تطبيق نظام العدل

تقدم البحث أنه بضرورة العقل و إجماع المسلمين و بما دل من الآيات و الأخبار التي تجاوزت حد التواتر عند المسلمين سنة و شيعة و بما يستفاد من الشهود العرفاني و البرهان الفلسفي لابد من تحقيق الغاية من بعثة الأنبياء و هي لا تتحقق إلا بمنقذ بشري يخرج الشرائع من مرحلة الفرضية إلى واقع التطبيق حتى لا تكون رسالات السماء على وجه الأرض عبثا بلا تحقيق غاية و لتقام بذلك أيضا الحجة الإلهية على الماضين و الباقين إلى قيام يوم الدين .

لكن قد يقع البحث هاهنا من جهة ثانية و هي أنه كيف تتحقق الشريعة بقيمها و مثلها العليا و مكارم أخلاقها و كيف تطبّق على يد منقذ البشرية المهدي الموعود (عج) و الحال البشر نفس البشر و القوم أبناء القوم و قد مرّ بالقوافل البشرية من هو أعظم شأنا من المهدي ألا و هو محمد سيد الكائنات ﷺ و ما اهتدى على يده هذا الإنسان على صعيد عالمي.

فكيف يمكن أن نتصور تطبيقا للشريعة على يد مهدي آل محمد ﷺ و الحال أن شريعة السماء يجب أن تطبق بموازينها بمعنى أنه يجب تطبيقها مع بقاء كون الدنيا دار اختبار و اختيار مضافا إلى كون الدين لا إكراه فيه و إن الله ﷻ لو أراد أن يجعل الناس أمة واحدة لجعلهم أمة واحدة بحيث لا يبقى لأحد مجال للتنازع في قضية توحيد أو نبوة أو عدل أو إمامة أو أمر عقلي أو شأن من شؤون الشريعة و أحكامها و لجعلهم جميعا منقادين لأئمة الهدى و الأولياء المخلصين و

الحجـــج الذين جعلهم تعالى منار هدى على وجه الأرض لكنه أراد أن يقيم الحجة بواســـطة الأنبياء و الأوصياء للأنبياء و عباده الصالحين مع حفظ جميع السنن و النوامـــيس الإلهـــية التي أجراها على وجه الأرض بالنسبة إلى الأمم السابقة و إذا كانـــت هـــذه هي المقاييس المتبعة في المقام و أنه تعالى لا يريد هيمنة بالقهر و السلطان الإلهي فلابد عندها من طرح احتمالات لنرى ما هو الأكثر قبولا بحسب الشرع و العقل لكيفية تطبيق نظام العدل الإسلامي:

☆ الإحتمال الأول :

أن يقـــال أن الشـــريعة تطبّق على وجه الأرض على يد المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف بواسطة هيمنة ولاية تكوينية إلهية تسلب الناس اختيارهم حتى يصـــبحوا كـــأداة لتنفيذ الحق بلا إرادة و اختيار لقهر سلطان الله تعالى بحيث يجد الـــناس أنفسهم أنهم لا ملجأ و لا مفرّ لهم من إعمال الحق و السير على طبقه كما يكون ذلك عند مشاهد يوم القيامة حيث ظهور السلطان الإلهي حينما يصبح الناس مع وجود الإرادة لا حول و لا سلطان لهم في ساحة المحشر.

فهـــل فرض الهيمنة التكوينية بمثل هذا النحو لتطبيق الشريعة يكون محتملا معقولا لإقامة دولة الحق ؟

فـــنقول في الجواب : لو أراد الله ﷻ أن يظهر سلطانه بما يدعو لاستسلام الـــناس للحـــق كمسلوبي الإرادة و أن يجعلهم كأدوات لتنفيذ الحق لكان قادرا أن يسلب البشرية الاختيار منذ خلق آدم عليه السلام لكن هذا الأمر مع كونه تعالى أراد الدنيا دار اختـــيار و اختبار ليجعل الدنيا مختبرا للعقول و ميدانا للتصارع بين الحق و الباطل لا يجتمعان .

و هــذا النهج من الإعمال للهيمنة التكوينية الإلهية لا يتناسب أيضا و الغاية التـــي خلق الله الدنيا من أجلها لسير البشر نحو الكمال المطلوب للعروج نحو الله ﷻ و سنن الله تعالى على وجه الأرض باقية إلى قيام الساعة .

☆ الإحتمال الثاني في المقام :

أن تطــبق الشــريعة على العالم لا بهيمنة تكاد أن تسلب الاختيار و تلجئ الــناس لقوة السلطان الإلهي بل لإعمال من العلم يكشف الناس في كل حركاتهم و سكناتهم حتى بالنسبة إلى ما يمر في خواطرهم لو دعاهم الباطل إلى مخالفة الحق فيصبح الناس يخافون حتى من دقائق الرياء و مزالق النفاق لأنهم يجدونه مكشوفا لدى القائمين على النظام الإسلامي .

و لتوضيح المراد نضرب مثالا فنقول : لو أن إنسانا فكّر في باطل سيشار إليه و لو عن طريق ذبذبات تفهمه أن المهدي "عج" أو أنصاره علموا بذلك فابتعد عما أنت عليه و إلا فستؤخذ أخذ عزيز مقتدر .

فــإذا وجــدت البشرية هكذا سعة من العلم نافذ في كل شيء يكشف ضمائر الناس لدى النظام الإسلامي القائم بحيث يكشف المنافقين بنفاقهم و يفهمهم إن القادة علمــت بهــم و كذا يفهم المرائين و أصحاب المطامع و الشهوات و الرغبات و يحذرهــم مغبة ما يفكرون فيه و إن عليهم أن ينتهوا و إلا فسيعرّضون أنفسهم لما يناسب من الجزاء اللازم .

و بالجملــة يجد الناس أنفسهم منكشفين كيوم المحشر لنظام العدل الإسلامي فلا تخفى عليه من أمرهم خافية .

فهل هذه الفرضية تكون من المحتملات العقلية التي تطبّق لإقامة نظام العدل الإسلامي على وجه الأرض و هل بهذا النهج يصبح المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف حجة على الماضين و الباقين ؟

نقول : إقامة دولة الحق بهذا النحو أيضا من المستبعد جدا لأن البشرية التي تصـــبح بهذا النحو منكشفة لدى قادتها و القادة مع ذلك دائمة التحذير و التوبيخ لها لا تبقـــي هـــذه الفرضية مجالا لميدان الباطل و صراعه مع الحق و هو فرض لا يبعد عن فرض سلب الاختيار أو الإلجاء إلى عمل الخير و الابتعاد عن الشر لأن البشرية التي تحس أنها مكشوفة بكل ما هي عليه حتى في خواطر أفكارها لا يعقل أن تقدم على باطل أو حتى تفكر فيه و يكون السير على الصراط المستقيم أمرا لا مفـــر مـــنه و لو كان يفعله الإنسان بإرادة و اختيار و هذا لا يتناسب و سنن الله تعالى في أرضه و كون الدنيا دار اختيار و إختبار.

نعم الرسول ﷺ كان يعرف المنافقين و خططهم و لكن كان يعاملهم معاملة من لا يعرف شيئا من بواطنهم و سوء مؤامراتهم و كذا عاشر المرائين و غيرهم من المنحرفين عن الصراط المستقيم ما لم يظهروا شرهم بقول أو فعل و عليه فلا يأتي المهدي ليهتك الستور كما تهتك الستور يوم القيامة عن الظالمين .

فهـــذا الفرض إذن بعيد عن مجال إقامة دولة الحق و مجاري السنن الإلهية فإنـــه كيف يكون حجة و مثالا لإقامة دولة رسالات السماء و الناس كالمضطرين إلى عمل الحق و الابتعاد عن الباطل .

☆ الإحتمال الثالث في المقام

أن يمد الله ﷻ وليه الأعظم (عج) بالملائكة الكرام و أن يظهر للبشرية الجنان و النـــيران و أن يبين لهم الكثير من أمر الغيب أو يكشف ذلك لهم كشف عيان و شـــهود بصر و أن يجعل الله ﷻ مناديا ينادي بين السماء و الأرض قائلا : أيها الناس اعلموا أن جميع الشرايع قد انتهى أمدها و لا شريعة اليوم إلا شريعة محمد ﷺ و هذا مهدي آل محمد ﷺ جاء ليقيم دولة العدل و الحق .

فهل يمكن أن تطبق شريعة السماء بهذا النحو و تكون حجة على الماضين و الباقيـــن و تكـــون بها محفوظة السنن و النواميس الإلهية التي أجراها الله ﷻ على وجـــه الأرض لتبقى الدنيا دار اختيار و إختبار و مختبراً للعقول و ميدانا لنزاع و صراع الحق و الباطل ؟

نقـــول : بعد فرض هذه المشاهد لا يبقى مجال لتفكر أحد بباطل فضلا عن الإقـــدام عليه فهو فرض مستبعد أيضا و إلا فالله ﷻ و هو القادر أن ينهي نزاع البشـــرية فـــي كافة الميادين توحيدا و نبوة و غيرهما ما فعل ذلك يوما من الأيام لتـــبقى دار الدنـــيا مـــزرعة للآخرة كل ذلك ليتوصل الناس بعقولهم إلى الواقع و بـــإرادتهم إلى إعمال الحق لا بمجرد مدركاتهم الحسية و مبلغ رقيها المشترك مع بقية العجماوات.

☆ الإحتمال الرابع في المقام :

أن يظهر الحق تعالى في دار الدنيا للبشرية بأسماء القهر و الجبروت كما سيظهر بذلك يوم القيامة حينما ينادي المنادي﴿ **لمن الملك اليوم لله الواحد القهار**[1]﴾

نعم قد ظهر تعالى في دار الدنيا بما يناسب المقام ببعض أسماء القهر بقدر و ذلـــك مـــن أجل أن يتضرع الناس و يرتدعوا عن غيهم و مسالك ظلماتهم لكن الظهـــور بحســـب الغالب و التمام كان لمظاهر أسماء الجمال و اللطف و الحكمة حيـــث دل المرزوق على الرازق و المخلوق على الخالق و المحكم على الحكيم و المصنوع على الصانع .

فنقول أيضا أن هذا الفرض لإقامة دولة الحق بعيد عن سنن الله ﷻ في خلقه فـــي دار الدنـــيا لأنه تعالى بظهوره بأسماء القهر و الجبروت لا يبقي أيضا مجالا لصـــراع الحق و الباطل و لمزالق الأقدام في وديان الظلمات أو الشبهات فالظهور بهذه الأسماء بإطلاق الكلمة شأن عالم القيامة لا دار الدنيا .

نعـــم هـــناك من صدقوا ما عاهدوا الله عليه و هم الخلص من عباد الله ﷻ فـــإنهم رأوا الله ﷻ بجميع أسمائه و صفاته جمالا و جلالا ، لطفا و قهرا في دار الدنيا بسلامة الفطرة و بصيرة الإيمان فهم قد شاهدوا الله ﷻ ملكا مهيمنا أحدا فـــردا صمدا لا شريك له و لذا لا يصابون بخوف و فزع يوم الفزع الأكبر و لا يضـــطربون لأنـــه لا جديد عليهم يدعوهم إلى ذلك و هم كانوا قبل ذلك عباداً لله مخلصـــين و يـــأبى الله أن يجمع على عباده المؤمنين خوفين خوف دار الدنيا و الآخرة معا.

---

[1] : غافر ١٦

و لذا لا تختلف حالة عن حالة أخرى بالنسبة إلى أولياء الله ﷻ و لو كشف لهم الغطاء لما هم عليه من شهود الحق تعالى بجميع أسماءه و صفاته .

فهـذا الفرض أيضا بعيد جدا تحقيقه لإقامة دولة الحق لأنه كسوابقه يخرج الدنـيا عن كونها دار اختبار و اختيار لصيرورة الناس منقادة للحق خوفا لظهور سلطان الله تعالى بمظاهر أسماء القهر و الجبروت و الهيمنة .

☆ الاحتمال الخامس في المقام

أن تقـام دولـة الحق بواسطة استعمال الحجة المنتظر ولايته التكوينية بأن يتصـرف فـي العالم بما آتاه الله ﷻ من العلم و الهيمنة على الأسباب و هو أولى ممـن أحضـر عرش بلقيس لما هو عليه من علم الكتاب فضلا عن العلم ببعض الكتاب الذي كان عليه وصي سليمان و أي نسبة بين أوصياء محمد ﷺ و وصي سليمان مهما كان سليمان من عظيم الدرجة و المقام .

فالله ﷻ الذي سخر الريح لسليمان و منح الجن سلطانا يحضر عرش بلقيس قبل أن يقوم سليمان من مقامه قد جعل بالولاية المطلقة و العلم بتمام الكتاب وصيا من أوصياء محمد ﷺ بإذنه تعالى قادرا بولاية تكوينية من التصرف في العالم و لكن هل يُعمل هذه الولاية لإقامة دولة الحق لتكون هي الأساس لهذه الدولة ؟

نقول ذلك أيضا بعيد عن سنن الله ﷻ في أرضه التي أرادها دار اختيار و اختبار و هل بالولاية التكوينية يصبح حجة على الماضين و الباقين و تكون دولة حـق مع موازين لا إكراه في الدين أم تكون كانقياد الجن لسليمان و أكثرهم لذلك كارهون.

☆ الإحتمال السادس في المقام :

أن تسـير الأمـور لتحقيق دولة الحق بمجاريها العادية كما جرت في عهد الأنبـياء و المرسلين و الأوصياء و الصالحين من تقوية نفوس المؤمنين و دعمهم بقـوة الإيمان و بالأسباب الخفية و عند عجزهم من إزالة السدود أمام الحق يرفع الله ﷻ تلك السدود كما رفعها عن محمد و موسى و نوح و غيرهم من الأنبياء الكـرام تـارة بإهلاك طاغوت ككسرى و جبابرة قريش و تارة بطوفان و أخرى بإغراق لمدعي الربوبية كفرعون .

و بعـبارة أخـرى أن هناك سيرا عاديا نصر اللهﷻ به أولياءه على وجه الأرض حيث قوّى نفوس المؤمنين و أنزل عليهم السكينة و أمدهم بجنود لم يروها من الملائكة الكرام و غير ذلك من المدد المحسوس و غير المحسوس و لو بنسيج العناكب على جدران غار أو بابه.

فنقول عندها : هل في زمن ظهور دولة الحق لاقامتها تجري هذه المقاييس أم لابد بمدد فوق ذلك ؟

الـذي يـبدو في المقام أن المدد الإلهي يكون بأكثر مما أمد به الله أولياءه لإقامـة دولة العدل على وجه الأرض ما لم تخرج الدنيا عن كونها دار اختبار و اختيار .

و هـل الإعـداد لدولة الحق تشترك فيه عدد أمور و معدات مختلفة يكون لبعض المحتملات السابقة و غيرها شأنا بقدر في تحقيق دولة الحق و إقامة العدل الإلهي؟

و لعـل ما ورد من كونها تستمر سبع سنين أو تسعة إنما هو إشارة لزمن تمـام قوامهـا و نفوذها على وجه الأرض و ليس هو تمام أيام حكومته عجل الله

تعالى فرجه الشريف لأن تحكيم موازين العدل و تأهيل المجتمع لحضارة إسلامية بحسب السير الطبيعي يحتاج إلى زمن أطول من ذلك ما لم تتدخل المشيئة الإلهية بنحو خارج عن المجاري العادية الطبيعية و هو تعالى على كل شيء قدير.

فـــإذن ما أشارت إليه بعض الروايات من كون حكومته سبع سنين أو تسعة لعله يشير إلى زمن تمام سلطانه و عظم هيمنته على وجه الأرض و إن كان قبل ذلـــك من زمن الدعوة إلى التحكيم المطلق قد يستدعى أكثر من ذلك بكثير و عليه فـــلا مـــانع من القول بأن الدعوة تبدأ سرا ثم تأخذ بالإعلان و يستغرق ذلك عدة ســـنين و يصمد في خلال هذه السنوات المؤمنون و يقدّمون العديد من الشهداء و يمد الله ﷻ المؤمنين بنصره المبين لإزالة جميع السدود التي تقف أمام دعوة الحق و العدل الإلهي .

فيزداد المؤمنون ثباتا و اشتياقا إلى ربهم و يزداد عددهم و تقوى شوكتهم و تـــأخذ الدعـــوة بالانتشار حتى تضرب أركانها على وجه الأرض و تحصل على قـــاعدة جماهـــيرية عامة قبل أن تصبح دولة ذات سيادة على وجه الأرض ثم بعد ذلـــك يعلـــن وجودهـــا في مكة المكرمة ثم ينتقل أمرها إلى العراق حيث عاصمة الولايـــة الكوفـــة عاصمة علي عليه السلام فيغزوا المؤمنون العالم بكريم خلقهم و عظيم علمهم لا بسيوف دموية تزرع الأحقاد و تفتح أسواق الرقيق و تذل البشر بدلا من هديهـــم إلى الصراط المستقيم بنور العلم والإيمان كما صنع المسلمون باسم الجهاد طيلة القرون الماضية فكانوا سيوف نقمة لا رحمة على وجه الأرض .

فيصـــبح المؤمن أسوة بحميد فعله قبل قوله تتأسى به سائر المجتمعات فينفذ بعظـــيم خلقه في القلوب ليغزوها قبل أن تفتح له البلاد حتى ينتصر المؤمنون بقيم الرسالة عدلا و علما انتصارا باهرا.

☆ الاحتمال السابع في المقام :

أن تسبق الدعوة حروب عالمية ثم هو عجل الله تعالى فرجه يقوم أيضا بحرب عالمية تبلغ الدماء فيها الركب فيقتل في هذه الحرب طواغيت الأرض و كل مخالف و سد أمام الدعوة من منافق و ماكر و من بعد ما تصفى الأرض من رؤساء الشر و الجريمة و ينتصر على كافة دعائم الشر و الجريمة يقيم عندها دولة الحق و العدل على أرضية خالية من الطواغيت و المجرمين و المكرة و المنافقين .

فهل يكون هذا من المحتملات العقلية المتطابقة مع السنن الإلهية التي أجراها الله ﷻ لأجل تحكيم دولة الحق و العدل على وجه الأرض ؟

نقول : لا نريد أن ندعي أن حكم الله ﷻعلى وجه الأرض يتحقق بكل سلم و سلام بلا أي إراقة دم مع وجود المعاندين و الحاقدين و الطواغيت و الجهال و غيرهم من العواعق لمنهج الحق الإلهي و لكن القول بقيام دولة الحق على أساس قوة السيف كسبب رئيسي بعيد كل البعد عن شريعة بنيت على الحرية و لا إكراه في الدين و ما جرى من الفتح باسم الإسلام بعد رسول الله ﷺلا يمت إلى الإسلام بأي صلة فهو عدوان و حب للزعامة و الفتح و جمع الجواري و الغلمان باسم الدين و إلا فهل أصبح المسلمون أكثر قوة و أشد عزما بمجرد وفاة نبيهم رائد السلام و هل كان محمدﷺحجر عثرة في طريق المسلمين و هيمنتهم على وجه الأرض؟

فلماذا إكتفى الرسول بالمدينة و مكة التي كان فتحها فتحا دفاعيا لإيقاف العدوان القرشي و لم يقم بما قام به المسلمون من بعده من البسط للشريعة بسطا جغرافيا بضياع قيم الرسالة و مبانيها و مثلها العليا و المتتبع لما يسمى بالفتح

الإســلامي و مــا جــرى فيه من سفك للدماء يرى ذلك جليا لو لم يصب بنزعة العصــبية و تقديــس الــرجال على حساب الدين و بالأخص إذا نظر إلى الأمور بمــنظار أبــناء الدنيا فخورا بأسلاف فاتحين و لو كانوا ليلا للديار محاصرين و صــباحا لأهلها قاتلين و لذراريها و حسناواتها مقسمين ثم قبل وصول الخبر إلى مدينة أخرى متحركين ليصنعوا بها ما كانوا قبل يوم فاعلين .

و تفصيل هذا البحث و كون الأديان لا يعقل أن تبنى على السيف و العدوان و أن الديــن قــرار نفسي لا تقوّمه في أعماق النفوس صوارم الفاتحين المسترقين للآخرين محل آخر يأتي في الأجزاء الأخر إن شاء الله تعالى.

و عــودا على بدء نقول لا يقام عدل الله ﷻ و دين الرحمة للعالمين على وجــه الأرض بقتل أكثر أبناء الدنيا و قد عرفنا من الشرايع أ ن السيف لا يتجاوز حــدود ردع المعتديــن فهو أداة دفاع عن قيم الرسالة و أهلها و ما كان يوما من الأيــام مــتجاوزا ما حدده الله ﷻ له و السيوف التي تجاوزت هذه الحدود ما كانــت بأيدي أهلها من دعاة الإصلاح و السلام بل بأيدي أبناء الدنيا باسم الدين و كم يا إلهي ظلمت البشرية باسم الحق و العدل و السلام و الحرية و الديمقراطية و الأديان السماوية .

و كم من طاغوت قتل الأحرار و استقرق الناس باسم الله ﷻ و رسوله و الأئمة الميامين خلفاء رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

ربنا طهر الأرض من المنافقين و الدجالين براية رائد السلام حقا مهدي آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم فقد ضاقت الصدور و نفد الصبر من فعلة هؤلاء الماكرين الذين أذلوا عبادك طيلة القرون باسم شرعك القويم ليومنا هذا .

و إن عـــدل الله ﷻعلـــى وجه الأرض لا بد أن تحمله نفوس البشرية لما تشاهد من لطف و رحمة و علم و عدل و مثل و قيم و لا يمكن أن تقام دولة العدل تحت ظلال السيوف .

فالضـــامن بعد صلاح القائد و القيادة و رجال الإيمان و عظيم الرسالة لهذه الدولة هي النفوس البشرية حينما ترى الحق و العدل عيانا لا إدعاء يكذبه الوجدان كما شوهد في أغلب الديار الإسلامية.

و لا يمكن أن يكون الضامن لإقامة دولة الحق هو السيف و إلا لضمن بقاء أقوى الدول في هذا القرن الأخير أو التي مضت و أصبحت من أحاديث الغابرين مـــع بقـــاء الأديان في نفوس الناس مر القرون و الأجيال حينما كانت مستقرة في قلوب المجتمعات البشرية .

نغم

لسكينة النفس

نغم الوجود

نغـــم الوجـــود لغـــاية العرفـان علـــم يهـــز مضـــاجع الشيـــطان

ويحيـلها وهمـــا على جدث الثـرى من بعد ما حكمت ذرى الأزمان

وتلاعبت شطـــطا على نهج الهدى ليـــلا بقهرٍ من دجـى الكـــفران

ويقيـم في أرض الـولاية صـرحه صبـح المُحيـّا في سمـا كـوفان

ويعيـد مـا أبلى الزمـان وأهـله من شـرعة للحق في الأذهـان

فاسبـق إلى ركـب الهداه بنيـة علـــوية يا طـــالـب الإيـقـان

هذه المعـــالم قـد تـلألأ ضـــوئها فابشـــر برايـة منـــقذ القـــرآن

علـــم به هَديُ النـــبي محـــمد بشـــراك ذا فهـــو البشـــير الثانـي

وهو الوصي المرتضى علـم الهدى إن جاء يحـصد زمـرة الطـغيان

وهو الإمام المجـتبى للسـلـم إن جنـح العصـــاة لمـــبدأ الغفران

وهو الحســين بصـرخة فوق الدنا إن الكـــرامة جوهـــر الإنـسان

وهو ابن سيدنا الحسين تهجدا زين العباد بساحة الإيمان

وهو الذي ورث الإمامة باقرا للعلم حقا فهو خير بيان

وهو الإمام الصادق البر الذي بهداه يهدى الكون والثقلان

وهو الإمام الكاظم الغيض الذي يسمو بصفح عن دجى الحدثان

وهو الرضاء بما قضى رب العلى قدرا يحدد عصمة الفرقان

وهو الجواد إذا انبرى في فيضه يعطي الخلائق ما لها من شان

وهو الذي في كفه يجري العطا عدلا وقسطا في سما البرهان

وهو الذي بصحائف الحق ارتقى فوق الجنان بمحفل الرضوان

وهو الذي بعساكر النور استوى فوق العروش بذروة الإمكان

وهو الذي قد جاء ينسف ما بنى أهل النفاق بساحة التبيان

قد جاء ينقذ أمة قد أوغلت يوم السقيفة في دجى النيران

وتواصلت بمطارق تهدي إلى ربع الندى بملابس الإحسان

كم ضيعت نهجا لأحمد والألى كانوا سراة الحق والعرفان

علم يجدد ما بلى من آية عصفت بها زمر من الطغيان

ذاك ابن فاطمة البتولة ذي الندى قد جاء يحمل رحمة الديان

قد جاء بالحق المبين وبالهدى ليسود نهج الحق لا الشيطان

والله حقا ما أقول فإنما هتف الفؤاد بها تف الوجدان

قد جاء عهد الصادقين وأشرقت أرض العراق برايةالإيمان

وتقوضت للجائرين عهودهم حتى بدت كالوهم للصبيان

قم وإستبق طر الخلائق للعلى بمراكب تسري إلى الغفران

فابشر برايةمنجد عرش التقى بمواهب الرحمان للإنسان

فالكون من طرب ترنح قائلا أهلا بمقدم صاحب الأزمان

والحور من نغم الجنان بشائرا راحت لتهدي سيد الأكوان

وملائك الرحمن من قمم العلى جاءت تحيي كعبة الإيقان

والطير غرد للصبابة والهوى يروي حديث الوجد للأغصان

محمد كاظم الخاقاني

المحاضرة التاسعة

الإحتمال الثامن في المقام أن تسبق الظهور لنظام العدل الإلهي العالمي حروب عالمية تطحن برحاها أكثر البشر و تحصل كوارث إضافة على ذلك تذل البشرية قاطبة فيأتي المهدي و الناس يعيشون الضعف و الخوف و الهوان و الرعب يريدون من يخلصهم مما هم فيه فيسوقهم ذلك إلى قبول دعوة الحق .

فيكون ذلك رافعا للمانع الذي دفع بالناس إلى الطغيان و الجبروت و الضياع في الشهوات من بعد ما كان لا نقص في رسالة أو قيادة إلهية على طول التأريخ البشري.

فنقول : أجل ذلك من جملة المحتملات التمهيدية لمسألة الظهور ليكون من الدواعي إلى الرجوع إلى الحق تعالى لعل الناس بذلك إلى الله بقلوبهم يتوجهون لكنه لا يكون هو العلة التامة لإعداد النفوس للعودة إلى رسالات السماء إن لم تجتمع معه العديد من المؤهلات الأخرى لإقامة دولة العدل الإلهي .

فالعدل هو الذي يحقق الغاية التي بعثت جميع الأنبياء من أجل تحقيقها و بالعدل تكون الصلاة في مواطن اجتماعها صلاة و إلا فرب مسجد كان مسجد ضرار و رب إمام صلاة كان الحجاج بن يوسف الثقفي و رب خليفة كان يزيد بن معاوية و رب خمس أو زكاة دفعت لتشييد أسس نظام جائر و رب علم لفقيه في ظل نظام جائر كان وسيلة لانحراف أمة و كان العالم بلعم باعورا .

كما و أنه لا تشرح بطون الرسالة بأبعادها السبع و السبعين و لا تتجلى مكارم الأخلاق و القيم و المثل تحت سقف الفراعنة و إن سماهم المسلمون جهلا

أو عـــنادا بأمراء المؤمنين و ولاة الأمر بعد سيد المرسلين بغضا لسيد الوصيين و إمام الموحدين علي بن أبي طالب و إن بلغهم عن الرسول ﷺ إن من علائم النفاق هو بغض علي عليه السلام.

فـــإن بلوغ مدارج العلم و مكارم الأخلاق و إقامة العدل العالمي يحتاج إلى أمـــم تســـتوعب أبعاد هذه القمم العوالي و عليه فلا يعقل أن تقام دولة العدل على أنقـــاض البشرية بعد حرب تأكل الأخضر و اليابس و تسوق البشرية لقبول الحق للهوان و الذل و إن كان الحرب و الخوف من جملة دواعي الرجوع إلى الله ﷻ كما هو من السنن الإلهية لإرجاع الأمم إلى ربها بعد ليالي الغفلات .

الإحـــتمال التاســـع : أن تكـــون الدواعي لقبول دولة الحق و تأهيل الناس لتطبيقها إقامة المعاجز الحسية .

فرســـول الله ﷻ و كافة الأنبياء جاؤوا بكثير من المعاجز لأممهم و عندها فـــنقول : هل تحقق الدولة العالمية الإسلامية و الولاية المطلقة على وجه الأرض بواســـطة المعجـــزات لـــتكون هي الأساس لتأهيل النفوس في العالم لقبول العدل العالمي؟

و المـــراد من المعجز في هذا الافتراض المعجز على صعيد المحسوس بما لا تتمكـــن البشرية بإتيان مثله مهما بلغت العلوم و التقنيات في أوجها و رقيها في هذه القرون أو القرون الآتية التي يكون فيها عصر الظهور.

فنقول في المقام : لا ريب أن المعجز الحسي هو المناسب لكثير من الناس للعـــودة إلى الحق تعالى و الإذعان بسلطان الله ﷻ لكنه أحد الأسباب لاقامة دولة الحق لأن المعجز عند الظهور يجب أن يكون بإطلاق الكلمة على اختلاف مراتب عقـــول و علـــوم البشرية لأن الناس يختلفون باختلاف القابليات فمنهم من يشاهد

المعجز الحسي لعجزه عن إدراك المعجز العقلي و آخر من يشاهد المعجز العلمي في ميادين الاقتصاد أو علم النفس أو الخلق الكريم .

فعصـــر الظهور عصر الإعجاز في كافة الميادين فهو إعجاز للفلاسفة في فلسفتهم و للعرفاء في عرفانهم و لأهل الدنيا في مسالك دنياهم و لأهل الآخرة في شهود أنوار ربهم حتى لا يكون إعجازا بأزاء فن أو أمة خاصة لكي لا يقول قائل إنمـــا جاء القرآن ليعجز العرب في بليغ أدبهم حتى تذعن الأمم بواقع قلوبها لنداء الحـــق و إلا فـــلا يمدح الإنسان و لا يذم إن كان مجبراً على فعل أو كان مكرها عليه، فالدين لا إكراه فيه و بهذه السنن الإلهية تقام دولة العدل العالمي .

و هذا الاحتمال و إن كان من أهم المحتملات في المقام لإقامة دولة الحق إلا أنـــه لا يكـــون العلة التامة لإقامة العدل ما لم تتحقق بعض المعدات و المؤهلات الأخرى لرجوع الناس إلى رب العالمين فتكون المحتملات يكمل بعضها بعضا و إن كان إعمال بعضها يكون أقل حظا لأنه لا يتناسب و قانون الاختيار و الإختبار الذي سيبقى جار إلى أن تظهر علامات الساعة حيث لا يقبل من أحد عندها توبة.

و سوف تشاهد البشرية عند الظهور كلما أخبر عنه الكتاب المجيد من غيب و ما أشار إليه من دواعي و موجبات الرقي أو السقوط للأمم .

فبشـــريعة الحـــياة الإسلامية كل إنسان بما يحمل من القابليات و بما له من الموانع التي منعته من العمل بالحق و قبوله سوف يعامل بما يؤهله للرشاد إلا من كـــانوا من المغضوب عليهم من أهل العناد و اللجاج حيث لا يصلحهم إلا السيف كـــبعض الـــيهود و الطواغيت و من هو شرمنهما و هم أعداء آل محمد ﷺ من النواصـــب الذيـــن حرفوا شرع الله ﷻعلى علم فضلوا و أضلوا الأمة ببغيهم و إعلان حربهم على الله ﷻو رسوله الكريم .

و بالجملـــة نقول : كادت أن تكون الأدلة العقلية و النقلية تامة واضحة في المقام من أن المعد لتحقيق دولة الحق و ما سيكون أساس قوامها ليس أمرا واحدا بـــل لابـــد أن تجـــتمع أمور عدة حتى تصبح البشرية على اختلاف حضاراتها و مراتـــب عقلها و اختلاف منازل طهر النفوس و علمها مستعدة لقبول نداء الحق و العمل به .

كـــل ذلك من بعد ما تصل الأمم إلى مرتبة اليأس من كل داعية يدعوا إلى الحـــق و العدل و السلام و الحب على إختلاف الدعاة و مذاهبهم و ملابسهم دينية كانت أو غير دينية و تلمس الناس جميعا أن جميع الدعاة لم يقصدوا إلا المصالح الشخصـــية و إن كان هناك النوادر من رجال الحق على الرغم من صدق نواياهم الا انهم مستضعفون لا يصغى إليهم و هم في ميادين الحل و العقد مصداق ما ورد إن حضروا لم يعدّوا و إن غابوا لم يفتقدوا .

أجـــل من بعد ما تيأس البشرية من جميع الدعاة إلى العدل و الاصلاح حتى الموحديـــن مـــنهم فضلا عن دعاة الحرية أصحاب حق الفيتو و مؤسسات التخدير العالمي التي أصبحت مكشوفة لدى كل عال و دان و إن كان بعض الشر أهون من بعض و أقساه ما كان بإسم الدين .

و ســـوف تلمس البشرية أن الأكل و الشرب لا يكون غاية لأشرف كائن و هـــو الإنسان و إنه بسكينة النفس بذكر الله ﷻ إطمئنان القلوب الذي من لم يعشه عاش ضنك الحياة .

و لـــيس عصـــر الظهـــور عصر إعداد المسلمين فقط لنداء الحق بل لعل الدعـــوى يلبـــيها الكثير من غير المسلمين قبل السواد الأعظم من المسلمين الذين نشؤوا مسلمين تقليدا .

و لا يكون الظهور كما تقدم إلا عند يأس البشرية من كل دعاة الإصلاح لما تشاهد من إدعاءات فارغة لا تخدم إلا المصالح الشخصية و إن اختلفت العناوين و الأسماء.

فهـذا يتسـلق إلى مصالح نفسه باسم الدين و ذلك ينادي باسم الحضارة و العلـم و الـثقافة و لا يكون الظهور إلا في زمن العلم ليكون معجزا للعلماء على اخـتلاف مراتـبهم و مسالكهم ليصبح نظام العدل العلمي مشهودا لذوي البصائر العلمـية و يلمس أبناء الدنيا من ناحية أن ما هم عليه من قوة فتك و أسلحة دمار بـأزاء قـوة الحـق تعـالى كسلاح البشرية في بداية حياتها حينما قامت لتحارب بالعصي و الأحجار و العظام .

فيستسـلم لذلك جبابرة الأرض و يكون الضامن لتطبيق نظام العدل الإلهي نفوس البشر التي تصبح لحب العلم و اليأس من دعاة الإصلاح لا تتمكن أن تشاهد نفاقـا و لا كذبا و لا مكرا و لا رياء حيث يشمئز الناس من الكذب و الكذابين و الدجالين و المنافقين .

و قد أخذ الله ﷻ على نفسه أن يرفع السدود أمام دعوة الحق كما صنع ذلك بـأزاء رسـالات السماء التي جاء بها أولوا العزم من الرسل لتنتشر راية الحق و تـبلغ مسـامع الناس جميعا كما أهلك الله ﷻ طواغيت قريش و كسرى و أهلك فرعون و النمرود و هامان.

و مـن جملة من تطهّر الأرض منهم رؤساء الخبث من اليهود حيث تشير الآيـات إلـى ذلك ، قال تعالى : ﴿ **و قلنا من بعده لبني إسرائيل إسكنوا الأرض فإذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا** ﴾[1] فإنهم لابد أن يجتمعوا بمشيئة

---

[1] : الإسراء ١٠٤

الله ﷻ في فلسطين و بيت المقدس للقضاء عليهم في اليوم الموعود لأنه لا سلامة لجسم بلا إستئصال المرض الخبيث و قادة اليهود و الكثير من أعداء آل محمد ﷺ لابد أن تطهر منهم الأرض حتى تصبح محلا لعدل الله ﷻ و لا ندري لرحمة الله التي وسعت كل شيء هل تطهرهم نار الله الموقدة بعد أحقاب أم لا ؟

و نـــأمل من الله ﷻ أن يكون اليوم الذي تهلك به طواغيت اليهود و أعداء آل محمد ﷺ قريبا لتقر به أعين المؤمنين و المسلمين بواسطة عدل الله ﷻ على أيدي مهدي آل محمد ﷺ.

☆ شعار يا لثارات الحسين (ع)

هـــناك بعض الروايات تشير إلى أن منادي آل محمد ﷺ ينادي يا لثارات الحسين عليه السلام فهل المراد بذلك أن روح الإنتقام و لو من أعداء آل محمد ﷺ تسود الدعوة لإقامة العدل لأنهم جرثومة الفساد داخل الهيكل الإسلامي حيث كان بغض علي عليه السلام من أبرز علائم النفاق ؟

نقـــول : كلا ثم كلا فإن المهدي يأتي لإحياء سنة رسول الله ﷺ الذي بعثه الله ﷻ رحمة للعالمين و وردت الروايات في حقه عجل الله تعالى فرجه الشريف: السلام عليك أيتها الرحمة الواسعة .

نعم لكل دعوة شعار و شعار الحق تعالى هو شعار منهج الحسين عليه السلام الذي هـــو ثورة ضد الباطل و الظلم و الجور و الطواغيت و إلا فكيف تكون دعوة إلى العـــدل و هـــي تزر وازرة وزر أخرى بتصفية الحساب مع قوم ارتكب أسلافهم جـــريمة و إن كـــان لكل فعلة حق أو باطل من المحبين و المبغضين و من أحب

عمل قوم أشرك معهم و أمثال يزيد و عمر بن سعد و عبيد الله بن زياد ما أكثرهم على وجه الأرض لو وجدوا حسينا عليه السلام.

و لكـــن شعار يا لثارات الحسين لا يعني الانتقام بل يعني شعار الحق أمام الـــباطل الذي رفعه الحسين عليه السلام حينما إندرست معالم الحضارة الإسلامية النبوية ظاهـــرا و باطـــنا بمجـــيء يـــزيد بن معاوية على الحكم و سماه المسلمون أمير المؤمنين.

و بالجملة نقول : لعل ما أشارت إليه الروايات من الانتقام هو الانتقام من رؤوس الجريمة التي لا صلاح للأرض إلا بتطهير الأرض منهم حيث لا يصلحهم إلا الســـيف كأمـــثال أبـــي جهل و المنافقين أعداء آل محمد صلى الله عليه وآله الذين بعد ما كلّت ســـواعدهم من مقاومة الدعوة دخلوا في الإسلام لينالوا منه و هم في داخل الهيكل الإســـلامي ليكونوا أشد وقعا بالإسلام و المسلمين فأمثال هؤلاء لا يعطيهم المهدي (عـــج) مجـــالا للتلاعب في عصر الظهور ليفسدوا على البشرية الأمر و يحرفوا الموازين عن مواطن إستقامتها .

فـــالمهدي ســـيف الحـــق و الرحمة العامة للعالمين مظهر تجليات الأنوار المحمدية فهو مظهر اللطف و العطف و العلم و العدل و الحكمة و جميع الأسماء و الصـــفات الإلهـــية فـــلا يقيم دولة الحق لإرعاب عام بشري و لا يكون وسيلة للانتقام و الثارات.

فمـــا قام التوحيد لأخذ الثارات و تصفية الحسابات و ما قام أحد من الأنبياء بذلـــك و شعار يا لثارات الحسين قد فهم البعض منه فهما سيئا بعيدا عن سنن الله سبحانه و تعالى فـــي العالمين ظانا أن المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف رئيس قبيلة يأتي لـــيأخذ الثار من أبناء من قتلوا جده الحسين عليه السلام غافلا عن أنها معالم النبوة التي هي الرحمة للعالمين متجلية في مهدي آل محمد سبحانه و تعالى .

اللهم وفقنا لمرضاتك و إجعلنا في ركب داعية الحق إن جعلتنا أحياء في يوم الظهـــور اللهـــم عجل فرجه و سهل مخرجه و إجعلنا من أنصاره و المستشهدين تحت لوائه إنك أنت أرحم الراحمين و الحمد لله رب العالمين على نعمائه و توفيقه لإتمام الجزء الأول من كتاب إعرفوا الحق تعرفوا أهله و سيليه بإذن الله و مشيئته الجزء الثاني و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته .

يوم العدل.....٧
المقدمة.....٩

المقدمات

الحرية.....١٤
السياسة.....١٨
البؤساء و القوميون ٣٢
الطائفية ٤٤
العدالة.....٦٧
ضياع الأمة ٧٧
المكفرة ٨٥
مقدمات منطقة الفراغ التشريعي.....١٠٠

منطقة الفراغ التشريعي ١٣٥
أين تكمن الأزمة ١٥٥
معالم الحضارة الإسلامية..... ١٧٣
في رحاب السيرة النبوية..... ١٨٥
الإمام المهدي الخطيب الرسالي..... ١٩٠
علائم الظهور ٢٠٠
العقل في مسألة المنقذ ٢١٤
الروايات السنية ٢٢٨
تعليقة المؤلف على الروايات السنية ٢٤٥

المحاضرات و الأشعار

المحاضرة الأولى ٢٦٠
صباح العدل..... ٢٨٢
المحاضرة الثانية..... ٢٨٤
مولد الأمير..... ٣٠٨
المحاضرة الثالثة ٣١٣
عيد الغدير ٣٢٢
المحاضرة الرابعة ٣٢٦
غدير خم ٣٤٤
المحاضرة الخامسة..... ٣٥٠

عمر الزمان ٣٧٢
المحاضرة السادسة.....٣٧٥
الدنيا ٣٨٨
المحاضرة السابعة.....٣٩٠
كؤوس الخلد ٣٩٨
المحاضرة الثامنة.....٤٠١
نغم الوجود.....٤١٤
المحاضرة التاسعة ٤١٧
المحتويات ٤٢٥